عصر الخليفة

المقتدر بالله

٢٩٥ - ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م

تأليف

حمدان عبد المجيد الكبيسي

جامعة بغداد / كلية القانون والسياسة



ساعدت جامعة بغداد على نشره

١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

مطبعة النعمان

النجف

عصر الخليفة المقتدر بالله



عصر

الخليفة المقتدر بالله

٢٩٥ ــ ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ ــ ٩٣٢ م

دراسة في أحوال العراق الداخلية

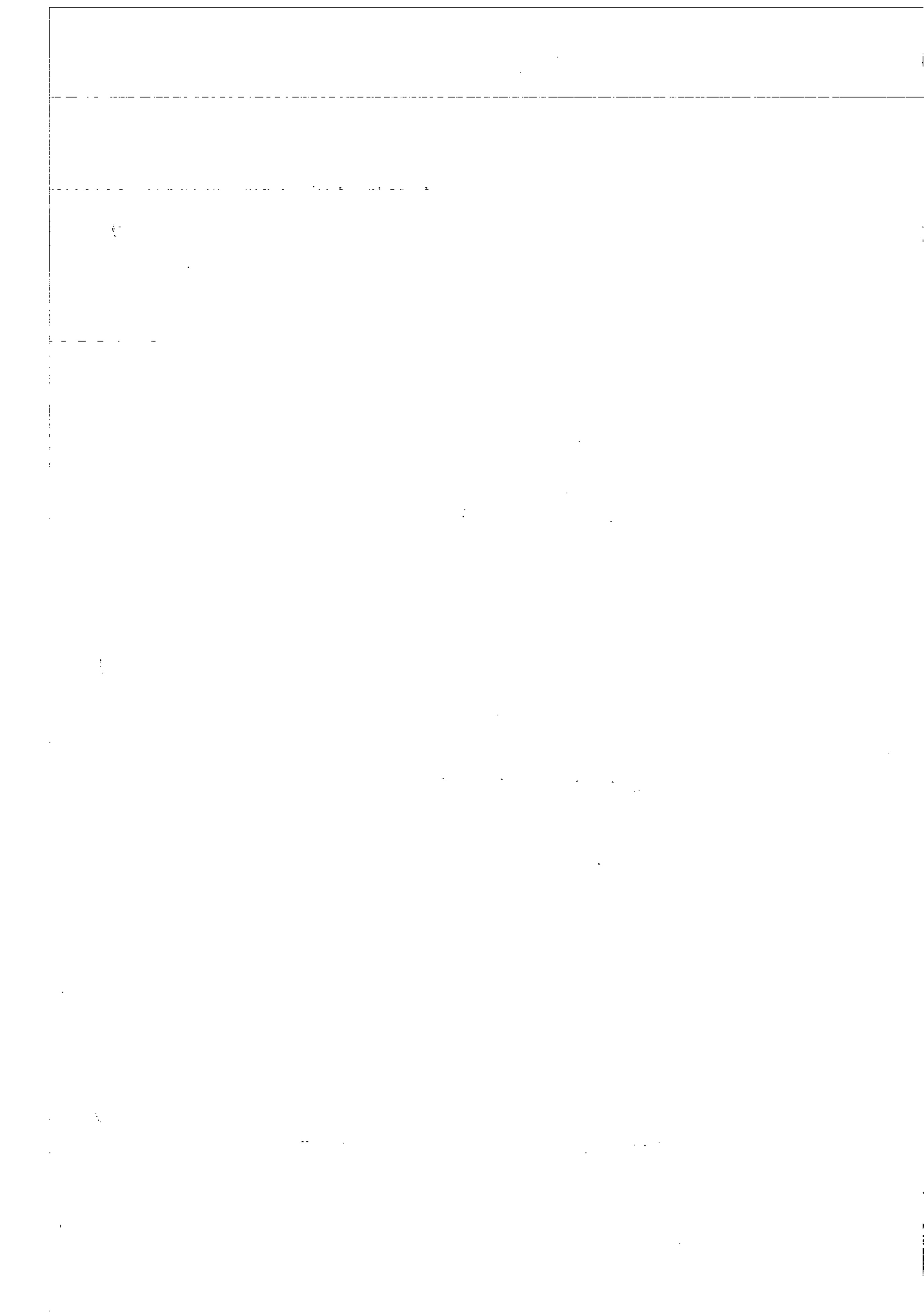
تأليف

حمدان عبد المجيد الكبيسي

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م

مطبعة النعمان ــ النجف الاشرف ــ تلفون ٣٢٠٩٧

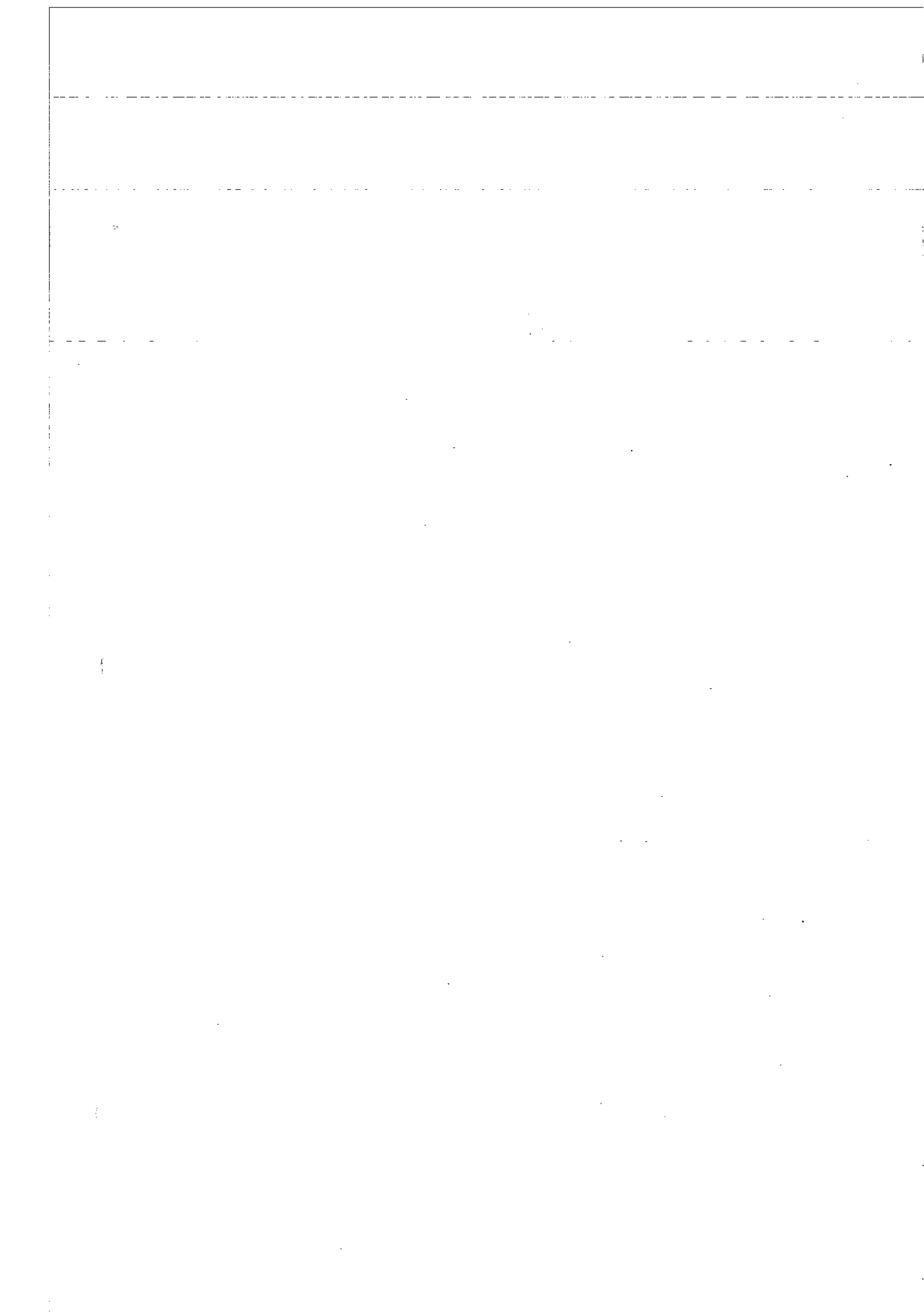


شكر وتقدير

بعد أن انتهيت من وضع هذه الرسالة بشكلها النهائي ، أرى لزاماً عليّ أن أزجي عميق الشكر والتقدير الى استاذي الكبير الدكتور فيصل السامر لتفضله بالأشراف على اعداد هذه الرسالة ومشاركته لي في أختيار موضوعها . فقد بذل (مشكوراً) جهداً كبيراً وطويلاً ، وتوجيها قيماً ومفيداً في اعدادي وتشجيعي حتى بلغت نهاية بحثي هذا .

كما أتوجه بالشكر الى استاذي الفاضل الدكتور محمد الهاشمي للجهود التي بذلها في تشجيعي ودفعي الى اتمام هذه الرسالة . ولا يفوتني ان أتوجه بالشكر إلى أخي حمد عبد المجيد الكبيسي الذي أعانني بنقل بعض النصوص . وزميلي الأخ محمد كمال الجراح الذي أعانني بترجمة بعض النصوص عن الأنكليزي ، والأخ محمد ضو مرتاح لترجمته نصوصاً عن الفرنسية والأخ محمود عبد الله اسماعيل الذي أعانني فترجم لي نصوصاً عن الفارسية والتركية والأخ الدكتور عناد اسماعيل الكبيسي الذي تفضل فقرأ بعض مسودات فصول هذا البحث . وأخيراً اتقدم بالشكر الى موظفي وموظفات مكتبة الدراسات العليا والمكتبة المركزية لجامعة بغداد لما أبدوه من مساعدة قيمة لي أثناء اعدادي هذا البحث ، كما وأشكر مكتب الهلالي للطباعة الذي تولى طبع هذه الرسالة وإخراجها بهذا الشكل ، والله ولي التوفيق .

حمدان عبد المجيد الكبيسي



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة ونطاق البحث

ان الاحداث الجسام التي تمخض عنها عصر الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ — ٩٣٢ م) ، هي التي دفعتني إلى أختيار هذا الموضوع ، بعد ان تدارسته مع استاذي الدكتور فيصل السامر . اذ رأيت ان طفلاً غراً صغيراً لم يبلغ الرابعة عشرة من عمره بعد يتقلد الخلافة ، فيختلف الفقهاء والقضاة في أحقية تولية هذا المنصب الرفيع ويتجادلون في شرعية خلافته أوعدمها ، كما يختلف الوزراءوكتاب الدواوين، لأسباب شخصية وسياسية ، في اسناد الخلافة اليه .

وان هـــذا العصر المليء بالأحداث يقع في حقبة حاسمة من التاريخ الأسلامي ، تميزت بالصراع المشبوب الأوار بين السلطة الرسمية ومعارضيها من الشيعة والقرامطة وغيرهما . وعلى الرغم من أن نطاق البحث ينحصر في نحو خمس وعشرين سنة إلا انها كانت فترة مشحونة بالأحداث ، ومن ثم فإن من العسير الألمام بجميع نواحي عصر المقتدر بالله في بحث واحد ، لذا تركز هذا البحث في أحداث العراق ومن له علاقة مباشرة بها .

والى جانب تلك الأحداث المضطربة ، يشهد الباحث بوضوح ، حياة القصور الشامخة وما بها من أسراف وتبذير وترف وشهوات ومؤامرات ، استهدفت جعل الخلافة العوبة في أيدي الجيش تارة ، أو في قبضة الوزراء تارة أخرى ، أو وفق أهواء الحريم وحاشية دار الخلافـــة تارة ثالثة .

ولا شك في ان أثر ذلك كله قد انعكس على الدولة العباسية فمزق وحدتها مما أدى الى قيام انتفاضات فكريةوثورية ، وأزمات اقتصاديةحادة مستعصية زعزعت ايمان العاملين بالمؤسسات الأدارية الرسمية في ايجاد الحل الصحيح والناجح لها . حقاً فقد شهد هذا العصر مآسي كثيرة .

ويلمس الباحث ان كثيراً من الحقائق زيفت تزييفاً مقصوداً ، الأمر الذي أدى الى ان تتقنع الكثير من تلك الحقائق بالغموض والأبهام . فتضاربت فيها الأقوال ، وامتزجت الحقائق بالأساطير الخيالية البعيدة عن الواقع . وقد اشترك في هذا التزييف ، بعض كبار موظفي الدولة ، كما أسهمت العناصر المعارضة بكل قواها ومؤيديها من علماء وشعراء ومن عامة السكان في ذلك ، فألقوا بكل ما في صدورهم من حقد وضغينةعلى أحداث هذا العصر ، فشوهوها وأبعدوها عن حقيقتها ، فبدت واهية يغشاها السراب ، بحيث صعب على الباحث رؤيتها ، ألا بعد ان يتعمق في بصيرته وتحليلاته ليتلمس من بين الأسطر دوافع الخصومات والتزييف ، ومدى أثرها على تلك الحقائق التاريخية ، ذلك ان الحقائق لاتطمس وان توارت في زحام الاغراض والاهواء والمطامع .

ومن دراستي لعصر المقتدر بالله استطعت — الى حد كبير — أن أعين وأحدد المميزات الشخصية لرجال السلطة والمسؤولين في هذا العصر ، بما فيهم الخليفة نفسه ووزراؤه وقواده وبعض رجال حاشيته البارزين والمقربين. ولا ريب أن يكون لهذه المميزات التأثير الواضح والفعال على سلوك وأفعال هؤلاء الرجال ، مما يلقي بعض الضوء على مظاهر هذا العصر الزاخر بالأحداث .

ويتعاون بعض قادة الجيش ، مع بعض رجال السياسة . في التآمر

على الخليفة الجديد ، قبل ان تتجاوز فترة خلافته أربعة أشهر ، ويثيرونها فتنة كبرى ، تهز أركان الدولة ، حتى تكاد تقوض أسسها فتطيح بالخليفة الصغير ، وتجلس من هو أكفأ منه في دست الخلافــة ، وينصاع الخليفة المعزول لأنذار الجماعة المتآمرة ، ويهم بترك دار الخلافة ليفسح المجال أمام الخليفة الجديد الذي نال تأييد أغلبية قادة الجيش وكتاب الدواوين والقضاة ليحل محله .

ومن خلال بحثي لاحظت ان عصر المقتدر بالله امتاز بتطرف شديد في مختلف نواحي الحياة ، فبلغ فيه التفاوت والاختلاف بين الناس حد التناقض الحاد ، بين الغني والفقر ، والتدين والإلحاد ، والنزاهة والخيانة . ولاشك ان وجود مثل هذه الظواهر المتناقضة في مجتمع ما ، تكفي لأن تفكك عراه وتزعزع أركانه ، وتقوض أسسه . وهكذا نلمس التناقض والتطرف الشديدين في الحياة الأجتماعية ، بحيث أصبح ذلك من أهم خصائص هذا العصر ، ولعل مرد ذلك يعود الى فساد النظام المالي الذي سبب اختلالاً هائلاً في الدخل ، بين الأفراد والجماعات . وكانت هذه الحالة أثراً من آثار النظام الطبقي الذي ساد المجتمع في هذا العصر .

ومن هذا كله وجدت لزاماً عليّ ان ألم بأهم الأحداث لأستعين بها على فهم أو تفسير الظواهر الحضارية والسياسية التي برزت أو التي جدت أبان عصر المقتدر بالله . وقد وجدت ان هناك كثيراً من الأحداث والملابسات، لايمكن فهمها ، أو تعليلها وتفسيرها الا" اذا تجاوزت الأطار الزماني والمكاني لعصر المقتدر بالله .

فدراستي لشخصية الخليفة المقتدر بالله ، رجعت بها الى طفولته فلمست بسرعة بعض جوانب عهد أبيه المعتضد بالله . وعند معالجتي لبذخ واسراف

الخليفة ووزرائه وحاشيته ، تطرقت الى ما قام به في هذا المجال من علاقات مع الروم ، وما بذله على جواريه ومحظياته . وفي بحثي للحركات الثورية والانفصالية والمعارضة أمتد بي البحث الى ان أدرسها في منشئها ، سواء أكانت في الحجاز أم في شرق شبه الجزيرة العربية أم بلاد فارس .

وقد جعلت هذا البحث في ستة فصول وخاتمة ، تحدثت في الفصل الاول عن الخليفة المقتدر بالله ، فألممت بجوانب طفولته والبيئة التي نشأ فيها ، وانعكاس ذلك على مكونات شخصيته وبذخه المفرط ، وتصرفاته غير المتزنة ، ومعالجته للأمور العامة . وبدأ لي ان الجو العائلي الذي وجد المقتدر نفسه فيه ، وبخاصة عندما كان في دار ابن طاهر ، حيث أحاطت به ظروف خاصة ، تركت آثارها العميقة في حياة هذا الأمير المقبلة .

ولقد أعطيت موضوع تقلده منصب الخلافة في تلك السن المبكرة ، قدراً كافياً من الاهتمام ، لأنني لمست ان كثيراً من أحداث هذا العصر وملابساته ترجع في أصولها ، بصورة مباشرة او غير مباشرة الى ذلك الحدث — وأعني به عمر الخليفة الطفل — فظهر لي ، بعد البحث والاستقصاء ، ان هناك عوامل كثيرة سيطرت على مشاعر الخليفة الجديد ، حتى أصبح لايملك من أمره شيئاً ، حيث غلب عليه كتاب الدواوين والحريم والحاشية ، وصار لا ينفذ له أمر دونهم .

وتناولت في الفصل الثاني العوامل المؤثرة في هذا العصر ، وخصصت جانباً كبيراً لدور الحريم ، سواء السيدة (والدة الخليفة) أو القهرمانات ، ولمست بوضوح تدخلهن في الأمور السياسية والمالية وحتى القضائية ، وانعكاس ذلك على شؤون الدولة العامة ، وبخاصة عندما صار الخليفة يرجع الى أقوالهن وتحريضاتهن على الوزراء وقادة الجيش وكتاب الدواوين

الذين كثيراً ما كانوا يتوددون الى أولئك القهرمانات ، لأنهم أيقنوا انه متى ما غضبت عليهم أحداهن ، فقد يفضي ذلك الى عزلهم من مناصبهم وحبسهم أو نفيهم ومصادرة أملاكهم ، وربما فقد أحدهم حياته من جراء جفوة بينه وبين احداهن • وعندما شعر الوزراء بمكانة قهرمانات دار الخلافة ، لم يتوانوا في بذل الأموال الجزيلة في سبيل الحصول على رضائهن ، لأن الوزراء لمسوا أن بقاءهم في مناصبهم مــدة أطول ، منوط بمدى صفاء علاقتهم بحاشية الخليفة ، وعلى رأسهم القهرمانات •

ولما شعر بعض قادة الجيش ورجال الأدارة ، بطغيان ارادة النساء والحريم ولمسوا تأثيرهن في توجيه سياسة الدولة ، نبهوا المقتدر بالله الى خطورة تلك التدخلات • غير ان الخليفة لم يضع حداً لهذه التدخلات ، وقد أوضحت النصوص ان كثيراً من المنازعات التي اتسم بها عصر المقتدر بالله كان مصدرها حريم دار الخلافة • وفي جانب آخر أوضحت الأعمال الخيرية التي تم انجازها بناء على طلب بعض نساء قصر الخلافة وبأموالهن الخاصة •

وبحثت في الفصل الثالث مؤسسة الوزارة ، فبان لي أن انانية الوزراء وعدم كفاءة بعضهم ، واشتغالهم بالمؤامرات وجمع الثروة بطرق غير مشروعة ، وتنكيل بعضهم ببعض ، كل ذلك أضاع كثيراً من الفرص أمامهم ، وشتت قواهم ، وبعثر جهودهم ، وخلق أزمة مالية مستعصية ظلت الدولة تئن من شدة وطأتها حتى نهاية هذا العصر • وبان عجز الوزراء عن ادارة شؤون الدولة ، لأزدياد نفوذ كبار قادة الجيش والحريم ، وتدخلهم السافر في تصريف الأمور ، فضعف حينئذ أمر الوزارة وباتت مؤسسة عاجزة عن حماية نفسها من تجاوزات الجيش المتكررة ، ووصل بها الأمر أن تعرضت لتطاولات

الحاشية ، وتهكمات العامة أيضاً ، حتى صار سجن الوزراء وأهانتهم ومصادرتهم ، وقتلهم في بعض الاحيان ، من الأمور المألوفة في عصر المقتدر بالله . وهكذا ازداد أمر الوزارة ادباراً في أواخر هذا العصر ، وذهبت حرمة الوزراء ، ولم يبق لهم من الأمر شيء ذو بال .

وفي الفصل الرابع تناولت فرق الجيش وتنظيماته وعناصره ، فوجدت أن الضرورة تقضي أن أعود قليلاً الى الوراء ، فرجعت الى عهد المعتضد بالله لاستشف من نصوص تلك الفترة ما يوضح تنظيمات الجيش في عصر المقتدر بالله ، ذلك أن سكوت النصوص في هذا العصر أو عدم تكرارها لايعني ان ما سبق أن نصت عليه قد الغي . وحينئذ بان لي دور (فرقة الساجية) وبلاؤها في مقارعة أعداء الخلافة في شرق الدولة العباسية ، وفي أرض السواد أيضاً . كما بينت تطلعات قادةهذه الفرقة واطماعهم الانفصالية، ثم تناولت ما قام به الغلمان الحجرية من الاعمال الكثيرة ، وتدخلهم السافر في الحياة السياسية والأجتماعية ، وتجاوزاتهم المتكررة على الوزراء وكتاب الدواوين وحتى المقتدر بالله ، وعندئذ أصبح في غير مقدور الخليفة ايقافهم عند حدهم . ولم تقل تجاوزات الرجالة المصافية والفرسان عن باقي فرق الجيش وتدخلهم في توجيه أحداث العصر وعزل الخليفة ثم ارجاعه ثم عزله ثم ارجاعه ثم قتله .

وفي خلال هذا العصر برزت شخصية مؤنس العسكرية ، التي طغى نفوذها وسيطرتها على نفوذ وسيطرة الخليفة والوزراء . وعندئذ اصبح قائد الجيش سيد الموقف بدون منازع ، وصاحب الكلمة النافذة .

وتضخم عدد الجند كثيراً ، وحينئذ صار دفع أرزاقهم والزيادات التي كثيراً ما طالبوا بها ، من أهم المشاكل التي كانت تواجهها الدولة آنذاك ،

في الوقت الذي عجز هذا الجيش عن صد هجمات الفاطميين والقرامطة .

وتناولت في الفصل الخامس الأحوال الداخلية ، فوجدت ان العناصر المعارضة كانت تتحين الفرص المناسبة ليخلقوا مناخا مناسباً للتعبير عن مطامعهم البعيدة . وعلى العموم كانت السلطة عاجزة عن حماية نفسها وحماية السكان من تجاوزات اولئك المعارضين ، الذين ازداد تأثيرهم بحيث انهم استطاعوا أن يهجموا على السجون ويخرجوا المعتقلين منها ، كما هاجموا دور الوزراء ودار الخلافة ، وباتت السلطة وكأنها غير قادرة على كبح جماح معارضيها. ثم أوضحت حركة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ودوافعها وملابساتها وما آلت اليه من تدخل الجيش والحريم في مؤسسات الدولة الادارية ، ذلك ان هذه الحركة تركت آثاراً دامية كان لها أبعد الأثر في تردي أمور الدولة فيما بعد ، لأنها ادت الى اخفاق المرشح المتمتع بالمزايا التي تؤهله لأن يقوم بمهام منصبه بكفاءة وجدارة واقدام . كما تطرقت الى سوء الحالة المالية التي نشبت من جراء تعسف جباة الضرائب وضمان الوزراء وبعض رجال السلطة لواردات الدولة ، واحتكارهم لقوت السكان ، الأمر الذي أدى الى أزمات الغلاء التي انتابت الناس ، وبخاصة الطبقة الفقيرة ، التي أصبح في غير مقدورها سد رمقها فانحازت الى العناصر المعارضة للسلطة . ولم تقل الأضرار التي لقيها السكان من جراء تفشي الامراض والاوبئة ، عن الأضرار التي أصابتهم من جراء تلاحق الكوارث الطبيعية الاخرى .

والحق ان الدولة وبعض المسؤولين بذلوا جهوداً كبيرة في الحد من انتشار الامراض فأنشأوا المستشفيات في العاصمة ، وأوفدوا البعثات الطبية الى قرى السواد ، أو مرافقة قوافل الحجاج . وبذلك أوضحت الخدمات العامة التي قدمت من جانب الدولة أو الخليفة أو الوزراء وبعض أفراد

الحاشية ، ومدى استفادة السكان من تلك الخدمات • ويجدر بي أن أشير الى ان الازمات المالية وارتفاع الاسعار ، وانتشار الامراض ، لم تكن السمة الوحيدة التي ميزت هذا العصر ، بل من الانصاف ان نذكر ان فترات قصيرة من الرخاء الاقتصادي تخللت عصر المقتدر بالله •

ثم تناولت حركة عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وما رافقها من ملابسات وتجاوزات العناصر المشتركة في هذه الحركة • وحينئذ أصبح الجيش القوة الفعالة الوحيدة المؤثرة في الاحداث • حيث استطاع ان يزيح الخليفة عن دست الحكم ، ثم يرجعه مرة أخرى ، في الوقت الذي وقفت العناصر المدنية مكتوفة اليدين حيال هذا التغيير ، وعندئذ ادرك المقتدر بالله بأنه لم يكن ممكناً التهاون بطلبات العناصر العسكرية • وأخيراً تعرضت للأضطرابات التي حصلت في خارج العاصمة بغداد ، ودوافعها ، وما آلت اليه من زعزعة أركان الدولة واقتطاع بعض اجزائها • ولمست أن ارتباك الأمور في مركز الخلافة واهمال حكام الأقاليم لواجباتهم ، وتقاعسهم عن ضبط أقاليمهم ، كل ذلك قد أدى الى تفكك الروابط التي تشد أطراف الدولة العباسية بمركزها •

وبحثت في الفصل السادس حركات المعارضة والحركات الأستقلالية ، فتناولت الحسين بن منصور الحلاج وصراعه مع السلطة ، والملابسات التي رافقت حركته هذه ، وكيف أثارت هذه الشخصية جدلاً حاداً بين الباحثين، فأختلفوا في تحديد منزلتها وتعيين اتجاهاتها ومراميها ، وكثيراً ما تساءل الناس في أمرها فأرتفع بها مؤيدوها الى معارج البطولة ، في حين هبط بها خصومها الى هاوية السحر والضلال والمروق والإلحاد ، مما دفع بعض الفقهاء الى اباحة دم الحلاج وقتله أبشع قتلة • وكان الحسين بن منصور

الحلاج قد أستقبل مصيره المحتوم بجرأة ورباطة جأش .

ولم أغفل في هذا الفصل حركات الشيعة خلال عصر المقتدر ، فكان في مقدمتها حركة الحسن بن علي العلوي الاطروش ، التي كان لها أبعد الأثر على الخلافة العباسية فيما بعد . ذلك أن الأطروش استطاع ان يقيم امارة علوية في بلاد الديلم ، بقت تقض مضاجع الخلافة العباسية وتنازل جيشها في شرق الدولة ، وكثيراً ما كانت تلحق به الهزائم المتكررة . ونتج من وراء ذلك ان خارت قوى جيش الخلافة وضعف نفوذها في الأجزاء الشرقية فطمع فيها كل طامع .

وثمة حركات شيعية أخرى حصلت ابان عصر المقتدر بالله ، منها ما حدث في حلب عام ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، ودمشق في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢م، وفي الحجاز وواسط والكوفة وغيرها . وظهر لي بأن الشيعة قاموا بثورات تجلت فيها روح المثابرة والجرأة والشجاعة والأقدام ، وان لم تكلل جهودهم دائماً بالنجاح . ويتلمس الباحث ان عدداً كبيراً من الناقمين على الخلافة العباسية لأسباب سياسية أو اجتماعية ، أخذوا يلتفون حول العلويين ، اذ وجدوا فيهم الحزب المعارض للسلطة القائمة آنذاك . وبهذا تركز الصراع بين الخلافة والشيعة ، في هذا العصر ، في المجال السياسي والاستئثار بالخلافة وبقية مؤسسات الدولة .

واستكمالاً لهذا الفصل تناولت حركة القرامطة فظهر لي أنها حركة ثورية جديدة على المجتمع الأسلامي ، تميزت بالعنف وعدم الهوادة مع اعدائها . فأشتد صراعها مع الخلافة العباسية في بغداد . وتعرض القرامطة لقوافل الحجاج ونكلوا بهم وأباحوا دماءهم واموالهم . كما أنهم روعوا مدن السواد مرات عديدة ، وكادت العاصمة بغداد ان تقع في قبضتهم .

ولعل اعظمما قاموا به قتلهم الحجاج في بيت الله الحرام ، ونقلهم الحجر الأسود من مكة المكرمة الى بلاد الاحساء . ولم يستفد القرامطة من تلك الانتصارات سوى جمع الغنائم واحلال الفزع في قلوب اعدائهم ، لأن القرامطة لم يستقروا في المناطق التي غزوها ، لذلك ربما ضاعت مجهوداتهم وإنتصاراتهم الحربية سدى ويلوح للباحث ان وجهة نظر القرامطة لم تظهر بصورة واضحة ، ولم تصل الينا المبررات التي تذرعوا بها حين أقدموا على أعمالهم تلك ، وان جزءاً كبيراً من تاريخهم قد طمس أو شوه بقصد او بدون قصد ومن هنا جاز لنا أن نشك في كثير من النصوص وان نتريث في اطلاق الاحكام بشأنها .

وقد ختمت هذا الفصل بعلاقة الحمدانيين في خلافة المقتدر بالله فوجدت ان لأبناء قبيلة تغلب العربية تأثير بارز في الحوادث السياسية والادارية والعسكرية التي حصلت في العصر الذي نحن بصدد البحث فيه . فقد اسهم الحسين بن حمدان بدور فعال في حركة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م التيحيكت ضد المقتدر بالله ، وأستهدفت الأطاحة به وقتله ، ولكن الحسين سرعان ما تحول من صفوف الحزب المعارض للخليفة المقتدر بالله ، الى الولاء له ، حيث كرس نفسه للقضاء على المعارضين للسلطة أيّا كانوا .

والظاهر أن الخليفة لم يطمئن الى نوايا الحمدانيين ، فأبعدهم عن العاصمة اذ قلد بعضهم مهام ادارية أو عسكرية . ويخال لي أن الخليفة ارتكب خطأ كبيراً بأبعاده الحسين بن حمدان وجنده عن العاصمة ، اذ لم يحاول الخليفة أن يقيم توازناً بين فرق الجيش وقادته ، ذلك ان خروج ابن حمدان عن بغداد فسح المجال لمؤنس الخادم في الظهور كأقوى شخصية عسكرية في العاصمة ، الأمر الذي جعله يتدخل في الأمور العامة ويصرفها

وفق مصالحه الخاصة .

ولما تمرد الحسين بن حمدان في سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م كان نصيبه السجن ثم القتل وكذلك قتل عبد الله بن حمدان لأنه كان وراء حركة عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م . وقد وقف الحمدانيون بجانب الخليفة المقتدر بالله في صراعه مع قائد الجيش مؤنس المظفر عام ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م . ولعلهم أرادوا هنا أن يبرهنوا للخليفة على حسن نيتهم واخلاصهم له ، متناسين ما أصاب بعض أفراد أسرتهم من القتل والتنكيل . وربما دار في خلد بني حمدان أن أمامهم فرصة ذهبية لاتواتيهم مرة أخرى ، تلك هي التخلص من النفوذ التركي المتمثل بمؤنس المظفر ، وتحرير الخلافة من قبضتهم ، لتتبوأ قبيلة تغلب العربية مركز الصدارة في تسيير الأمور .

وقد انهيت رسالتي هذه بخاتمة ، قيمت فيها عصر المقتدر بالله ، مظهراً ما ساد فيه من صراع حاد على السلطة بين المدنيين والعسكريين ، مبيناً أن الغلبة كانت في الأعم الأغلب ، تتم للعناصر العسكرية ، الأمر الذي أدى الى قلق الوزارة والمؤسسات التابعة لها . وهذا بدوره انعكس على الاوضاع العامة ، فأرتبكت الأمور ، وسادت الرشوة والمصادرات واستغلال النفوذ ، وضاعت وحدة الدولة واقتطعت بعض أجزائها . وتناولت بعض الاصلاحات العامة التي أنجزت من قبل السلطة الرسمية ، أو الخليفة وأفراد حاشيته ، أو الوزراء .

أما المصادر التي استعنت بها في اعداد هذه الرسالة ، فقد كانت كثيرة ومتنوعة ، وذات أهمية بالغة ، ذلك لأن البعض منها كان معاصراً لأحداث هذا العصر ، حيث كان هؤلاء المؤرخين شاهد عيان فيما أورده عن حوادث عصر المقتــدر بالله . ولعل من الانصاف أن ابدأ بكتاب محمد بن جرير

الطبري (تاريخ الرسل والملوك) الذي يمتد في سرد حوادثه حتى سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م • وعلى الرغم من ان الطبري لم يؤرخ إلا لفترةقصيرة من خلافة المقتدر بالله إلا انه أورد نصوصاً طريفة أوضحت جوانب من نشأة المقتدر الأولى ، وحياة أمه شغب ، وقد استفدت من هذه النصوص كثيراً •

والظاهر ان الطبري كّون وجهة نظر خاصة عن الخليفة المقتدر بالله ، حيث قال : ان الظروف كانت تسير لصالحه في حوادث عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م على الرغم من كثرة اعدائه • غير ان مؤلف « كتاب الرسل والملوك» لم يدون وجهة نظره هذه في مؤلفه الآنف الذكر ، وربما كان احجامه هذا متأتياً من كونه معاصراً للأحداث ، وكان كثيراً ما يلتزم الصمت تجاه بعض الحوادث التاريخية ، وبذلك وصف الطبري بأنه نقالة روايات وليس بمؤرخ• ولكن الحكم الاخير على الطبري لاينفي كونه بحاثة محترفاً قدم لنا سفراً تاريخياً فريداً في نوعه •

ومع ذلك فإن ما أهمله الطبري من حوادث حركة ابن المعتز لم يفت على المؤرخين الآخرين ، ذلك لأن عريب بن سعيد القرطبي ، كان قد نقل لنا ما قاله الطبري عن اخفاق حركة عبد الله بن المعتز في كتابه الموسوم (صلة تاريخ الطبري) الذي يمتد بحوادثه حتى نهاية عصر المقتدر بالله في سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م • وتكاد صلة الطبري تغطي كل عصر المقتدر بالله ، بالاضافة الى انها تناولت حركة القرامطة منذ عهد المكتفي بالله • غير ان عريب بن سعيد ينفرد عن بقية المؤرخين في حوادث عام ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م فيما يخص نقل القرامطة للحجر الاسود •

ويعتبر كتاب احمد بن محمد مسكويه (تجارب الأمم) كنزاً لايمكن

الاستغناء عنه ، فهو من أهم المصادر التي اعتمدت عليها في كل فصول هذا البحث ، وبخاصة في الأمور المالية ، وتأثير الوزراء وكتاب الدواوين في الأمور العامة ، فقد أسهب مسكويه في سرد معلومات طريفة عن تنافس الوزراء ومصادراتهم ، وتنكيل بعضهم ببعض ، ولم يهمل صراع الخلافة مع اعدائها من القرامطة والحمدانيين والشيعة . وفي كثير من الاحيان كان مسكويه ينبري لأبراز دور النساء والحريم وتأثيرهن على الخليفة والوزراء وقادة الجيش . ومما يزيد في قيمة المعلومات التي أوردها مسكويه ، هي خبرته الشخصية ، وكونه عاش قريباً من أحداث عصر المقتدر بالله . وبذلك استطاع ان يقدم لنا صورة قريبة من الواقع لشخصيات هذا العصر .

وذكر أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتابه (مروج الذهب) أخباراً عن عصر المقتدر بالله جاءت مكملة لما سبق ان ذكر عنه . ولا يقل كتاب (التنبيه والأشراف) للمسعودي عن كتابه المار الذكر من حيث الأهمية بل ربما فاقه في ذكره بعض النصوص عن حياة المقتدر ، على اساس انه تقلد الخلافة وهو لايزال غراً صغير السن . ويبدو للباحث وكأن المسعودي يريد ان يقول بأن خلافة المقتدر لم تكن شرعية وربما يكون صاحب كتاب التنبيه والأشراف مدفوعاً بعوامل مذهبية . وأسهب المسعودي في كتابه الأخير هذا عن حركة القرامطة . وتأتي أهمية كتابات المسعودي من كونه معاصراً لخلافة المقتدر بالله .

أما علي بن أبي الكرم بن الاثير ، فقد ذكر في كتابه (الكامل في التاريخ) أخباراً كثيرة عن عصر المقتدر بالله ، وان كان قد نقلها عمّا سبقه من المؤرخين كالطبري والمسعودي وعريب ومسكويه وغيرهم ، ولكنه كان في بعض الاحيان يضيف على تلك الروايات التي نقلها ، ومن هنا تظهر

أهمية كتابه الآنف الذكر •

وقد وجدت في كتاب (الفخري في الأحكام السلطانية) لأبن الطقطقي محمد بن علي بعض النصوص المفيدة عن موضوعي هذا • وكذلك في كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي ، الذي يكاد يقترب في نهجه من كتاب الكامل لأبن الاثير • واستفدت من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير • وكذلك كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون ، الذي أطنب في الحديث عن عصر المقتدر واحاط به في كثير من الجوانب ، وبحكم بعده عن هذا العصر لابد أنه أستفاد من المؤرخين الذين سبقوه •

وقد أفدت من مخطوطة (العيون والحدائق في اخبار الحقائق) لمؤلف مجهول ، وهي نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة بغداد برقم ١٥١٣ ، وهذه النسخة مصورة عن النسخة الفريدة الموجودة في برلين برقم ٩٤٩١ • ومؤلف هذا الكتاب نقل كثيراً عن مسكويه والفرغاني وكتاب رسوم دار الخلافة للصابي • وعلى الرغم من أن كتاب العيون والحدائق أهتم بأخبار المغرب الاسلامي ، إلا أنه لم يهمل ما كان يجري في المشرق وخاصة في عاصمة الخلافة العباسية • وقد جاء في هذا الكتاب بعض الاخطاء اللغوية مما يدل على أن مؤلفه لم يكن متضلعاً بعلوم العربية (١) •

ويمكن اعتبار كتاب (الوزراء) لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي ذات قيمة كبيرة لعصر المقتدر ، لأن هذا الكتاب أهتم بالمؤسسات

(١) وقبل أن أطبع هذه الرسالة حققت الست نبيلة عبد المنعم داود هذه المخطوطة ، فتصفحت النسخة المطبوعة فلم أجد فيها اختلافاً عما سبق

الادارية والأمور المالية والسياسية والى حد ما بتنظيمات الجيش • وتبرز أهمية هذا الكتاب من كون مؤلفه عاش قريباً من عصر المقتدر • ولايمكن ان نبخس أهمية كتاب (المنتظم) لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي • وتظهر أهمية هذا الكتاب بعد الفترة التي انتهى عندها الطبري • وقد اضاف ابن الجوزي في نهاية كل سنة اسماء الذين توفوا فيها ، كما احتوى الكتاب على نصوص طريفة قد تلقي بعض الضوء على الاحوال الاجتماعية ، غير ان ابن الجوزي كان يستعمل في بعض الاحيان الكلمات العامية ، اضافة الى أن مؤلفه هذا يظهر عليه الاهتمام بوفيات اهل السنة أكثر من غيرهم•

وهناك نصوص كثيرة في كتب التراجم والطبقات والأنساب استفدت منها كثيراً • وألقت بعض الضوء على بعض شخصيات هذا العصر ، منها كتاب الفهرست لأبن النديم ، (وتاريخ بغداد) للخطيب البغدادي الذي ترجم للخليفة المقتدر ولبعض وزرائه ، واستفدت من (وفيات الاعيان) لأبن خلكان (وفوات الوفيات) لابن شاكر الكتبي ، (والوافي بالوفيات) للصفدي ، (ومعجم الادباء) لياقوت الحموي •

وقد درست بعض كتب الأدب التي عالجت أحداث هذا العصر ، على أساس ان الأدب مرآة تتركز فيها صور الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عالجتها في بحثي هذا • فأفدت من كتاب التنوخي (نشوار المحاضرة) ، وشرح ابن خالويه لديوان (أبي فراس الحمداني) ، وكذلك ديوان عبد الله بن المعتز ، ورسالة شعر الفكاهة في القرن الرابع الهجري

أن رأيته في المخطوطة سوى بعض الاخطاء البسيطة وأظنها مطبعية وعلى سبيل المثال لا الحصر ما ورد في صفحة ٢٦٤ اذ أن المحققة خلطت بين علي بن عيسى وعلي بن الفرات .

للدكتور عناد اسماعيل الكبيسي وغيرها ، كما أستفدت من طائفة من الباحثين المعاصرين الذين تطرقوا عرضاً في كتاباتهم الى أحداث هذا العصر ، فمنهم آدم متز في كتابه (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري) ومحمد كرد علي في (كتاب الادارة الاسلامية في عز العرب) و (الاسلام والحضارة العربية) . وزيدان في كتابه القيم (تاريخ التمدن الاسلامي) والدكتور الدوري في كتبه (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) و (النظم الاسلامية) و (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري) والدكتور السامر في كتابه (الدولة الحمدانية) وعارف ثامر (القرامطة) ومحمد عبد الفتاح عليان في كتابه (قرامطة العراق) وغيرها . أما بقية المراجع والمصادر فقد وضعت لها ثبتاً تفصيلياً في آخر هذه الرسالة ، وفي استطاعة القاريء الأطلاع عليها ان رغب في ذلك . والله الموفق لما فيه الخير والصلاح .

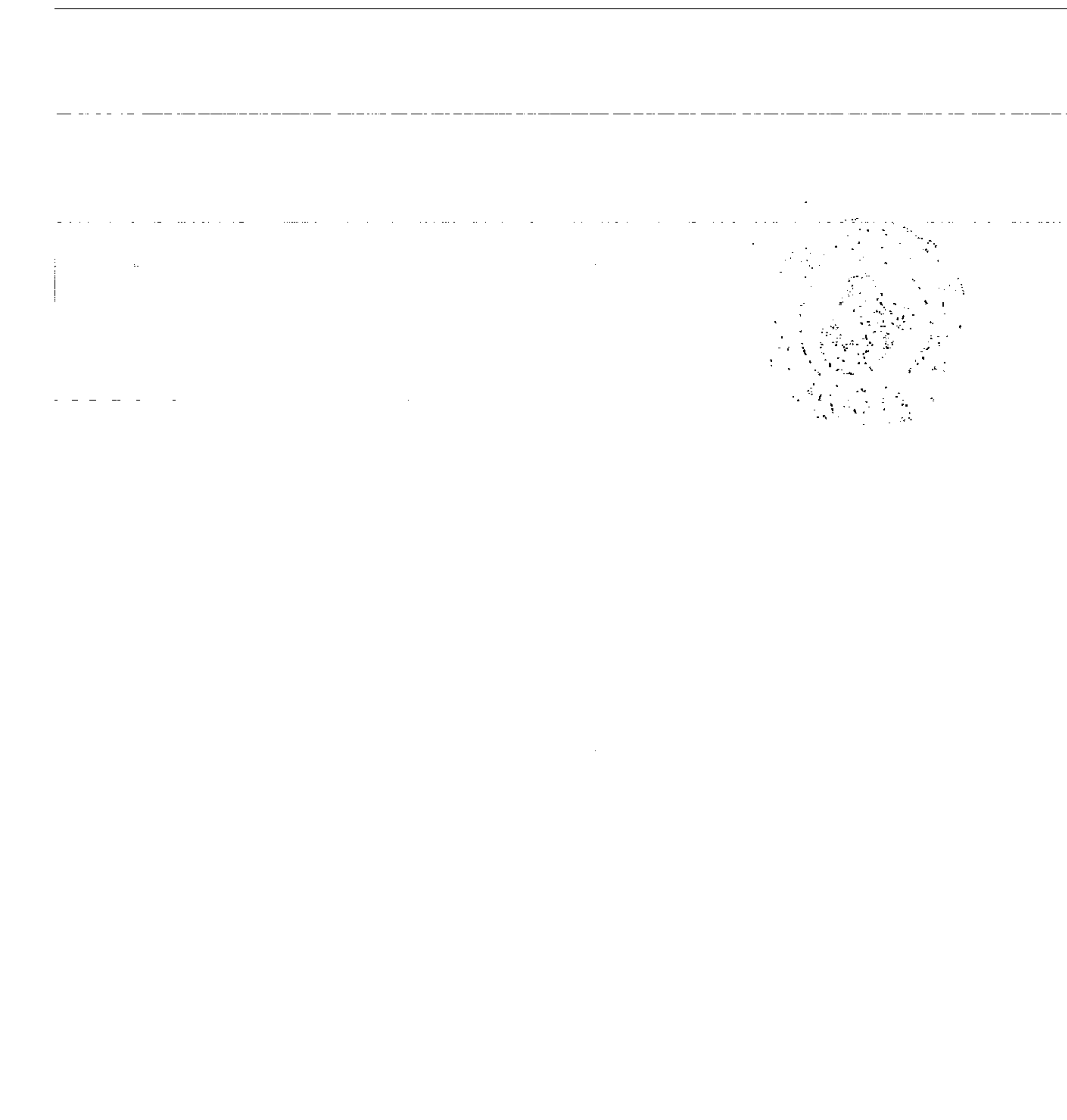
❊ ❊ ❊

الفصل الاول

الخليفة المقتدر بالله

« سيرته وشخصيته »

١ ــ طفولته ونشأته الأولى .
٢ ــ طريقة اختياره للخلافة .
٣ ــ مبايعة جعفر بالخلافة .
٤ ــ سيرة المقتدر بالله .
آ ــ اسرفه وتبذيره .
ب ــ اصلاحاته .
جـ ــ عبثه ولهوه .
٥ ــ شخصية المقتدر بالله .



الخليفة المقتدر بالله

سيرته وشخصيته

١ ــ طفولته ونشأته الأولى :

هو أبو الفضل جعفر بن احمد المعتضد بالله بن أبي احمد الموفق طلحة ابن جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن عبد الله بن العباس (١) . وقيل ان اسمه اسحق ، وإنما اشتهر بجعفر لشبهه بالمتوكل (٢) ويبدو لي أن هذه الرواية الأخيرة ضعيفة ، لأن أحد

(١) الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي ، تاريخ بغداد ، جـ ٧ ، بيروت ص ٢١٦ . الهمداني ، محمد بر عبد الملك ، تكملة تاريخ الطبري ، ١ ، ط ٢ ، (بيروت : ١٩٦١) ، ص ٤ .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، المنتظم ، جـ ٦ ، (حيدر آباد : ١٣٥٧ هـ) ، ص ٦٧ .

ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن محمد ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، (مصر : ١٣٤٨ هـ) ، ص ١٦٩ .

ابن الكازروني ، ظهير الدين محمد بن علي ، مختصر التاريخ ، (بغداد : ١٩٧٠) ، ص ١٧٢ .

(٢) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، التنبيه والاشراف ، (بيروت ١٩٦٥) ، ص ٣٧٦ .

كتاب العيون والحدائق في معرفة الحقائق ، لمؤلف لمجهول ، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب ببغداد ، ورقة ٦١ ــ آ ــ

اولاد جعفر المقتدر اسمه اسحق ، ومن المستبعد ان يسمي الخليفة أحـد أولاده بأسمه . والذي يؤكد لنا بأن اسم المقتدر بالله هو جعفر ، هو قول المسعودي المؤرخ المعاصر له : « ولم يتقلد الخلافة من بني أمية وبني العباس الى وقتنا [٣] من اسمه جعفر إلا جعفر المتوكل وجعفر المقتدر [٤]» . وهذا النص يدحض ما سبق أن قيل بأن اسمه اسحق ، وبذلك يتضح لنا أن اسم المقتدر بالله هو جعفر وليس غير ذلك .

كان مولد جعفر بن المعتضد بالله يوم الجمعة لثمان بقـين من شهر رمضان سنة ٢٨٢ هـ/٨٩٥ م [٥] ، وقيل ليلة الجمعة من السنة نفسها [٦]،

(تحقيق ، نبيلة عبد المنعم داود ، (النجف : ١٩٧٢) ، ص ٢٠٧) .

ابن دحية ، أبو علي حسين بن علي ، النبراس فى تاريخ خلفاء بني العباس تحقيق عباس العزاوي ، (بغداد : ١٩٤٦) ، ص ٩٥ .

(٣) توفي المسعودي فى سنة ٣٤٦ هـ فى خلافة المطيع لله . (الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، جـ ٥ ، ص ٨٧) .

(٤) التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٨ .

(٥) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، (ليدن : ١٩٦٤) ، ص ٢١٤٨ .

عريب بن سعيد القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ، (ليدن : ١٨٩٧) ، ص ٢٢ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٧ . ابن كثير ، البدايـة والنهاية ، جـ ١١ ص ١٦٩ .

وكني بأبي الفضل (٧) وامه أم ولد يقال لها شغب (٨) ، أدركت خلافة ابنها ، ولقبت السيدة (٩) تفخيماً لها وتعظيماً لقدرها . وقد قدر لها أن تلعب دوراً كبيراً في عهد ولدها المقتدر بالله ، حتى انها أصبحت أهم شخصية في البلاط العباسي آنذاك ، كما سنرى في فصل قادم .

يصف أكثر المؤرخين المقتدر بالله بأنه كان ربعة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وان كان أميل الى القصر ، أبيض الوجه مشرباً بحمرة ، حسن الخلق ، حسن العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، جعد الشعر ، مدور

(٧) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، مصر ، ص ٢٢٢ . التنبيه ، ص ٣٧٦ .

عريب ، الصلة ، ص ٢٢ . ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، الكامل فى التاريخ ، (القاهرة : ١٣٥٣ هـ) ، ص ١١٩ .

(٨) البطريق أفتيشيوس الملي سعيد بن بطريق ، التاريخ المجموع ، ج ٢ (بيروت : ١٩٠٩) ، ص ٧٨ .

المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ . العيون ، م . ق ، ج ٤ القسم ١ ورقة ٦١ — آ . (تحقيق نبيلة ، ص ٢٠٧) .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن أسماعيل ، لطائف المعارف (مصر : ١٣٧٩ هـ) ، ص ١٢٦ .

أبو الفداء ، عماد الدين بن أسماعيل بن علي ، المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ، (بيروت : ١٣٤٨ هـ) ص ٧٨ .

عريب ، الصلة ص ٢٢ .

(٩) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تاريخ الخلفاء ، ط ٢ ، (مصر : ١٩٥٩) ، ص ٣٧٨ .

الوجه [١] ، مائل الى السمنة في أواخر حياته حتى أصبح ثقيل البدن [١١]. وكثر الشيب في رأسه وأخذ في عارضيه أخذاً كثيراً [١٢] . ويبدو أن هذا الشيب المبكر قد يكون أثراً لما خلفته الحوادث والأحداث التي اتسم بها عصر المقتدر بالله ، وكان أن تركت في نفس الخليفة شيئاً من لفحها وفي رأسه بياضاً ربما لم تكن للوراثة فيه أثر أعمق من أثر الاحداث الصعاب التي شغلت بال المقتدر وأقضت مضجعه . وقد أصدرت أحكام متضاربة على المقتدر بالله ، ففي الوقت الذي أفرط بعض المؤرخين في تعداد مثالبه ، انبرى البعض الآخر فأشاد ببعض مزاياه ، فقد وصفه ابن كثير على انه كان يتمتع بـ « عقل جيد وفهم وافر وذهن صحيح [١٣] » . ولعل دراستنا لسيرته ستوضح لنا حبه للخير وسلامة صدره [١٤] .

تولى المقتدر الخلافة في يوم الأحد الثالث عشر من شهر ذي القعدة

(١٠) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٧ ، ص ٢١٤ .

الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان ، العبر في خبر غبر ، جـ ٢ ، (الكويت : ١٩٦١) ، ص ١٨٤ .

(١١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢١ .

(١٢) ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، جـ ٥ (القاهرة: ١٩٣٥) ، ص ٣٥٠ .

ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ص ٢٢١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٩ .
BOWEN , HAROLD , THE LIFE AND TIMES OF , ALI IBN , ISA, P . IOI .

(١٣) البداية والنهالة ، جـ ١١ ، ص ١٦٩ .

(١٤) متز ، آدم ، الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري ، جـ ١ ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، (بيروت : ١٩٦٧) ، ص ٣٥ .

سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م [١٥] ، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرين يوماً ، اذ كان مولده ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م [١٦] .

ويمكن أن نقسم الفترة الأولى من حياة المقتدر بالله — أي قبل توليه الخلافة — الى مرحلتين : أولاهما ، الفترة التي تمتد منذ ولادته حتى وفاة والده ، الخليفة المعتضد بالله ، في ربيع الآخر من عام ٢٨٩ هـ / ٩٠١م [١٧] . وثانيتهما ، تقع بين وفاة والده سنة تسع وثمانين ومائتين للهجرة ، حتى وفاة أخيه الخليفة المكتفي بالله في آخر نهار يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين هجرية [١٨] ، حيث نصب الوزير العباس بن الحسن ، جعفر ابن المعتضد على كره منه لصغر سنه [١٩] .

(١٥) مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد ، تجارب الامم ، ج ١ ، (القاهرة : ١٩١٥) ، ص ٣ .

عريب ، الصلة ، ص ٢٢ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ص ٢٠٧ (مطبعة النعمان ، النجف) .

(١٦) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٨١ . عريب ، الصلة ، ص ٢٢ .

(١٧) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٠٦ المسعودي . التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٠ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ص ١٧٠ (مطبعة النعمان ، النجف) .

(١٨) مسكويه ، . ق ، ـ ١ ، ص ٣ . الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٨٠ . العيون م . ق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ورقة ٦١ — ١ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٠٤) ابن الجوزي المنتظم ج ٦ ، ص ٧٩ .

(١٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١١٩ .

ففي الفترة الأولى التي تمتد حوالي سبع سنوات ، نشأ هذا الأمير في قصر الخلافة ، بين احضان والدته — شغب — وهي أحدى جواري الخليفة المعتضد بالله (٢٠) ومن أخص محظياته (٢١) . وبحكم كونه ابناً من أم ولد ، فلابد أنه نشأ بين الجواري والحريم ، وأحتك بمحيطهن ، ولم تتهيأ له الظروف الكافية لأن يلازم والده ، ليكتسب منه الصفات التي أمتاز بها كالشجاعة والمقدرة العسكرية والادارية (٢٢) ، فهو الذي « ساس الدنيا وأصلح حال الخلافة بعد فساد طويل (٢٣) » ، فإذن لم يتسن لجعفر أن يتأدب بآداب أبيه ولا يتخلق بأخلاقه .

وقد كان الخليفة المعتضد بالله متشائماً من مجيء ابنه جعفر الى دست الخلافة ، وذلك بعد أن رآه ، وله اذ ذاك خمس سنين ، وهو جالس وحوله عشر وصائف من أقرانه في السن ، وبين يديه طبق فيه عنقود عنب في وقت شح العنب فيه ، والصبي يأكل عنبة واحدة ثم يطعم الجماعة عنبة

أبن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ (بيروت : ١٩٥٧) . ص ٧٥٣ .

(٢٠) الطبري . م . ق . المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٤٨ . احمد بك عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام (دمشق : ١٩٣٩) . ص ١٨٢ .

(٢١) ستذكر بأن هناك رواية تقول بأن الخليفة المعتضد قد تزوجها في فصل قادم .

(٢٢) المسعودي ، مروج ، جـ ٤ ، ص ١٦٧ و ١٨٢ — ١٨٨ . محمد كرد علي . الادارة الاسلامية في عز العرب ، (القاهرة : ١٩٣٤) ، ص ١٨٥ . أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٣٠ — ٣١ .

(٢٣) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٧ ، ص ٢١٦ . ابن الجوزي، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٧١ .

عنبة على الدور ، حتى اذا بلغه الدور أكل واحدة مثل ما أكلوا حتى فنى العنقود ، والمعتضد يتميز غيظاً (٢٤) . وروى صافي الحرمي (٢٥) أن المعتضد قال له : « والله ياصافي لولا النار والعار لقتلت هذا الصبي اليوم فأن في قتله صلاحاً للأمة (٢٦) » ، حيث توقع الخليفة المعتضد بالله بثاقب بصره ، ان الناس سيختارون بعده ابنه علياً « المكتفي بالله ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ / ٩٠١ — ٩٠٧ م » وان فترة حكم علي هذا سوف لاتطول كثيراً ، لأنه كان مصاباً بمرض ، وعندئذ سوف لايرى الناس اخراج الخلافة من ابناء المعتضد بالله ، وبذلك ستؤول الخلافة حتماً الى جعفر فيقلدونه وهو صبي ولهطبع السخاء ، هذا الذي رأيت من انه اطعم الصبيان مثل ما أكل (٢٧). وقد صدق حدس المعتضد بالله فعلاً كما سنرى .

اما الفترة الثانية ، من نشأة الامير الصبي ، فتبدأ أثر وفاة والده الخليفة المعتضد بالله في شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ، وتقلد

---

(٢٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٧١ .

(٢٥) صافى الحرمي : هو أحد موالي المعتضد ومن أشد المؤيدين لخلافة المقتدر ، اذ هو الذي جلبه من دار ابن طاهر عندما أسندت اليه الخلافة . (الهمداني التكملة ، جـ ١ ، ص ٤ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص٣).

(٢٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٧١ .

العصامي المكي ، عبد الملك بن الحسين بن عبد الملك ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، (الطبعة السلفية) ، ص ٣٥٤ .

(٢٧) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٧ ، ص ٢١٦ . ابن الجوزي . المنتظم ، جـ ٦ ص ٧١ .

العصامي ، م . ق ، جـ ٣ ، ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .

ابنه علي (المكتفي بالله الخلافة [٢٨]) اذ نقل جعفر وأمه وبقية حرم المعتضد الى دار محمد بن طاهر [٢٩]) ، في الجانب الغربي من بغداد [٣٠] • وبذا يكون جعفر المقتدر بالله قد نشأ يتيماً فاقداً رعاية أبيه وعطفه ، وعاش في كنف أمه (شغب) التي يقول عنها ، الطبري : « ان اسمها ناعم جارية أم القاسم بنت محمد بن عبد الله ، ولدت للمعتضد ابناً سماه جعفراً فسمى المعتضد هذه الجارية شغب [٣١] » •

عاش جعفر بن احمد المعتضد بعد الثامنة من عمره بدار ابن طاهر ، مع من عاش معه من أولاد الخلفاء والأمراء ، وترعرع بين الجواري والحريم ، وعرف دورهن في تدبير الأمور وتصريفها وتغييرها • وبحكم اقامته في هذا المكان المليء بالجواري والغلمان والحريم ، وأولاد الخلفاء المغضوب عليهم ، والمشكوك بولائهم للخليفة آنذاك ، أصبح يسمع ويرى ويتحدث عن الخلافة

---

(٢٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٠ • أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٣١ •

(٢٩) دار محمد بن طاهر : هو قصر موجود فى الجانب الغربي من بغداد ، كان مقر الخليفة ، ثم فقد أهميته بعد أن أخذ الخلفاء يقيمون فى قصورهم الجديدة فى الجانب الشرقي ، وبذلك أصبح دار ابن طاهر سجناً لمن يعزل من الخلفاء والمغضوب عليهم ، وقد دفن فيه عدد من الخلفاء . (مصطفى جواد ، واحمد سوسة ، دليل خارطة بغداد ، (بغداد : ١٩٥٨) ، ص ٩٤) •

(٣٠) لسترانج ، غي ، بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، ط ١ ، (بغداد : ١٩٣٦) ، ص ٢١٢ •

(٣١) تاريخ الرسل والملوك ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٤٨ •

ومساوئها ، وفساد الحكم وطرق اصلاحه ، ويلتقي بالطامعين في المناصب وطلاب الجاه والثروة ، ويتداولون فيما بينهم في الوسائل والطرق الكفيلة لتحقيق مآربهم وأطماعهم الواسعة .

ومن حسن طالع جعفر أن لاتمتد فترة حكم أخيه المريض المكتفي بالله أكثر من ست سنوات فيلاقي حتفه (٣٢) ، ويرى الناس أن ليس من الحكمة اخراج الخلافة من ولد المعتضد بالله ، ولا يجدون بعد علي المكتفي أكبر سناً من جعفر بن احمد المعتضد ، فيقلدونه وهو صبي ، على الرغم من عدم حصول القناعة التامة عندهم في ذلك (٣٣) .

ولم نعثر على نص يذكر أن جعفراً بن المعتضد بالله قد أسهم في أي نشاط اجتماعي ، أو أرسل في حملة عسكرية قبل تولية الخلافة . وهو بهذا يكون عكس أخيه المكتفي بالله ، اذ كان قد كلف من جانب ابيه المعتضد بالله ، ببعض المهام الادارية والعسكرية ، كان آخرها الحملة التي أرسل على رأسها الى الرقة (٣٤) ، حين لفظ والده الخليفة انفاسه

---

(٣٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٠ . عريب ، الصلة ، ص ٢١ .

(٣٣) مسكويه ، م . ق . ج ١ ، ص ٣ . ابن خلدون : العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٥٢ ، العيون ، م . ق ، ج ٤ ، قسم ١، ص ٢٠٧ ، (مطبعة النعمان ، النجف) .

(٣٤) الرقة : قصبة ديار مضر على الفرات كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، وبها الصابون الجيد والزيتون . وقد ظللت أسواقها . (المقدسي، احسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ص ١٤١) .

الاخيرة (٣٥) . ولعل مرد ذلك الى ان عمر جعفر لم يكن يؤهله بعد لأن تسند اليه مثل تلك المهمة التي مارسها أخوه المكتفي بالله . كمـا سبق لوالده المعتضد بالله ان مارسها بشجاعة نادرة وبخاصة في حرب الزنج التي أصبحت مضرب الامثال (٣٦) .

وهذا بالاضافة الى أن علاقة الأمير الصغير جعفر ، بأخيه المكتفي ، لم تكن بنفس الدرجة من القوة والاخلاص والتعاون بالنسبة للعلاقة التي كانت بين المعتضد بالله وبين ابنه المكتفى بالله قبل يتولى دست المسؤولية

٢ ــ طريقة اختياره للخلافة :

لما أشتد مرض الخليفة المكتفي بالله ، عمد الوزير العباس بن الحسن الجرجاني الى أستشارة كتـاب الدواوين الاربعـة ، فيمن يصلح لتولي الخلافة (٣٧) ، وهم علي بن محمد بن الفرات ، وعلي بن عيسى بن داود الجراح ، وعمه محمد بن داود بن الجراح ، ومحمد بن عبدون (٣٨) .

(٣٥) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠٦ . المسعودي ، مروج ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٣٦) الطبري ، م . ق . انظر حوادث سنوات (٢٦٧ ــ ٢٧٠ هـ) . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٦ ــ ٢٧ . العيون . م . ق ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ٩٠ ــ ٩٤ (النعمان) .

(٣٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ . الصابي ، أبوالحسن الهلال بن المحسن ، الوزراء ص ص ١٣١ ــ ١٣٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١١٠٩ . العيون ، م . ق . جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ (النعمان) .

(٣٨) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٢ ، مسكويـه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ص ٧٩ . أبن العبري ، غريغوريوس الملطي تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، (بيروت : ١٩٥٨) . ص ١٥٥ .

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الكتاب كونوا كتلتين لتضارب مصالحهما السياسية والشخصية ، هما كتلة آل الفرات ، وعلى رأسها علي بن الفرات، وكتلة آل الجراح وعلى رأسها محمد بن داود بن الجراح .

أما العباس بن الحسن ، فكان متردداً أول الأمر ، لكنه سرعان ما مال الى الجماعة الأولى (٣٩) ، وذلك بعد أن اقنعه علي بن الفرات بقوله : « اتق الله ولا تنصب في هذا الأمر من عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وجارية هذا وضيعة هذا وفرس هذا ومن لقي الناس ولقوه وعرف الأمور وتحنك وحسب حساب النعم (٤٠) » .

والظاهر أن الوزير العباس بن الحسن استحسن رأى ابن الفرات وطلب اليه حينئذ ان يسمي الشخص الذي يرشحه للخلافة ، فنصح بتقليد جعفر ابن احمد المعتضد بالله ، لأنه ــ على حد قوله ــ : « صبي لايدري اين هو وعامــة سروره ان يصرف من المكتب (٤١) » . وحين أبدى الوزير دهشته من هذا الاختيار ، أغراه ابن الفرات بأختيار هذا الصبي ، على أمل ان الأمر سيؤول الى تدبير الوزير نفسه (٤٢) ثم بيّن للوزير ماسوف يلقيانه من سوء معاملة ابن المعتز لهما (ان هو فكر فيه) ، وان أقل ما يتوقعانه منه متى صار خليفة هو الاهمال (٤٣) .

(٣٩) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٢ . ابن خلدون، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٥٣ .

(٤٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ .

(٤١) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣١ .

(٤٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦، ص ١١٩ .

(٤٣) الصابي ، الوزراء ، ص ١١٤ .

ومع ان العباس بن الحسن استصوب وجهة نظر ابن الجراح ، فانه انساق وراء رأي علي بن الفرات ، لكنه في الوقت نفسه أبدى مخاوفه من نقمة الناس عليه ، لأختياره خليفة صغير السن . الا ان ابن الفرات طمأن الوزير بأنه يمكن اسكات كل متذمر والتخلص منه ، بتوزيع أرزاق اضافية على الجند مقدماً (٤٤) ، وهذا ما تم فعلاً فكممت بعض الأفواه .

أما الجماعة الثانية ، فقد رشحت للخلافة عبد الله بن المعتز (٤٥) ، لكبر سنة (٤٩ سنة) ، ولأنه كان رجلاً قديراً مجربا ، توسمت فيه هذه الجماعة النجاح في السياسة والحرب ، بالأضافة الى كونه أديباً بارعا في الشعر ، سمع عن المبرد وثعلب وغيرهما (٤٦) .

وهكذا برز التناقض واضحاً وجليا وحاداً بين ميول الكتلتين ، وأرجف الناس في ذلك مما أثار شكوك الخليفة المريض الذي كان يود بأخلاص ، حصر الخلافة في ابناء أبيه واكبرهم جعفر ، ودفعه ذلك الى ان يسأل عن أخيه أبي الفضل جعفر « فصح عنده أنه بالغ (٤٧) » فأحضر القضاة في يوم الجمعة الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م وأشهدهم

---

(٤٤) نفس المصدر ، ص ١١٦ . عريب ، الصلة ، ص ٢٤ .

(٤٥) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٤ . مسكويه م . ق ، ج١ ، ص‌ص ٣ — ٤ . ابن الاثير ، الكامل ٦ / ١١٩ .

العيون ، م.ق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ص‌ص ٢٠٢ — ٢٠٣ . (تحقيق نبيلة) .

(٤٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٨٤ .

(٤٧) عريب ، الصلة ، ص ٢١ .

انه ولاه عهده (٤٨) .

ولما كان العباس بن الحسن ، يخشى أن يلي عبد الله بن المعتز الخلافة، فإنه عمل على اسنادها الى محمد بن المعتمد (٤٩) . فأحضره الى داره ليلاً وفاتحه بحضور القاضي محمد بن يوسف بصدد توليته الخلافة ، فأظهر محمد بن المعتمد استعداده لأن يقرب الوزير ويجزيه ويرفع منزلته . لكن الوزير طلب اليه أن يحلف له بأن لاينكل به ، وان لايبسط يداً في نفسه وماله . وقد تردد ابن المعتمد بأعطاء مثل هذا اليمين ، كما أنه رفض أن لايبايع إلا بعد وفاة الخليفة المكتفي بالله ، وقال : « ما كان الله ليراني أمد يدي لبيعة وروح المكتفي في جسده ، ولكن ان مات فعلت (٥٠) » . ومن حسن طالع جعفر بن المعتضد بالله انه لم يحصل اتفاق بين الوزير وبين ابن المعتمد (٥١) ، وبذلك فسح المجال امام جعفر المقتدر ، وباتت فرص فوزه بمنصب الخلافة كبيراً .

وتكاد المصادر تجمع على رواية استشارة الوزير لكتاب الدواوين في

---

(٤٨) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٤ . ابن الجوزي ، المنتظم، جـ ٦ ، ص ٦٧ . ابن كثير البداية والنهاية ، جـ١١ ، ص ١٠٥ . الديار بكري ، الشيخ حسين بن محمد الحسن ، تاريخ الخميس ، جـ ٢ ، (مصر: ١٢٨٣ هـ) ، ص ٣٤٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم٤،ص٧٥٢ .

(٤٩) العيون ،م.ق،جـ٤، قسم ١ ، ورقة ٦١ — آ .(تحقيق ، نبيلة ، ص‌ص ٢٠٧ — ٢٠٨) عريب ، الصلة ، ص ٢٠ .

(٥٠) عريب ، الصلة ، ص ٢٠ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ٤ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ قسم ٤ ، ص ٧٥٣ .

(٥١) مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص٤ . عريب ، الصلة ، ص ٢١ .

اختيار الخليفة الجديد ، بعد أن اشتدت علة الخليفة المكتفي بالله . وان تفكير الوزير بتلك الاستشارة ، يوضح لنا ، ان الخليفة المريض لم يعط عهداً صريحاً مكتوبا لأخيه جعفر بن المعتضد بالله ، ولم يقرأ هذا العهد علنا (٥٢) ، كما كان مألوفاً وقتئذ . وان عهد الخليفة الواهي الآنف الذكر، جاء متأخراً ، حيث كان العهد في الحادي عشر من شهر ذي القعدة ، وقد وافت المنية الخليفة المكتفي بالله في اليوم التالي لأعطائه هذا العهد ، أي في آخر نهار يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين (٥٣) .

وجرت العادة ، أن يكون العهد كتاباً يكتبه الخليفة أو من يكتب له ، ويختمه بخاتمه وخواتم أهل بيته ، ويدفعه الى ولي العهد ، أو من يتولى أمره فيحفظ في مكان أمين الى حين الحاجة ، وأن يدعي لولي العهد على المنابر بعد الدعاء للخليفة (٥٤) . الا أن مثل هذا الاجراء لم يتم فيما يخص جعفر المقتدر بالله ، الأمر الذي أدى الى حصول تخرصات تأريخية كان لها تأثيرها الواضح على الاحوال الداخلية ، كما سنرى في فصل قادم. ولعل ضيق الوقت ، واشتداد وطأة المرض على الخليفة المكتفي بالله ، قد عملا عملهما في ان يتأخر في اسناد ولاية العهد لاخيه جعفر .

اشتد مرض الخليفة المكتفي بالله في عصر يوم السبت الثاني عشر من

---

(٥٢) BOWEN , op , cit . p . 86 .

(٥٣) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، جـ٣ ، ص ٢٢٨٠ ـ مسكويه ، م.ق جـ ١ ، ص ٣ ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١١٨ .

(٥٤) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ ١ ، (مصر : ١٩١٠) ، ص ١٣٥ .

ذي القعدة عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م (٥٥) ، وكان رأى الوزير العباس ابن الحسن قد استقر على أن يسند الخلافة لجعفر بن احمد المعتضد بالله ، وذلك لأن الوزير لم يقتنع بوجهه نظر محمد بن الجراح حين اقترح عليه اختيار عبد الله بن المعتز الذي قرظه ووصفه (٥٦) بأنه مطلـع على أمور الدولة ، وان علاقة آل الجراح بابن المعتز كانت حسنة (٥٧) . وأخيراً مال الوزير العباس بن الحسن إلى رأي علي بن محمد بن الفرات الذي كان يخشى ابن المعتز ، ويميل إلى تولية خليفة تكون سلطته أسمية ليس الا" .

وهكذا استطاع ابن الفرات ان يقنع الوزير العباس بن الحسن بصحة رأيه هذا ، مع أن الوزير كان ميالا" إلى الرأي الآخر ، « ووافق ذلـك ما كان المكتفي عهد به من تقليد أخيه الخلافة » (٥٨) . وفي صباح السبت الثاني عشر من ذي القعـدة كان قد أخبر مؤنساً بما تم بينه وبين ابن

(٥٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ . العيون ، م ق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ص ٢٠٢ (مطبعة النعمان) .

(٥٦) أبو المحاسن . جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، النجوم الزاهرة (القاهرة :) ص ٢٣٣ . العيون ،م.ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ص ٢٠٣ . (مطبعة النعمان) .

(٥٧) الحموي ، أبو الفضائل محمد بن علي ، التاريخ المنصوري ، (موسكو : ١٩٦٠) ، ورقة ١٢٢ ب .

(٥٨) مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٥ .

ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٥٣ . ابن الجوزي، المنتظم ، ج ٦ ص ٦٧ .

الفرات فأستحسنه (٥٩) . وبذلك آثروه على غيره « ممن يظن انه أرلى بها وعدل عن الفاضل الى المفضول (٦٠) » . ولكن يبدو أن ذلك لم يكن حرصاً على الأتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع ، وإنما لتحقيق مصالح ذاتية بحتة .

وعندما تأكد العباس بن الحسن من ان الخليفة المريض لفظ أنفاسه الأخيرة ، أنفذ صافي الحرمي الى دار محمد بن طاهر ، حيث كان يقيم جعفر بن المعتضد بالله في تلك الدار التي كانت مستقر أولاد الخلفاء (٦١) ، ليحدره الى دار الخلافة في الجانب الشرقي من نهر دجلة . ولما اقتربت الحراقة (٦٢) من دار الوزير ، جرد صافي الحرمي سيفه وأمر الملاح بأن

(٥٩) احمد كمال زكي ، ابن المعتز العباسي ، (القاهرة : ١٩٦٤) ، ص ١٩١ .

(٦٠) ابن خلدون ، المقدمة ، مطبعة مصطفى (مصر) . ص ٢١٠ .

(٦١) تجمع المصادر أن صافى الحرمي هو الذي انتدب ليأتي بجعفر ، بينما ينفرد الصابي بالقول بأن الذي أرسل هو مؤنس الخادم (الوزراء ، ص ١٣٢) . ولعل الرأي الأول أقرب الى الصحة .

(٦٢) الحراقة : نوع من السفن فيها مرامي نيران يرمي بها العدو . (الصابي ، الوزراء ، ص ١١٣) . ومن أنواع الحراقة الليث والعقاب والجراد والدلفين والكوثر . وكما يدل عليها لفظها ، سفن فيها مرامي نيران يقذف بها العدو ، وكان الكبراء والمترفون يتفننون فى بنائها واتقانها ويبدعون ماشاؤوا فى تزيينها فأخرجوها على صور شتى حاكوا بها خلقة الحيوان والطير . ويظهر أن بناء مثل هذه الحراقات يقصد بها التزين والمباهاة وكان يكلف اموالا طائلة (حبيب زيات) « معجم المراكب والسفن فى الاسلام » مجلة المشرق ، جـ٣ ، ٤ ، (آب وكانون الاول ١٩٤٩) ، ص‌ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

يتجه مباشرة نحو دار الخلافة ، على الرغم من أن غلمان العباس بن الحسن أمروا الملاح أن يعرج على دار الوزير ، وذلك لأن صافي الحرمي علم أن الوزير كان متردداً في اسناد هذا المنصب لجعفر (٦٣) . ويذكر الهمداني : أن الوزير انما أمر غلمانه بمناداة الملاح واستدعائه ، حتى يغير الوزير ملابسه ويرافق الخليفة الجديد الى دار السلطان (٦٤) .

٣ ـ مبايعة جعفر بالخلافة :

وصل الأمير جعفر بن المعتضد بالله دار الخلافة ـ قصر الحسني (٦٥) ـ وعند دخوله رأي السرير منصوباً ، فأمر بحصير صلاة فبسط له وصلى أربع ركعات ، وما زال يرفع صوته بالاستخارة ، ثم جلس على السرير وبايعه الناس على الطاعة (٦٦) .

---

(٦٣) ابن الثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١١٩ .

(٦٤) التكملة ، جـ ١ ، ص ٤ .

(٦٥) قصر الحسني : كانت دار الخلافة التي على شاطيء دجلة تحت نهر معلى قديماً للحسن ابن سهل ، ويسمى الحسني . فلما توفى صارت لبوران ابنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنضرته أياماً فى تفريغهاوتسليمها، ثم رممتها وعمرتها وجصصتها وفرشتها بأجل الفرش واحسنه ، وعلقت اصناف الستور على ابوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء . ورتبت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه ، فلما فرغت من ذاك أ نتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد الى الدار ووجد ما أستكثره وأستحسنه ، ثم أستضاف المعتضد الى الدار مما جاورها كل ما وسعها به وكبرها وعمل سوراً جمعها بـه وحصنها (الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٩٩) .

(٦٦) عريب ، الصلة ، ص ٢٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٧ .

وتمت مبايعة جعفر ، على يد صافي الحرمي ، بالصورة التي جرى عليها العرف في التاريخ الاسلامي ، حيث بايعه الوزير العباس بن الحسن على كره منه لصغر سنه (٦٧) ، كما بايعه القضاة والكتاب والقودا « ولقب المقتدر بالله وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرين يوما » (٦٨) . وهذا يغاير ما أورده ابن كثير ، الذي يشير الى أن البيعة جددت لجعفر المقتدر بالله بعد ان مات الخليفة المكتفي بالله ، وقت السحر لاربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، وعمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرون يوما (٦٩) . وفي الوقت نفسه يتفق ابن كثير مع الطبري في موعد ميلاد جعفر المقتدر بالله « لثمان بقين من رمضان سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م » (٧٠) ، فيكون ابن كثير قد وقع في خطأ ، ذلك ان عمر المقتدر بالله ، يكون في هذه الحالة ، حين تولى الخلافة ثلاث عشرة سنة وشهراً واحداً وتسعة عشر يوماً ، وليس واحداً وعشرين يوما كما ورد في نص ابن كثير .

وقال الذهبي : « بويع بالخلافة عند موت أخيه وعمره ثلاث عشرة

(٦٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ .

(٦٨) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٠ . عريب ، الصلة ، ص ٢٢ . الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٤ . ابن الكازروني ، م . ق ، ص ١٧٢ .

(٦٩) البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ . انظر كذلك ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٧ .

(٧٠) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٤٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ .

سنة وأربعون يوماً (٧١) » . أما المسعودي فيقول : « ولم يتقلد الخلافة من بني أمية وبني العباس الى وقتنا من اسمه جعفر إلا جعفر المتوكل وجعفر المقتدر وكان مقتلهما جميعاً في شوال ... (٧٢) »

ويبدو لي أن رواية الطبري هي أرجح الروايات ، ذلك ان المقتدر بالله كان قد بلغ الثالثة عشرة تماماً (لثمان بقين من رمضان) عام ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، وبما ان أخاه المكتفي بالله كان قد توفي في الثاني عشر من ذي القعدة ، فيصبح عمر المقتدر بالله ، والحالة هذه ، ثلاث عشرة سنة وثمانية أيام في شهر رمضان ، فاذا أضفنا شهر شوال (وهو ثلاثون يوماً) . واثنى عشر يوما من ذي القعدة ، الى الأيام الثمانية من رمضان ، الى الاثنى عشر يوماً من ذي القعدة ، يكون عمر المقتدر بالله حين بويع بالخلافة ثلاث عشرة سنة وشهراً واحداً وعشرين يوما (٧٣) .

والذي يهمنا هنا هو ان نتبين مدى صحة خلافة جعفر المقتدر بالله من الوجهة الشرعية ، فيورد الأربلي أن أبا الفضل جعفر بن المعتضد بالله بويع بالخلافة يوم مات أخوه المكتفي بالله وهو ابن ثلاث عشرة سنة (٧٤)، ولم يل الخلافة من قبله أصغر سناً منه . « وعمل الصولي كتابا في جواز

---

(٧١) الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان . دول الاسلام ، جـ ١ ، (حيدر آباد : ١٣٦٤ هـ) ، ص ١٣١ .

(٧٢) التنبيه والاشراف ، ص ص ٣٧٧ — ٣٧٨ .

(٧٣) ١٣ سنة ، وشهر واحد (شوال) و ٨ أيام من شهر رمضان + ١٢ يوماً من ذي القعدة . فيكون المجموع ثلاث عشرة سنة وشهراً واحداً وعشرين يوماً .

(٧٤) وشهر واحد وعشرون يوماً كما ذكرنا آنفا .

ولايته واستدل بأن الله تعالى بعث يحيى بن زكريا (عليهما السلام) ولم يكن بالغا [٧٥] » ، ذلك ان الامامة عند الفقهاء هي : « موضوع لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الامة واجب الاجماع [٧٦] » . وهذا لم يحصل بالنسبة لخلافة جعفر المقتدر بالله ، اذ أنه لم ينل اجماعاً حتى من كتاب الدواوين ورجال الدولة المقربين ، وذلك لوجود شخص ينازعه هذا المنصب ، أكبر منه سناً ، وأغزر منه علما وأدبا ، ألا وهو عبد الله بن المعتز ، الذي توفرت فيه شروط الخلافة التي أجمع عليها عامة الفقهاء .

ومن هنا يبدو أن تولية جعفر المقتدر بالله ، كانت غير شرعية ، إلا أن أحداً لم يجرؤ على أن يجاهر بذلك سوى القاضي أبي المثنى احمد بن يعقوب الذي أطاع ضميره والتزم بمبادىء الشرع وقال : « هو صبي ولا يجوز المبايعة له [٧٧] » . غير ان قوله هذا جاء متأخراً ، اذ كان هذا القاضي نفسه قد بايع الخليفة الجديد ، في البداية ، ثم عبر عن ندمه ، لأنه بايع الخليفة الصبي الذي لم يكن قد بلغ الحلم بعد ، وقد كان نصيب

(٧٥) الاربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتوت ، خلاصة الذهب المسبوك ، (بغداد) ص ٢٣٩ . ابن الكازروني ، م.ق ، ص ١٧٢ . أنظر كذلك ، العيون ، م.ق ، ج ٤ القسم ١ ، ص ٢٠٧ . (النعمان) . ابن دحية ، النبراس ، ص ص ٩٥ — ٩٦ .

(٧٦) الماوردي . أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، المطبعة المحمودية التجارية ، مصر ، ص ٣ . انظر كذلك ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩١ .

(٧٧) عريب ، الصلة ، ص ٢٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

هذا القاضي القتل [٧٨] . ولعل هذه الرواية تؤكد لنا انعدام حرية الرأي آنذاك . وينفرد ابن الجوزي بقوله : « بلغ المقتدر في شعبان قبل جلوسه الخلافة بثلاثة أشهر [٧٩] » ، وهو يستند بروايته هذه على انباء وردته من بعض المشايخ .

وهكذا بويع المقتدر بالله ، وعندئذ أطلق الخليفة الجديد يد العباس ابن الحسن ، فأخرج مال البيعة [٨٠] . جرياً على العادة المتبعة حيث كان الخلفاء يستهلون حكمهم بتفريق الأموال على جندهم حتى ينالوا تأييدهم ويكسبوا رضاهم . وفي اليوم التالي من مبايعة المقتدر بالله ، خلع على الوزير العباس بن الحسن وقلده كتابته وأمر بتكنيته ، وأن تجري الأمور مجراها على يده ، وقلد ابنه احمد بن العباس ابن الحسن كتابة السيدة أم المقتدر بالله ، وكتابة هارون ومحمد أخويه [٨١] . كما أبقى الخليفة الجديد، سوسن مولى المكتفي بالله ، الذي كان حاجبه وأقره على حجابته . وخلع على فاتك المعتضدي ومؤنس الخازن وابن عمرويه صاحب الشرطة [٨٢] .

وبهذا يكون الخليفة المقتدر بالله قد أبقى الاغلبية الساحقة من الموظفين

---

(٧٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٧ . عريب ، الصلة ، ص ٢٧ . متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٣ .

(٧٩) المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٧ .

(٨٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١١٩ .

العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ص ٢٠٧ . (مطبعة النعمان) .

(٨١) عريب ، الصلة ، ص ٢٣ .

(٨٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٨ .

الذين عملوا في عهد سلفه المكتفي بالله ، في مناصبهم ولم يتعرض لأحد نهم . ويبدو عهد المقتدر بالله ، حتى الآن ، مجرد استمرار لعهد المكتفي بالله . ولعل ذلك يوضح لنا ان الخليفة الجديد لم تكن له وجهة نظرجديدة في تصريف شؤون الدولة التي جلس في قمة المسؤولية فيها .

غير ان الوزير العباس بن الحسن « بعد اتمامه أمر المقتدر استصباه وكثر ، كلام الناس ، فعمل على أن يحل أمره ويقلد أبا عبد الله محمد بن المعتمد على الله [٨٣] » ، وكان ابن المعتمد قد اعطى العباس بن الحسن عهداً بأن لاينكل به وتم ذلك بحضور القاضي أبي عمرمحمد بن يوسف[٨٤]، لكنه كان يخشى مغبة الاقدام على مثل هذه الخطوة ، اذ كان يتوقع ان غلمان المعتضد بالله سوف يتصدون له ، ويقفون حائلاً بينه وبين تحقيق مثل هذه الفكرة . وبذلك عمل على انتظار قدوم (بارس) غلام اسماعيل ابن احمد الساماني ، صاحب خراسان ، لعله يستظهر به على غلمان المعتضد [٨٥] . إلا ان (بارس) تأخر من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الوزير لم يطمئن الى وعود محمد بن المعتمد الذي فاتحه في هذا الأمر اذ ان الأخير رفض ان يعطي الوزير وعداً قاطعاً ويمينا صريحا بإن لاينكل به ،

(٨٣) مسكويه م . ق ، جـ ١ ، ص ٤ .

(٨٤) العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، قسم ١ ،ورقة ٦١ ـ ب . (تحقيق، نبيلة ، ص ٢٠٨) .

مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤ .

(٨٥) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٢٠ .

العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ص ٢٠٨ . (مطبعة النعمان) .

وان لايبسط يداً في نفسه وماله .

ومما عزز مركز المقتدر بالله ، ان وقعت مشادة بين ابن عمرويه صاحب الشرطة ببغداد وبين محمد بن المعتمد المرشح للخلافة . وقد تطاول صاحب الشرطة علي ابن المعتمد ، لأنه لم يعلم بالأتفاق الذي جرى بين الوزير وبينه ، فأغتاظ ابن المعتمد غياً شديداً ، فأغمي عليه . ولم يلبث ان مات (٨٦) . وقد عمل الوزير العباس ابن الحسن على تقليد أبي الحسن من ولد المتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ — ٨٦١ م) مكانه ، غير ان الاخير مات هو الآخر أيضاً (٨٧) . وهكذا تكون الظروف قد خدمت الخليفة الصبي من حيث لايدري وثبت أمر المقتدر بالله ولو الى حين .

٤ — سيرة المقتدر بالله :

ما أن دخل المقتدر بالله دار الخلافة ، حتى اخذ يصلي ، ويرفع صوته بالتذرع والدعاء ، ومن ثم تقبل مبايعة رجال دولته (٨٨) . ويوحي هذا التصرف للباحث ان حاشية المقتدر بالله ، هي التي أوحت له ان يفعل ذلك لأن عمر الخليفة الجديد ، وقلة خبرته في أمور الحياة والدولة ومتطلباتهما ،

---

(٨٦) مسكويه م . ق ، جـ ١ ، ص ٤ — ٥ ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٢٠ .

(٨٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٥ العيون ، م . ق ، جـ ٤ ورقة ٦١ — ب . (تحقيق نبيلة ، ص ٢٠٨) .

الهمذاني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٤ . ابن الاثير ، الكامل جـ ٦ ، ص ١٢٠ .

(٨٨) عريب ، الصلة ، ص ٢٢ . المسعودي ، مروج الذهب جـ ٤ ، ص ٢٢٢ ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٧ .

السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٨ .

لاتؤهلانه لأن يقدم على مثل هذه الخطوة التي لايقدم عليها إلا من كان متصفاً بالورع والتقوى ، او عارفا بأمور السياسة ومتطلباتها • وربما كان صافي الحرمي ، أو والدة الخليفة الصبي ، أو خاله ، او كلهم ، وراء ذلك الاجراء فوجهوه وافهموه ضرورة الاقدام على هذه الخطوة ، لتكون فاتحة عهده الجديد مما يكوّن دعاية له قد تغطي على نقصه •

أ ــ اسرافه وتبذيره :

كان عصر المقتدر بالله حاسماً في عمر الخلافة ، لا لأهمية الخليفة وقوته بل على العكس ، لضعفه والظروف المحيطة بالخلافة ، وللنتائج التي ترتبت عليها • وقد اقترن عهد هذا الخليفة الشاب بالتبذير والاسراف المفرطين ، فما أن تمت له البيعة حتى اطلق يد وزيره العباس بن الحسن ، وأمره بأخراج مال البيعة (٨٩) • ولما اخفقت مؤامرة ابن المعتز وحزبه قلد المقتدر بالله أبا الحسن علي بن الفرات وزارته (٩٠) ، فجدد هذا البيعة للمقتدر وصرف للجند صلة ثانية (٩١) ، مع العلم انهم كانوا قد نالوا صلة قبل أربعة اشهر • وبذل الخليفة عشرة آلاف دينار لمن يخبر عن مخبأ محمد بن داود الجراح (٩٢) ، الذي وزر لابن المعتز والذي توارى عن الانظار على

(٨٩) عريب ، الصلة ، ص ٢٣ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤ . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص ١١٩ .

(٩٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨ . الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٢ . عريب الصلة ، ص ٢٨ .

ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٢ . ابا الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٨١ .

(٩١) عريب ، الصلة ، ص ٢٩ . مسكويه م . ق ، ج ١ ، ص ٨ .

(٩٢) عريب ، الصلة ، ص ٢٩ .

أثر احباط تلك الحركة .

ويورد لنا الصابي قول الوزير ابن الفرات : « عندما توفي المكتفي كان في بيت مال الخاصة (٩٣) أربعة عشر ألف ألف دينار أطلق منها العباس مال البيعة ثلاثة الآف الف دينار » (٩٤) . ويذهب صاحب المنتظم الى أنه كان في « بيت مال الخاصة خمسة عشر الف الف دينار ، وفي بيت مال العامة (٩٥) ستمائة الف دينار ، ومن غير ذلـك ما يتمم عشرين ألف ألف

٩٣) بيت مال الخاصة : أن فكرت بيت المال الخاص وجدت لاول مرة في عهد الخليفة المعتضد . وتجمعت الاموال في بيت مال الخاصة من الكنوز المتجمعة من عهود الخلفاء السابقين والمبالـغ الضخمة المتروكـة من قتلهم والمصادرات الكثيرة . وكان الهـدف الاساسي من بيت مال الخاصة لسد نفقات الخليفة وحاشيته . وقد انشأ له ديوان خاص سمي ديوان بيت مال الخاصة .

FISCHEL , W : ,'THE BAITMAL AL -- KHASSA" PP : 538—539

٩٤) الوزراء ، ص ٣١٧ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

٩٥) بيت مال العامة : هو المحل الذي تحمل اليه الاموال من الاقاليم لتعد للمصالح العامة ، حيث يرد اليه مايفضل من أرزاق الجيش في الاقاليم ليضعه الخليفة في بيت مال العام (الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٩) ويضيف الماوردي : أن كل ما استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه فهو من حقوق بيت المال فاذا قبض صار بالقبض مضافا الى حقوق بيت المال سواء ادخل في حوزه أو لم يدخل لان بيت المال عبارة عن الجهة لا عن المـكان (الماوردي الاحكام السلطانية ، ص ٢٠٥) .

ويعتقد زيدان ان البحث في بيت المال يشمل النظر في كل ما يتعلق بأموال الدولة من خراج وصدقة وأعشار وأخماس وجزية وغير ذلك(التمدن

دينار ومن الفرش والآلة والجوهر ما يزيد قيمته على الكل »[٩٦]. وذكر الطبري انه كان : « في بيت المال يوم بويع [المقتدر] بالخلافة خمسة عشر الف الف دينار »[٩٧] . غير أن ابن كثير يزيد هذه النقطة وضوحاً فيذكر انه كان في « بيت مال الخاصة خمسة عشر الف الف دينار . وفي بيت مال العامة ستمائة الف دينار ونيف ، وكانت الجواهر الثمينة في الحواصل من لدن بني أمية وايام بني العباس قد تناها جمعها ، فمازال يفرقهـا في حضاياه وأصحابه حتى أنفذها وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاة »[٩٨].

ولمـا كانت جواهر الأكاسرة وغيرهم من الملوك قد أنتقلت الى حوزة بني أميـة ، ثم الى السفاح ثم الى المنصور ، « واشترى المهدي الفص المعروف بالجبل بثلثمائة الف دينار ، وأشترى الرشيد جواهر بالف الف دينار ، ولم يزل الخلفاء يحتفظون ذلك الى أن آلت الخلافة الى المقتدر بالله »[٩٩] . فوجد في خزائنه من الجواهر مالا عـين رأت ، ولا أذن

ج ١ ، ص ٢٢١) ويقول متز: ان مقر بيت المال عادة في المسجد ، وهـو شبه قبة فيه مرتفعة محمولة على أساطين ، له باب حديدي واقفـال . (متز ، م.ق ، ج ١ ، ص ٢٣٨) انظـر دائرة المعـــارف الاسلامية ترجمة محمد ثابت الفندي وجماعته ج ٤ ص ٣٧٤ — ٣٧٦ .

(٩٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٠ ص ٦٧ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ص ٧٥٣ .

(٩٧) تاريخ الرسل والملوك ، المجـــلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٠ . عريب ، الصلة ، ص ٢٢ أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٦٢ .

(٩٨) البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ .

(٩٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٧١ .

سمعت ، وفيه الدرة اليتيمة (١) ، التي زعموا أنوزنها ثلاثة مثاقيل فتبسط فيه المقتدر ، وقسم بعضه على الحرم ، ووهب بعضه لصافي الحرمي ووجه الى وزيره العباس بن الحسن منه شيئاً ، فرده العباس وكتب الى الخليفة يعلمه « ان هذا الجوهر زينة الاسلام وعدة الخلافة ، وانه لايصلح أن يفرق ، فكان ذلك أول ثقلة على قلبه » (٢) .

وهكذا وقع الخليفة المقتدر بالله في الاموال كاللص المغير وتجاوزها الى الجواهر فبذرها وضيعها بين الجواري والحريم (٣) . وينقل لنا مؤلف كتاب نساء الخلفاء رواية عن (خمرة) (٤) مفادها أن المقتدر بالله كان قد

(١) أتى بها هشام بن عبد الملك لامرأته عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية وكانت مفرطة السمنة ... وأعطاها الدرة ، وكانت ثلاثة مثاقيل حائزة جميع محاسن الصفات مدحرجة، نقية رائعة رطبة من كثرة المـــاء ، واشتريت بسبعين الف دينار . فلما انقضت دولة بني أمية ، وانتدب عبد الله بن علي لبيع ودائع مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين ، غمز اليه بأن عند (عبدة) الدرة اليتيمة فسلمت اليه ، ثم انتقلت الى خلفاء بني العباس حتى عهد المقتدر بالله اذ قدر قيمتها آنذاك ابن الجصاص الجوهري بمائة وعشرين ألف دينار . ويقـال ان الـدرة اليتيمة آلت بعدئذ الى القرامطـة بالاحساء . (البيروني ، محمد بن احمد ، الجماهر في معرفة الجواهر ، (حيدر آباد: ١٣٥٥ هـ ص ١٥٢ — ١٥٤) .

(٢) الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، (القاهرة : ١٩٦٥) . ص ١٩٥ .

(٣) البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ٥٧ .

(٤) هي جارية الخليفة المقتدر بالله وام ولده عيسى (ابن الساعي ، نساء الخلفاء ص ١٠٦) .

« استدعى الجواهر فأختار منها مائة حبة ، منها خمسون مدحرج ، ونظمها سبحة يسبح بها • فعرضت على الجوهريين فقوموا كل واحدة منها بالف دينار وأكثر » (٥) • وكانت هذه السبحة قد فقدت أبان قتل الخليفة المقتدر بالله في سنة ٣٢٠ هـ — ٩٣٢ م (٦) •

وكان في خزانة الجوهر كذلك سبحة أخرى ، يضرب بها المثل في نفاستها وارتفاع ثمنها ، تسربت الى خارج قصر الخلافة ، وقد عرضت للبيع في مصر ، فأشتراها علي بن عيسى يوم كان هناك ، وعندما أستدعي لتولي الوزارة عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م جلبها معه وعرضها على المقتدر بالله وقال: (قد عرضت عليَّ بمصر فعرفتها فأشتريتها ، فاذا كانت الجوهر لا تحفظ فما الذي يحفظ فأشتد ذلك على المقتدر وعلى السيدة) (٧) • واتهمت القهرمانة زيدان بالتفريط بهذه السبحة ، لأنها وحدها كانت المسؤولة عن خزانة الجوهر • ومن هنا يستنتج الباحث انه إذا كانت الأيدي غير الأمينة قد أمتدت الى جواهر الخلافة ، التي طالما عني بها الخلفاء وحرصوا عليها ، فإنما يعني ذلك ضياع هيبة الخلافة وحرمتها •

ويكاد يتفق المؤرخون جميعهم على أن المقتدر بالله كان مسرفاً مبذراً للمال ، فيقول ابن الأثير ان المقتدر أهمل أحوال الخلافة كثيراً «وكان جملة ما أخرجه من الأموال تبذيراً وتضييعاً في غير وجهه ، نيفاً وسبعين الف

---

(٥) ابن الساعي ، تاج الدين أبو طالب علي بن انجب ، نساء الخلفاء (القاهرة) ص ١٠٦ •

(٦) ن•م ، ص ١٠٧ •

(٧) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٩٥ •

الف دينار سوى ما انفقه في الوجوه الواجبة » [٨] . اما مسكويه فيقول: « فأما المقتدر فإنه أتلف نيفاً وسبعين الف الف دينار سوى ما أنفقه في موضعه وأخرجه في وجوهه ، وهذا أكثر مما جمعه الرشيد وخلفه » [٩]. ولم يكن من ولد العباس من جمع أكثر مما جمعه الرشيد « فإنه خلف في بيت المـال ثمانية وأربعين ألف الف دينار » [١٠] ويورد العصامي قولاً لصافي الحرمي مولى المعتضد ، ومن المقربين لجعفر المقتـدر اذ يقـول : « وأخرج على النساء جميع جواهر الخلافة وأتلف أموالاً كثيرة ، منهامن النقد ثمانين الف الف دينار » [١١] .

وحين اصطدم جيش الخليفة بجيش مؤنس المظفر عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م أمر المقتدر بالله ان ينادي المنادي : «من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير» [١٢] ، وهذا الموقف يظهر بجلاء اخلاق المقتدر بالله على حقيقتها ، حيث لم يتورع عن التشجيع على قتل المسلمين بأموال المسلمين أنفسهم .

وفي الوقت الذي نجد فيه المقتدر بالله يبذر الاموال في وجوه غير مشروعة أو ربما تكون مخالفة للشرع الحنيف صراحة ، نراه يسرف في وجوه

(٨) الكامل ، ج٦ ، ص ٢٢٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١١، ص ١٢٢ .

(٩) تجارب الامم ، ج١ ، ص ٢٣٨ ، ابن الجوزي ، المنتظـم ، ج ٦ ، ص ٢٤٣ .

(١٠) مسكويه . م.ق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(١١) سمط النجوم العوالي ، ج ٣ . ص ٣٥٤ .

(١٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٢١. ابن كثير ، البدايـة والنهاية ج ١١ ، ص ١٦٩ .

تتعلق بحياته الشخصية ففي ختان أولاده في سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧ م انفذ الى الوزير أبي الحسن علي بن الفرات « ثلاث موائد ، إستدارة الكبيرة منها خمسون شبراً يحملونها حمالون ، وثوب وشبي منسوج بالذهب ، وصينية ذهب فيها دنانير ولوز وجوز وفستق وبندق ، وما يجري هذا المجرى من الاصناف ، وجميعه من ذهب وقدره خمسة آلاف دينار»(١٣). وكان الخليفة قد نثر على أولاده في ختانهم هذا «خمسة آلاف دينار عينا ومائة الف درهم » (١٤) . وقد بلغت تكاليف النفقة في هذا الختان ستمائة ألف دينار . (١٥)

ولعل ما كان في دار الشجرة من قصر المقتدر بالله يمثل بصدق أسراف هذا الخليفة، غير المحدود ، ذلك أنه كان للمقتدر بالله بتلك الدار «شجرة من الفضة وزنها خمسمائة الف درهم » (١٦) ، وهي تقوم في وسط بركة مدورة صافية الماء ، وللشجرة ثمانية عشر غصناً ، لكل غصن شاخات كثيرة، عليها طيور وعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة ، وأكثر قضبان الشجرة فضة ، وبعضها ذهب وهي تتمايل في أوقات لها ، وللشجرة ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر (١٧) . وفي يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر

---

(١٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٧٥ .

(١٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٢٧ .

(١٥) نفس المصدر والمكان .

(١٦) الخطيب البغدادي ، م.ق ، جـ ١ ، ص ١٠٢ .

(١٧) متز ، م.ق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ .

فرساً ، قد ألبسوا الديباج وغيره وفي أيديهم مطارد رماح (١٨) . وقد خصص المقتدر بالله لعلوفة البط في البرك والزبيدية (١٩) ثلاثين قفيزاً (٢٠) من الشعير في كل شهر ، بالاضافة الى ما خصص للجوارح والطيور الاخرى من الطعام (٢١) . وعندما علم الوزير المصلح علي بن عيسى ان الخليفة المقتدر بالله لايفضل وضع المسك مع الطعام ، حاول ان يحذف مخصصات المسك وقدرها ثلاثمائة دينار في الشهر . غير أن الخليفة رفض أجراء الوزير، وطلب اليه أن يبقي ذلك جارياً، وفي الوقت نفسه أمر الطباخين أن لا يضعوا المسك مع طعامه ، وان يتصرفوا بمخصصاته . (٢٢)

(١٨) سعيد الديوه جي (رسول ملك الروم الى الخليفة المقتدر بالله العباسي) مجلة العربي ، العدد ١٦٦ أيلول ٩٧٢ ، ص ٨٧ .

(١٩) الزبيدية : بستان استطابه الخليفة المقتدر بالله وكان يقضي بعض أوقاته فيه (ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٧٣) فى سنة ٣٠٦هـ استطاب المقتدر الزبيدية فسكنها وأقام بها مدة ونقل اليها بعض الحرم وأرتب القواد مضاربهم حوالي الزبيدية وجلس يوم السبت لاطعامهم ووصل جماعة منهم وشرب مع الحرم وفرق عليهن مالا كثيرا .

(عريب ، الصلة ، ص ٧١ — ٧٢) .

(٢٠) القفيز : فى القرن العاشر الميلادي كان فى العراق قفيزان: القفيز الكبير ويستعمل بالتحديد فى بغداد والكوفة ويتسع لـ ٨ مكاكيك ، كل مكوك ٣ كيلجات كل كيلجة ٦٠٠ درهم أي حوالي ٤٥ كغم (فالتر هنتس، ص ٦٦) .

والقفيز ربع الكارة . والكارة مائتان واربعون رطلا (المقدسي، أحسن التقاسيم ص ١٤٦) .

(٢١) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٧٨ .

(٢٢) ن.م ص ٢٧٩ . متز ، م.ق ، ج١، ص٢٧٦ .

وصادف ان ركب جعفر المقتدر يوماً بطيار [٢٣] للنزهة ، فأحس بالجوع ولم يكن الطعام الذي أعد خصيصاً له ، وقد أحضر بعد ، فأكل الخليفة من الطعام الذي اعده ملاح الطيار لنفسه ، وكان يتكون من « جـدي بارد » [٢٤] . وعندما سأل الخليفة عن الحلوى ، فقال له الملاح : «حلوانا التمر والكسب » [٢٥] . وعندئذ أمر المقتدر بالله ان يخصص عشرة دنانير في الشهر للملاح رسماً للحلوى [٢٦] .

ب ــ اصلاحاته :

وعلى الرغم من تلـك الصورة العابثة المشينة ، التي تراءت لنا عن الخليفة المقتدر بالله ، فإن عهده لايخلو من بعض المزايا الحسنة ، فما أن تربع على دست الحكم ، حتى أظهر رغبته في أن يخفف عن رعيته ،وان يحكم بالعدل ، وفقاً لما أوصي به الشرع الحنيف ، ولا سيما في شؤون المال ، على الرغم من أنه كان دائم الشكوى خلال عهده الطويل ، من ثقل واشتداد الأزمة المالية .

وهكذا نجد الخليفة المقتدر بالله قد أستهل عهده ، بأن رد رسوم

(٢٣) الطيارة : هو زورق فخم لركوب العظماء . والظاهر انهم سموه بذلك انه من السفن الخفيفة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء واستعمال الطير للسرعة مألوف في كلام العرب . (أبو المحاسن ، م.ق ، ج ٣ ، ص ١٩٨) انظر مجلة المشرق عدد ٣ و ٤ ص٣٤٨ .

(٢٤) الخطيب البغـدادي ، م.ق ، ج ٧ ، ص ٢١٦ . ابن الجوزي المنتظم ج ٦ ص ٧٣ .

(٢٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٧٣ .

(٢٦) الخطيب البغـدادي ، م.ق ، ج ٧ ، ص٢١٦ . ابن الجـوزي، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٧٣ .

الخلافة الى ما كانت عليه من التوسع في الطعام والشراب [٢٧] ، « واطلق أهل الحبوس الذين يجوز اطلاقهم » [٢٨] ، فوكل أمر ذلك الى القاضي أبي عمر محمد ابن يوسف ، وأجرى الوظائف في بني هاشم خمسة عشر الف دينار ، وزاد في الأرزاق ، وأعاد الرسوم في تفريق الاضاحي على القواد والعمال وأصحاب الدواوين والقضاة والجلساء [٢٩] ، حتى انه فرق في يوم التروية ، ويوم عرفة من البقر والغنم ثلاثين الف رأس ومن الأبل الفي رأس [٣٠] • غير ان الديار بكري ينقل لنا عن الصولي ، المؤرخ المعاصر للمقتدر بالله فيذكر : « انه كان في داره أحد عشر الف غلام خصيان غير الروم والصقالبة والسود ، وان هذا الخليفة كان يفرق يوم عرفة من الأبل والبقر اربعين ألف رأس ، ومن الغنم خمسين الف رأس » [٣١] • وهو يكون قد أضاف الكثير الى رواية ابن الجوزي المتقدمة الذكر • وربما كانت الرواية الأخيرة أقرب الى الصحة وذلك بحكم كون الصولي معاصراً لهذا الخليفة المتلاف ، ومن المقربين اليه والى حاشيته ولم يتوان المقتدر عن اتخاذ الخطوات الاصلاحية ، في سبيل التخفيف عن كاهل السكان حيث أمر بهدم بعض المرافق التي بنيت في الرحبة ، مضحياً بسواردها التي بلغت

(٢٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٩ .

(٢٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ .

(٢٩) عريب ، الصلة ، ص ٢٣ .

(٣٠) أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص‌ص ٦٨ — ٦٩ (ويقول ابن الجوزي أن المقتدر فرق في بني هاشم خمسة الاف دينار . المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٩) .

(٣١) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ . الخطيب البغدادي م . ق جـ ١ ص ١٠٠ .

الف دينار في الشهر مستهدفاً توسيع الطرقات[٣٢] .

وعندما جاء رسول ملك الروم في سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ليؤدي رسالته الى المقتدر بالله ، رأى الرسول في اثناء طوافه بدار الخلافة « سبعة الآف خادم منهم أربعة الاف بيض وثلاثة الاف سود ، وعدد الحجاب سبعمائة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم اربعة الاف غلام »[٣٣] ، وهم في اتم زينة[٣٤] ، وأمر المقتدر بالله ان يقف الجند « صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة »[٣٥] تحية لضيف الخليفة الذي أمر بالبقاء في تكريت لمدة شهرين حتى تتم الاستعدادات اللائقة لأستقباله وتلبس العاصمة أجمل زينة وأحسن ترتيب .

ويبدو سخاء الخليفة المقتدر بالله وجوده من انه كان يصرف على الحرمين وفي الطريق المؤدي لهما ثلثمائة الف وخمسة عشر الف واربعمائة وستة وعشرين دينار وكان يجري على القضاة في الممالك ستة وخمسين الفاً وخمسمائة وتسعة وستين ديناراً ويجري على من يتولى الحسبة والمظالم في جميع البلاد اربعمائة وثلاثين الفاً واربعمائة وتسعة وثلاثين ديناراً ، وعلى أصحاب البريد

---

(٣٢) أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٩ . ابن كثير البداية والنهاية ، جـ ٦ ص ١٠٥ .

(٣٣) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٠١ .

(٣٤) سعيد الديوه‌جي « رسول ملك بيزنطة الى الخليفة المقتدر بالله العباسي » مجلة العربي ، العدد ١٦٦ ، أيلول ٩٧٢ ، ص ص ٨٦ — ٨٧ .

(٣٥) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٠٠ انظر مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ص ٥٣ — ٥٥ .

تسعة وسبعين الفاً واربعمائة ديناراً (٣٦) . وقد شمل سخاؤه العلماء والادباء والشعراء ومنهم المؤرخ الكبير محمد بن جرير الطبري ، الذي استحضره الخليفة ليكتب له كتاباً ، وسأله عن حاجته فبين الطبري للمقتدر ان لاحاجة له . وامام أصرار المقتدر قال ابن جرير : « اسأل من امير المؤمنين أن يتقدم أمره إلى الشرطة حتى يمنعوا السوء ال يوم الجمعة ان يدخلوا مقصورة الجامع » (٣٧) . ولعل هذا النص يوحي لنا بكثرة عدد الفقراء والمحتاجين، وشدة الحاحهم في طلب المسألة ، ومن جانب آخر يتضح ان الطبري ليس لديه حاجة مهمة وأساسية يروم تنفيذها .

وشمل كرم المقتدر بالله ، أبا بكر محمد الصولي الذي كان الخليفة قد أمر بأعطائه عشرة الاف درهم (٣٨) ، لأنه ردّ بقصيدة على مطاعن الفاطمي (٣٩) كما أن محمد بن الحسن بن دريد اللغوي والنسابة والشاعر المشهور ، هو الآخر ، نال من كرم الخليفة المقتدر بالله الذي أجرى عليه مرتبا قدره خمسون دينار في الشهر (٤٠) ، اعترافا من الخليفة بعلمه وفضله.

(٣٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٦٩ — ٧٠ . أنظر كذلك ابن دحية ، النبراس ، ص ١٢٢ .

(٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٤٦ .

(٣٨) عريب ، الصلة ، ص ٨٤ .

(٣٩) انظر عريب ، الصلة . ص ٨٠ — ٨٣ .

(٤٠) ابن النديم ، محمد بن أسحق ، الفهرست (القاهرة) ص ٩٧ ، زيدان ، تاريخ ، التمدن ، ج ٢ ص ٢١٩ .

بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ج ٢ (القاهرة ١٩٦٨) . ص ١٧٨ نكلسن ، رينولد ، تاريخ الادب العباسي ، (بغداد ١٩٦٧) . ص ١٣٣ .

وبعد فإن هذا الخبر ، وما مر قبله من نصوص ، تحمل في تضاعيفها ما يدل على اهتمام الخليفة المقتدر بالله بأحوال ادباء وعلماء عصره وتقصي أخبارهم ، ومن ثم انتشالهم من العوز ، ان لحق بهم عوز ، ويدل من جهة أخرى على تعلق المقتدر بالله بالادب ذاته ، ان جاز لنا ان نحمل الخبر مثل هذا التحميل .

وللمقتدر بالله الفضل في رفع ضريبة (التكملة) [٤١] التي فرضها الصفارون على فارس بعد استيلائهم عليها ، وهم بذلك أعادوا ما كان مطبقاً في تلك الديار قبيل الفتح الاسلامي ، اذ جلا قوم من السكان لسوء معاملة الصفارين لهم ، فقرر هؤلاء المتغلبون خراجها (خراج الارض) على من بقي ، وسمي ذلك (التكملة) لانه كمل بها قانون فارس القديم [٤٢]. ولم تزل هذه التكملة تستوفي من السكان هناك . حتى أعيد فتح فارس ثانية عام ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م [٤٣] وقد تظلم اهل فارس من هذه الضريبة واستثقلوها ، ووفد قوم منهم الى العاصمة لرفع ظلاماتهم ، وعندئذ أمر

---

(٤١) التكملة : ضريبة كانت معروفة في بلاد فارس قبل الفتح الاسلامي ، ولما استولى الصفارون على فارس ، جلا قوم من سكانها لسوء معاملة الصفارين لهم فقرر هؤلاء خراجها على من بقي وسمي ذلك (التكملة) لانه كمل بها قانون فارس القديم (أنظر الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦٦ — ٣٦٩ . ورسوم دار الخلافة ص‌ص ٦٧ — ٦٨) .

(٤٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦٨ . أنظر كذلك مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٤٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٧ . مسكويه م . ق ج ١ ص ١٩ .

المقتدر بالله بعقد مجلس من القضاة والفقهاء والكتاب والعمال والقواد ، فأفتى الفقهاء بأن ضريبـة التكملة ظلم لاشك فيه ولا شبهة وحينئذ أمر الخليفة بالمقتدر بأبطال ضريبة التكملة (٤٤) . وارسل كتابا الى الاقاليم بهذا الخصوص . والظاهر ان هذه الضريبة كانت شاذة اذ لم تذكر في المصادر انها طبقت في أي مكان او زمان في الدولة الاسلامية خلال قرونها السبعة عدا منطقة فارس المارة الذكر .

وأصدر المقتدر بالله في سنة ٣١١هـ / ٩٢٣ م كتاباً في المواريث أمر فيه بأن « ترد تركة من مات من أهل الذمة ولم يخلف وارثا على أهل ملته » (٤٥) ، أما فيما يتعلق بالمسلمين ، فتؤخذ تركة من لا وارث له الى بيت المال « وكذلك ما يفضل عن السهام المفروضة في القرآن الكريم ، ان

(٤٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦٩ . مسكويه ، م . ق . ج ١ . ص ٢٨ .

(٤٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٨ — ٢٧٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٨ .

(ويورد أبن الاثير في الكامل ١٧٢/٦ — أن أسقاط المواريث تم سنة ٣١٢ هـ) .

(بينما يقول عريب ، الصلة ص ٣٨ — بأن المقتدر عمل ذلك في سنة ٣٠٠ هـ) .

(أما الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٨ — فيؤكد أن ذلك تم عام ٣١١ هـ وانه تم بناء على أقتراح الوزير علي بن الفرات عندما تعرض عمال المواريث لتركة أحمد بن محمد المعروف بأخي صخرة) .

أنظر تفصيل ذلك في الخاتمة وتقويم العصر من هذا الحديث .

لم يكن للمتوفي عصبة تحوز باقي ميراثه » (٤٦) . وقد أتخذ المقتدر هذا الأجراء بسبب سوء تصرف عمال المواريث الذين كانوا قد أشتطوا حتى شكى منهم الناس ، فأمر المقتدر بالله بصرفهم في سائر النواحي ، وأمر ما يفضل من السهام المفروضة على أصحاب السهام من القربى ، ويجعل تركة من يتوفى ولا عصبة له لذوي رحمه ان لم يكن له وارث سواهم (٤٧) ، وبهذا يكون الخليفة قد خطا خطوة جريئة بأسقاط المواريث . ومع ان خطوة المقتدر بالله هذه كانت منسجمة مع ما أوصى به الشرع ، فأنها تعتبر في الوقت نفسه ، رد فعل للتعسف الذي كان يمارسه الجباة تجاه عامة الشعب.

وهناك جانب آخر من سيرة الخليفة المقتدر بالله ، هو انه كان كثير الصوم والصلاة في ساعات صحوه (٤٨) . ويروي الصابي على لسان الوزير علي بن محمد بن الفرات قوله : « وكان من عادة المقتدر بالله اذا صام الخميس ان يدخل الى الحجرة التي أنا محبوس فيها ويقعد عندي ويحادثني من وقت العصر الى المغرب ... » (٤٩) وهكذا يبدو أن الخليفة المقتدر كان « كريماً فيه عبادة ، كثير الصلاة ، كثير الصيـام تطوعاً » (٥٠) .

---

(٤٦) السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٢ . متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٧٧ .

(٤٧) عريب ، الصلة ، ص‌ص ١١٧ — ١١٨ . السيوطي ، الخلفاء ص ٣٨٢ .

(٤٨) أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥
BOWEN , op . cit , p . 98 .

(٤٩) الوزراء ، ص ٩٧ .

(٥٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ .

ويشيد الخطيب البغدادي برجاحة عقل المقتدر بالله فيقول : « انه لم يكن جاهلاً وما كان إلا جيد العقل صحيح الرأي ولكنه مؤثر للشهوات » (٥١).

وفي السنة الثانية لتقلد المقتدر بالله الخلافة ، امر ألا يستعان بأحد من اليهود والنصارى ، ألا في مجال الطب والجهبذة (٥٢) ، فالزموا بيوتهم، وأخذوا يلبسون العسلي والرقاع من خلف وقدام (٥٣) . وربما كان لأجراء الخليفة هذا ما يبرره ، حيث ان أهل الذمة قد علا أمرهم وغلب نفوذهم ، الأمر الذي دفع بعض المسؤولين الى تحذير الخليفة المقتدر بالله من مغبة استفحال أمرهم فأمر بأسقاطهم من الخدمة (٥٤) ، وحاول ان يستعيض عنهم بالمسلمين . ومع ذلك فإن اجراء الخليفة هذا يعتبر تمييزاً بين رعاياه اذا ما نظرنا اليه بمنظار هذا العصر ، وربما بدأ مستساغاً ومقبولاً في تلك الحقبة التاريخية .

ومما يبرز للباحث الجوانب الحسنة من سيرة المقتدر بالله وحبه للخير، انه اوقف أموالاً جزيلة ، وضياعاً واسعة على الحرمين الشريفين ، اذ أستدعى القضاة والاعيان وأشهدهم على نفسه بما أوقفه من ذلك (٥٥) .

ولم تقتصر اعمال الخليفة المقتدر بالله على الامور الدينية ، المارة الذكر بل تعداها الى الحقل الاجتماعي ، ففي سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م ، أمر ببناء

---

(٥١) تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٢١٨ ٦

(٥٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ .

(٥٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ . ص ٨٢ .

(٥٤) عريب ، الصلة ، ص ٣٠ .

(٥٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٥٣ . ابن كثير البداية والنهاية جـ ١١ ، ص ١٢٣ .

(بيمارستان) فبني وأجرى عليه النفقات من ماله الخاص ، حيث بلغت كلفته مائتي دينار في الشهر (٥٦) ، وسمي البيمارستان المقتدري (٥٧) وبهذا يكون قد أسهم في تقديم الخدمات الاجتماعية الحيوية لرعيته •

جـ ـ عبثه ولهوه :

هناك جوانب أخرى من سيرة المقتدر بالله الشخصية اللاهية التي أشتهر بها كثيراً • ولعل تربيته الأولى بين الجواري والحريم ، وصغر سنه عندما تبوأ الخلافة ، أوقعاه تحت تأثير الحرم ، فأنساق انسياقاً شديداً الى حياة اللهو والمجون • ويجدر بنا ان لانهمل تأثير السيدة والدة المقتدر عليه ، اذ كان تأثيرها بصورة عامة مضراً ، ذلك أنها أفسدت ابنها بتشجيعه على الانهماك في الملاذ والتبذير (٥٨) • ولعلها كانت حمقاء وليست خبيثة ، اذ كانت متدينة أنفقت قسماً كبيراً من ثروتها في الاعمال الخيرية (٥٩) •

ومن الغريب أن يضم المقتدر بالله ، والسيدة والدته مجلس للشرب

---

(٥٦) ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن يونس السعدي ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، جـ ٢ ، (بيروت : ١٩٥٦) ص ٢٠٤ القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء ، (مصر) ، ص ١٩٤ •

(٥٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٣ .

(٥٨) التنوخي ، أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد ، الفرج بعد الشدة ، جـ ١ (القاهرة : ١٩٥٥) ، ص ٣٨٦ أبن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٢ . متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٤ .

(٥٩) الدوري ، عبد العزيز ، دراسات في العصور الاسلامية المتأخرة (بغداد : ١٩٤٥) ص ١٩٧ .

والغناء [٦٠] ، اذ روى أبو العلاء صاعد بن ثابت النصراني ، ان الخليفة المقتدر بالله أمر ان يشتري له مغنيات ، وكانت هناك جارية حسنة الوجه والغناء ، فحملت الى المقتدر ، مع عددمن الجواري فأمر بشرائهن كلهن [٦١]، وفي احدى الليالي قعد الخليفة يشرب مع السيدة والجواري ، فأستدعيت وغنت للخليفة فأجادت ، ثم بكت فأمر الخليفة ان توهب الى ابن ميمون الذي كانت تحبه ويحبها [٦٢] .

وفي أحيان اخرى ، كان يعقد مجلس الشراب في أحد بيوت جواريه ، ويحضر معه عدة جوارٍ ، وبعد ان يأخذ مجلسه تبدأ الجواري بالغناء وهو يشاركهن الشراب الى أن يمضي جانب من الليل ، فيجذب الخليفة الثمل حظيته اليه ، وحينئذ تصرف باقي الجواري ، ويبقى هو واياها يلهوان [٦٣]. وهكذا كانت تقام مثل هذه الحفلات الباذخة التي ينفق عليها بأسراف [٦٤].

ونظراً لأنغماس الخليفة بهذا اللون من حياته الخاصة ، أصبحت بغداد محط انظار المغنين والفنانين ، حتى ان المغني الشهير ، ابن عائشة ، وفد الى بغداد فبالغ الخليفة في أكرام مثواه [٦٥] ، كما وفد اليها (كنيز) المغني وهو مشهور بالحذق في الغناء ، وضع الحاناً تداولها الناس ، وكان

---

(٦٠) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ١ ، ص ٣٨٦ .

(٦١) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ١ ص ٣٨٤ .

(٦٢) ن . م ، ص ٣٨٦ .

(٦٣) ن . م ، ص ٣٨٠ .

(٦٤) BOWEN , op . cit , p . IOI .

(٦٥) الاصفهاني ، أبو الفرج ، الاغاني ، جـ ٢ . ط ١ (القاهرة ١٩٣٢) ص ٢٣٣ .

يحضر مجالس الخليفة المقتدر بالله (٦٦) . ويقول الاصفهاني ان جواري المقتدر كن يطالبن بأحضار المغنين والزمارين ، واذا ما حضر هؤلاء المغنون والزمارون كان يعطي بعضهم ثلاثمائة دينار والبعض الآخر ما بين مائة الى مائتي دينار الى الألف درهم ، وكان من عادة الخليفة ان يجلس وراء ستارة مع الجواري فاذا ما رغب في شيء امر احد الخدم بأن يخبر المغنين ليغنوا له الأغنية المطلوبة ، وكان يضع بين يدي كـــل واحد من هؤلاء المغنين والزمارين قنينة فيها خمسة أرطال نبيذ وقدح ومغسل وكوز ماء (٦٧) .

ويبدو ان هذا الخليفة الصبي ترك أمور البلاد جانباً ، وانصرف الى نفسه ، فأباح لها حرية التمتع بالملذات ، ولم يعد هناك ما يشغله إلا اموره الخاصة ، لأن سياسة الدولة كانت تدار بأيدي الحاشية والخدم والحريم والوزراء والكتاب وقادة الجيش (٦٨) من أمثال مؤنس الخادم وغريب الخال وابن الفرات وغيرهم من المنتفعين ، اما الخليفة فخيال واهٍ قنع من الخلافة بأسمها ، وقبض الثمن من هذه اللذات التي كان يركض وراءها (٦٩) .

ويخال للباحث ان سيرة الخليفة المقتدر بالله هي التي دفعت المؤرخ BOWEN الى ان يقع في خطأ تاريخي ، عندما جاء بقطعة نقود ، زعم ان

---

(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ . ص ١٦٢ .

(٦٧) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٥ ، ص ٢٢٢ .

(٦٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧ العيون ، م . ق جـ ٤ القسم ١ ، ص ٢١٥ (النعمان) .

(٦٩) الكبيسي ، عناد أسماعيل ، شعر الفكاهة في العراق في القرن الرابع الهجري رسالة ماجستير ، قدمت الى جامعة القاهرة . غير منشورة ، ص ٥٣ .

الصورة التي عليها تمثل المقتدر بالله وهو يبدو في احد وجهيها حاملاً كأساً وفي الوجه لآخر عوداً (٧٠) . وهذا ما يدعوا الى الشك لأنه لم يكن من السهل ان يجرأ خليفة للمسلمين ان يعلن للرأي العام ، وامام الملأ انه خدين شراب وطرب (٧١) . ولعل هذه القطعة النقدية نسبت الى الخليفة المقتدر بالله وهي تفتقر الى الأدلة التاريخية الثابتة .

وان هذه القطعة النقدية التي أدعى BOWEN انها تنسب الى المقتدر بالله تناقض المسكوكة الفضية الموجودة فعلاً في الوقت الحاضر في خزانة المتحف العراقي تحت رقم ١٠٢ (٧٢) والتي يبرز فيها اسم الخليفة (جعفر) واضحاً كما تظهر صورة الخليفة المقتدر بالله وهو يركب صهوة جواده حاملا بيده سيفه . وبمجرد امعان النظر في هذه القطعة ومقارنتها بالقطعة الاولى ، نجد ان البون شاسعاً والتناقض واضحاً . وان الذي اوعز بأن تسك النقود بأسمه كما جاء في القطعة النقدية الثانية ، لايمكن ان تضرب بأسمه نقوداً أخرى على الهيئة التي أدعاها BOWEN في مؤلفه .

(٧٠) BOWEN , op . cit , p . IOI .

(٧١) السامر ، فيصل ، الدولة الحمدانية فى الموصل وحلب ، جـ ١ (بغداد ١٩٧٠) ص ١١١ .

(٧٢) سوسة ، أحمد نسيم ، الدليل الجغرافي العراقي ، (بغداد ١٩٦٠م) ص ١٣ .

(وقد رأيت هذه القطعة النقدية فى المتحف العراقي الجديد فى قاعة عبد الامير الصراف برقم ٢٨٨ وكتب تحتها « درهم نقشت عليه صورة فارس وكتب عليه المقتدر بالله » وبجانب هذه القطعة النقدية توجد نقود كثيرة (دراهم ودنانير) ضربت خلال عهد المقتدر بالله فى مصر والكوفة وسر من راى ومدينة السلام وواسط والموصل) .

٥ ــ شخصية المقتدر بالله :

ليس من الصعب ، ولا من المتعـذر على الباحث ، تحديد شخصية الخليفة المقتدر بالله ، تحديداً كاملاً وتاماً ، على الرغم من تضارب وتناقض النصوص التي قد تفيد في تحديد جوانب تلك الشخصية ، التي أختلف فيها كثير من المؤرخين ، ففي طوق المتتبع أن يرسم من خلال تلك النصوص صورة تكون أقرب الى الواقع .

ويتلمس الباحث شخصية الخليفة المقتـدر بالله ، من خلال دراسته لمؤسسات الدولة أبان عهده . فيلاحظ ان مؤسسة الخلافة ساءت كثيراً ، بسبب ما أقدم عليه الأتراك وذوو المطامع الخاصة ، من تقليد الخلافة لشخص غير كفء ، ولا بالغ ، بعد أن سئموا من مجيء ذوي الكفاءة والقدرة من الخلفاء ، أمثال : المهتدي : والمعتضد ، والمكتفي . فكان عبد الله بن المعتز الكفء والأديب ، في مقدمة المرشحين للخلافة بعد موت المكتفي بالله [٧٣] ، غير انهم عدلوا عنه الى أبي الفضل جعفر بن المعتضد [٧٤] ، لأنه اسلس قيادة من ابن المعتز ، ولقبوه بالمقتدر بالله [٧٥] .

ونكاد نلمس ان هذا اللقب ، وحالة الخليفة الجديد على طرفي نقيض

---

(٧٣) عريب ، الصلة ، ص ٢٠ ــ ٢١ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ .

(٧٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٧٩ .

(٧٥) مسويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤ . ابن الاثير ، الكامل، جـ٦، ص ١١٩ .

العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ص ٢٠٧ . (مطبعة النعمان) .

اذ ما أن تسنم منصبه حتى ترك أمور الدولة لغيره من رجال الحاشية قواد الاتراك (٧٦) . وهل يتوقع الباحث أن يملأ المقتدر بالله كرسي الخلافة ؟ ، وهو الطفل الذي أجلسته امه في حجر وزيره كما يفعل الناس بأولادهم ، وهي تقول : « هذا يا أبا الحسن (٧٧) ولدك ، وأنت قلدته الخلافة أولاً وثانياً » (٧٨) . فلا غرابة أن فوض المقتدر الأمور الى وزيره الجديد علي ابن محمد بن الفرات ، فدبرها كما يدبرها الخلفاء (٧٩) ، وتمكن أبو الحسن ابن الفرات من الخزائن والاموال ، وفعل ماشاء وأراد (٨٠) . وعكف المقتدر بالله على لذاته ، واحتشم الرجال واطرح الجلساء والمغنين ، وعاشر النساء فغلب على الدولة الحرم والخدم (٨١) .

ويبدو لنا ان المقتدر بالله كان منشغلاً عن أمور الخلافة حتى في أحلك

---

(٧٦) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ص ٢١٥ (النعمان) .

(٧٧) أبا الحسن : المقصود به علي بن محمد بن موسى بن الفرات ، الذي وزر للمقتدر لاول مرة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م . (مسكويه ، م . ق . ج ١ ، ص ص ٧ — ٨) .

(٧٨) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٢ .

(٧٩) العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦٤ — آ — (تحقيق نبيلة ، ص ٢١٥) .

(٨٠) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٣ .

(٨١) العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦٤ — آ — (تحقيق نبيلة ، ص ٢١٥) .

المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٢ .

الظروف ، ففي الوقت الذي لم تكد تهدأ فتنة عبد الله بن المعتز ، وكان الوزير ابن الفرات ما يزال يعمل على تصفية جيوب المؤامرة الفاشلة ، كان أبو بكر الصولي قد لزم المقتدر يلهيه بالشطرنج كلما سنحت له الفرصة بعيداً عن جاريته الاثيرة ظلوم (٨٢) وبهذا ترى أن الوزير الجديد ، ابن الفرات ، كان المدبر الحقيقي لأمور الخلافة في الوقت الذي انشغل فيه الخليفة الصغير بملهياته الخاصة •

وقد يكون من سوء حظه — في هذا المجال — ان يعاصر رجالاً ونساء كانوا يتمتعون بشخصيات قوية مؤثرة ، ذات دراية وحنكة بالأمور المدنية والعسكرية ، أمثال : علي بن الفرات ، وعلي بن عيسى ، ومؤنس الخادم ، ونازوك ، والحسين بن حمدان ، وعبد الله بن حمدان ، وخاله غريب ، ويوسف بن أبي الساج ، والسيدة والدته ، وام موسى وثمل القهرمانتين ، وغيرهم ، فذابت شخصية الخليفة الصبي (في البداية) وسط هذا الخليط المتنافر في الأطماع والأطماح ورغم أنه ترك أمور البلاد لهؤلاء ، الطامعين ، فأنه لم يستطع ان يتحاشى أهواءهم ومشاحناتهم (٨٣) ، فتراهم يخلعونه (٨٤)، ثم يعيدونه ، ثم يخلعونه (٨٥) ويعيدونه ، ثم يقتلونه (٨٦) • وما كان هذا ليكون لولا الصراع الشديد على السلطة ، بين اولئك الامراء والقادة وغيرهم

(٨٢) زكي ، ابن المعتز العباسي ، ص ٢٣٤ .

(٨٣) الكبيسي ، م . ق ، ص ٥٣ .

(٨٤) أنظر عريب ، ص ٢٦ — ٢٨ .

(٨٥) انظر مسكويه جـ ١ ، ص ص ١٩٣ — ١٩٤ . عريب ، الصلة ، ص ١٧٩ .

(٨٦) الخطيب البغدادي ، م . ق . ، جـ ٧ ، ص ٢١٤ .

ممن كانت السلطة الفعلية بأيديهم .

أما الخليفة فكان كالريشة في مهب الريح (٨٧) ، أو هو خيال واه قنع من الخلافة بأسمها فقط . وتظهر لنا بجلاء شخصية المقتدر المتخاذلة ، الرسالة التي بعث بها الى قائده مؤنس ، فهي تصور مدى تداعي الخليفة وإنهياره وتخاذله أمام أحد قواده اذ يقول : « أمتعني الله بـك ، ولا أخلاني منك ، أنت شيخي وكبيري ومن لا أميل عنه .... وأرجوك ان لاتشك في ذلك (٨٨) » .

وثمة ظاهرة أخرى توضح لنا ضعف شخصية الخليفة المقتدر بالله ، وعدم استقراره على رأي ، وتردده في اتخاذ مواقفه ، وانسياقه وراء أية وشاية سمعها ضد أحد وزرائه ، أو أحد افراد حاشيته ، اذ تمكنت القهرمانة أم موسى ان توغر صدر الخليفة المقتدر ضد علي بن عيسى الذي لم يستجب لمطاليبها وبذلك ضحى المقتدر بوزيره المصلح بمجرد وشاية هذه القهرمانة(٨٩) . كما تمكن نصر الحاجب من أن يدس على الوزير علي بن عيسى متهماً اياه بمكاتبة القرامطة ، وذلك لعداوة نشبت بين الوزير والحاجب ، ولمالات علي إبن عيسى لمؤنس المظفر (٩٠) وعزم الخليفة على ضرب وزيره الورع علي بن

(٨٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ ٣ ، ط ٥ ، مطبعة السعادة (القاهرة : ١٩٦٠) ص ٢٠ .

(٨٨) مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ١٨٩ — ١٩٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٠ .

(٨٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٩ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٠ .

(٩٠) مسكويه م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٢ .

عيسى بالسياط على باب العامة ، فوقفت السيدة على بطلان الامر ، فأزالت من نفس الخليفة المقتـــدر بالله تصديق ذلك وثنته عن رأيه في معاقبـــة الوزير (٩١) .

وفي موقف آخر بانَ ضعف الخليفة المقتدر بالله ، عندما تنازع سواس نازوك صاحب الشرطة ، وسواس هارون بن غريب الخال ، على غلام أمرد، فوقعت الحرب بينهم . فوقف المقتـــدر بالله موقف المتفرج ، ولم يتخذ موقفاً حازماً وشديداً ضد العناصر التي أدت الى قيام الفتنة ،وخلقت مضاعفات كان لها تأثيرها المباشر على قيام انقلاب عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (٩٢) ، والذي سنتناوله في فصل قادم .

وقد ظهر المقتدر بالله متخاذلاً عندما سمع بأنحدار مؤنس المظفر من الموصل قاصداً بغداد (٩٣) ، اذ أن الخليفة لم يكن ينوي ان يلاقي جيش مؤنس المتمرد والزاحف نحو العاصمة ، بل كانَ يرغب ان ينحدر الى واسط ومنها الى البصرة (٩٤) ، تاركاً عاصمة ملكه تحت رحمة الجيش الزاحف .

---

(٩١) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٩٢) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢١ — آ . (تحقيق نبيلة ، ص ٣٣٧) .

الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦١ . مسكويه ، م . ق ،ج١، ص ١٨٨ . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص‌ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(٩٣) عريب ، الصلة ص ١٧٥ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٣٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج١ ، ص ٢٢٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد٣، قسم ٤ ، ص ٨١٨ .

(٩٤) العيون ، م.ق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ورقة ١٢٩ — آ) تحقيق

غير ان الخليفة المتخاذل لم يستطع ان يقدم على خطوته تلك ، اذ انصاع لالحاح بعض رجاله ، ومنهم محمد ابن ياقوت والوزير الفضل بن جعفر بن الفرات ، ومفلح وابنا رائق ، محمد وابراهيم ، فتمكن هؤلاء من أن يثنوه عن الانحدار الى البصرة ، ثم لم يلبث اولئـك الرجال ان ضغطوا على الخليفة وأغروه بالخروج لملاقاة جيش مؤنس على كره منه [٩٥] .

وعندما أشتد ضغط والحاح محمد بن ياقوت طالباً من الخليفة ان لايسلم بغداد بغير حرب ، قائلاً : « اتق الله يا أمير المؤمنين في جماعـة غلمانك وخدمك ولا تسلم بغداد بغير حرب [٩٦] » ، وما زال محمد بن ياقوت يحاول ان يثني المقتدر عن رأيه ، ويشير عليه بأن يخرج بنفسه على رأس الجيش ، على أمل ان جيش مؤنس سوف يمتنع عن مقاتلة الخليفة ويحجم عن قتاله [٩٧] . ولما ازداد الحاح ابن ياقوت قال له المقتـدر : « أنت رسول ابليس » [٩٨] ، وفي اثناء مسير الخليفة المقتدر كان ابن

نبيلة ، ص ٣٥٤) .

مسكويه . م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ . ابن الاثير ، الكامل، جـ٦، ص ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٩٥) عريب . الصلة ، ص ١٧٦ ، مسكويه ، م . ق . ، جـ١، ص ٢٣٥ .

(٩٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .

(٩٧) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٢٣٥ . ابن الاثير ، الكامل، جـ٦، ص ٢٢١ .

(٩٨) مسكويه م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ . ابن الجوزي ، المنتظم، جـ ٦ ، ص ٢٤٣ .

رائق يستحثه على التعجيل بالسير ، فرد عليه الخليفة قائلاً : « الى أين اعجل ياوجه الشؤم (٩٩) » . وهكذا أضطر المقتدر بالله على الخروج ثم تقدم نحو ساحة المعركة ، تحت الحاح بعض رجال حاشيته ، حيث لاقى حتفه .

ومن هنا يبدو المقتدر بالله في سنه الأولى منقاداً لآراء جواريه والحاشية والسيدة والدته وقهرماناتها ، ومن يجري مجراهن من نساء القصر ، يتمكّن في كل أمر ، ويتدخلن في العزل والنصب — وكان في داره — كما يقال — أحد عشر الف خادم خصي من الروم والسودان (١٠٠) ، وزاد في أرزاق بني هاشم ، وأعاد الرسوم في تفريق الاضاحي على الفقراء والعمال والقضاة والجلساء ، وأسرف في الأموال فمحق من الذهب ثمانين الف الف دينار (١٠١) .

وثمة موقف آخر يفسر لنا شخصية المقتدر بالله وجشعه ، انه لقب وزيره الحسين بن القاسم (عميد الدولة) ، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم ، وذلك لأن الوزير كان قد صادر أملاك مؤنس واقطاعاته ، واملاك من سار معه نحو الموصل (١٠٢) . وفي الوقت الذي كان متفقاً مع

---

(٩٩) عريب ، الصلة ص ١٧٦ .

(١٠٠) الخطيب البغدادي م . ق ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(١٠١) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري فى الآداب السلطانية (بيروت : ١٩٦٦ ص ٢٦٠ ، كرد علي ، الادارة الاسلامية ، ص ١٨١ .

(١٠٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٨١٧ .

وزيره ابن الفرات على ضرورة اخراج مؤنس الى الرقة ، لم يجرؤ على مفاتحة القائد بذلك . وقد أمر بضرب وزيره ابن الفرات ضرباً مبرحاً بالسوط لأن الوزير أخبر مؤنساً بأن اخراجه تم بناء على رغبة الخليفة نفسه (١٠٣) .

ولعل الضعف الذي لمسناه في شخصية المقتدر بالله يرجع الى تكوينه النفسي ، وسهولة التأثير عليه من جانب الحريم والحاشية ، وانقسام الموظفين الاداريين على أنفسهم ، وعودة الجيش الى التدخل في السياسة ، وفعاليات القرامطة (١٠٤) ، فأتسع الخرق وطمع أهل الاطراف في الاستبداد والانفصال، لأن المقتدر بالله كان مهملاً لأمور الخلافة محكماً للنساء والخدم في دولته (١٠٥) .

وفي الوقت الذي رأينا شراهة المقتدر بالله ، ومدى حبه للمال ، نراه في مواقف أخرى ، يعزف عن المال في سبيل الصالح العام ، فبعد أن تحرج موقف الوزير علي بن عيسى ، وطلب الاستعفاء وألح في ذلك وافق الخليفة على اعفائه (١٠٦) وحينئذ كان محمد بن خلف النيرماني قد بذل في الوزارة ثلاثمائة الف دينار ، فلم تقبل منه ، لما عرف منه الجهل بالكتابة والتهور في الافعال (١٠٧) . ولعل موقف المقتدر بالله هذا يوضح لنا حالة الخليفة في

---

(١٠٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٦٨ .

(١٠٤) الدوري ، دراسات ، ص ١٩٣ .

(١٠٥) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٨١٩ .

(١٠٦) مسكويه ، م . ق،جـ ١ ، ص ١٨٤ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٢ .

(١٠٧) الهمداني ، التكملة جـ ١ ، ص ٥٧ .

النصف الثاني من عصره ، اذ نراه يسلك سياسة تكاد تختلف عن سياسته التي سار عليها في النصف الأول من بداية حكمه .

ومع كل ذلك كان الخليفة المقتدر ، ذا عاطفة دينية واضحة ، فقد أوقف كثيراً من المستغلات السلطانية على الحرمين ، وأحضر القضاة والعدول وأشهدهم على نفسه بذلك (١٠٨) . كما شاهدناه سخياً مبذراً ، يصرف كل سنة على الحج أكثر من ثلثمائة الف دينار (١٠٩) . وفي الوقت الذي يصفه أحد المؤرخين بأنه كان : « مسرفاً مبذراً ناقص الرأي محق الذخائر ... وأهلك نفسه بسوء تدبيره (١١٠) » ، نجد وزيره المصلح علي بن عيسى يقول عنه : « ما هو إلا أن يترك هذا الرجل النبيذ خمسة أيام متتابعة حتى يصح ذهنه فأخاطب منه رجلاً ما خاطبت افضل منه ، ولا أبصر بالرأي ، ولا أعرف بالامور ، وأسد في التدبير ، ولو قلت انه اذا ترك النبيذ هذه المدة في اصالة الرأي وصحة العقل كالمعتضد والمأمون ومن أشبههما من الخلفاء (١١١) » وفي موضع آخر يقول الخطيب البغدادي في ترجمته للمقتدر : أنه لم يكن جاهلاً وما كان إلا جيد العقل صحيح الرأي، ولكنه مؤثر للشهوات (١١٢) .

---

(١٠٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٣٠ .

(١٠٩) الديار بكري . م . ق ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠
BOWEN , op . cit , p . 128 .

(١١٠) الذهبي ، العبر ، ك ٢ ، ص ١٨٩ .

(١١١) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٧ ، ص ٢١٧ .
الذهبي ، العبر ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ .

(١١٢) تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ . أنظر كذلك ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٩ .

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في حكم المقتدر بالله

١ ــ تدخل الحريم في سياسة الدولة :

آ ــ تأثير النساء على الخلفاء .

ب ــ القهرمانة فاطمة .

جـ ــ القهرمانة أم موسى .

د ــ القهرمانة ثمل .

هـ ــ القهرمانة زيدان .

٢ ــ السيدة أم المقتدر بالله :

آ ــ اسمها وأصلها .

ب ــ أثرها في السياسة العامة .

جـ ــ تدخلها في القضاء .

د ــ اعمالها الخيرية .

٣ ــ دور الخدم والحاشية في السياسة العامة :

آ ــ دور الحاشية في تثبيت المقتدر .

ب ــ نصر الحاجب يشارك في توجيه سياسة الدولة.

جـ ــ دور الخدم في الصراع السياسي .

العوامل المؤثرة في حكم المقتدر بالله

١ ــ تدخل الحريم في سياسة الدولة :

آ ــ تأثير النساء على الخلفاء :

يتوقف سلطان الحريم على قــدر مبلغ سحرهن وتمكنهن من قلوب الخلفاء ، وواضح أن تحكمهن يكون على قدر ضعف ارادة الخليفة وطغيان أحاسيسه وعواطفه لهن . ولعل من المفيد ان نستعرض استعراضاً عاجلاً ، دور النساء الشهيرات اللاتي ظهرن على مسرح السياسة في العصر العباسي.

بدأ سلطان المرأة يقوي منذ تولي المهــدي مقاليد الخلافة وتزوج الخيزران [١] فقد كان لها سلطان على القصر ، والندماء ، والحجاب ، تقرب من تشاء ، وتبعد من تشاء ، وزاد نفوذها في خلافة الهادي [٢] ، وبلغ بها الأمر ان أستولت على زمام الامور [٣] . وبما ان الخيزران لعبت دوراً

(١) الطبري ، م . ق ، المجلد ١ ، جـ ٣ ، ص ٤٦٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٣ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ط ٢ ، ص ٣٣٧ (مطبعة السعادة) . أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ص ٧٤ و ٧٨ و ٧٩ . الزركلي ، الاعلام ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦ .

(٣) أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٧٩ . الزركلي ، الاعلام ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦ ، المنجد ، بين الخلفاء ، ص ٧ . مصطفى جواد ، سيدات البلاط العباسي ، ص ص ١٤ ــ ١٥ .

كبيراً في مجيء الراشد [٤] ، فلابد أن يستمر نفوذها في فترة حكمه .

وفي الحقبة الممتدة بين خلافة المأمون والمعتضد بالله نلاحظ تدخل القيان في أمور الدولة ، فكن يشفعن ، ويقربن ، ويولين ، ويبعدن ، فقد قامت (قبيحة) زوج المتوكل على الله (٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ ــ ٨٦١ م) وأم المعتز (٢٥٢ ــ ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ ــ ٨٦٨ م) بدور مهم في غزل الخليفة المستعين (٢٤٨ ــ ٢٥٢ هـ / ٨٦٢ ــ ٨٦٥ م) ، ليصفو الجو لأبنها المعتز [٥] . وأشتهرت قبيحة بالثراء ، حتى ذكر ابن الأثير أنهم وجدوا عندها مليوناً وثمانمائة الف دينار [٦] ، ومع ذلك عرضت ابنها لتجاوزات الاتراك الذين تأخرت رواتبهم المستحقة لهم [٧] وقدرها خمسون الف دينار فقط ، ولم يلبث ان ذهب ضحية هذا البخل [٨] .

وما كاد يقترب القرن الرابع الهجري ، حتى أصبح للنساء والقيان سلطان كبير . ويذهب آدم متز الى أنهن كن يطالبن بحقوقهن بجرأة

(٤) أنظر الطبري ، م . ق ، المجلد ١ ، ج٣ ، ص‌ص ٥٦٩ ــ ٥٧٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ص ٤٥٩ ــ ٤٦٠ .

(٥) أنظر الطبري ، المجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٦٤٧ . ابن دحية ، النبراس ، ص ٨٧ . جواد ، سيدات البلاط العباسي ، ص‌ص ٧٥ ــ ٧٦ .

(٦) الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ . أنظر كذلك ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٦٢٨ .

(٧) أنظر الطبري ، م . ق ، المجلد ٣ ، ج ١ ، ص‌ص ١٧٠٩–١٧١١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٦٢٧ .

(٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٣٤١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ص ٦٢٧ ــ ٦٢٨ .

ومقدرة فائقتين (٩) ، وربما كان لتوغل الثقافات الفارسية والرومية والتركية وغيرها ، في الثقافة العربية الأسلامية ، تاثير فعال أدى بدوره الى تغيير حاسم في عادات المجتمع وتقاليده ، وبخاصة المجتمع النسوي (١٠) .

وكان اتخاذ الخليفة نساء من غير مبالاة بأصلهن ، وان كان معظمهن من جواري الترك والروم ، سبباً في ايجاد كثير من الاضطراب في البلاط العباس ، وفي المناصب الأدارية العليا ، فكانت كل سيدة تحابي من يتصل بها ويلتف حولها من الأقارب والأولياء ، فترفعهم الى أعلى المناصب ما أستطاعت الى ذلك سبيلاً (١١) .

ولما أفضت الخلافة الى المقتدر بالله في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م وهو صغير السن (١٢) ، غرٌ لاخبرة له بشؤون الحكم ، عندئذ صار الأمراء والوزراء والحريم والكتاب هم الذين يديرون سياسة الدولة وليس للخليفة الصغير شأن في ذلك .

ومن هنا أنفسح للنساء مجال التدخل في شؤون الدولة ، بحيث وقع الخليفة تحت تأثيرهن حتى « غلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم » (١٣)

---

(٩) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ .

(١٠) مليحة رحمة الله ، « دور النساء السياسي فى العصر العباسي الثاني » مجلة كلية الآداب ، العدد ١٤ ، جـ ٢ ، ص ٧٥٧ .

(١١) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ .

(١٢) كان عمره حين تولى الخلافة ثلاث عشرة سنة وشهراً واحداً وعشرون يوماً . (الطبري المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٠) .

(١٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٨ . أنظر كذلك ابن دحية، النبراس ، ص ١٠٩ .

وصرن يسيرن الأمور وفق أهوائهن . ولعل من بين الأسباب التي أدت الى حركة ابن المعتز عام ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م هو ظهور سلطة نساء القصر وتدخلهن في سياسة الدولة فأصبح لهن الامر والنهي حتى قال صاحب الفخري : « واعلم أن دولة المقتدر كانت ذات تخليط كثير ، لصغر سنه ولأستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولة تدور أمورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذته فخرجت الدنيا في أيامه وخلت بيوت الأموال واختلفت الكلمة » . (١٤)

وما أن أخفقت حركة عبد الله بن المعتز حتى عاد الأمر الى ما كان عليه من تحكم النساء والرجوع الى أقوالهن ، ووقوف الخليفة عند آرائهن ، فكن قد شاركن وأشرفن على محاكمة بعض رجال الحركة الفاشلة ، ففي الوقت الذي كان يحاكم الحسين بن عبد الله بن الجصاص ، ويمن (١٥) ، أمام الوزير ابن الفرات ومؤنس الخادم وغريب الخال وغيرهم ، جلس المقتدر وراء ستار ومعه جاريته ظلوم ، وأمه شغب ، والقهرمانة (١٦) ام موسى ، يشرفن على سير المحاكمة التي انتهت بقتل يمن الحاجب ، واطلاق سراح

---

(١٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٢ .

(١٥) كان يمن قد عين حاجبا لعبد الله بن المعتز عندما أصبح الآخر خليفة (مسكويه ، م . ق ، ط ١ ، ص ٦) .

(١٦) القهرمانة : أصلها الوكيل عن الشخص ، أو الامين على الدخل والخرج ، وفعله قهرمة . وهو دخيل في العربية ، وليس منها . (ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ ١ ، ص ٢٧١) .

ويقول ابن الاثير : القهرمانة : تعني وكيل أو أمين الدخل والخرج ، (الكامل جـ ٦ ، ص ١٦٣) .

ابن الجصاص على ان يغرم ستة الآف الف دينار ويلزم داره (١٧) . ويعزو القلقشندي نكبة الحسين بن عبد الله الجصاص الجوهري ، الى مكائدالنساء وتخريصاتهن ، لكنه يختلف مع ابن كثير في تقدير الأموال التي يقول أنها بلغت أربعة الآف الف دينار (١٨) .

ولما هدأت فتنة ابن المعتز وشعر المقتدر بأنه تخلص من أقوى منافس له في الخلافة ، « عكف .... على لذاته واحتشم الرجال واطرح الجلساء والمغنين وعاشر النساء ، فغلب على الدولة الحرم والخدم (١٩) » وذلك لأن الخليفة المقتدر بالله كان شديد الولع بالنساء لحد الأفراط ، حتى انه كان يقضي أغلب وقته بينهن باللهو واللعب والمجون ، «ويدعو بالأموال ويفرقها على الجواري والنساء فيلعب بها ويمحقها ويهبها (٢٠) » ، ونتيجة لإندفاعه الغريب في هذا الاتجاه فقد طغى عليه تأثير النساء ، فوزع عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها ، حتى انه « أعطي بعض حضاياه الدرة اليتيمة ووزنها ثلاثة مثاقيل (٢١) » ، وهذا ما يوضح لنا ان الخليفة أصبح يتصرف بمقتضى إشاراتهن ويرجع الى أقوالهن وآرائهن ، الأمر الذي أدى إلى انشغال الخليفة

---

(١٧) أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٧ . أحمد كمال زكي ، أبن المعتز العباسي ، ص ٢٣١ .

(١٨) مآثر الانافة في معالم الخلافة ، الكويت ، جـ ١ ، ص ٢٧٧) . الهمداني ، التكملة جـ ١ ، ص ٩ .

(١٩) العيون ، ورقة ٦٤ ـ أ ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦٤ـأ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢١٥) .

(٢٠) العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٣٥٤ .

(٢١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٤ .

بأموره الخاصة ، فضعفت هيمنة الدولة على الاطراف ، مما شجع على ظهور الحركات الأنفصالية كما سنرى [٢٢] •

ب ــ القهرمانة فاطمة :

تميز عصر المقتدر بسلطة القهرمانات ، فقد كان لهن شأن كبير وحظوة مرموقة في دار الخلافة ، ودور ملحوظ في تصريف شؤون الدولة ، وكن يتدخلن في كبريات المسائل ، يعزلن الوزراء ، ويولين الولاة ، ويجلسن للمظالم [٢٣] ، ويتولين شؤون دار الخلافة والنفقة عليها بالأتفاق مع الوزير أو من ينوب عنه [٢٤] ، ونظراً لهذه المنزلة الرفيعة أمتد نفوذ اولئك النسوة الى مختلف أعمال الدولة ومؤسساتها •

وتبدو منزلة القهرمانة في المجتمع في أن (فاطمة) قهرمانة السيدة أم المقتدر كانت قد زوجت احدى بناتها من بني بن نفيس احد قادة الجيش [٢٥] ، ولما غرقت هذه القهرمانة في طيارها تحت الجسر سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م في يوم ريح عاصف ، حضر جنازتها خلق كبير من القواد والقضاة وكبار موظفي الدولة [٢٦] • ولعل هذه الرواية توحي لنا أن هذه القهرمانة غدت

---

(٢٢) أبو الفداء . المختصر في أخبار الدول ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

(٢٣) رحمة الله ، « دور النساء السياسي في العصر العباسي الثاني » ، مجلة كلية الآداب ، العدد ١٤ ، ج ٢ ، ص ٧٥٧ . ابن دحية ، النبراس ص ١٠٩ .

(٢٤) زيدان ، تاريخ التمدن ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٢٥) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٢٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ص ٢٠ . الهمداني ، التكملة ، ج ١ ص ٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١١٢ . ابن كثير، البداية

تتمتع بمنزلة اجتماعية عالية ، بحيث صاهرت وجوها بارزة من المجتمع .

ج ـ القهرمانة أم موسى :

عينت أم موسى الهاشمية [٢٧] قهرمانة ، بعد وفاة فاطمة ، فكانت تنقل رسائل الخليفة وأمه الى الوزير ابن الفرات [٢٨] ، ثم صارت تتجاوز ذلك، حيث أخذت تشترك في « تدبير الأمور مع الوزراء والقواد وتركب في المواكب الى الدار [٢٩] » . ويقول ابن الأثير أن : « أم موسى لم تكن مثل بقية القهرمانات حشمة وعظمة ، فكانت اذا سارت تسير في موكب والفرسان والرجالة بين يديها [٣٠] » وهذا بلاريب ، يبين علو منزلتها وسعة نفوذها وقوة تأثيرها على السيدة ورجالات الدولة ، وعلى رأسهم الخليفة المقتدر بالله والوزراء ، فأصبحت لها اليد الطولى في ادارة شؤون الدولة حيث « كانت قهرمانة متحكمة في كل شيء من عزل ونصب ورد وقبول [٣١] »،

والنهاية ، ج ١١ ، ص ١١٨ .

العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ورقة ٧١ ـ آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٣١) .

(٢٧) أم موسى : هي بنت العباس بن محمد بن سليمان بن محمد بن ابراهيم الامام .

(ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢) .

(٢٨) العيون ، ورقة ٧١ ـ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٣١) . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٠ .

ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٨ .

(٢٩) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢ .

(٣٠) الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٦ .

(٣١) محمد ذهبي ، مشاهير النساء ، ج ١ ص ٩٨ .

وكثيراً ما كانت الأمور تسير حسب أهوائها وأرادتها (٣٢) .

وهكذا صارت أم موسى كثيرة التدخل في سياسة الدولة ، وغالباً ما كانت تتعرض للوزراء وتأمرهم بتنفيذ مطاليبها ، فاذا ما اختلفت معهم فقد يقضي ذلك الى عزلهم وحبسهم ، ومصادرة املاكهم ، وهذا ما حدث فعلاً للوزير ابن الفرات عندما نشبت بينها وبينه جفوة شديدة ، كانت من بين الأسباب التي أدت الى اقصاء الوزير عن منصبه (٣٣) ، وذلك لأن أم موسى قد سعت بالوزارة الى عبيد الله ابن يحيى الخاقاني (٣٤) .

وقد أشرفت القهرمانة بنفسها على تعذيب الوزير المخلوع ، فأمرت بتقييده وعرك اذنيه ، وعدم التهاون معه ، ولما اشتدت وطأة تعذيب ابن الفرات أستنجد بأم موسى متوسلاً : « اقتليني يا أم موسى اقتليني هذا جزائي منك وحق خدمتي لكم (٣٥) » .

ولما رأى ابو الحسن احمد بن يحيى بن أبي البغل سعة نفوذ القهرمانة أم موسى ، تقرب اليها ، وتودد لها ، وبذل لها مالاً جليلا ، على أن تعمل على تقليد أخيه أبي الحسين الوزارة ، وبالفعل كوتب أبو الحسين الذي كان مبعداً في أصبهان منذ وزارة ابن الفرات ، فأسرع الحضور الى

(٣٢) MARGOLIOTE , D.S. THE ECLIPSE OF THE ABBASID CALIPHATE , LONDON , P . IO .

(٣٣) أبو الفداء ، المختصر فى اخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٣٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩٤ .

(٣٥) العيون ، ورقة ٧٨ ـ ب . (تحقيق ، نبيلة ص ٢٤٧) . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

العاصمة ، وفي اثناء الطريق فاتحة قوم بالوزارة (٣٦) ، عندئذ أرجف الناس، وشعر الخاقاني بتزعزع مركزه (٣٧) وقابل الخليفة الذي أذن له بأبعاد ولدي أبي البغل ، لكن الوزير لم يجرأ على مثل هذه الخطوة خوفاً من غضب أم موسى ، واشفق ان تفسد عليه أمره ، فأرضاها بأن قلد أبا الحسين بن ابي البغل منهما اعمال الخراج والضياع بأصبهان ، وقلد ابا الحسن بن أبي البغل أخاه اعمال الصلح والمبارك (٣٨) .

واتفق أن ذهبت أم موسى القهرمانة في آخر شهر ذي القعدة سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م الى الوزير علي بن عيسى لتتفق معه على مقدار مايخصص لحرم الدار والحاشية من المال لسد نفقات الكسوة بمناسبة عيد الاضحى (٣٩) ، لكن القهرمانة لم تستطع مقابلة الوزير اذ أخبرت بأنه نائم ، فأغتاظت غيظاً شديداً ، ولما علم علي بن عيسى بذلك ، حاول أن يرضيها بأية وسيلة ولكن بدون جدوى (٤٠) فحرضت السيدة والمقتدر على الوزير ، وتخرصت عليه الاحاديث ، فأمر الخليفة بالقبض على وزيره المصلح في الثامن من ذي الحجة

(٣٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢١ .

(٣٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩٤ .

(٣٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩٥ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٢ . الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ١١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٩ .

(٣٩) BOWEN , op . cit , p . 152 .

(٤٠) الذهبي ، تاريخ الاسلام جـ ٧ ، ورقة ٨ ــ آ . ذهبي ، مشاهير النساء ، جـ ١ ص ٩٨ .

سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م [٤١] ، وبذلك تمكنت أم موسى من أن تثأر لأخيها أحمد بن العباس ، الذي كان الوزير قد حاسبه لأنه حاول ان يستغل منصب أخته فبلغ وارده في كل شهر سبعة الآف دينار [٤٢] ، وكاد أحمد بن العباس ان يتعرض للقتل من جراء جنايته تلك ، لولا أن اخته أم موسى أنقذته .

وفي سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م لمس الوزير حامد بن العباس أن أبا الحسن بن أبي البغل ، قد أساء استغلال منصبه ، فحاول أن يحاكمه على اساءته تلك ، ولما عرفت أم موسى خبره تمكنت من أن تفرج عن ابن أبي البغل بالرغم من إصرار الوزير على مطالبته [٤٣] .

ولم تقتصر تجاوزات القهرمانة أم موسى السياسة على الوزراء فقط ، بل تعدت الى التدخل في تعيين أمير للحج ، وكانت العادة جارية ان لايحج بالناس رجل الا من طبقة الاشراف ، أما نقيب الطالبيين أو العباسيين ، فأستطاعت ان تسمى بهذه الوظيفة الى أخيها أحمد بن عباس ليتسنى له أن يحج بالناس ، وقد تم ما أرادت [٤٤] ، ويذكر المنجد على ان أم موسى

---

(٤١) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٠ . العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٨٦ ب (تحقيق، نبيلة ، ص ص ٢٦٤ — ٢٦٤) .

ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٣٨ . الذهبي ، تاريخ الاسلام، جـ ٧ ، ورقة ٨ — آ . ابن خلدون . العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤، ص ٧٧٣ .

(٤٢) عريب ، الصلة ، ص ٥٨ .

(٤٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٨٢ .

(٤٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥٣ . متز ، م.ق ، جـ ٦ ، ص ٢٧٢ .

كانت تزيد في أرزاق الخدم وتنقصها (٤٥) .

وبالرغم من سعة نفوذ القهرمانة أم موسى وتغلغلها في مختلف مؤسسات الدولة فانها لم تفلت من طائلة العقاب ، فقد تعرضت للسجن والتعذيب ، اذ قبض عليها في سنة ٣١٠ هـ/٩٢٢ م (٤٦) ، وعلى كل أتباعها ، فصودرت على الف الف دينار (٤٧) . وقيل ان السبب في ذلك أنها زوجت ابنة أخيها ابي بكر احمد بن العباس من محمد بن اسحق بن المتوكل على الله وأسرفت بالمال في جهاز صهرها (٤٨) فجلبت هذه الزيجة انتباه اعداء القهرمانة ، حيث بدأ الهمس يدور بأن أم موسى تعتصهرها للخلافة فوشى بها أعداؤها وثبتوا في نفس المقتدر والسيدة والدته أنها ما فعلت ذلك إلا لتنصيب محمد بن اسحق في الخلافة ، وبذلك نكبت (٤٩) فكاشفتها السيدة أم المقتدر وقالت : « قد دبرت على ولدي وصاهرت ابن المتوكل حتى تقعديه في الخلافة (٥٠) »، وقيل بل أن « المقتدر اعتل فبعثت الى بعض أهله ليقرر عليه ولاية الأمر

(٤٥) بين الخلفاء والخلعاء ص ١١ .

(٤٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٤٧) ن . م ، ص ٨٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٤٥ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ .

(٤٨) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٢٣ — آ . أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ .

(٤٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٦ .

BOWEN , op . cit , p . 198

(٥٠) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ .

فأنكشف ذلك (٥١) » ويضيف ابن خلدون سبباً آخر ادى الى القبض على القهرمانة ام موسى هو أنها كانت تمتلك أموالاً كثيرة وأنها استخلصت القواد وجعلتهم يلتفون حولها (٥٢) .

د ـ القهرمانة ثمل :

سملت أم موسى وأخوها أحمد بن العباس واختها أم محمد ، الى ثمل القهرمانة ، وكانت ثمل مشهورة بقساوة القلب ، وشراسة الاخلاق ، فسلطت عليهم سوء العذاب ، وقست عليهم أشدّ القسوة ، واستخرجت منهم الاموال والجواهر الكثيرة (٥٣) . وقد استحدث علي بن عيسى ديواناً جديداً لأدارة الاموال المقبوضة من أم موسى سماه « ديوان المقبوضات عن أم موسى (٥٤) » وأسبابها .

ومن الغريب ان نلاحظ بادرة جديدة تكاد أن تكون الأولى من نوعها في هذا المجال ، هي أن جارية تتبوأ منصباً قضائياً رفيعاً . ذلك أن السيدة أم المقتدر ، أمرت القهرمانة ثمل أن تجلس للمظالم (٥٥) وتنظر في دعاوي

(٥١) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٦٦ .

(٥٢) العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٨١٤ .

(٥٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٢٣ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٠٤ .

POWEN , op . cit , p . 198 .

(٥٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٨٤ .

(٥٥) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ١٨ .

القلقشندي ، مآثر الاناقة ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٩ .

الناس كل جمعة ، فكانت « تجلس وتحضر القضاة والاعيان وتبرز التواقيع وعليها خطها (٥٦) » ، ويذكر ابن الاثير أن السيدة اوعزت للقهرمانة ثمل بأن تجلس بالتربة التي بنتها في الرصافة (٥٧) ، « للمظالم وتنظر في كتب الناس في كل جمعة ، فأنكر الناس ذلك واستبشعوه وكثر عيبهم له والطعن فيه ، وجلست أول يوم فلم يكن لها فيه طائل ، ثم جلست في اليوم الثاني وأحضرت القاضي أبا الحسن (٥٨) فحسّن أمرها واصلح عليها وخرجت التوقيعات على سداد وعليها ضبطها فأنتفع بذلك المظلومون وسكن الناس (٥٩) » .

وهكذا تقلدت إحدى حريم دار الخلافة هذا المنصب القضائي الحساس ، بعد أن كان يشغله الخليفة أو الوزير او قاضي القضاة ، وان أحكامها ، وان كان قد أصابها في البداية شيء من الارتباك ، فأنكر الناس ذلك واستشبعوه وعابوه ، الا أنهم ما فتئوا أن استبشروا بأحكام تلك القهرمانة ،

(٥٦) أبن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، جـ ١٢ ، ورقة ١٣٠ ــ ب ، أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٤٨٦ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨١ . الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٥ .

(٥٧) قرب مدفن الامام أبي حنيفة . (جواد ، سيدات البلاط العباسي ، ص ٨٩) .

(٥٨) أبو الحسن بن الاشناني . (أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٤٦) . أبو الحسين عمر بن الحسين بن علي الشيباني المعروف بأبن الاشناني . (أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٤٥) .

(٥٩) الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٣ . عريب ، الصلة ، ص ٧١ . أبن كثير ، البداية والنهاية جـ ١١ ، ص ١٢٩ .

وانتفع المظلومون برفع الظلم عنهم وذلك بعد أن استعانت ثمل بالقاضي أبي الحسن بن الاشناني • ويرى المسعودي أن جلوس ثمل للمظالم ما هو الا مظهر من مظاهر تدهور الخلافة العباسية في عصر المقتـــدر عامة فيقول : « وغلبت النساء على الملك والتدبير حتى أن جارية لأمه تعرف بثمل القهرمانة كانت تجلس للنظر في المظالم الخاصة والعامة (٦٠) » •

ومما يزيد في أهمية مركز القهرمانة ثمل أن محكمة المظالم هذه لم تكن تنظر في قضايا الأفراد فحسب ، بل تعدي اختصاصها الى الفصل في شكاوي الشعب عامة ضد كبار المواظفين ، ولما كان النظر في المظالم غيرمقيد بتوقيعات الفقهاء ، فقد كان صاحب المظالم اكثر حرية من القاضي في اصدار احكامه •

وهكذا نرى ظهور بادرة جديدة في عصر المقتدر ، هي أن المرأة تولت أعلى منصب قضائي وهذا لم يكن منسجماً مع التقاليد والاعراف السائدة آنذاك ، ذلك أن الفقهاء لايجوزون تقليد القضاء الا من تكاملت فيه شروطه التي يصح معها تقليده ، وينفذ بها حكمه ، ومنها أن يكون رجــلاً ، « فلنقص النساء عن رتب الولايات وان تعلق بقولهن احكام (٦١) » وقال أبو حنيفة : « يجوز أن تقضي المرأة فيما يصح فيه شهادتها ولا يجوز ان تقضي فيما لاتصح فيه شهادتها (٦٢) » بينما يقول مالك وأحمد بن حنبل

---

(٦٠) التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٨ . أنظر كحالة ، عمر رضا ، أعلام النساء ، ج ٥ ، (دمشق : ١٩٥٩) ، ص ٦٧ .

(٦١) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية ، الطبقة الدينية ، ص ٦١ .

(٦٢) ن . م ، ص ٦١ .

والشافعي : « لايصح أن تكون المرأة قاضياً (٦٣) » وقد شذ عن هؤلاء محمد بن جرير الطبري فجوز قضاءها في جميع الأحكام ولا اعتبار بقول يرده الاجماع (٦٤) مع قول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض (٦٥) » ، ولعل التفضيل هنا يعني العقل والرأي فلم يجز أن يقمن على الرجال .

ويلاحظ أن هذا الأجراء كان يكتنفه الغموض والابهام ، فلم تفصح المصادر عن موقف العلماء والفقهاء ، وحتى القضاة ، من تقليد امرأة أعلى منصب قضائي ، على الرغم من أن أولى شروط القضاء ان يكون القاضي رجلاً ، وأكد الفقهاء سابقاً على أن لا يجوز لحاكم أن يحكم بين الناس حتى يكون عالماً بالحديث والفقه معاً مع عقل وورع (٦٦) ، ولم يثبت ان ثمل كانت تتمتع بهذه المؤهلات . ويرى بعض الفقهاء بأنه لايتم القضاء الا بالشروط التاليـة : « الاسلام والعقـل والذكـورة والحريـة والبلوغ والعدالة (٦٧) » . وكانت ثمل القهرمانة قد توفيت في آخر سنة ٣١٧ هـ /

---

(٦٣) اسماعيـل حقي فرج ، القضاء في الاسلام ، مطبعـة الاتحاد ، الموصل ، ص ٤٤ .

(٦٤) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٦١ . فرج ، م . ق ، ص ٤٤ .

(٦٥) (سورة : النساء آية ٣٤) . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٦١ .

(٦٦) محمود بن محمد بن عرنوس ، تاريخ القضاء ، المطبعة المصريـة الاهلية ، ص ٧٥ .

(٦٧) ن . م ، ص ٧٦ .

٩٢٩ م وخلفت أموالاً كبيرة (٦٨) .

هـ ـ القهرمانة زيدان :

وثمة أمرأة اخرى كان لها دور بارز أبان عهدالمقتدر بالله ، هي القهرمانة زيدان ، التي نالت ثقة الخليفة بحيث جعل بيتها سجناً لكل من يغضب عليه ويقصيه عن منصب الوزارة ، وعندما عزل الوزير ابن الفرات من وزارته الأولى عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م (٦٩) ، اعتقل عند زيدان القهرمانة ولما أطلق منه سجه ، وتقلد وزارته الثانية « اقطع زيدان ضياعاً بنواحي كسكر (٧٠) ومستغلات البصرة لها ارتفاع وافر (٧١) » ، وقد اصبحت علاقة ابن‌الفرات بهذه القهرمانة جيدة طيلة حياته وكثير ما كانت تؤازره ، وتعزز مركزه ضد مناوئيه الكثيرين .

ولما قبض على الوزير علي بن عيسى سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م سجن في دار زيدان القهرمانة أيضاً (٧٢) ، وتمكنت بمساعدة السيدة من أن تحول بين

---

(٦٨) أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٧ . الذهبي ، ألعبر ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ .

(٦٩) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٠) .

(٧٠) كسكر : كورة واسعة وقبصبتها واسط . وفيها الفروج ألرخيص الثمن . وحد كسكر الشرقي آخر سقي النهروان الى أن تصب دجلة في البحر . (أنظر ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٦١ .

(٧١) العيون ، ورقة ٨٨ ـ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٦٦) . الصابي ، الوزراء ص ٣٧ .

(٧٢) العيون ، ورقة ٨٦ ـ ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٦٤) . أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٣٨ . أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ

الخليفة وبين تسليم الوزير المعزول الى ابن الفرات ، خوفاً على حياته من بطش المحسّن بن الفرات (٧٣) ، كما سلم اليها الأمير الحسين بن حمدان عندما أمر الخليفة بأعتقاله (٧٤) ، وقد لفظ هذا القائد انفاسه الاخيرة في سجن زيدان .

وفي الوقت الذي بدأ المقتدر يفرق الأموال على الجواري والنساءوبقية أفراد الحاشية ، نالت القهرمانة زيدان نصيبها الوافي من كرم الخليفة ، بحيث تمكنت من جواهر الخلافة فأستولت على سبحة نادرة كان يضرب بها المثل في الندرة والنفاسة ، فيقال « سبحة زيدان » التي قدرت قيمتها بثلثمائة الف الف دينار (٧٥) . ويذكر العصامي أن الخليفة المقتدر هو الذي «اعطى القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها (٧٦) » .

وهناك مصادر أخرى تقول بأن هذه السبحة ، سرقت منخزانة الجوهر وعرضت للبيع في مصر حيث أشتراها علي بنعيسى عندما كان هناك وعرضها على المقتدر الذي دهش لتسرب تلك السبحة خارج دار الخلافة ، واتهمت

---

١١ ، ص ١٢٦ ، الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٠ . أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٤ .

(٧٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٢١ .

(٧٤) متز ، م . ق . ، ج ١ ، ص ٢٤٣ . المنجد ، بين الخلفاء والخلعاء ، ص ١٥ .

(٧٥) البيروني ، الجماهر فى معرفة الجواهر ، صص ٥٧ — ٥٨ . أبن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٧١ .

(٧٦) سمط النجوم العوالي ، ج ٣ ص ٣٥٤ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٤ . القرماني ، أخبار الدول ، ص ص ٨٨ — ٨٩ .

القهرمانة زيدان بالتفريط بها ، لأنها هي وحدها كانت المسؤولة عن خزانة الجوهر [٧٧] . وقد يفسر عمل الوزير علي بن عيسى هذا ما هو الا نكاية بالقهرمانة وتشنيعاً لها ، ذلك لأنها كانت أثيرة عند غريمه ابن الفرات .

وكان لزيدان طبيب خاص هو عيسى الطبيب البغدادي ، المعروف بسوسة ، وكان هذا الطبيب على صلة وثيقة بالوزير ابن الفرات ، ويحمل الرسائل بين الوزراء والقهرمانة زيدان [٧٨] . ولعل هذا النص يظهر لنا منزلة احدى قهرمانات قصر الخلافة بحيث صار يخدمها طبيب معروف ، ويؤدي الرسائل بينها وبين الوزراء ، لتعرضها هي بدورها على الخليفةالمقتدر الذي كان يتصرف « على مقتضى اشارة النساء ويرجع الى أقوالهن وآرائهن فخرجت الممالك وطمع العمال في الاطراف [٧٩] » .

وكان القاضي الحسين بن اسماعيل المحاملي ممن حضر اختبار أبي العباس محمد بن المقتدر بالله واثنى على تعليمه ، وطلب من القهرمانة زيدان أن يكافأ الشيخ الصولي مؤدب الأمير الا أن القهرمانة ردته قائلة : « أن هذه المحاسن من هذا الرجل عند السيدة ومن يخدمها مساويء فقل له عني يا هذا ما نريد أن يكون أولادنا ادباء ولا علماء ، وهذا أبوهم قد رأينا كل ما نحب فيه وليس معالم ، فأعمل على ذلك [٨٠] » .

وهنالك نساء أخريات كان لهن سلطان وتأثير واضحان في توجيه سياسة

(٧٧) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٩٥ . البيروني ، الجماهير فى معرفة الجواهر ، ص ٥٨ .

(٧٨) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٤٩ .

(٧٩) أبو الفداء ، المختصر فى اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

(٨٠) الصولي ، أخبار الراضي ، ص ٢٦ .

الدولة ، منهن أم ولد المعتضد « دستنبويه » التي أسهمت في السعي للخاقاني حتى تمكنت من تقليده الوزارة ، وكان الخاقاني هذا قد ضمن لها مائة الف دينار (٨١) ، وتوصف هذه السيدة بأنها : « لم يكن في دار الخلافة اجمل منها ولا أكرم ولا أنصف معاملة ، تعطي التجار الأرباح الواسعة وكان لها عند المقتدر محل عظيم (٨٢) » ، ويتضح من هذا النص ، أن نشاط المرأة ، في ذلك العصر ، لم يقتصر على ميدان السياسة والتدخل في شؤون الدولة حسب ، وإنما تعدى ذلك الى ولوج الميدان التجاري ، وعقد الصفقات التجارية الرابحة وأسهم بعضهن في احتكار قوت الشعب كما سنرى في الصفحات القادمة (٨٣) .

ويعزو بعض الباحثين السبب في تدخل النساء في أمور الدولة ، الى ضعف الخليفة المقتدر (٨٤) وصغر سنه ، وانشغاله بالنساء وملذات الحياة . وهكذا انتقلت السلطة الحقيقية في عصره من الرجال الى النساء ، وأدى تدخلهن في الامور الى انخراق الهيبة ، وضياع الامور ، وانتشار الفوضى ، وهي نتائج طبيعية ومحتومة لمن يتولى أمره امرأة ويدعها تفعل ما تشاء (٨٥) ، حتى قال الشاعر :

خليفـــة مقتسم   بين وصيف وبغـا

---

(٨١) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٩ .

(٨٢) العيون ، ورقة ٨٠ ـ آ ـ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٤٩) .

(٨٣) سنوضح هذا الاحتكار عندما نتكلم عن السيدة أم المقتدر .

(٨٤) المنجد ، بين الخلفاء والخلعاء ، ص ١٢ .

(٨٥) نفس المصدر ، ص ١٥ .

يقولى ما قالا لــه كماتقول البيغاء[٨٦]

والظاهر أن قادة الجيش ورجال الادارة شعروا بطغيان إرادة ألنساء والحريم ، ولمسوا تأثيرهن في توجيه سياسة الدولة وانهم كثيراً ما كانوا ينبهون الخليفة ، ويلفتون نظره الى خطورة تلك التدخلات ، حتى أن أبا الهيجاء عبد الله حمدان كان يبكي أبان خلع المقتدر عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ويذكره بنصائحه ويقول : « كنت أخش عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل وآثرت قول الخدم والنساء على قولي [٨٧] » .

ويبدو أن انقلاب سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م جاء رد فعل من جانب العناصر العسكرية في محاولة لأستعادة سلطانها المضاع ، ونفوذها المفقود والذي غلب عليه تأثير الحريم ، وإن هؤلاء لم يستسيغوا تبوأ المرأة المراكز الأولى في قيادة الدولة . وبذلك يورد البيروني بيتاً من الشعر يصور لنا وجهة نظر اولئك القادة وموقفهم من تحكم النساء فيقول :

فلا كانت الدنيا اذا ساسها النسا وان سسن يوماً فالسلام على الدنيا[٨٨]

٢ ــ السيدة أم المقتدر بالله :

آ ــ اسمها وأصلها :

ان سيرة السيدة حافلة بالحوادث والأعمال ، حتى أن ما كتب عنها يكاد يوازي ما قيل في حق بعض الخلفاء وربما يزيد . كانت السيدة شغب أم

(٨٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤١ .

(٨٧) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٧ . انظر كذلك ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .

(٨٨) الجماهير فى معرفة الجواهر ، ص ٥٨ .

المقتدر ، في أول أمرها جارية لأم القاسم بنت محمد بن عبد الله ، ثم تملكها الخليفة المعتضد بالله ، وكان يقال لها « ناعم » ، وفي ٢٢ رمضان سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ولدت ناعم للخليفة المعتضد ابناً سماه « جعفرا » وعندئذ غير المعتضد اسمها وسماها «شغب» (٨٩) . وكانت ولادتها ولداً ذكراً شغباً وتحريشاً بالاضافة الى نساء الخليفة المعتضد (٩٠) . وربما جاءت التسمية الجديدة من هذا التأويل .

ويذكر ابن الأثير أن اسم أم المقتدر « ظلوم » (٩١) ، ولعله وقع في التباس بسيط ، ولم يستطع أن يفرق بين أم المقتدر وجاريته ، ذلك ان المقتدر كانت له جارية اسمها ظلوم ، استأثرت به في بداية حكمه (٩٢) ، وقد ولدت له ابناً ذكراً سماه محمداً (أبو العباس محمد بن المقتدر) (٩٣) . وتكاد المصادر تجمع على رواية الطبري ، على أن أم المقتدر كان اسمها « شغب » وليس « ظلوم » وفي هذا يكون ابن الأثير قد انفرد بروايته

(٨٩) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢١٤٨ . عريب ، الصلة ، ص ٢٢ .

(٩٠) جواد ، م . ن ، ص ٨٨ .

(٩١) الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٩٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٧ . أحمد كمال زكي ، م . ق ، ص ٢٣١ .

(٩٣) الصولي ، أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، ص ١ . كان أبو العباس محمد بن المقتدر قد تولى الخلافة بعد القبض على القاهر ، ولقب بالراضي بالله : «أنظر مسكويه ، م . ق ، ج ١ ص ص ٢٨٩ — ٢٩٠» وقد ورد في كتاب (العيون ، ورقة ٦٨ — آ) أن أسم الراضي أحمد وليس محمد . (أنظر تحقيق نبيلة ، ص ٢٢٦) .

تلك ومن هنا أيضاً يظهر ضعف تلك الرواية بالرغم من أن السيوطي يقول بأن : « اسمها غريب وقيل شغب [٩٤] » .

وسواء أكانت ام المقتدر « شغب » أم « ظلوم » فهي في أصلها جارية [٩٥] ، بيعت أكثر من مرة حتى أستقر بها المطاف الى الخليفةالمعتضد، لكن العمري يشير الى أن شغب كانت زوجة الخليفة المعتضد فيقول : « تزوجها فولدت له المقتدر بالله جعفراً [٩٦] » ، ويؤيده فيما ذهب اليه صاحب الأعلام فيضيف « أن شغب ام جعفر المقتدر بالله العباسي مدبرة حازمة كانت من جواري المعتضد بالله أبي جعفر وأعتقها وتزوجها [٩٧] » ، ومع ذلك يبدو أن هــذه الرواية ، هي الأخرى ضعيفة لعدم ورودها في المراجع المعتمدة .

والسيدة رومية الأصل [٩٨] ، كانت جميلة الأطراف ، حسنة الأوصاف احبها المعتضد وشغف بها ومات عنها في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م [٩٩] ، ولما ولي الخلافة المكتفي اقامت مع ابنها جعفر في دار ابن طاهر بالجانب

---

(٩٤) الخلفاء ، ص ٣٧٨ .

(٩٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٩ . المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢ . ذهبي ، مشاهير النساء ، جـ ١ ، ص ENCYCLOPAEDIE OF ISLAM , VOL III . p . q19 .

(٩٦) مهذب الروضة الفيحاء فى تواريخ النساء ، ص ٢٢٦ .

(٩٧) الزركلي ، الاعلام ، جـ ٣ ، ص ٢٤٥ .

(٩٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٢٦ .

(٩٩) العمري ، م . ق ، ص ٢٢٦ .

الغربي من بغداد . وهناك رواية تقول أن شغب أمة سوداء [١] ، أي أنها لم تكن رومية ، غير أن القرائن الأخرى تدل على أنها كانت رومية ، ذلك ان متز ينقل لنا عن عريب انه كان للمقتدر خال رومي يسمى غريب الخال وكان له نفوذ كبير ويخاطب بالأمرة [٢] » . وفي محل آخر يذكر نفس المؤلف ان الجماعة المتآمرة اخطأت التقدير « فأن أم المقتدر ، وهي أم ولد [٣] رومية قبضت على زمام الأمر وأولياؤها بيد من القوة والحزم[٤]» .

وقد وصفها الشهود الذين أحضرهم الخليفة القاهر (٣٢٠ — ٣٢٢ هـ/ ٩٣٢ — ٩٣٣ م) ليسمعوا توكيلها الذي يعطيه حق بيع أوقافها فقالوا : « كانت عجوزاً دقيقة الجسم سمراء اللون الى البيضاء والصفرة [٥] » ، عليها أثر ضرر [٦] ويقول السيوطي : « وأمه رومية وقيل تركية [٧] » . وعلى هذا يمكن ان نميل الى الرأي الذي يقول بأن ام المقتدر رومية ، وإن الذين خالفوا هذا الرأي لايمكن الاعتماد عليهم لضعف رواياتهم .

---

(١) القيرواني الحصري ، ذيل زهر الآداب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .

(٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ .

(٣) عريب ، الصلة ، ص ٢٢ . أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٩ .

(٤) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٤ .

(٥) أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٥٣ . أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٣ .

(٦) أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨٢٠ .

(٧) الخلفاء ، ص ٣٧٨ .

ب ـ أثرها في السياسة العامة :

كان الخليفة المكتفي قـد لقي حتفه سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م [٨] ، وآلت الخلافة من بعده الى أخيه جعفر المقتدر ، وكان صغير السن ، وفي خلافته ظهر شأن والدته شغب ، فأصبحت أهم شخصية في البلاط ، وكان المقتدر يعاملها بأحترام زائد بحيث لايرد لها طلباً فعلا شأنها ، وتحكمت في السياسة ، وصارت أمور الدولة تسير بمقتضى تدبيرها وتدبير غيرها من النساء . وبذلك : « أصابها تخليط كثير لصغر سنه [٩] ولاستيلاء أمـه ونسائه [١٠] » ، وجرها سوء التدبير الى سوء العاقبة ، لأنها قامت بتوجيه ابنها الصغير ، وجهة غير صائبة ، وأستولت على أمور الخلافة كلها [١١] . وما من ريب في أن تأثيرها بصورة عامة كان مضراً ، أذ أنها أفسدت أبنها بتشجيعه على الانهماك في الملاذ والتبذير .

وصارت والدة الخليفة (شغب) في عهد أبنها المقتدر ، لاتعرف الا بالسيدة ، تفخيماً لها وتعظيماً لقدرها ، واتخذت لنفسها ديوانا خاصا يقوم بأدارته كاتب يجري مجرى الوزير ، وكان أول كاتب ولي ديوانها احمد بن العباس ابن الحسن [١٢] ، وهو ابن وزير الخليفة المقتدر . وجعلت لنفسها

(٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ .

(٩) المقصود هنا المقتدر الذي تولى الخلافة وعمره ثلاث عشرة سنة واحد وعشرون يوماً (عريب ص ٢٢) .

(١٠) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٢ . انظر كذلك ، كحالة ، اعلام النساء ، جـ ٥ ، ص ٦٧ .

(١١) الزركلي ، الاعلام ، جـ ٣ ، ص ٢٤٥ .

(١٢) عريب ، الصلة ، ص ٢٣ .

قهرمانة خاصة تشرف على الدخل والخرج (١٣) من املاكها الواسعة ، وتقوم بتنفيذ مطاليبها ، وتتعاون معها في تسيير الامور ، وتؤدي الرسائـل من الخليفة والسيدة أمه الى الوزير (١٤) . والظاهر أن كثيراً من الموظفين ، كانوا يفضلون اشتغالهم بمعية السيدة على اشتغالهم بوظائف الدولة العامة ، اذ أن محمد بن عبد الحميد كاتب السيدة ، عرضت عليه الوزارة فأباها وفضل بقاءه في خدمة السيدة أم المقتدر (١٥) . ولعل هؤلاء كانوا يتشبثون في البقاء بمعية السيدة لأن ذلك يضمن احتفاظهم بمناصبهم لفترة أطول ، وحينئذ يكون في مقدورهم تطمين مصالحهم وتجاوزاتهم المالية .

وهكذا ظهرت شخصية السيدة ام المقتدر على المسرح السياسي ، بمظهر صاحبة النفوذ والسلطة والقوة ، فأخذت تتدخل في شؤون الدولة كبيرها وصغيرها ، دوأمسكت بزمام الأمور بالتعاون مع قهرماناتها وجواريها .

أسهمت السيدة ببراعة وقوة في احباط حركة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ذلك أنها أخذت على عاتقها أن تدبر مخرجاً للخروج من هذه الأزمـة ، وكانت قد أمنت جانب مؤنس الخادم ، وسوسن الحاجب ، بما أسبغته عليهما من عطاء ، وما كالته لهما من وعود ، واستطاعت بفضل المال الذي أخرجته أن تستهوي أفئدة الحجرية (١٦) ، والمفلحية (١٧) ، والديالمة وسائر

(١٣) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ ١ ، ص ٢٧١ .

(١٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٨ .

(١٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥٣ .

(١٦) هم جماعة من الغلمان الاتراك كان الخليفة المعتضد قد وضعهم في حجرات ، خاصة ، ومن هنا جاءت تسميتهم . (الصابي ، الوزراء ، ص ١٧) .

الترك ، مذكية في قلوبهم نار البغضاء التي كادت تخمد [١٨] ، ومذكرةأياهم بمواقف ابن المعتز السابقة التي أستهدفت نفوذ الاتراك .

وهكذا أحكمت الخطة وتمكنت من العمل على تشتيت شمل المتآمرين، واستطاعت السيطرة على موقف كان يبدو وكأنه يصعب السيطرة عليه ، ومضت اللحظات الحاسمة المحفوفة بالمخاطر والمصاعب ، وأعيد ابنها الى الخلافة بعد أن خرجت من يده يوم وليلة واستجاب لرسالة ابن المعتز، وعزم ان ينتقل الى دار محمد بن طاهر [١٩] ، لولا أن أمه منعته من ذلك، حتى ان رجوع المقتدر الى دست الخلافة أثار استغراب المؤرخ الطبري فقال : « ولم ير الناس أعجب من أمر ابن المعتز والمقتدر فإن الخاصة والعامة أجمعت على الرضى بأبن المعتز وتقديمه وخلع المقتدر لصغر سنه فكان أمر الله قدراً مقدوراً [٢٠] » .

ولما تولى الوزارة أبو الحسن علي بن الفرات ، على أثر اخفاق حركة ابن المعتز ، أجلست السيدة أبنها المقتدر بالله في حجر الوزير وقالت : «هذا يا أبا الحسن ولدك وأنت قلدته الخلافة أولاً وثانياً [٢١] » ، فلا عجب من

(١٧) نسبة الى مفلح الاسود أحد غلمان المعتضد والذي أصبح أثيراً عند المقتدر حيث كان يثق به كثيراً . (مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ٢١٥ — ٢٢٢) . واقطعه المقتدر الاقطاعات . (مسكويه ١ / ٧٨) .

(١٨) مسكويه ، م. ق ، جـ ١ ، ص ٦ .

(١٩) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٣ .

(٢٠) عريب ، الصلة ، ص ٢٨ .

(٢١) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٣ . وهي تشير بقولها هذا على اقتراح ابن الفرات على الوزير العباس بن الحسن بتنصيب جعفر فى الخلافة ، ثم عدم مبايعة ابن الفرات لابن المعتز . (انظر مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣) .

أن يقوم شخص هذا شأنه بترك زمام الأمور الى امه ، فقد كان عظيم الطاعة لها ، يجيبها فيما تسأله من الحاجات ، وبلغ الأمر بها أن استولت على زمام الأمور جلها ، وأشرفت بنفسها ، من وراء ستار ، على محاكمة المشتركين في مؤامرة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م الخاسرة (٢٢) ، وصارت تبسط سلطانها بأسم الخليفة الذي تفرغ تماماً لجواريه (٢٣) .

أصبحت أم الخليفة المقتدر سيدة البلاط العباسي بدون منازع ، وبذلك صار الوزراء يترددون اليها ، ويسارعون في تلبية طلباتها ، ولا يعصون لها أمراً ، حتى أن الوزير الورع علي بن عيسى كان لايتأخر عن اظهار تودده لها ومداراة افكارها ففي وزارته الاولى (٣٠١ — ٣٠٤ هـ / ٩١٣ — ٩١٦ م) أرسل لها رسالة قال فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أطال الله بقـاء السيدة وأدام عزها وتأييدها ووكلاءتها وحراستها وأسبغ نعمته عليها ، وزاد في احسانه لها ... (٢٤) » ومع ذلك فإن كل هذا المديح والاطراء والدعاء لم يشفع للوزير المصلح لدى هذه السيدة عندما تهاون ، بدون قصـد ، في تلبيـة مطاليب القهرمانـة أم موسى ، اذ أسهمت في اقصائه (٢٥) ، خاصة وان ابن الفرات كان قد تعهد بأن يقدم للمقتدر في

(٢٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٧ . احمد كمال زكي ، م . ق ، ص ٢٣١ .

(٢٣) العمري ، م . ق ، ص ٢٢٦ . كحالة ، أعلام النساء ، جـ ٥ ، ص ٦٧ .

(٢٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٩ .

(٢٥) مسكويه م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٠ . العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ورقة ٨٦ — ب ، (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٦٤) .

كل يوم الف دينار ، والى السيدة والأمراء خمسمائة دينار ، وبذلك وافق الخليفــة على القبض على وزيره علي بن عيسى واسناد الوزارة الى ابن الفرات ثانية (٢٦) .

وفي وزارة ابن الفرات الثانية (٣٠٤ ــ ٣٠٦ هـ / ٩١٦ ــ ٩١٨م) كان الوزير قد شعر بتزعزع مركزه وان هناك من يتآمر عليه من أجــل الحصول على الوزارة وبذلك تمارض وانقطع عن الركوب في يوم المؤكب المعين ، وكتب الى السيدة يعتذر عن تخلفه ويذكر علته ، فأجابته « جواباً جميلاً ... وخاطبته بالوزارة وطيبت نفسه (٢٧) » . وحينئذ اطمأن الوزير على نفسه ومنصبه ، وهذا يظهر لنا بوضوح مــدى تسلط السيدة على ادارة الدولة ، ذلك ان الوزير لم يعتذر للخليفة عن تخلفه ، وإنما اعتذر للسيدة والدته ، وهذا الأجراء يلقي الضوء على الدور الحقيقي الذي كانت تلعبه السيدة .

وبينما كان حامد بن العباس بواسط (٢٨) ، راسل بعض أفراد الحاشية، وعلى رأسهم السيدة ، طامعاً بالوزارة ، واعــداً اياها بالمال ، فتم له ما أراد (٢٩) . وقبض على الوزير ابن الفرات ، وأستوزر حامد بن العباس ، بالرغم من أنه لم يكن مؤهلاً لهذا المنصب . وكان للسيدة دور كبير في

---

(٢٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٧٤ .

(٢٧) العيون ، ورقة ٩٣ ــ آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٧٥) .

(٢٨) ماسكاً ضمان السواد (انظر مسكويه ، م . ق،جـ ١ ، ص ٥٥) .

(٢٩) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٥٧ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ .

نكبةالقهرمانة أم موسى ومصادرتها ، وذلك عندما علمت بأنها تسعى بالخلافة الى صهرها محمد بن اسحق بن المتوكل على الله (٣٠) .

وكثيراً ما كانت تقف أمام تهاتر وتنافس رجال الدولةالمغامرين والطامعين بالمناصب ، فقد أشارت على المقتدر بأن لايسلم علي بن عيسى لابن الفرات في وزارته الثالثة (٣١١ — ٣١٢ هـ / ٩٢٣ — ٩٢٤ م) خوفاً على حياة ابن عيسى من بطش الوزير وابنه المحسن (٣١) ، ولم تمكن ابن الفرات من القبض على نصر الحاجب ، الذي أستجار بالسيدة والتجأ اليها ، فأجارته واستطاعت أن تؤلب الخليفة على وزيره وقالت : « قد أبعد ابن الفرات مؤنساً عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الآن ان ينكب حاجبك ليتمكن منك ... (٣٢) » ، وكان قد مضى الى منزله وفرق أمواله وأستتر ، لكن السيدة طمأنته ، وحثته على الرجوع الى داره ولم يجرؤ ابن الفرات من التعرض له (٣٣) . وكان لها اليد الطولى في اطلاق سراح التاجر الجوهري ابن الجصاص الذي شفعت له ومرّ الى دارها فور خروجه من السجن ، معترفاً بفضلها عليه وتخليصه من محنته تلك (٣٤) .

وبلغ نفوذها أنها بمجرد أن تسحب ثقتها بالوزير يصبح عرضة للعزل والمصادرة ، فقد أتفق يوماً أن انفرط لسان ابن الفرات وخاطب أحدخواصه

(٣٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(٣١) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٢١ .

(٣٢) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١١٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٥ .

(٣٣) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ١٨٣ .

(٣٤) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١١٨ .

قائلاً : « أتخوفني من كلام امرأة ؟ (٣٥) » ، وحينئذ قال أحد الحاضرين: « هذا آخر عهد الوزير بالحياة (٣٦) » ، فلم تمض مدة طويلة حتى قبض على ابن الفرات ومن ثم قتل أبشع قتلة (٣٧) . وكانت الوزارة قد اسندت الى أبي العباس احمد الخصيبي كاتب السيدة ، فهابه الناس لمجرد أنه كان يخدم السيدة ويقوم بالكتابة لها (٣٨) ، لكن هذا الوزير سرعان ما ندم وتمنى لو لم يكن تولى الوزارة وفارق خدمة السيدة ، اذ كانت انفع له من خدمة الخليفة (٣٩) ، وكانت السيدة نفسها هي التي عملت على عزله ومصادرة أمواله (٤٠) .

وكان هارون بن غريب الخال قد قبض على كاتبه أبي جعفر بن شيرزاد سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م وضيق عليه وأتهمه بالاختلاس واستغلال نفوذه ، ومساعدة الخاقاني ، فأتصل أخوه بالسيدة طالباً شفاعتها ، وعندئذ وجهت خادماً لها فأنتزعه من يد هارون وبذلك تم اطلاقه (٤١) .

---

(٣٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٧٧ .

(٣٦) ن . م ، ص ٧٧ .

(٣٧) أنظر مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٣٨) عريب ، الصلة ، ص ١٢٧ . أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ص ١٨٤ .

(٣٩) عريب ، الصلة ، ص ١٢٧ . أبن الأثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٤ .

(٤٠) حسن ابراهيم حسن ، م . ق ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ .

(٤١) العيون ، ورقة ١١٧ — ب . (تحقيق ، نبيلة ص ص ٣٢٨ — ٣٢٩) . مسكويه م . ق ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

وقد وصفها الوزير التقي علي بن عيسى بأنها سيدة متدينة فاضلة تحب الخير وتعمل على تعميمه ، اذ ما أن تمكن القرمطي من أسر يوسف بن أبي الساج وتشتيت جيش الخليفة ، وبدأ خطره يهدد بغداد ، حتى خاطب الوزير الخليفة قائلاً له : « فأتق الله يا أمير المؤمنين وخاطب السيدة فانها دينة فاضلة فإن كان عندها مال قد دخرته لشدة تلحقها أو تلحق الدولة فهذا وقت أخراجه (٤٢) » . ولما كلمها الخليفة في هذا الموضوع تبرعت بخمسمائة الف دينار من مالها الى بيت مال العامة لينفق في الرجال الذين يحاربون القرامطة (٤٣) . وبهذا تكون قد اسهمت في رفع الخطر المحدق بالعاصمة .

وكان علي بن عيسى قد أتهم في وزارته الثانية بمراسلة القرامطة ، اذ عمل اعداؤه على الايقاع به ، وهمّ المقتدر بضرب الوزير المخلوع بالسوط على باب العامة بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين ، لكن السيدة اقتنعت بعدم صحة ذلك الادعاء وثنت ولدها عن أن يتخذ مثل ذلك الاجراء ضد وزيره المعزول والذي قدم للدولة خدمات جليلة (٤٤) .

ومما يدل على قوة عزيمة السيدة وبعد نظرها ، طريقتها بالعناية بمراقبة ما كان يقرؤه احفادها الأمراء ، اذ كانت قد أرسلت أحد خدمها ليجلب الكتب التي كان يقرأها (أبو العباس محمد بن المقتدر) على يد معلمه الصولي ، وقد عرضت الكتب على السيدة ، ومن ثمّ أمرت بأرجاعها ، بعد أن أطلعت عليها فوجدت أنها صالحة للتدريس (٤٥) . لكن السيدة لم

---

(٤٢) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ١٨٠ — ١٨١ .

(٤٣) ن . م . ج ١ ، ص ١٨١ .

(٤٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٤٥) الصولي ، أخبار الراضي ، ص ص ٥ — ٦ . منتز ، م . ق ،

تكتنف بذلك بل احضرت (ابن الجواليقي والحسين بن اسماعيل المحاملي) لدارها ليمتحنا أبا العباس بن المقتدر فوجداه متمكناً من العلوم التي كان يدرسها على اساتذته [٤٦] ، ويعزو الصولي أجراء السيدة هذا الى أن أبا العباس كان منحرفاً عن خدمة السيدة [٤٧] .

ولم تقتصر مشاركة السيدة في أمور الدولة بصورة مباشرة ، وغير مباشرة ، بل كثيراً ما أمتدت مشاركتها لأبنها في لهوه ومجونه ، اذ كانت تحضر بعض مجالس لهوه تلك كما يشير الى ذلك التنوخي [٤٨] .

وقد اثبتت الحوادث أن كثيراً من المنازعات والمضاعفات التي اتسم بها عصر المقتدر كان مصدرها السيدة أم الخليفة ، وذاق المتصلون بالخليفة وبال ذلك ، وفي أواخر عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م « اتصل بمؤنس المظفر أن أم المقتـــدر عاملة على قتله وانهـــا نصبت له من يقتله اذا دخـــل الدار فأستوحش [٤٩] » . ولم تهدأ ثائرة القائد مؤنس إلا بعد أن وجه اليه المقتدر رسالة بخط يده يعتذر فيها ، ويقسم على بطلان ما بلغه ، عندئذ اقتنع مؤنس بعذر الخليفة وقابله مستأذناً بالسفر لملاقاة الروم [٥٠] ، ولعل

ج ١ ، ص ٣٤ .

(٤٦) الصولي ، م . ق ، ص ٢٦ .

(٤٧) ن . م ، ص ٥ .

(٤٨) الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .

(٤٩) عريب ، الصلة ، ص ١٣٣ . أنظر كذلك كحالة ، أعلام النساء ، ج ٥ ، ص ٦٨ .

(٥٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ، ص ١٦٦ .

السيدة انما أقدمت على هذه الخطوة للتخلص من الذي بدأ نفوذه بالتوسع لتتخلص من أقوى منافس لها ولتمكن ابن أخيها هارون بن غريب من أن يحل محله ، ولكن خطتها هـذه كانت قد فضحت من قبل أحد خـدم الدار [٥١] .

ومن ذلك نرى أن السيدة كانت تسهم في كل صغيرة وكبيرة ، فلا غرابة أن يعارض رجال مؤنس في توليـة أبي العباس محمد بن المقتدر ، عندما اقترح هذا القائد تقليد أبي العباس الخلافة على أثر مقتل المقتدر سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ، على أساس أن ذلك سوف يخفف من ثقل المصيبة التي أحلت بالسيدة ، وكان مؤنس يقول : « اذا نصبنا أبا العباس بن المقتدر في الخلافة ... لم تنطح في قتل المقتدر عنزان [٥٢] » ، فأعترض عليه أبو يعقوب اسحاق بن اسماعيل النوبختي قائلاً : « استرحنا ممن له والدة وخالة وخدم فنعود الى تلك الحالة [٥٣] » ، وما زال بمؤنس حتى غيّر رأيه عن أبي العباس وعدل به الى محمد بن المعتضد بالله . ويذكر ابن الأثير أن ابا يعقوب اسحق بن اسماعيل النوبختي قال : « بعد الكد والتعب أسترحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه فنعود الى تلك الحالة ، والله لانرضى الا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا ، وما زال حتى ردّ مؤنساً عن رأيـه وذكر له أبا منصور محمد بن المعتضـد فأجابـه

(٥١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٥٢) أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٢ .

(٥٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ . أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٩ .

مؤنس [٥٤] » .

ومما لاريب فيه أن أصرار النوبختي على عدم تقليده لمن له ام وخالة، ما هو الا نتيجة لشعوره بالمرارة من جراء تدخل السيدة وبقية حريم دار الخلافة في شؤون الدولة ، وتوجيهها وجهة خاطئة .

جـ ـ تدخلها في القضاء :

لم يقتصر تدخل السيدة أم المقتدر على تعيين وعزل كبار موظفي الدولة، من وزراء وكتاب وقواد فحسب ، وانما بلغ بها الحد الى التدخل في شؤون القضاء . ففي سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م تدخلت في تعيين محمد بن عبد الله بن أبي الشوارب ، اذ عين قاضياً في بغداد بالرغم من أن له حاشية سوء ، وان القاضي الجديد قد خرج عن الحد والتجاوز في القبح والفحش ، وهجاه الناس ونسبوا اليه حب مغنية تعرف (بأبنة كرويا) ، وتحدث الناس بأن زورقاً وجد منحدراً الى بغداد وفيه شراب فشنع الناس انه للقاضي وهجاه الشعراء ، ومع كل ذلك كانت السيدة قد طلبت من الوزير ابن الفرات بالشد على يد القاضي والتمسك به [٥٥] .

وفي سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م أمرت السيدة قهرمانتها ثمل أن تجلس بالرصافة (قرب مرقد الامام أبي حنيفة) وتنظر في مظالم الناس ، وشكاياتهم من الحكام والمتولين ، وغيرهم ، وجعلت ذلك في كل جمعة ، فأنكر الناس

(٥٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٧٠ .

(٥٥) العيون ، ورقة ٧١ ـ آ ـ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ص ص ص ٢٣١ ـ ٢٣٢) .

وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ٣ ، ص ٢٩٣ .

أن تحكم بينهم امرأة واستبشعوا فعل السيدة شغب وعابوه عليها ، خاصة عندما لم تستطع ثمل ان تقوم بهذه المهمة في بداية أمرها ، ولكنها تداركت الأمر فيما بعد ، واستعانت بالقاضي أبي الحسن بن الاشناني ، الذي كانت تستشيره في الاحكام ، عندئذ استقام أمرها كما أسلفنا (٥٦) . ولعل عدم شيوع وأستمرار هذه السنة التي أستنتها السيدة ، لدليل واضح على عدم ملاءمتها وموافقتها شرعاً (٥٧) ، وعدم استساغتها عرفاً .

هـذا وذكر أن السيدة كانت في بعض الأحيـان تأمر القضاة بأتخاذ اجراءات خاصة حتى ولو كانت مخالفة للشريعة ، على نحو ما فعلت مع القاضي احمد بن اسحق بن بهلول الذي طلبت منه أن يحل وقفاً لتأخذه وتتصرف به ، غير أن هذا القاضي رفض طلب السيدة بأباء ولم ترهبـه تهديداتها (٥٨) .

---

(٥٦) أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٣ . الذهبي ، العبر ، جـ ٢ ، ص ١٣١ . وتاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١٠ . ودول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٦ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٢٨١ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٣٩ . أبن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧ . اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ ٢ ص ٢٤٦ . أبن دحية ، النبراس ، ص ١٠٩ . كحالة أعلام النساء ، جـ ٥ ، ص ٦٧ .

(٥٧) قال مالك والشافعي وأبن حنبل ، لايصح أن تكون المرأة قاضيا ، وقال أبو حنيفة يصح أن تكون المرأة قاضيا فى كل شيء تقبل فيه شهادتها . وتصح شهادة النساء فى كل شيء الا فى الحدود والجراح ، أي هي تقضي فى كـل شيء سوى مسائل الحدود والقصاص . (عرنوس ، م . ق ، ص ٨٦) .

(٥٨) أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ص ٢٣٢ — ٢٣٣ . أبن

د ـ أعمالها الخيرية :

عرفت السيدة بحبها الشديد للأعمال الخيرية ، فكانت لاتتوانى في اتفاق الاموال الكثيرة على سبل الخير والبر والأحسان «وكانت تواظب على مصالح الحاج وتبعث خزانة الشراب والأطباء معهم وتأمر بأصلاح الحياض (٥٩) » . والحق ان مواظبة والدة الخليفة على سد احتياجات حجاج بيت الله الحرام ، بما توفر لهم من أدوية وأطباء لمعالجتهم واصلاح أحواض المياه في الطريق ، لايخلو من دافع ديني اصلاحي ، وان كان يتضمن في تضاعيفه هدفاً سياسيا لا يمكن نكرانه .

وكانت تقدم المساعدات الخيرية حتى لأولئك الذين شهروا السلاح في وجه جيش ابنها ، ففي سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م كان عامل حلب قد أرسل الى بغداد حوالي أربعمائة رجل من أسرى القرامطة ، مع نسائهم وحرمهم وأولادهم ، فلما دخلوا العاصمة بحالتهم المهينة تلك ، « أمرت السيدة أم المقتدر بالنفقة عليهم والاحسان اليهم ووهبت لكل امرأة منهم نفقة ثم أطلقوا (٦٠) » .

ولعل أهم مأثرة سجلها التاريخ للسيدة هي انشاؤها مارستانا بسوق يحيى بالرصافة (٦١) والذي أوكلت ادارته الى الطبيب المشهور سنان بن

كثير ، البداية والنهاية جـ ١١ ، ص ١٦٥ .

(٥٩) أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٥٣ . (وقد عملت السيدة بعض الاصلاحات فى قبة الصخرة . (المقدسي ، أحسن ص ١٦٩) .

(٦٠) العيون ، ورقة ٧١ ـ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٣١) .

(٦١) يقع سوق يحيى على ضفة دجلة الشرقية ، على مقربة من المحلة المعروفة اليوم بمحلة السفينة فى الاعظمية . (جواد ، م . ق ، ص ٩٠) .

ثابت ، ورتب فيه الأطباء والخدم حتى أن نفقاته بلغت في العام ما يقارب سبعة الآف دينار (٦٢) ، ويشير ابن أبي أصيبعة الى ان سنان بن ثابت كان قد أفتتح في أول محرم من سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م « بيمارستان السيدة الذي اتخذه لها بسوق يحيى ، وجلس فيه ورتب المتطببين وقبل المرضى وهو كان على دجلة وكانت النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار (٦٣) » .

ولم يكن احسان السيدة محدوداً ، أو مقتصراً على هذه الأمور النافعة ، بل كانت تتصدق كثيراً ، وتوقف الاوقاف على المصالح الخيرية ، لكن بروكلمان يفسر أقدام الحكام والموسرين ، ومنهم السيدة ، على وقف بعض ممتلكاتهم ، للفقراء وللدفاع عن ثغور الدولة وتخومها ، وللمدينتين المقدستين ، وما الى هذا كله من أبواب البر تخلصاً من أداء الضريبة عن هذه الممتلكات ، ويقونها غائلة المصادرة (٦٤) وكان الواقف يحتفظ لنفسه بأدارة ما وقفه من ممتلكات ، حتى اذا توفي انتهت الادارة الى أكبر ابنائه ، وربما حاولت السيدة أن تحافظ بهذه الطريقة على ما كانت تمتلكه من أراضي وتتخلص

(٦٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٢ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٩ القفطي ، الحكماء ، ص ١٩٥ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٩٣ .

(٦٣) طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ . القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ١٩٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢٨ . كحالة أعلام النساء ، ج ٥ ، ص ٦٧ . (فى الوقت الذي كانت النفقات الشهرية لمستشفى السيدة ٦٠٠ دينار ، كانت النفقات الشهرية للمستشفى الذي أمر المقتدر ببنائه بنفس السنة ٢٠٠ دينار . أنظر أبن أبي أصيبعه ، الاطباء ، ج ٢ ، ص ٢٠٤) .

(٦٤) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ط ٢ ، ص ٨٠ .

من بعض الضرائب المفروضة عليها ، ولكنها لم توفق تماماً كما سنرى في فصل قادم .

ولم يقتصر أحسان السيدة على الاغراض الدينية ، بل تعدي ذلك الى المظاهر الدنيوية ، ففي سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م خرجت القهرمانة أم موسى بهدية السيدة التي أرسلتها الى بنات غريب الخال لأزواجهن بني بدرالحمامي « فسارت أم موسى في موكب عظيم فيه الفرسان والرجالة وقيد بين يديها اثنا عشر فرساً بسروجها ولجمها ، منها ستة بحلية ذهب وستة بحلية فضة مع كل فرس خادم بجنبه ، عليه منطقة ذهب وسيوف بمناطق ذهب وأربعون طختاً من فاخر الثياب ومائة الف دينار مستيقة كل ذلك هدية من النساء لأزواجهن [٦٥] » .

وكانت السيدة قد أهدت لأحد مقربيها [٦٦] القرية الفضية [٦٧] التي صنعت للخليفة المقتدر ليرى كيف تكون القرى ، وتعتبر أحدى عجائب هذا العصر ، حيث أنفق في صنعها مبلغاً كبيراً من المال [٦٨] . والذي يدعو الى

---

(٦٥) عريب ، الصلة ، ص ٧٨ . أبن الاثير،الكامل ، جـ٦، ص ١٦٦ .

(٦٦) أبو القاسم يوسف بن يحيى بن علي ، وزوجته نظم ، وقد أراد أبو القاسم أن يطهر أولاده فطلب القرية الفضية فأهديت له . (أبن الجوزي، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ص ٧٤ — ٧٦) .

(٦٧) أنظر المنتظم ، جـ ٦ ، ص ص ٧٤ — ٧٦ . السيوطي ، الخلفاء، ص ١٧ — ٢٢ .

ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٧٠ .

(٦٨) صرف على صنعها ٢٠٠,٠٠٠ درهم . (المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٧٤) .

العجب والدهشة معاً قصة هذه القرية وأثر السيدة في مصيرها ، وهي تكشف لنا عن طريق تبذير الاموال ، وطرق تآمر النساء على الخليفة وتأثيرهن عليه ، وانقياده لهن .

ونتيجة لكثرة الأموال التي كانت بحوزة السيدة ، فقد اعتمدت عليها خزينة الدولة في الملمات . مثال ذلك أنها قدمت للدولة مبلغ خمسمائة الف دينار (٦٩) في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م لغرض صد جيوش القرامطة عن الكوفة (٧٠) ، وحين زال خطرهم تصدقت هي وابنها بمائة الف درهم (٧١).

عرفت السيدة أم المقتدر بحبها للمال ، حيث أن مركزها الاجتماعي المرموق لم يشغلها عن زيادته وتنميته ، حتى أن : « دخلها من املاكها بلغ الف الف دينار في السنة (٧٢) » ، ويضيف ابن الجوزي إلى مالية السيدة فيقول : « كانت لها أموال عظيمة تفوق الاحصاء ، وكان يرتفع لها من ضياعها في كل عام الف الف دينار وكانت تتصدق بأكثر ذلك (٧٣) » . ولعل صاحب المنتظم يشير الى ما كانت تنفقه على مصالح الحجاج من طعام وشراب ومواد طبية أخرى . وعندما حصلت حركة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م

(٦٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٥٦ . مسكويه ١ / ١٨١ .

(٧٠) مسكويه ، م . ن ، جـ ١ ، ص ١٤٥ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ٣١ و ١٥٤ .

الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٥٥ .

(٧١) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٠ .

(٧٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٧٥ .

(٧٣) المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٥٣ .

أخرجوا من تربة هذه السيدة بالرصافة (٦٠٠ر٠٠٠ ديناراً) كانت مخبأة هناك (٧٤) ولم يعلم بها أحد ، مع ضيق يد الخليفة وفراغ بيت المال .

وعلى الرغم من أن السيدة كانت تبذل المال بسخاء على سبل البر والاحسان ، الا أنها كانت في الوقت نفسه ، لا تتردد في الحصول على الأموال عن طريق الرشوة عند تعيين الوزراء والعمال ، اذ كان عبيد الله بن يحيى الخاقاني قد ضمن لها مائة الف دينار (٧٥) جزاء تدخلها لتقليده الوزارة بعد ابن الفرات في ٢٩٩ هـ / ٩١١ م . ولم يتمكن ابن الفرات من أن يرجع للوزارة مرة ثانية الا بعد أن تعهد للسيدة بأن يدفع لها « في كل يوم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون ديناراً وثلث (٧٦) » ، وعندئذ مهدت له السبيل وتقلد الوزارة في سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م (٧٧) .

وفي سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م أمر علي بن عيسى (٧٨) ، بأستقدام أبي

---

(٧٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٣ . أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠١ . أبن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٢ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٣ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص‌ص ٢٤٢ — ٢٤٣) .

(٧٥) أبن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٩ . (ويقول أبن كثير أن الخاقاني ضمن لام ولد المعتضد وليس لشغب أم المقتدر ، (البداية والنهاية ج ١١ ، ص ١١٦) .

(٧٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٧٧) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ ، ورقة ١٣٠ — آ .

(٧٨) الذي كان يعاون الوزير حامد بن العباس فى ادارة شؤون الدواوين . (أنظر مسكويه ، م . ق ، ج ١ ص ٥٨) .

القاسم بن بسطام عامل مصر ، وذلك لمطالبته ومحاسبته على بعض الأموال التي جمعها مستغلاً منصبه ، فلما وصل بغداد « وجه الى الخليفة والسيدة بهدية فخمة وأموال جزيلة فقطعا عنه مطالبة علي بن عيسى (٧٩) » . وبذلك تمكنت السيدة من أن تدفع العقوبة المشروعة عن أحد موظفي الدولة والمسيئين والمستغلين لمنصبهم ، وبعملها هذا تكون قد أحدثت ضرراً بمالية الدولة .

وبلغ بها الأمر أن امتدت يدها الى أموال خواصها ، ففي سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م توفي كاتبها محمد بن عبد الحميد ، فأخذت من تركته مائة الف دينار من العين (٨٠) .

ويبدو لي مما تقدم أن هذه السيدة حينما كانت تمنح المال ، وتمنعه ، فانما كانت تفعل ذلك على أساس السلطة التي تباشرها ومدى تأثيرها في توجيه سياسة الدولة ، فهناك حوادث مفجعة ، كان المال الذي جمعته سبباً مباشراً في حدوثها ، اذ أن احتكارها الطعام أدى الى ارتفاع الاسعار ، مما أدى الى أضطراب العامة وهجومها على المساجد فكسروا المنابر وقطعوا الصلاة « وبات الناس على صورة قبيحة من الخوف على أنفسهم وأموالهم وحرمهم ، وضعف صاحب الشرطة عن مقاومتهم ... وصار من العامة عدد كثير الى الجسور فأحرقوها وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشرطة (٨١) » ، وبذلك تكون السيدة قد عملت على زعزعة أركان الدولة

---

(٧٩) عريب الصلة ، ص ٧٨ . أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٦.
(٨٠) عريب ، الصلة ، ص ٨٠ .
(٨١) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

وكادت أن تقوض دعائمها لولا تدخل الخليفة في الامر وتحديد الأسعار[٨٢] .

وفي الأعم الأغلب كان الجنود في تمرد مستمر على السيدة وابنهـا المقتدر مطالبين بالأرزاق[٨٣] ، فيذكر أبو الفداء أن : « الجند أنكروا على المقتـدر من استيلاء النساء والخدم على الامور ، وكثر ما أخـذوه من الاموال[٨٤] » . وان شغب الجند المستمر ، وان كان يمثل جانباً من جوانب الصراع بين السلطتين المدنية والعسكرية ، ألا أنه لايخلو من تحسس الجانب العسكري بالدور الذي تلعبه السيدة أم المقتدر .

ويتضح للباحث أن هذه السيدة انما كانت تجزل العطاء ، في الوجوه المختلفة ، رغبة منها في أظهار قوتها ومدى تحكمها ، وتبخل به اذ ما أحست ان ذلك لايخدم رغباتها في أحكام سيطرتها على الدولة ، وهذا ما فعلته حين أحدق الخطر بأبنها المقتدر حيث تمرد عليه القائد مؤنس ، فجاء الى أمه السيدة بطلب المال وقال : « قد ترين ما وقعت فيه وليس معي دينار ولا درهم ولابد من مال يكون معي فأعينيني بما معك[٨٥] » ، الا أنها لم تسعف أبنها في محنته هذه ، معتذرة بنفاذ ذخيرتها ، خاصة بعد أن ساهمت برد خطر القرامطة[٨٦] الذي كان قد داهم بغداد ، ومع ذلـك

---

(٨٢) عريب ، الصلة ، ص ٨٤ . أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٧ .

(٨٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧٤ . عريب ، الصلة ص ١٧٣ . ابن الاثير . الكامل ج ٦ ، ص ١٦٥ .

(٨٤) المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٧٤ .

(٨٥) عريب ، الصلة ، ص ١٨٤ .

(٨٦) كانت قد ساهمت ب خمسمائة الف دينار لهذا الغرض (مسكويه ١ / ١٨١ . أبن الجوزي ، المنتظم ٦ / ٢٠٩ . ابن كثير ١١ / ١٥٦) .

أحضرت : « خمسين الف دينار فقال المقتدر وأي شيء تغني هذه الدنانير وأي مقام تقوم لي في عظيم ما أستقبله (٨٧) » . وقد خرج الخليفة من عند أمه غاضباً يائساً من الدنيا ، متهاويا أمام عدوه ، متمنيا ان يقتل في ساحة المعركة لعله يستريح من أعباء الخلافة ومشاكلها ، متوعداً أمه بأنها وحاشيتها ستلاقي أشد أنواع العـذاب (٨٨) ، وهـذا ما حصل بالنسبة للسيدة .

وكان لسوء تصرفها هذا ، أن عرّضت ابنها للقتل بالصورة البشعة اذ « سلبت ثيابه وسراويله وترك مكشوف العورة الى أن مرّ به رجل من الأكرة فستر عورته بحشيش ثم حفر له في الموضع ودفن وعفا أثره (٨٩) » وبهذا يكون المقتدر قد لبث على عرش الخلافة زهاء خمسة وعشرين عاماً تحت جناحي أمه .

وكان حرصها الشديد على المال . سبباً في تعرضها للتعذيب ، والضرب المبرح ، والاهانة المقرعة ، من الخليفة القاهر الذي أراد أن يثأر لنفسه عما لحقه عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م عندما خلع وأرجع المقتدر الى الخلافة (٩٠) ، فضربها حينئذ بيده وعقلها من رجل واحدة وأسرف في ضربها على المواضع

بينما يقول عريب انها ساهمت بثلاثة الآف الف دينار . ص ١٨٤) .

(٨٧) عريب ، الصلة ، ص ١٨٤ . أنظر كذلك كحالة ، أعلام النساء ، ج ٥ ، ص ٦٩ .

(٨٨) عريب ، الصلة ، ص ١٨٤ .

(٨٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(٩٠) أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٧٥ .

الغامضة من بدنها ولم يرع لها احسانها وقت اعتقال المقتـدر له [٩١] .
ويضيف صاحب المنتظم ان القاهر « ضربها أشد ما يكون الضرب وعلقها من رجلها حتى أن البول كان يسيل على وجهها ، حتى تعترف بما لديها من المال والمصوغ والثياب ولكنها لم تعترف بشيء [٩٢] » . غير انها ما لبثت أن أقرت بما عندها من ثياب ومصاغ وحلي وصناديق خاصة بلغت قيمتها مائة الف وثلاثون الف دينار [٩٣] ، وذلك بعد أن تعسف القاهر كثيراً في ضربها وتعذيبها .

ثم أحضرها القاهر ، بعد ذلك ، لتشهد على نفسها القضاة والعدول ، بأنها قد حلت أوقافها ، ووكلت بيعها ، على الرغم من أنها امتنعت أولاً عن ذلك وقالت « لقد أوقفتها على أبواب البر بمكة والمدينة والثغور وعلى الضعفاء والمساكين ولا أستحل حلها ولا بيعها [٩٤] » ولكن الخليفة اشتد

---

(٩١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ . أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ . أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٧٥ . القرماني ، أخبار الدول ، ص ٩٢ . أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٩ . كحالة ، أعلام النساء ، ج ٥ ، ص ص ٦٩ — ٧٠ .

(٩٢) أبن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٥٣ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٥٣ .

(٩٣) أبن الطقطقي ، الفخري ، ص ٥٧٦ . أبن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٥٣ ، أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٧٦ . احمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ص ١٨٢ .

(٩٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٤٥ . أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ . أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، / قسم ٤ ، ص ٨٢٠ . كحالة ، أعلام النساء ، ج ٥ ، ص ٧٠ .

في قسوته وضغطه عليها ، بذريعة ابتزاز الأموال منها ، وحينئذ رضخت من شدة التعذيب ، خاصة وأنها كانت آنذاك مريضة بالاستسقاء (٩٥) . وقد تولى القائد علي بن العباس النوبختي تصفية وقوفها وبيع من « الضياع الخاصة الفراتية والعباسية والمستحدثة والمرتجعة وما يجري مجراها في سائر النواحي (٩٦) » ، وقد بلغت قيمة ما بيــع بالحضرة فقط من المستغلات المقبوضة بنحو خمسمائة الف دينار (٩٧) .

وفي الوقت الذي تظهر لنا طريقة التعذيب التي أتبعها القاهر مع السيدة وحشيته وفظاظة نفسه ، وغلظة قلبه ، تبين لنا في الوقت نفسه ، شدة تعنت السيدة وحبها للمال ، الذي لقيت من جرائه شتى أنواع العذاب ، الأمر الذي ادى الى أشتداد علتها . وقد نقلت عندئذ الى بيت علي بن يلبق (٩٨) حيث وافتها المنيــة بعد عشرة أيام ، وذلــك في شهر جمادي الآخرة سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م (٩٩) . وبهذه الصورة انتهت حياة السيدة أم الخليفة

---

(٩٥) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٧١ . أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٢ . ذهبي ، مشاهير النساء ، ص ٣٣٤ .

(٩٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ . أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٤ . القلقشندي ، مآثر الاناقة ، جـ ١ ، ص ٢٨٣ . أبن العبري ، م . ق ، ص ١٥٩ .

(٩٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ .

(٩٨) علي بن يلبق : أحــد المقربين لمؤنس المظفر والذي عين حاجباً للقاهر . (مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٤٢) .

(٩٩) أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٥ . (ويقول أبن الجوزي انها توفيت في جمادي الاولى من نفس السنة . المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٥٤).

المقتـــدر بالله ، والتي تعتبر من كبريات نساء بني العباس ، حيث تميزت بنفوذها الواسع ، وسطوتها لأطول فترة عرفتها حياة المرأة العباسية والتي قاربت الربع قرن خلال الحكم العباسي •

٣ ــ دور الخدم والحاشية في السياسة العامة :

أ ــ دور الحاشية في تثبيت المقتدر :

تميز العصر العباسي الثاني بكثرة الخدم وأفراد الحاشية ، حتى أن البلاط العباسي خلال هذه الحقبة ، غص بتلك الاعداد الهائلة من الخدم، الذين كانوا ينحدرون في أصولهم الى أقوام مختلفة • وقد كان في دار الخلافــة ، أبان عصر المقتدر « عشرة الآف خادم خصي غير الصقالبــة والسودان [١] » ، ويضيف صاحب الفخري انه كان في دار المقتدر « أحد عشر الف خادم خصي غير الصقالبة وابناء فارس والروم والسودان [٢] » ، لكن الصابي يوضح هذا النص أكثر فيقول : « فالاجماع واقع على انه كان فيها أحد عشر الف خادم ، منهم سبعة سوداً وأربعة صقالبة بيضاً • واربعة الآف امرأة بين حرة ومملوكة والوف من الغلمان الحجرية [٣] » ، بينما كان في عهد المكتفي عشرة الآف خادم سود وصقالبة [٤] • وبذلك

(١) أبن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٧٠ .

(٢) أبن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٠ . أبن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٩ الديار بكري ، تاريخ الخميس ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة جـ ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٣) رسوم دار الخلافة ، ص ٨ .

(٤) ن . م ، ص ٨ .

يكون المقتدر قد زاد الف خادم عما كانت عليه الحال في عهد أخيه المكتفي. وينقل لنا متز رواية أخذها عن تاريخ بغداد ، انه كان بدار المقتدر سبعة الآف خادم وسبعمائة حاجب (٥) ، وربما كان هذا السبب الذي حدا بالمقريزي الى أن يقول ان الخصيان غلبوا على الامور (٦) .

ولاشك ان هذا العدد الهائل كان يتطلب نفقات ضخمة ، كثيراً ما كانت تنوء تحت ثقلها ميزانية الدول ، وهذا بدوره كان يؤدي الى حدوث الأزمات المالية المتكررة ، والتي عصفت بكثير من الوزراء ، وأدت الى نكباتهم ، وكثيراً ما كادت تزعزع مركز الخلافة نفسها ، وبنظرة بسيطة الى نفقات المطابخ والمخابز التي بلغت عشرة الآف دينار في الشهر (٧) ، نستطيع أن نكون فكرة عن جزء من تكاليف أولئك الخدم لميزانية الدولة .

لعب بعض أفراد الخدم دوراً بارزاً في تولية جعفر المقتدر للخلافة ، ذلك أن صافي الحرمي كان قد كلف بنقل جعفر بن المعتضد من دار ابن طاهر الى دار الخلافة ، ماراً بدار العباس بن الحسن ، ولما كان صافي الحرمي قد خشي عليه غائلة الوزير ، نقله في حراقة ، دون ان يعرج على دار الوزير ، فأخذ البيعة له على الحاشية اولاً ، وبعدها حضر الوزير والقواد فبايعوه (٨) . وكان لهذه البادرة ، وقعها الحسن لدي الخليفة الجديد فتحتم عليه ان يعترف بما أسدت اليه الحاشية من فضل وتأييد منذ البداية .

(٥) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري ، جـ ١ ، ص ٢٧١ .

(٦) السلوك لمعرفة دور الالموك ، جـ ١ / قسم ١ ، ص ١٨ .

(٧) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ .

(٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤ . أبن خالدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٥٣ .

وثمة موقف حاسم آخر وقفته الحاشية بجانب المقتدر ، فقد شدت ازره في المحنة الاولى التي تعرض لها ، وذلك عندما أجمع القواد وأغلب رجال الادارة والدواوين على خلعه ومبايعة عبد الله بن المعتز [٩] ، وكان المقتدر قد أذعن لهذه الجماعة المتآمرة والمتغلبة ، وأظهر انه على استعداد للتنازل عن الخلافة ، وكاد أن ينتقل من دار الخلافة لينفسح المجال لابن المعتز ، إلا أن حاشيته ثبّتوه وقووا عزيمته وصمدوا للمتآمرين ، فلما هاجم الحسين بن حمدان دار الخلافة للسيطرة عليها والقبض على الخليفة المخلوع « قاتله من فيها من الخدم والغلمان والحشم [١٠] » ودفعوه عن الدار خائباً، حيث لاذ بالفرار نحو الموصل قانعاً بسلامته وسلامة اتباعه المقربين ، تاركاً وراءه بقية حزب ابن المعتز الذي تضعضع موقفه عندئذ .

وهكذا رجحت كفة خدم الدار ، وتعزز مركزهم ، وزادت ثقتهم بأنفسهم ، وحينئذ قالت طائفة من حاشية المقتدر : « ياقوم نسلم الأمر هكذا لم لانجرب أنفسنا في دفع ما نزل بنا ، فلبسوا السلاح وقصدوا المخرم [١١] » حيث اجتمع المتآمرون هناك ، وما أن رأوهم حتى فروا مذعورين على وجوههم وتشتت شمل جماعة ابن المعتز [١٢] وانفرط عقدها ،

(٩) الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(١٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٦ . الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ .

(١١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٦ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٩ .

(١٢) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / القسم ٤ ، ص ٧٥٥ .

وبذلك احبطت تلك المحاولة ، وأعيد المقتدر الى كرسي الخلافة مرة أخرى تحت أسنة حراب الحاشية وخدم الدار .

وكان مع المتآمرين سوسن الحاجب ، أذ أنه مال الى ابن المعتز وكان يأمل أن يصبح حاجباً لديه ولما عيّن يمن للحجابة ، رجع سوسن الى حظيرة المقتدر [١٣] . وأسهم بدور فعال في رجحان كفته على أعدائه ، غير ان الوزير الجديد ابن الفرات أنفرد بالتدبير دون سوسن ، مما أدى الى أن يتآمر الحاجب مع الغلمان الحجرية ضد الوزير ، عاملاً على اقصائه من منصب الوزارة ليقلد بدله محمد بن عبدون الذي استقدم من الاهواز لهذا الغرض . إلا أن الوزير فطن لنوايا ودسائس الحاجب وأخذ الحذر منه[١٤] .

ويقول عريب في هذا الصدد « عظم أمر سوسن الحاجب وتجبّر وطغى فأتهمه المقتدر ولم يأمنه وأدار الرأي في امره مع ابن الفرات ، فأوصى اليه المقتدر أن خذ من الرجالة من شئت ومن المال والسلاح ما شئت وتولّ من الاعمال ما أحببت وخل عن الدار أو ولها من أريد فأبى عليه وقال : أمر أخذته بالسيف لا أتركه الا بالسيف [١٥] » ، وعندئذ رأى المقتدر أن لا مناص من التخلص منه فأوعز الى بعض خدم الدار فقتلوه [١٦] .

ب — نصر الحاجب يشارك في توجيه سياسة الدولة :

صار أفراد الحاشية يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة ، حتى في الاشراف

(١٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢ .

(١٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٢ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢ .

(١٥) الصلة ، ص ٢٩ .

(١٦) الصابي ، الوزراء ، ص ١٥ . مسكويه م. ق،ج ١ ، ص ١٣ .

على تعليم أولاد الخليفة ، وذلك أن نصر القشورى ، الذي قلد الحجابة على أثر مقتل سوسن ، أوكل اليه المقتدر الاشراف على تعليم ولديه أبي العباس محمد ، وهارون حيث جعل الأخير في حجره [١٧] ، وكان نصر « موصوفاً بعقل وفضل [١٨] » ، لذلك أمر أبا بكر محمد الصولي أن يتقدم بتدريس وتربية ولدي المقتدر « وأن يجعل على النوبة لهما يومين في كل أسبوع ففعل ذلك [١٩] » .

والحق ان نصر الحاجب أهتم بتعليم أولاد المقتدر وتربيتهم تربية علمية عالية ، ولعله قصد من وراء ذلك ، ان يكون اولئك الامراء على درجة كافية من الثقافة والأطلاع ، حتى لايكونوا كأبيهم الذي تقلد منصبه في عمر مبكر ، ولم تسمح له الظروف أن يتزود بأسباب العلم والمعرفة ، لكي يتمكن من أن يشغل منصبه الرفيع بجدارة وكفاءة ومقدرة كافية . ويشير الصولي الذي جلب للأميرين معلم الحديث [٢٠] انه : « أحتجنا الى نبره بدنانير فوجه الى من جهة والدتهما فقالت : والله ما عندنا دنانير لهذا المحدث ، ولا بنا حاجة الى مجيئه [٢١] » ، ويؤكد لنا هذا النص أن أم الأميرين لم تقدر مدى أهمية تعليم ولديها ، ولا كانت تقيم وزناً للعلم والمعرفة ، وفي الوقت الذي كانت تبذر الاموال الطائلة على أدوات الترف،

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ١٥٤ .

(١٨) ن . م ، ص ٣٠ .

(١٩) الصولي ، أخبار الراضي ، ص ٢٥ .

(٢٠) أن معلم الحديث الذي جلبه الصولي هو أبو القاسم ين بنت منيع . (الصولي ، ص ٢٥) .

(٢١) أجبار الراضي ، ص ٢٥ .

بخلت على ولديها بمقدار قليل من المال لشراء بعض الكتب الضرورية .

وما أن عرف نصر الحاجب بهذا الموقف ، حتى قال للصولي : « خذ له من مالي كل شيء يريده فأوصل اليه فيمدة شهرين اربعمائةدينار [٢٢]» . وكان الصولي قد درسهما كتباً كثيرة منها كتاب (خلق الأنسان) للأصمعي [٢٣] ، فوشي به خدم الدار الى المقتدر والسيدة ، بأعتبار ان الكتاب يأتي على ذكر اعضاء التناسل ، إلا أن نصر الحاجب التزم جانب المؤدب الصولي وأفهم الخليفة واقنعه بأن : « هذا من العلوم التي لابد للفقهاء والقضاة من الاطلاع عليها [٢٤] » . ومما لاريب فيه ان هذا النص يلقي الضوء على الحاشية التي كانت تتحكم بأمور الدولة ، والتي لم تستطع أن تميز نوع الكتاب الذي يجب ان يقرأه اولاد الخليفة من غيره .

ولكنه ينبغي ان لايفهم من ذلك انكل أفراد الحاشية ، كانوا يعمدون دائماً الى تزويد الأمراء بالثقافة اللازمة ، كما عمل نصر ، فقد قال أحد أفراد الحاشية : « ما نريد أن يكون اولادنا أدباء ولا علماء ، وهذا ابوهم قد رأينا كل ما نحبه فيه وليس بعالم [٢٥] » ، ولما علم نصر بهذا الرأي تأثر كثيراً وقال : « كيف نفلح مع قوم هذه نياتهم [٢٦] » .

ولم يقف اهتمام نصر بأولاد الخليفة على النواحي التعليمية بل تعداه

---

(٢٢) ن . م ، ص ٢٥ .

(٢٣) الاصمعي : أبو العباس ثعلب توفي بالبصرة سنة ٢١٣ هـ وقيل ٢١٧ هـ ، وله ٤٤ كتاباً . (ابن النديم ، الفهرست ، ص ص ٨٨ — ٨٩) .

(٢٤) الصولي ، أخبار الراضي ، ص ٢٥ .

(٢٥) الصولي ، أخبار الراضي ، ص ٢٦ .

(٢٦) ن . م ، ص ٢٦ .

الى مجالات أخرى ذلك أن نصراً الحاجب قد اشترى ضيعة على ديالى والنهروان يقال لها (قرهاطية) كانت للنوشجاني فأشتراها حصصاً واقساماً وكلفته ثمانية عشر الف دينار ثم أهداها الى هارون بن المقتدر في حين انها كانت تساوي ثلاثين الف دينار [٢٧] . وفي حفلة أهداء هذه الضيعة عمل الحاجب نصر وليمة دعا اليها هارون وأخاه ابا العباس وعدداً كبيراً من القواد والغلمان ، فأقاموا بالضيعة يومين ، ذبح خلالهما أربعة الآف رأس من حمل وجدي وطير وغير ذلك من صنوف الدراج والطائر [٢٨] .

وفي الوقت الذي رأينا بعض أفراد الحاشية يقفون حجر عثرة امام تعليم وتثقيف أولاد الخليفة ، باخلين عليهم بمبالغ قليلة من المال ، نجدهم يسهمون في مجالات أخرى ، ويؤثرون في توجيه سياسة الدولة ، وأن تدخلاتهم تلك ، كثيراً ما كانت تلحق بالدولة أضراراً مالية كبيرة . ففي سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م صرف الوزير الخاقاني وأستوزر علي بن عيسى [٢٩] ، وقد وجد الأخير توقيعات كثيرة للوزير المعزول الخاقاني وابنيه (عبد الله وعبد الواحد) فيها تفريط وأجحاف بمصلحة الدولة . وأراد الوزير أن يعرض ذلك على الخليفة ليريه تهاون الخاقاني واهماله ، لكن أحد مقربيه نصحه بأن لايفعل ذلك ، لأن عمله هذا سوف يضر بحاشية الدار ، وأن « الخليفة على ما نعرفه من التدبير بآراء النساء والقبول من الحاشية [٣٠] » سوف لايستجيب لمثل هذا الاقتراح ، لكن الوزير ، حرصاً منه على مالية

(٢٧) عريب ، الصلة ، ص ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٢٨) ن . م ، ص ١٥٥ .

(٢٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٨ .

(٣٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٣ .

الدولة ، لم يأخذ بتلك النصيحة ، فعرض التوقيعات على المقتدر وطلب منه اسقاطها والغاءها « لكن الحاشية سبقوه اليه بالشكوى (٣١) » وبذلك باءت محاولات الوزير بالفشل ولم يستطع ان ينكل بالخاقاني ، لأنه كان مدعوماً من قبل الحاشية ، التي أكبرت من موقف الوزير المعزول وعملت على اطلاق سراحه بعد أربعة اشهر (٣٢) .

ومن بين الأسباب التي أدت الى اقصاء الوزير علي بن عيسى سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، عداء الحاشية له التي أضرته بها تدابيره المالية وسياسة التقتير التي طبقها هذا الوزير ، فأوجد بسياسته تلك عصبة داخل قصر الخلافة تناصبه العداء (٣٣) ، وتمكنت فيما بعد من أن تعصف به (٣٤) .

وكان لوشاية نصر الحاجب على الوزير ابن الفرات سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م التي أوهم بها الخليفة بأن الوزير كان متواطئاً مع المتمردين يوسف إبن أبي الساج ، والحسين بن حمدان ، وان هؤلاء الثلاثة يعملون على إزاحة المقتدر من الخلافة ، وحينئذ صدق الخليفة تلك الادعاءات واقصى ابن الفرات عن الوزارة وحبسه وصادره على خمسمائة الف دينار (٣٥) ، وصودر ابنه المحسن على ستين الف دينار (٣٦) .

---

(٣١) ن . م ، ص ٣٠٤ .

(٣٢) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٢ . الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٤ .

(٣٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٣٤) أبن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ ، ورقة ١٣٠ – آ .

(٣٥) مسكويه ، م . ق ج ١ ، ص ٦٢ .

(٣٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٦٦ .

وكان مجيء الوزير الجديد حامد بن العباس بتأثير الحاشية بما أظهر لها من تودد ، وما وعدها من عطاء ، اذ كان حامد بن العباس قد راسل نصر الحاجب طامعاً بالوزارة واعداً أياه بالمال،فتم له ما أراد ، حيث استدعي من واسط الى بغداد ليقلد الوزارة (٣٧) ، لكن جهل حامد بمراسيم دار الخلافة وبشؤون الدولة عامة ، أغضبت الخليفة ، ولأم حاشيته ، وخاصة ابن الحواري (٣٨) على مشورته ، فأقترح عليه اطلاق علي بن عيسى وتعيينه نائباً لحامد (٣٩) . وان قلة خبرة الوزير وجشعه ، أديا الى شحة المواد الغذائيـة في العاصمة ، وارتفـاع الأسعار الأمر الـذي أدى الى حصول اضطرابات (٤٠) ، حيث هجم الثائرون على قصر الوزير ودار نصر الحاجب (٤١) ، واستمر الشغب ثلاثة أيام حتى ان الجند تأثروا بروح الشغب وبدأوا يتذمرون من شدة الغلاء (٤٢) ، فأنتبه المقتدر الى الخطر المحدق ، وأمر بتحديد

(٣٧) عريب ، الصلة ، ص ٧٣ .

(٣٨) وهو علي بن الحسين أبن الحواري ، وكان من المقربين للمقتدر ، اذ تقرر تعيينه على جميع أعمال العطاء في العساكر بنواحي المغرب من حد هيت الى آخر حدود مصر . وعين أبنه (الذي كان عمره عشر سنين) على بيت مال العطاء بالحضرة براتب شهري مقداره ١٨٠ دينار . (مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٦٨) .

(٣٩) عريب ، الصـلة ، ص ص ٧٣ — ٨٤ . الصابي ، الوزراء ، ص ٣٤٧ .

(٤٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(٤١) الذي كان من أقوى الداعين لاستيزار حامد بن العباس .

(٤٢) أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٩ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧٣ .

الاسعار ، وفتح مخازن الحبوب العائدة لحامد وللسيدة ولبعض الأمراء ، وجيء بصفقات قمح للعاصمة ، وعندئذ هدأت الحال (٤٣) .

هذا بالأضافة الى أن علي بن عيسى كان قد أسقط من أرزاق اولاد القرابة والحرم والحواشي والخدم والفرسان (٤٤) ، ولاشك ان هذه الأجراءات أنهت تأييد الحاشية للوزير حامد ومساعده علي بن عيسى ، وفسح المجال أمام ابن الفرات لبذل جهود جديدة لنيل منصب الوزارة .

عمل ابن الفرات وابنه المحسن على تحسين علاقتهما بحاشية المقتدر وإستمالتهم ، والتوفيق بينه وبينهم ، وكون علاقة وثيقة مع (أبي نصر بشر ابن عبدالله النصراني) كاتب مفلح الخادم (٤٥) ، وترددت مراسلة بينهم كان من نتيجتها أن اجتمع أبو نصر بالمحسن ، وتعهد الاخير « أن يقدم للمقتدر ثلاثة الآف الف دينار ، والفا وخمسمائة دينار في كل يوم (٤٦) » اذا أطلق أبوه (ابن الفرات) وأستوزر ، وكان مفلح قد تولى عرض تعهد المحسن على الخليفة ، وحبذ له هذا العرض ، وذلك نكاية بالوزير حامد بن العباس الذي كان قد هاجم مفلحا (٤٧) . هذا بالاضافة الى أن علي بن عيسى ،

---

(٤٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٤٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٦ .

(٤٥) حصلت جفوة بين الوزير ومفلح الاسود الخادم . وكان الاخير شديد التحقق بالمقتدر مثابراً على خدمته حتى عظم أمره ، وأقطع الاقطاعات وملك الضياع الجليلة . (مسكويه ١ / ٨٧) .

(٤٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٥ .

(٤٧) أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٣ . عريب ، الصلة ، ص ١١٢ .

نائب الوزير كان قد أخر « أرزاق الحرم والخدم والحاشية فاذا أجمع عدة شهور اعطاهم البعض واسقط البعض الآخر [٤٨] » . وعندئذ ضج هؤلاء وشكوه الى المقتدر ، فأمر بأقصاء الوزير ومساعده والقبض عليهما ، واستوزر ابن الفرات للمرة الثالثة .

وقد طلب حامد أن يعتقل بدار الخلافة ، وأن يحاكم امام الوزير الجديد بحضرة القضاة والفقهاء ووجوه القواد ، ولم يمانع المقتدر ولا السيدة بذلك ، الا أن مفلحاً بين لهما بأن ذلك يقلل من هيمنة الوزير ابن الفرات على منصبه ، فأخذ المقتدر برأي مفلح وأمر ان يسلم حامد الى الوزير ابن الفرات [٤٩] . وبذلك نرى ان مفلحاً الأسود قد نجح في مسعاه، وتمكن من أن ينكل على عدوه الوزير المخلوع حامد بن العباس الذي لاقى حتفه على يد بطانة ابن الوزير [٥٠] .

وكان لمفلح الأسود دور كبير في جعل المحسن ابن الفرات يستخلف أباه على سائر الدواوين ، على الرغم من أن الوزير ابن الفرات كان يمانع بشدة أن يعطي لأبنه مثل تلك الصلاحيات [٥١] .

وأخفق ابن الفرات في وزارته الثالثة للسخط العام ضده من جراء

---

(٤٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٣ .

(٤٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٩٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٣ .

(٥٠) عريب ، الصلة ، ص ١١٢ .

(٥١) عريب ، الصلة ، ص ١١٣ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

القسوة والتعسف التي أتبعها هو وابنه المحسن مع مناوئيه (٥٢) ، ولأنه أثار عداء الحاجب نصر القشوري ، وشفيع المقتدري (٥٣) . وعلى أثر تعرض القرمطي لقوافل حجاج سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م حصل اضطراب شديد في العاصمة بغداد ، عندئذ استدعى المقتدر حاجبه نصر وأدخله في المشاورة(٥٤)، فوجد الفرصة سانحة للأنتقام من الوزير اذ بدأ يقرعه ويتهمه بالتهاون قائلاً : « زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بأبعادك مؤنساً الذي يناضل الاعداء ويدفع عن الدولة فمن يمنع الآن هذا الرجل الشرير ، ومن الذي اسلم رجال السلطان وقواده وحرمه وخدمه الى القرمطي سواك ؟(٥٥)» .

وبالرغم من أن المقتدر حاول أن يصلح بين وزيره ابن الفرات وحاجبه نصر مؤكداً لهما ضرورة تظافر الجهود على ما فيه صلاح الدولة ورد خطر الهجري (٥٦) . إلا أن الحاجب ظل حاقداً على الوزير . وقد أخذ المقتدر برأي حاجبه عندما اقترح استقدام مؤنس (٥٧) ليدرأ الخطر الذي بدأ يحيق

(٥٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٤٤ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٩٣ . أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٧٣ .

(٥٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٢ . مسكويه ، م . ق ، ص ١١٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ .

(٥٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٢١ . BOWEN , op . cit , P . 238

(٥٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٧ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ١٢١ — ١٢٢ .

أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٧٧ .

(٥٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٢٢

(٥٧) عريب ، الصلة ، ص ١٢٠ . الصابي ، الوزراء ، ص ٥٨ .

بعاصمة البلاد •

ونتيجة لما تقدم عزل ابن الفرات وسجن بدار الخلافة (٥٨) ، لكن وجوه القواد أعترضوا على ذلك وهددوا بالعصيان ان لم ينقل الوزير المخلوع الى خارج دار الخلافة ، وأسرفوا في التهديد ، وعندئذ « دعا المقتدر مؤنساً ونصراً وشاورهما (٥٩) » ، فأشارا عليه بنقل ابن الفرات من دار الخلافة ، وتسليمه الى شفيع اللؤلؤى ، فأخذ المقتدر برأيهما • وقد حاول شفيع اللؤلؤى فيما بعد أن يرد ابن الفرات الى دار الخلافة ، لكي لايسلم لأحد من أعدائه ، غير أن المقتدر قال له : « ان مؤنساً ونصراً وهارون بن غريب قد اجتمعوا على أنه لايمشي للخاقاني أمر إلاّ بتسليم ابن الفرات اليه (٦٠) » • ولعل هذا النص يوضح لنا مدى تأثير الحاشية على القرارات التي كان يتخذها الخليفة ، ومدى تأثير ذلك على سياسة الدولة العامة ، وكان ابن الفرات يعلم حق العلم سيطرة الحاشية وقوة نفوذها ، لذلك تعهد — حين راسله الخاقاني بصدد المصادرة — أن يدفع المبلغ المطلوب ان هو سلم الى مؤنس الخادم او شفيع اللؤلؤى يقيناً منه ان أعتقل عند أحدهما كانت حياته في أمان •

مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٢ •

(٥٨) العيون ، ورقة ١١٠ — ب . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨٩ •

(٥٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٦١ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٧ •

(٦٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٩ . عريب ، الصلة ، ص ١٢١ •

والظاهر أنه حتى الوزير الخاقاني ، لم تكن في يده مقدرات الوزير المعزول ، ولا يستطيع البت وحده في الأمر ، حيث صارح ابن الفرات قائلاً: « لو قدرت على التوثق لك لوثقت ، ولكن ان تكلمت في هذا المعنى عاداني خواص الدولة لأجلك (٦١) » ، ولا شك أن المقصود بخواص الدولة هنا ، حاشية الخليفة الذي أعترف الوزير نفسه بأنه لايستطيع أن يعطي وعداً قد يتعارض مع رغباتها .

وكانت كفة محمد بن عبيد الله الخاقاني قد رجحت ، بالرغم من أن المقتدر كان لايميل اليه ، ولكنه قلد الوزارة بتأثير نصر الحاجب وثمل القهرمانة وغيرهما (٦٢) ، إلا أن نصراً سرعان ما سحب تأييده للوزير الجديد ومال الى الخصيبي كاتب السيدة لأنه كان على علاقة متينة بالحاجب فعين وزيراً في رمضان سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م على أثر اقصاء الخاقاني (٦٣) .

وقد حاول علي بن عيسى في وزارته الثانية (٣١٤ — ٣١٦ هـ / ٩٢٧ — ٩٢٨ م) أن يقتصد في النفقات تلافياً للازمة المالية المستحكمة ، وشمل بأجراءته تلك « خلفاء الحجاب والحشم والمتطببين ... والفراشين والطباخين والساسة وسائر المرتزقة من الخدم (٦٤) » ، فأثار الوزير بعمله هذا حفيظة الخدم وحاشية دار الخلافة ، فأخذت تتحين له الفرص للأنتقام منه ، فما أن خرج يوماً من حضرة المقتدر ليركب طياره « فوثب به الخدم

(٦١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٦٢) ن . م ، ص ١٢٧ .

(٦٣) عريب ، الصلة ، ص ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(٦٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٥٧ ٢ أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩٢ .

والحشم بألسنتهم وثوباً قبيحاً (٦٥) » .

وبذلك نرى أن هذا الوزير الذي كان رائده الاصلاح وتمشية ادارة الدولة على أسس قويمة يتعرض لتلك الأهانات والتجاوزات من خدم الدار بالرغم من أن الخليفة أستصوب اعماله وكتب اليه بالشكر والتقـدير على اخلاصه وتفانيه وعزوفه عن أخذ أي مال من جراء خدمته تلك (٦٦) ، ومع ذلك لم يسلم الوزير العفيف من أهانة الخدم .

وكان نصر الحاجب قد ناصب الوزير علي بن عيسى العداء ، لأن مؤنساً المظفر يميل اليه ، فلما اقصي علي بن عيسى ، أدعى نصر أن الوزير المعزول كان يكاتب القرامطة على يد رجل يعرف بالجوهري ، لكن ابن عيسى انكر بقوة وأصرار ، وهم المقتدر أن يضرب علي بن عيسى على باب العامة ، بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين غير أنه عدل عن ذلك بعد أن اقتنع ببطلان ذلك الادعاء (٦٧) .

وقد أقصي الوزير ابن مقلة عن منصبه في سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م (٦٨) ، لأن ياقوت الحاجب (٦٩) ، انحرف عنه وذلك لميل الوزير الى مؤنس ، حيث استغل الحاجب ذهاب القائد مؤنس خارج العاصمة للنزهة فحرض الخليفة

---

(٦٥) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .

(٦٦) عريب ، الصـلة ، ص ١٣١ . مسكويـه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٥٩ .

(٦٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ١٨٦ — ١٨٧ .

(٦٨) أبن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، جـ ١٢ ، ورقة ١٣٣ — آ .

(٦٩) هو أبو الفوارس أحد موالي المعتضد ، تولى الحجابة بعد وفاة نصر . (عريب ، الصلة ، ص ١٣٦) .

على وزيره فقبض عليه ، وقلد سليمان بن الحسن [٧٠] ، لكن سرعان ما سحب ياقوت وأبنه تأييدهما للوزير سليمان بن الحسن ومالا الى تقليد الحسين بن القاسم وحببا للمقتدر ذلك [٧١] ، لكن صرفهما عن منصبيهما حال دون ما عزما عليه [٧٢] .

ونجد في الأعم الأغلب أن كثيراً من الذين يطمعون بالوزارة كانوا يراسلون حاشية الخليفة للأتفاق معهم على الطريقة والمبلغ الذي يقدمونه لأفراد تلك الحاشية ، مقابل حصولهم على هذا المنصب ، فعندما طمع أبو عبد الله محمد بن خلف النيرماني [٧٣] بالمنصب الوزاري راسل نصر الحاجب وتعهد أن يدفع الف الف دينار [٧٤] ، وكان نصر قد وعده بالوزارة بعد صرف علي بن عيسى عنها [٧٥] ، إلا أن كفة ابن مقلةرجحت لدى الحاجب، وذلك لما بذله من أموال ، وما قام به من تودد ومداراة لأفكار نصر [٧٦] ، وبذلك خابت محاولات النيرماني وفاز بالوزارة ابن مقـلة [٧٧] ، لأن

---

(٧٠) عريب ، الصلة ، ص ١٥٠ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٧١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٧٢) ن . م ، ص ٢١١ . أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٣ .

(٧٣) النيرماني : هو كاتب يوسف أبن أبي الساج . (أنظر أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩٤) .

(٧٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٧٥) أبن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٨ .

(٧٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٧٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٤١ .

المقتدر أخذ برأي حاجبه الذي مال الى ابن مقلة • ولما رأى غريمه مؤنساً يميل الى بقاء علي بن عيسى ومداراته ، وان تعذر ذلك تقليد أبي زنبور الحسين بن احمد بن كردي المادرائي •

ولـم يقتصر نفوذ الحاشية وموظفي البـلاط على التدخل في الأمور السياسية والأدارية حسب ، بل تعداه الى اسهامهم في الشؤون العسكرية ، فأزاء الوضع الخطر الذي خيّم على سماء العاصمة من جراء تهديد الجنابي لها عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، اجتمع الوزير آنذاك بالحاجب نصر وشاوره في ايجاد السبل لدرء هذا الخطر (٧٨) • وعندئذ تقرر ارسال نصر الحاجب على رأس جيش كثيف قوامه نيف وأربعون الف مقاتل سوى الغلمان ومن يريد النهب (٧٩) ، ويضيف مسكويه الى أن نصر الحاجب خرج ومعه الحجرية والرجالة المصافية وجميـع من بقي ببغـداد من القواد وبين يديه عـلم الخليفة (٨٠) • وقد أبلى نصر بلاءً حسناً في قتاله للقرامطة ورسم عـدة خطط كان آخرها خطة لانقاذ يوسف بن أبي الساج من الأسر ، لكن كثرة الأجهاد والأعياء أفقدته الحركة ، وأصيب بحمى شديدة ، فقد على أثرها الوعي (٨١) ، وحينئذ نقل الى بغداد ، ثم واتتـه المنية وهو في الطريق سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م (٨٢) • وعين المقتدر هارون بن غريب لقيادة الجيش

---

(٧٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٥ .

(٧٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ص ١٨٧ — ١٨٨ .

(٨٠) تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٧٦ .

(٨١) عريب ، الصلة ، ص ١٣٣ .

(٨٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٢ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .

الذي كان تحت أمرة نصر [٨٣] .

ويبدو أن الحوادث أثبتت أن كثيراً من مؤامرات البلاط ودسائسه كان للخدم وحاشية الخليفة دور بارز وفعال فيها ، وهذه المؤامرات بدورها ، كان لها التأثير الواضح في توجيه سياسة الدولة نحو تحقيق أطماع وأطماح اولئك المقربين من الخليفة . فقد لعب أحد خدم الدار دوراً فعالاً في اثارة القائد مؤنس على الخليفة في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م عندما أخبر الاول بأن هناك مكيدة تدبر ضده في قصر الخلافة [٨٤] ، ولم تهدأ ثائرة القائد إلا بعد أن وجه اليه المقتدر برسالة يعتذر بها ، وينفي كل مابلغ مؤنس [٨٥] ، وكاد هذا الخادم أن يوقع بين الخليفة وقائده المقرب ويصدع كيان الدولة بوشايته تلك .

جـ ـ دور الخدم في الصراع السياسي :

وكان خـــدم الدار قد استأثروا بالأمر ، وملكوا الضياع ، وصار الخليفة يرجع الى رأيهم في تدبير شؤون الخلافة في كل صغيرة وكبيرة ، وقد أغاض ذلك الجيش ، وعلى رأسه قائده مؤنس المظفر ، وتأزمت العلاقة بين الخليفة وبعض فرق الجيش التي كانت ترغب بأن تكون لها الكلمة الاولى في تسيير الأمور ، وقد عبّر عن وجهة نظر الجانب العسكري قائده ، حيث

(٨٣) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .

(٨٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٦٠ . ابن الاثير ، جـ ٦ ، ص ١٨٦ .

(٨٥) عريب ، الصلة ، ص ١٣٣ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٦ .

كتب الى المقتدر يعلمه : بأن الناس ينكرون أسرافه فيماأقطع الحريم والخدم من الأموال والضياع ، ورجوعه اليهم في تدبير الخلافة [٨٦] ، ويطالبه بأخراجهم من الدار ، وانتزاع ما في أيديهم من الأموال والأملاك [٨٧] .

ومع ان الخليفة استجاب لمطاليب الجانب العسكري ، وأخرج بعض أفراد الحاشية الى خارج العاصمة [٨٨] ، إلا أن نفوذ الحاشية استمر يلعب دوره بنفس الدرجة من القوة داخل قصر الخلافة ، وبخاصة بعد أن صرف المقتدر احمد بن نصر القشوري عن الحجابة وقلدها ياقوتاً [٨٩] ، الذي لم يكن على وئام مع قائد الجيش ، مما أدى الى حصول انقلاب عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م الذي أدى الى خلع المقتدر عن كرسي الخلافة كما سنرى [٩٠] وبذلك فقد المقتدر منصبه لأنه أدخل الخدم في الرأي والتدبير . لكن خدم الدار والحاشية الذين خشوا على نفوذهم أن يتضاءل أسهموا مع مناسهم في أحباط هذا الانقلاب ، « لأنهم كلهم من صنائع المقتدر [٩١] » حيث

(٨٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٠ . أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/قسم ٤ ، ص ٧٩٥ .

(٨٧) العيون ، ورقة ١٢٧ ــ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٥١) .

(٨٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٢ .

(٨٩) عريب ، الصلة ، ص ١٤٥ ، أبن الاثير ، ألكامل،جـ٦، ص ١٩٨ .

(٩٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ١٩٢ ــ ١٩٣ . أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠١ . أبن خلدون ، ألعبر ، المجلد ٣/قسم٤ ، ص ٧٩٧ .

(٩١) أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٨ . مسكويه، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

بادروا الى أغلاق أبواب قصر الخلافة (٩٢) ، وبذلك تعذر على المتآمرين الهرب ، وهجم بعض الخدم على أبي الهيجاء فقتلوه وحملوا رأسه (٩٣) ، كما القي القبض على القاهر ، وارجع المقتدر بالله الى منصب الخلافة مرة أخرى وهدأت الفتنة (٩٤) .

ومع ذلك فإن الحاشية بقت تحرض الخليفة على العناصر العسكرية محاولة أبعاد سيطرتها عنه ، وتخفيف قبضتها على الشؤون السياسية ، حتى تستأثر وحدها بالأمور ، وانقاد الخليفة لرأي الحاشية ، وتعاظم مركز محمد إبن ياقوت الذي قلد الحسبة بالأضافة الى الشرطة ببغداد (٩٥) ، فقويت شوكته ، فشق ذلك على قائد الجيش (٩٦) ، وطلب من المقتدر صرفه وصرف أبيه عن الحجابة وأبعادهما عن الحضرة (٩٧) ، وقد عهد بالحسبة في بغداد الى ابراهيم بن بطحاء (٩٨) ، ويقال أن لمحمد بن ياقوت ضلعاً في حرق دار

(٩٢) الهمداني ، ألتكملة ، جـ ١ ، ص ٦٠ ، مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٦ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧ .

(٩٣) العيون ، ورقة ١٢٤ — ب . عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ . الهمداني ، ألتكملة جـ ١ ، ص ٦٠ .مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ،ص١٩٨ . أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٨ .

(٩٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .

(٩٥) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ . العيون ، ورقة ١٢٧ — ب (تحقيق، نبيلة ، ص ٣٥١) أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٧ .

(٩٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ .

(٩٧) عريب ، الصلة ، ص ١٥٩ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢١٠ .

(٩٨) عريب ، الصلة ، ص ١٥٧ .

الوزير المخلوع ابن مقلة والتي أنفق على بنائها مائتي الف دينار كما ذكر (٩٩) .

وهكذا أبعد ياقوت وابنه (١٠٠) وحل ابنا رائق محمد وابراهيم محل ابن ياقوت (١) ، وسرعان ما تجددت الجفوة بين الخليفة وقائد الجيش ، ذلك أن القائد أتهم كلاً من الوزير الحسين بن القاسم ومفلح الأسود بالتآمر عليه ، وكان المقتدر قد عبر عن ثقته المطلقة بمفلح (٢) ، ومما عزز مركز الحاشية ان أستقدم بعض اعضائها الذين سبق ان أبعدوا الى خارج العاصمة ومنهم هارون بن غريب ومحمد بن ياقوت (٣) وقد حاول المقتدر أن يعيد ابن مقلة الى الوزارة بعد أن تضعضع مركز الحسين بن القاسم لكن حاشية الخليفة صدته عن ذلك ، لأن ابن مقلة كان من مؤيدي القائد (٤) . وتعتبر هذه الاجراءات بمثابة تعزيز لمركز الحاشية ، واضعاف للجانب العسكري ، وقد عبر قائد الجيش عن ذلك معللاً سبب تركه الحضرة

(٩٩) ن . م ، ص ١٥٤ .

(١٠٠) كانت قد نقلتهما نيف واربعون سفينة محملة مالا وسلاحا وسروجا وسيوفا ومناطق وغير ذلك وثمانية طيارات وشذاة (عريب، الصلة ، ص ١٦٠).

(١) العيون ، ورقة ١٢٨ — آ . عريب ، الصلة ، ص ١٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٦ .

(٢) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ . . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٦ .

(٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٤) عريب ، الصلة ، ص ١٦٥ .

لأن اعداءه من أفراد الحاشية كانوا يؤلبون الخليفة ضده (٥) . وقد وقف بعض أفراد الحاشية أمام الجهود المبذولة لتسوية الخلاف بين المقتدر وقائد الجيش لأنهم كانوا يكرهونه ويخشون عودة سيطرته وأوهموا الخليفة بأن تهاونه مع قائد الجيش ما هو إلا عجز واضح (٦) ، وبينوا له ضرورة تجهيز جيش لملاقاة القائد وتوفير المال اللازم لذلك (٧) . وقد وقفت الحاشية امام عزم المقتدر ورغبته في الانحدار الى واسط عندما زحف مؤنس على بغداد (٨) ، ذلك ان محمد بن ياقوت زين له محاربة مؤنس وقوى أمله في النصر قائلاً : « بأن القوم متى ما رأوه عادوا بأجمعهم اليه فرجع الى قوله وهو كاره (٩) » ولم تكتف الحاشية ببقاء الخليفة في العاصمة بل بدأت تحبذ له الخروج على رأس الجيش لملاقاة مؤنس حيث أشار محمد ابن ياقوت عليه بالخروج بنفسه الى المعسكر حتى يراه الجند ، وعندئذ يقاتلون بحماس واندفاع شديدين ، وقال له : « ان رآك رجال مؤنس أحجموا عن محاربتك (١٠) » ، فأجابه المقتدر : « أنت والله رسول ابليس (١١) » . فخرج على مضض منه ، وبالرغم من معارضة والدته

(٥) ن . م ، ص ١٧٤ .

(٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ . عريب ، الصلة ، ص ١٧٥ .

(٧) العيون ، ورقة ١٢٩ — ب . أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢١ .

(٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ . العيون ، ورقة ١٢٩ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٥٥) .

(٩) أبن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢١ .

(١٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .

(١١) ق . م ، ص ٢٣٥ .

لخروجه (١٢) .

كما أن ابن رائق كان هو الآخر يحث الخليفة على الخروج ليكون على رأس الجيش ، ولما رآه متثاقلاً قال له : « عجّل يا سيدي ليراك الناس ، فقال له الى أين أعجل بأوجه الشؤم ؟ (١٣) » . وهكذا رضخ الخليفة لضغوط حاشيته والحاحهم ، وخرج وهو يائس ومتشائم من ذلك الخروج ، فما أن لبس ثيابه حتى عرج الى أمه وقال لها : « أستودعك الله هذا يوم الحسين بن علي (١٤) » ، وقد ضرب للخليفة مضرب بالشماسية سمي « مضرب الدم (١٥) » ، وعندما دارت المناوشات بين الجيشين سألت الحاشية الخليفة التقدم نحو ساحة المعركة لترتفع بوجوده معنويات جيشه ، فتردد في باديء الأمر ، لكنه اضطر الى التقدم تحت الحاحهم ومعه مفلح الأسود (١٦) ، وما أن تقدم الخليفة حتى انهزم اصحابه من ساحة المعركة تاركين الخليفة وحده (١٧) ، حيث وافاه قوم من جيش مؤنس فقتلوه وحملوا رأسه وتركوا جثته في العراء (١٨) ، الى أن جاءه رجل فطرح عليها

(١٢) عريب ، الصلة ، ص ١٧٦ .

(١٣) ن . م ، ص ١٧٦ .

(١٤) ن . م ، ص ١٧٦ .

(١٥) العيون ، ورقة ١٢٩ — آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ص ٣٥٣ — ٣٥٤) أنظر كذلك ، عريب ، الصلة ، ص ١٧٦ .

(١٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ . العيون ، ورقة ١٣٠ — آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٥٤) . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢١ .

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ١٧٨ .

(١٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٣٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ /

حشيشاً [١٩]، وعلى ذلك أشار المسعودي بقوله : « قتل المقتدر بين خاصة وضائعة دون سائر من كان معه [٢٠] » .

وما أن سقط الخليفة مضرجاً بدمائه حتى لاذ اصحابه وحاشيته بالفرار الى المدائن وعلى رأسهم ابنه عبد الواحد ، وهارون بن غريب الخال ، ومفلح الأسود ، ومحمد بن ياقوت ، وابنا رائق [٢١] ، تاركين وراءهم جثة الخليفة ، ومخلفين أفراد عائلته الذين أصبحوا في قبضة الجيش المنتصر .

وبالرغم من أن الخليفة الجديد (القاهر بالله) صادر جميع حاشية المقتدر [٢٢] إلا أن رجال المقتدر وحاشيته أخذوا يهادنون القاهر تباعاً ، حيث ان هارون بن غريب كان قد كتب الى المسؤولين في العاصمة يطلب الامان ، ويبذل مصادرة مقدارها ثلثمائة الف دينار وتعهد بأن « يؤدي من أملاكه حقوق بيت المال القديمة [٢٣] » متناسياً صلته بالخليفة المقتول ، ومواقفه السابقة من مؤنس وجيشه ، ومع ذلك فقد أجيب طلبه . ويظهر لنا من النص السابق أن أفراد الحاشية كانوا في بعض الاحيان ، لايؤدون

قسم ٤ ، ص ٨١٨ .

(١٩) عريب ، الصلة ، ص ١٨٠ ، مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ .

(٢٠) التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٨ .

(٢١) مسكواه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٤ . ابن خلدون العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٩ .

(٢٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ .

(٢٣) مسكوينه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٤ .

ماعليهم من حقوق بيت المال ، والظاهر أن الموظفين المختصين كانوا لايجرأون على مطالبتهم بتلك الحقوق •

وكتب مفلح الأسود ومسرور الخادم وبعض القواد الى يلبق بالامان فأمنهم ، وكذلك عمل محمد بن ياقوت وعبد الواحد بن المقتدر (٢٤) ، وقد أجيبت طلبات كل هؤلاء وعادوا الى بغداد ، وهكذا نرى أن أفراد حاشية المقتدر يسارعون ، الواحد بعد الآخر ، لأعلان الولاء للخليفة الجديد والانخراط في خدمته ناسين أو متناسين مواقفهم السابقة حين كانوا يضغطون على المقتدر بالحاح شديد لمحاربة مؤنس وعدم قبول أية تسوية سلمية معه•

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٤ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨٢٠ •

الفصل الثالث

الوزارة في عهد المقتدر بالله

١ ــ الوزارة وأثرها في سياسة الدولة .
٢ ــ وزارة علي بن الفرات الأولى ٢٩٦ ــ ٢٩٩ هـ .
٣ ــ وزارة الخاقاني وفساد النظام الأداري ٢٩٩ ــ ٣٠١ هـ .
٤ ــ علي بن عيسى الوزير المصلح ٣٠١ ــ ٣٠٤ هـ .
٥ ــ وزارة ابن الفرات الثانية ٣٠٤ ــ ٣٠٦ هـ .
٦ ــ حامد بن العباس يتقلد الوزارة ٣٠٦ ــ ٣١١ هـ .
٧ ــ وزارة ابن الفرات الثالثة ٣١١ ــ ٣١٢ هـ .
٨ ــ وزارة أبي القاسم عبد الله محمد بن الخاقاني ٣١٢ ــ ٣١٣ هـ .
٩ ــ وزارة أبي العباس احمد بن عبيد الله ٣١٣ ــ ٣١٤ هـ .
١٠ ــ عودة علي بن عيسى الى الوزارة ثانية ٣١٤ ــ ٣١٦ هـ .
١١ ــ وزارة أبي علي محمد بن مقله ٣١٦ ــ ٣١٨ هـ .
١٢ ــ وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ٣١٨ ــ ٣١٩ هـ .
١٣ ــ وزارة الحسين بن القاسم بن وهب ٣١٩ ــ ٣٢٠ هـ .
١٤ ــ وزارة الفضل بن جعفر بن الفرات ٣٢٠ هـ .
١٥ ــ مصادرة الوزراء .

الوزارة في عهد المقتدر بالله

تأتي مؤسسة الوزارة ، بعد الخلافة من حيث الأهمية السياسية والأدارية ، أذ أسهمت بدور فعال في توجيه نظام الدولة الاسلامية ، ورسم سياستها العامة . والوزير وسيط بين الخليفة والرعية ، فهو من ناحية يساعد الخليفة في حمل بعض أثقاله ويعينه في ادارة شؤون الدولة ، ومباشرةمهامها، وبذلك يلجأ الخليفة الى رأيه ، وهو من ناحية أخرى يطلع الخليفة على أحوال الرعية بوجه عام (١) ، فصارت الوزارة حينئذ أرفع رتبة وأعلى مقاماً (٢) ، وذلك لأن النظر للوزير كان عاماً في سائر الأمور (٣) .

نشأت الوزارة بسيطة،وتدرجت في النمو التدريجي ، لذا فإن نظريتها ، وضعت في عصر متأخر ، مستفيدة من التجارب السابقة ، مع اضافة شيء من التهذيب والترتيب . ولفهم التفكير السياسي والأداري في المجتمع الأسلامي ، لابد لنا من التعرف على نظرية الوزارة (٤) ، وقواعد اختيار الوزراء ، يقول المسعودي : « فلم تكن الخلفاء والملوك تستوزر إلا الكامل من كتابها ، والأمين العفيف من خاصتها ، والناصح الصدوق من رجالها ، ومن تأمنه على أسرارها وأموالها ، وتثق بحزمه وفضل رأيه وصحة تدبيره

(١) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، أدب الوزير ، ط ١ ، مطبعة دار العصور للطبع والنشر ، القاهرة ، ص ٩ .

(٢) أبن خلدون ، المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، ص ٢٣٨ .

(٣) أبن خلدون ، ن . م ، ص ٢٣٨ .

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٣٨ — ٢٤٠ .

في أمورها » (٥) .

أراد المقتدر في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م أن يختار لنفسه وزيراً وطلب من أحد ثقاته قبول الوزارة فأمتنع لكبر سنه (٦) فأرسل اليه الخليفة اسماء بعض المرشحين ليختار منهم من يراه أهلاً للوزارة ، لكن هذا الرجل أشار بتعيين القاضي محمد بن يوسف ، فظن الخليفة أن صاحبه هذا قد غشه ، ولم يخلص له النصح ، ولما سئل في ذلك قال : « لعمري أنه قاض عالم ثقة ، الا أنني لو فعلت ذلك لأفتضحت عند ملوك الأسلام والكفر ، لأنني أكون بين أمرين : أما ان تتصور مملكتي بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة ، فيصغر الأمر في نفوسهم ، أو أنني عدلت عن الوزراء الى أصحاب الطيالس ، فأنسب الى سوء الاختيار (٧) » .

ويوحي قول المقتدر هذا ، بميله الى صيغ المؤسسات الادارية بصفة مدنيـة والأستعانة بفئة الكتـاب الحاذقـين في الأمور المالية والأدارية ، والأنصراف عن القضاة الذين يبدو أنه وجدهم لايصلحون الا لممارسة القضاء .

والحق أن وزراء المقتدر لم تكن تتوفر فيهم « خطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة (٨) » ، فلم يل الوزارة خلال عهده أحد من قادة الجيش ، وكان الخليفة يختار وزراءه من بين المثقفين ثقافة أدبية ، ويأبى اسناد الوزارة الى العلماء وأصحاب الطيالس .

(٥) التنبيه والاشراف ، ص ٣٤٠ .

(٦) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٢ .

(٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٤٦ . متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٣ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ص ٣٧ — ٣٨ .

(٨) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٨ .

ويبدو لنا جلياً ان الوزارة قد رسخت أسسها ، وتحددت مفاهيمها ، وبانت مؤهلات من يتقلدها ، واتسعت سلطاتها ، حتى صار الوزير يشرف على الدواوين كافة ، « وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد [٩] » ، ومع وجود هذه السلطة الواسعة للوزير ، كان الخليفة يستطيع سحبها ، متى أراد ، دون تردد أو حذر [١٠] ، ولعل سياسة العزل التي اتبعها المقتدر مع وزرائه ، والنكبات التي تعرضوا لها تؤكد لنا — كما سنرى — أن المقتدر على الرغم من صغر سنه ، كان يمثل السلطة العليا الموجهة لمؤسسة الوزارة وخاصة حينما يكون الخليفة في وضع يساعده على التصرف وفق نظرته للأمور .

ومع ذلك فإن الوزارة ومراسيمها استمرت تنمو وتتبلور ، اذ يسترعي انتباهنا في بعض الفترات من هذا العصر ، تقديم الوزير على القواد وخضوعهم له [١١] ، مع أنه لم يكن إلا رئيس الكتاب ، فقد كان من مراسيم الوزارة ، ان الوزير الجديد ، عندما يتقلد منصبه هذا ، يسير بين يديه الأمراء ، والقواد ، والعلماء ، والقضاة ، والفقهاء ، والاعيان [١٢] .

ولعلنا نلمس أولى المحاولات التي أسهم فيها الوزراء والكتاب في التأثير

---

(٩) أبن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٨ .

(١٠) الدوري ، النظم الاسلامية ، جـ ١ ، ط ١ ، مطبعة نجيب ، بغداد ، ص ٢٢١ .

(١١) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٦٩ .

(١٢) العيون ، ورقة ٦٨ — آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٢٦) . المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ . عريب ، الصلة ، ص ٢٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ص ٨ . أبن الجوزي، المنتظم ، جـ ٦، ص ٨١ .

على سياسة الدولة ، بالنسبة للعصر الذي نحن بصدد البحث فيه ، اذ اتجهت نية الوزير والكتاب الى اختيار شخص ضعيف ليتولى الخلافة ، غير عارف بثروة وممتلكات موظفية وعائداتهم ، جاهلاً في ادارة الأمور (١٣) ، حتى تصبح السلطة الحقيقية بيد الوزير ، وعلى هذا الأساس أشار ابن الفرات بتقليد جعفر بن المعتضد الذي لم يبلغ الحلم (١٤) ، وقال : « ولم تجيء برجل يأمر وينهي ... ولم لاتسلم هذا الأمر الى من يدعك تدبره أنت ؟ (١٥) » ، واستجاب الوزير لرأي ابن الفرات وقلد جعفراً الخلافة ، ولقب المقتدر بالله سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، « ووافق ذلك ما كان المكتفي عهد به من تقليد أخيه جعفر الخلافة (١٦) » .

ولكن سرعان ما ندم الوزير على عمله هذا ، واستصغر الخليفة الجديد واتفق مع المتآمرين ضده من الكتاب والقواد (١٧) ، وذلك لصغر سنه ، ولتسلط نساء القصر عليه ، فغضب القواد والقضاة والكتاب ، واجتمعوا

(١٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣ .

(١٤) الصابي ، الوزراء ، ص ١١٥ .

(١٥) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١١٩ . أمين ، ظهر الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٦ .

أحمد شلبي ، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ج ٤ ، ط ٢ ، ص ٣٨ .

(١٦) العيون ، ورقة ٦١ — آ . عريب ، الصلة ، ص ٢١ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٦٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١١٩ . ابن العبري ، ص ١٥٥ .

(١٧) ابن خلكان ، م . ق ، ج ٣ ، ص ١٠٢ . ابن العبري ، ص ١٥٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٥٤ .

بالوزير وأتفقوا معه على خلع المقتدر والبيعة لعبد الله بن المعتز [١٨] ، غير ان المقتدر بالله تمكن من أن يرجع الوزير الى حضيرته بدفعه له أموالاً أرضته [١٩] ، وحينئذ رأى الوزير أن « أمره مستوثقاً مع المقتدر بدا له فيما عزم عليه وخالفهم [٢٠] » لأن الخليفة الشاب ، أقر العباس بن الحسن على ما كان عليه ، وأطلق يده فأخرج مال البيعة [٢١] ، وصار يدبر الأمور بنفسه والخليفة الجديد منشغلاً بملاهيه [٢٢] .

ومن هنا يتضح لنا أن الوزارة ، لم تحتفظ بقوتها وهيبتها فحسب ، بل أصبح الوزير يشرف على رؤساء الدواوين المختلفة [٢٣] ، ويهيمن على جميع مرافق الدولة ، حتى أنه تدخل أحياناً في اختيار الخليفة نفسه . وكان من رسم الوزير ، ألا يذهب الى دار الخلافة إلا في أيام الموكب ، وكان ذلك في يومي الأثنين والخميس في أوائل القرن الرابع الهجري [٢٤] ، وقد جرى الرسم ان يساير الوزير إذا ركب إلى دار الخلافة ، واحد من كبار

---

(١٨) السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٨ ، اليوزبكي ، م . ق ، ص ١٦٧ .

(١٩) السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٨ .

(٢٠) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ / ج ٣ ، ص ٢٢٨٠ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

(٢١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١١٩ .

(٢٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٥ .

(٢٣) جوستاف فون جروينباوم ، حضارة الاسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ص ٢٠٥ .

(٢٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٧ . متز ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

كتابه الأربعة الذين يتولون الدواوين (٢٥) . وعندما يسند منصب الوزارة الى شخص ما ينتقل هذا الشخص الى الدار التي أعدت خصيصاً لسكنى الوزير ، وهي دار المخرّم (٢٦) ، والتي كانت قديماً لسليمان بن وهب على الشاطيء الشرقي لنهر دجلة ، وكان يقف على باب دار الوزير عدد من الرجال لحراستها ، حتى بلغوا الثلاثين في بعض الاحيان ، كما ويقف في مجلس الوزير غلمان مسلحون (٢٧) .

وكثيراً ما كان الخليفة يتفقد أحوال وزيره ، يواسيه عندما تنزل به الشدائد فلما مرض الوزير علي بن عيسى في سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م أرسل الخليفة المقتدر بالله ابنه هارون ليعوده ويبلغه سلام الخليفة ، وقد رافق الأمير هارون القائد مؤنس المظفر ، ونصر الحاجب ووجوه الغلمان (٢٨) ، ونوى الخليفة أن يزور وزيره المريض في بيته ، وعندئذ « ركب علي بن

---

(٢٥) العيون ، ورقة ٥٩ — ب . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص١١٩

(٢٦) دار المخرم : تقع في الجانب الشرقي لنهر دجلة ، وكانت تابعة لسليمان بن وهب ، وذرعتها تربو على ثلثمائة ألف ذراع (متز ، ج ١ ، ص ١٧١) . ويقول الصابي مساحة دار المخرم ٣٤٦ر٧٣ ذراعة (ألوزراء ، ص ١٩٩) . وأنفق ابن الفرات في أصلاحها (٣٠٠ ألف دينار) . (الوزراء، ص ١٩٩) .

(أنظر الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص ص ٩٥ — ٩٦ (.) مسكويه، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٥٨) .

(٢٧) متز ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٧١ .

(٢٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٤٤ .

عيسى على جهد عظيم حتى سلم على الخليفة لئلا يكلفه الركوب اليه [٢٩]» •

واذا أراد الوزير أن يكتب شيئاً في حضرة الخليفة ، فقد كان الرسم أن تحضر له دواة لطيفة بسلسلة ، فيمسكها بيده اليسرى ، ويكتب بيده اليمنى ، وقد رأى الخليفة المقتدر مشقة ذلك على وزيره علي بن عيسى ، وهو يكتب كتاباً هاماً بحضرته ، فأمر ان « يقف أحد الخدم فيمسك الدواة الى أن يفرغ الوزير من الكتابة ، وكان علي بن عيسى أول وزير أكرم بهذا الأجراء ، ثم صار رسماً للوزراء بعده [٣٠] » • وحفظاً على أسرار الدولة ، جرت العادة أن يكون الشخص المكلف بحمل الدواة للوزير ، أمياً حتى لايستطيع ان يقرأ ما يكتبه الوزير ، وخاصة اذا كان ما يراد كتابته يتطلب السرية والكتمان •

ومما زاد من أهمية منصب الوزارة وخطورته ، انه كان للوزير سلطة الأشراف المباشر على إدارة مالية البلاد ، فهو الذي يعمل الدخل والخرج ، ويفرض الضرائب أو يسقطها ، ويحصل الأموال من النواحي [٣١] ، وجميع الوزراء الذين أستعفوا أو عزلوا في الربع الأول من القرن ألرابع ألهجري ، إنما فشلوا أمام الصعوبات المالية [٣٢] •

والذي يؤكد مسؤوليات الوزارة وتأثيرها في توجيه سياسة الحكم ، أن عمل الوزير لم يقتصر على الشؤون المالية فحسب ، بل كان الوزراء

(٢٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٤٤ .

(٣٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦٩ . متز ، م . ق،جـ ١،ص ١٧٢ .

(٣١) الصابي ، الوزراء،ص ٢٣٩ . أبن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٨ .

(٣٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٤ . متز ، م.ق ، جـ ١ ، ص ١٧٤ .

يقومون بدور رئيس في المحافظة على نظام الحكم ودعمه ، وتثبيت أركان الدولة ، عن طريق اختيار إداريين أكفاء ، يديرون الأقاليم المختلفة (٣٣) ، وحتى في بعض الاحيان أمتد سلطانهم الى أختيار القادة من ذوي الكفاءة العسكريين (٣٤) ، وفي كثير من الاحيان أصبح بعض الوزراء ، أداة فعالة في تقويض كيان الدولة عن طريق اختيار شخصيات إدارية وعسكرية لاخبرة ولا دراية لها في واجباتها (٣٥) .

٢ — وزارة علي بن الفرات الأولى ٢٩٦ — ٢٩٩ هـ :

عندما فشلت فتنة عبد الله بن المعتز وحزبه ، أسندت الوزارة الى علي بن محمد بن موسى بن الفرات سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م (٣٦) ، وكان الوزير الجديد ، من أدهى الوزراء في عصره وأفصحهم (٣٧) ، اذ عدّ في مصاف مشاهير الأدباء ، وقد أورد لنا الصابي هذه الأبيات من شعر ابن الفرات (٣٨) .

---

(٣٣) عريب ، الصلة ، ص ٢٩ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ٢٨ .

(٣٤) عريب ، الصلة ، ص ص ٢٩ — ٣٠ .

(٣٥) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤٠ .

(٣٦) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٢ . ابن خلكان ، م . ق ، جـ ٣ ، ص ٩٧ .

(٣٧) لقد قال غريمه علي بن عيسى حين علم بقتل ابن الفرات عام ٣١٢هـ « اليوم ماتت الكتابة » (الصابي ، الوزراء ، ص ٨٣) .

(٣٨) الوزراء ، ص ٨٦ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ ١٢/القسم ٢ ، ورقة ١٩١ — آ .

خليلي قد امسيت حيران موجعاً   وقــد بان شــرخ للشباب فودّعا
ولابد أن أعطي للذائذ حقهــــا   وان شاب رأسي في الهوى وتصلّعا
اذا كنت للأعمال غير مضيــــع   فما حــق نفسي ان أكون مضيّعا

أسهم ابن الفرات في تمهيد الأمور للمقتدر (٣٩) ، اذ بلغ من العمر حين تقلد منصب الوزارة الخامسة والخمسين (٤٠) ، وبذلك يكون قــد اكتسب ، خلال عمره المديد ، خبرة كافية في الأمور الادارية والمالية (٤١) ، وقد فوض اليه الخليفة الأمور كلها ، وقلده سائر الدواوين وخلع عليه (٤٢)، فدبرها (أبو الحسن ابن الفرات) كما يدبرها الخلفاء ، وانصرف المقتدر الى لذاته ، وكما أكدت بعض النصوص أن تقليد ابن الفرات ، لم يكن إلا بهدف أبراز دوره الكامل في الحكم ، لأنه في حقيقة الأمر كان يمارس الحكم قبلاً بزمن طويل بصفة غيرمباشرة ورسمية ، وبذلك تسنى له ادخال تغييرات مهمة في أطار الدولة (٤٣) . فأمر الوزير الجديد بأزالة الرسوم الجائرة ، وسار بالعدل والأحسان والعفو عن الجناة اذ صفح عن أغلب من

---

(٣٩) ابن الجوزي ، أخبار الحمقى والمغفلين ، ط ٢ ، مطبعة البصري ، بغداد ، ص ٨٣ . أنظر الصابي ، الوزراء ، ص ص ١٢٠ — ١٣١ .

(٤٠) ن . م ، ص ٨٣ .

(٤١) لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ١٩٠ .

(٤٢) الصابي ، الوزراء ، ص ١٠١ .

(٤٣)

DOMINIQUE SOURDEL , LE VIZIRAT ABBASIDE , DE 749 A 932 ((132 a 324 de I 'Hegire)) . TOME II , DAMAS , P . 388 .

كان قد خرج مع عبد الله ابن المعتز [٤٤] ، ولم يتم ليلته تلك إلا والأمور قد استقرت وسكنت الفتنة فقال الشاعر في حقه :

ودبرت في ساعة دولـــة تميل في غيرك في شهر [٤٥]

ولما كثرت توسلات القاضي يوسف بن يعقوب بأبن الفرات لتخليص ابنه (أبي عمر) من القتل المحقق الذي كان ينتظره ، وذلك لأشتراكه بفتنة ابن المعتز ، سأل الوزير المقتدر الصفح عنه ، وأطمعه في ماله ومال ولده ، فسلمه المقتدر الى الوزير ، فصادره على مائة الف دينار [٤٦] ، كما أنه حث الخليفة ليهب حلمه وعفوه لأولئك المتآمرين ، حتى يتجنب قيام المضاعفات والثورات التي ستقلق الوزير الجديد والخليفة الصبي ، وإنطلاقاً من هذا المبدأ أشار بأحراق الوثائق وقوائم الأسماء التي كانت بحوزة مؤيدي تلك الحركة ، وكان لعمله هذا وقع حسن لدى الناس . وما زال يضغط على الخليفة حتى جعله يرضى على الحسين بن حمدان [٤٧] وغيره من حزب

---

(٤٤) العيون ، ورقة ٦٤ — آ (تحقيق ، نبيلة ، ص‌ص ٢١٥—٢١٦) . الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ١٢/قسم ٢ ، ورقة ١٩٠ — ب .

(٤٥) أبن الطقطقي ، م . ق ، ص ٢٦٥ .

(٤٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٣ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٤ . أبن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٩ . أبن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / ج ٤ ، ص ٧٦٨ .

(٤٧) الحسين بن حمدان : هو الذي قتل الوزير السابق العباس بن الحسن أثناء فتنة أبن المعتز ، وكان قد هم بالفتك بالخليفة نفسه ، لكن أبن الفرات تمكن من أن يدبر أمره حتى كتب له أماناً وولاة قم . (الهمداني التكملة ، ج ١ ، ص ١٦) .

ابن المعتز [٤٨] .

وفي الوقت الـذي رأينـا الوزير علي بن الفرات يعطف على بعض المشتركين في حركة ابن المعتز ، نراه في الوقت نفسه ، يقسو بشدة على مناوئيه ، فعندما علم أن سوسنا الحاجب أخذ يتواطأ مع الغلمان للفتك بالوزير ، وتقليد محمد بن عبدون منصب الوزارة ، وذلك لأن الوزيركان قد استأثر بالأمور دون الحاجب ، والذي كان يتطلع الى زيادة نفوذه بعد أن لعب دوراً بارزاً في احباط حركة عام ٢٩٦ هـ . غير أن ابن الفرات تمكن بذكاء من القبض عليه وقتله [٤٩] ، ولمـا أمر بأستقدام الشخص المرشح للوزارة من الأهواز ، اذ قبض عليه ، وصادره ، وأوعز بقتله أيضاً [٥٠] .

وينقل لنا عريب قول الصولي عن ابن الفرات اذ يقول : « كانوزيراً واسع الثروة ، ما سمعنا وزيراً يملك من العين [٥١] والورق [٥٢] والضياع

---

(٤٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٤ .

(٤٩) عريب ، الصلة ، ص ٣٠ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص١٢ .

(٥٠) الصابي ، الوزراء ، ص ص ٣١ — ٣٢ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ١٢ — ١٣ .

(٥١) العين : ما ضرب نقداً من الدنانير . يقال أشتريت بالعين لا بالدين . (ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٦٤٧) . (والعين النقد يقال أشتريت العبد بالدين أو العين الدينار . والعين الذهب عامة ، وتقول العرب هذا دينار عين) . أنظر ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الثاني ، دار لسان العرب ، بيروت ، ص ٩٤٧ .

(٥٢) الورق : المال من الدراهم . المصباح المنير ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ . ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٠ .

والاثاث ويحيط بعشرة الآف الف غير ابن الفرات ، وكانت له أياد جليلة وفضائل كثيرة [٥٣] » . وقد ظهر في منصبه هذا بمظهر الفخامة والعظمة[٥٤]، حتى انه كان « يجري الرزق على خمسة الآف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء ، أكثرهم مائة دينار في الشهر ، وأقلهم خمسة دراهم ، وما بين ذلك [٥٥] » .

وما كان يروي عن موائد الوزير ابن الفرات قد لا يصدق ، إذ كان الذين يدعون الى اطعامه كل يوم تسعة كتاب ، هم خاصة كتابه ، وكان منهم أربعة نصارى [٥٦] ، وكانت الوان الطعام توضع وترفع على مائدته اكثر من ساعتين ، وفي داره مطبخان : مطبخ الخاصة[٥٧] ويصعب ان يحصى ما كان يدخله من الحيوان لكثرته . ومطبخ العامة الذي يختص بما يقدم الى الحجاب والمقيمين بالدار ، ويفرق منه للرجالة ، والبوابين واصاغر الكتاب والغلمان وأصحاب الدواوين . وفي الدار ماء مبرد يسقى

---

(٥٣) الصلة ، ص ٣٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٩٠. متز ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨١ .

(٥٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣٨ .

(٥٥) ابن خلكان ، م.ق ، ج٣ ، ص ٩٩ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ١٢ ، قسم ٢ ورقة ١٩٠ — ب . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ص ١٥١ .

(٥٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢١٦ . الزهيري ، محمود غناوي ، الادب في ظل بني بويه ، ص ١٩١ .

(٥٧) ن . م، ص ٢١٦ . متز ، م .ق ، ج١ ، ص ١٨١ . الزهيري م.ق ، ص ١٩١ .

منه جميع من يريـد الشرب من الرجالة والفرسان والاعوان ، وبرسـم الشراب خـدم نظاف عليهم ثياب الدبيقيـة [٥٨] ، ويوم تولى الوزارة ، « استهلك اربعين الف رطل [٥٩] ثلج » [٦٠] .

ومع كثرة الخدمات التي قدمهـا ابن الفرات للدولة ، بدأ الخليفـة المقتدر يفقـد ثقته بوزيره القدير بسبب ما أشيع أن « ابن الفرات كتب الى الاعراب ليكبسوا بغداد » [٦١] ، هذا بالاضافة الى أن القهرمانة أم موسى ، كانت قد حرضت المقتدر على وزيره واوهمتـه ان ابن الفـرات يعمل على خلعه ، وكانت في الحقيقة تسعى بالوزارة لمحمد بن عبيد الله ابن خاقان [٦٢] . وقيل ان السبب في ولاية الخاقاني ، انه كان يحضى بعناية ام ولد المعتضـد التي ضمن لها مائة الف دينار فزادت منزلتـه

---

(٥٨) الدبيقي : نوع من القماش الجيد يصنع في مدينة دبيق بمصر. (الصابي ، الوزراء ، ص ٢١٦) .

(٥٩) الرطل : هو اكثر وحدات الوزن استعمالا في الشرق العربي . الرطل يساوي اساسا ١٢ أوقية (فالترهنتس ص ٣٠) . والقيمة الثابتة تقريبا للرطل ١٣٠ درهما = ٤٠٦ر٢٥ غم . (فالترهنتس ، ص ٣٥) .

(٦٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٧٣ و ٢١٦ . ابن الجوزي ، المنتظـم ، ج٦ ، ص ١٣٨ .

(٦١) عريب ، الصلة ، ص ٣٧ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ٩٧ . ابن الوردي ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٤٩ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ص ٧٧ .

(٦٢) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٨٧ . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩٣ .

عندها (٦٣) • وربما كان أقــوى سبب ادى الى فقدان ابن الفرات ثقــة الخليفة ، هو ان الوزير لم يراع جانب الاتراك ، والحاشية ، وعلى رأسهم مؤنس الخادم الذي بدأ نجمه يتصاعد منذ ان اسهم في اخماد حركــة ابن المعتز (٦٤) ، مما أدى الى ظهور العداء السافر بينهما ، أضافة الى جانب أزمة مالية ، هذا الى جانب شعور الخليفة بأن وزيره لم يهتم كثيرا بما يجري بأفريقية ، حيث تمركز الحكم الفاطمي ، وذلك لبعد خطرها عنــه، بقدر ما يهمه القبض على زمام الامور والاستحواذ عليها (٦٥) •

والظاهر ان ابن الفرات وقع ضحية الوساوس والمؤامرات التي كانت تحيط بدار الخليفة من مقربيه ، ومن المحتمل جدا ان الوزير كان يسير وفق خطة معينة ، املتها عليه خبرته الطويلة ، دون مراعاة لاولئك المتنفذين الذين كانت لهم سلطة وكلمة نافذة على الخليفة • وهذا يشير بطبيعة الحال، الى ان ابن الفرات ، كان أقرب الى الصواب من أولئــك الذين أرادوا تنفيذ رغباتهم الخاصة ، ومما يعزز هذا الرأي ان الوزير التالي ، لم يكن ذا سيرة محمودة كما سنرى •

٣ — وزارة الخاقاني وفساد النظام الاداري ٢٩٩ — ٣٠١ هـ :

أسهب المؤرخون في الحديث عن نكبة الوزير ابن الفرات في سنة

(٦٣) عريب ، الصلة ، ص ٣٧ .

(٦٤) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٩ — أ . العيون ، ورقة ، ٦٨ — أ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٩٤ .

(٦٥) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 393 .

٢٩٩ هـ / ٩١١ م فقد ذكر الطبري : « ووكل بداره وأخذ كل ما وجد له ولأهله » (٦٦) ، وأضـــاف مسكويه : « وهتك حرمـــة أقبح هتك ، ونهبت داره ، ودور كتابه » (٦٧) ، وعلق عريب : « وفجر الشرطة بنسائه ونساء اهله » (٦٨) ، وكان لأقصاء الوزير بهذه الطريقة العنيفة صداهـــا في عاصمة الخلافة ، اذ أصابت بغداد الفتنة (٦٩) ، ونهب الناس بعضهم بعضا ، فلقي السكان من ذلك شدة شديدة استمرت ثلاثة ايام بلياليها (٧٠) ، ومن هذا يبدو أن هناك عوامل متشابكة مختلفة حـــدت بالخليفة الى ان يغير رأيـــه وينكب وزيره ابن الفرات على هـــــذه الصورة القاسية التي وصفناهـــا .

تقلد الوزارة ابو علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، في الخامس من ذي الحجة سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م بعد أن اقصى عنها ابن

---

(٦٦) تاريخ الرسل والملوك ، المجلد ٤ / ج ٣ ، ص ٢٢٨٧ .

(٦٧) تجارب الامم ، ج١ ، ص ٢٠ . العيون ورقة ٧٣ — أ . (تحقيق نبيـــلة ، ص ٢٣٥) . الصابي ، الوزراء ، ص٣٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ج ٦ ، ص ١٠٩ . الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ١١٢ .

(٦٨) الصلة ، ص ٣٦ . ابو المحاسن ، النجـــوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .

(٦٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢١ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٣٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/ج ٤، ص ٧٦٨ .

(٧٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٩ . ابن الاثير، الكامل ج ٦ ، ص ١٣٩ . ابن الوردي ، م . ق ، ج١، ص ٣٤٩ ابو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٧٧ .

الفرات (٧١) . وكان الخاقاني هذا ابن وزير ، وينتمي الى اسرة الاشراف المتصلين بالخلافة ، ولعل هذا ما يبرر تقليده (٧٢) وتدل سيرته على شيء كثير من التناقض في أمره ، ففي الوقت الذي كان كثير البساطة والتواضع وحاول ان يتقرب الى العامة ، حتى صار يصلي في مساجدها (٧٣) ، وكان في الوقت نفسه سيء السيرة والتدبير ، « متشاغلا بخدمة السلطان ومراعاة اعدائه ، لا يقرأ الكتب الواردة عليه ، ولا النافذة » (٧٤) ، وكان جل اعتماده على ابنه (عبد الله) الذي كان قد عينه مساعدا له في تنفيذ الأمور (٧٥) ، ولكن ابنه هذا ، كان هو الآخر : « متشاغلا بالشراب انما يراعي أمر القواد والجيوش والولايات للعمال ويدع ما سوى ذلك »(٧٦). وأقطع الخليفة المقتدر وزيره ، ما كان في يد ابن الفرات الوزير المخلوع من الضياع العباسية وخصص له خمسة آلاف دينار في كل شهر ، اسوة بما كان يتقاضاه ابن الفرات ، كذلك خصص لابنه عبد الله الف دينار ولأبنه الآخر عبد الواحد خمسمائة دينار شهريا ، ووهب له دار صاعد

---

(٧١) العيون ، ورقة ٧٣ — أ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٣٥) . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

(٧٢) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 394 .

(٧٣) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٢. ابن بطريق ، التاريخ المجموع ، ج٢ ، ص ٧٨ . الشهابي ، الغرر الحسان ، ص ٢٣٥ . متز ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٨ .

(٧٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٣ .

(٧٥) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 395 .

(٧٦) مسكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ٢٣ .

ابن مخلد على دجلة (٧٧) .

ان فترة استيزار الخاقاني على قصرها (٢٩٩ — ٣٠١ هـ / ٩١١ — ٩١٣ م (٧٨) زادت في مساوىء ذلك العهد ، فبدلا من ان يحاول الوزير الجديد ، التأثير في سياسة الدولة العامة ، وتوجيهها نحو الأحسن ، نراه يزيد الطين بلة ، حيث اعترف امام الخليفة بأن اولاده وحاشيته كانوا فئة مرتشية فيقول : « ولعمري ان ولدي وحاشيتي قد مدوا أيديهم الى قبول هدايا العمال ومرافقهم الا انهم كانوا فقراء وعقب محنــــة طويلة » (٧٩) . والغريب ان الوزير محمد بن عبيد الله الخاقاني ، كان يبرر اقدام اولاده وحاشيته ، على قبول الرشوة بدافع الحاجة اليها ، وهو تبرير غير مقبول ولا معقول .

وبينما كان الوزير الخاقاني منشغلا بأمور ثانوية، تاركا واجبـــاته الرئيسة (٨٠) ومعتمدا على ابنه الذي ادمن على شرب الخمرة، بحيث اهملت الكتب الرسمية الواردة ، فلم تكن تقرأ الا بعد مرور وقت طويل على وصولها ومن ثم فسدت الامور وضاعت المصلحة العامة (٨١) .

ولعل أسوأ ظاهرة شهدتها فترة استيزار الخـاقاني ، انه أسرف في تولية العمال ، حتى أن منصباً شاغراً شغله سبعة ولاة خلال عشرين يوماً،

---

(٧٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٥ ، متز ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٠.
(٧٨) زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، ج١ ، ص ٨ .
(٧٩) الصـــابي ، الوزراء ، ص ٢٩٣ .
(٨٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٩ .
(٨١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٣ .

فقد ذكر مسكويه أن الخاقاني « قلده اعمال ماء الكوفة (٨٢) في مدة عشرين يوما سبعة من العمال » (٨٣) ، ومما لا شك فيه ان كلا منهم قد دفع رشوة كبيرة مقابل الموافقة على تعيينه . ويضيف الهمداني في هذا الصدد فيقول : « واجتمع بحلوان في خان بها سبعة عمال اولاهم في عشرين يوما ، ماه الكوفة ، فاجتمعوا في الطريق فسار الاخير وعاد الباقون» (٨٤) ويذكر عريب أن الوزير « قلد عماله بادرياً في أحد عشر شهراً أحد عشر عاملاً » (٨٥) .

وهكذا وصف الخاقاني بانه : « سيء السيرة والتدبير ، كثير التولية والعزل » (٨٦) ، فاهينت الوزارة في عهده ، ونقصت هيبته في نظر الناس واصبح مادة للتندر حتى قال أحد الشعراء في حقه :

وزير ما يفيق من الرقاعة ... يولّي ثم يعزل بعد ساعة
ويدني من تعجل منه مال ... ويبعد من توسل بالشفاعة
اذا اهل الرّشا صاروا اليه ... فاحضى القوم أوفرهم بضاعة
وليس بمنكر ذا الفعل منه ... لان الشيخ افلت من مجاعة(٨٧)

ومن هذا يبدو ان الوزير الخاقاني عمل على تخريب البلاد ، وضياع الاموال ، وساعد على تفشي الرشوة ، وانه بدلا من ان ينكب على

---

(٨٢) ماه الكوفة : « الماه بالهاء خالصة قصبة البلد ومنه قيل ماه البصرة وماه الكوفة وماه فارس ... » (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٠٥) . وماه الكوفة : هي الدينور . (ياقوت ، ج٤ ، ص ٤٠٧) .

(٨٣) تجارب الامم ، ج١ ، ص ٢٣ . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٦ .

(٨٤) التكملة ، ج١ ، ص ١٢ .

(٨٥) الصلة ، ص ٣٩ .

(٨٦) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٦ .

(٨٧) عريب ، الصلة ، ص ٤١ . ابن الطقطقي ، الخفري ، ص ٢٦٧ .

الأزمة المالية المستعصية ، ويقتصد في النفقات، نجده يبذر الاموال باندفاع شديد من غير تعقل ، حتى زادت أعباء ، بيت المال « اكثر من الف الف دينار في السنة » (٨٨) ، وحينئذ ضاقت بيده الاموال ، وعجز عن دفع نفقات الجند فتطاولوا عليه وكثر شغبهم ، فأمر المقتدر وزيره اطلاق أرزاقهم • ولما لم يكن عند الوزير ما يكفيهم ، اضطر الخليفة الى «اخراج خمسمائة الف دينار من بيت مال الخاصة لينفق في الجند المشغبين»(٨٩)•

ويتضح للباحث ، ان الوزير قد انصرف بكل امكاناته، الى الاهتمام بمصالح ومتطلبات الخليفة الخاصة (٩٠) ، والقواد والحريم والحاشية وكبار رجال الدولة ، وتوفير الاموال لهم ، لكسب رضاهم ، خاصة وانه استطاع الوصول الى الوزارة بفضلهم وحدهم (٩١) • هذا بالاضافة إلى محاولته السيطرة على الاموال والاقطاعات ، واحتكار الوظائف المهمة لأقربائه واتباعه (٩٢) ، وبيع المناصب بالاموال ، بينما حرم الناس من العناية والرعاية ، ولم تجر أية محاولة جدية لاصلاح احوالهم العامة • وكان على الناس تأدية ما كان يعرضه الوزير عليهم من ضرائب ، مما دفع بعض

ابو الفداء ، المختصر فى اخبار البشر ، ج٣ ، ص ٨٤ .

(٨٨) عريب ، الصلة ، ص ٤١ .

(٨٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٤ .

(٩٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩٣ .

(٩١) عريب ، الصلة ، ص ٣٧ .

(٩٢) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 396 .

الأفراد بتقديم شكوى عن الوزير الى ديوان المظالم (٩٣) .

وقد اتهم الخاقاني بضياع هيبة الزرارة وذلك بأحتكاكه ببعض افراد الطبقة العامة من الشعب ، وتقبله الرشوة ، التي ادت بدورها إلى فوضى في الادارة ، وبذلك سجل الخاقاني بداية انهيار مؤسسة الوزارة .

٤ — علي بن عيسى الوزير المصلح ٣٠١ — ٣٠٤ هـ :

حين لمس المقتدر بالله ، اضطراب الامور ، وفساد الادازة وضياع هيبة الدولة ، شاور مؤنسا الخادم في امر ردّ ابن الفرات الى الوزارة ، غير أن مؤنسا لم يكن على صلة طيبة بابن الفرات ، لذا كان من المتوقع ان يعارض في عودة هذا الوزير الذي سبق ان خلع ، مدعيا ان اعادة تقليد ابن الفرات الوزارة ، لا يمكن ان تفسر اقالته السابقة الا من أجل الاستحواذ على ممتلكاته (٩٤) وحبذ للخليفة اسناد منصب الوزارة الى علي بن عيسى ، قائلا : « ولم يبق من يصلح لتدبير المملكة غيره ، ووصفه بالثقة والامانة والديانة والنزاهة والصيانة والصناعه » (٩٥) ، وقد وافق

(٩٣) اليوزبكي ، م.ق ، ص ١٧٢ .
SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 397 .

(٩٤) SOURDEL ' op . cit.. TOME ' II ' P . 398 .

(٩٥) مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٢٦. العيون ، م .ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ٧٤ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤١) .

الخليفة على اقتراح مؤنس [٩٦] ، وارسل يلبق [٩٧] الى مكة ليحضر علي ابن عيسى،وكان منفياً هناك منذ اخفاق حركةعبدالله بن المعتز وحزبه [٩٨].
وصل علي بن عيسى بغداد في محرم سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م،فاسندت اليه الوزارة وخلع عليه [٩٩] ، وفي الوقت نفسه ، سلم اليه الوزير المخلوع محمد بن عبيد الخاقاني وابناه وجميع كتابه فصادرهم [١٠٠] . ومع ذلك فقد عرف الوزير الجديد منذ بداية وزارته بتسامحه مع اعدائه ، وبهذا لم يتعرض اعداؤه لاي نوع من انواع التعسف [١].

كان الوزير علي بن عيسى بن الجراح من بيوتات الفرس العريقة [٢]، وقد اكتسب خبرة واسعة في ميدان الادارة نتيجة لتجربته الطويلة في هذا الميدان ، اذ كان عالما بالسياسة ، وسيرة الخلفاء ، فضلا عن تدينه وتفقهه

---

(٩٦) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ١٢ .

(٩٧) يلبق : احد غلمان مؤنس . (انظر ، مسكويه ، م.ق ، ١ ، ص ٢١٨) .

(٩٨) BOWEN . op . cit . P . 114 .

(٩٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٢١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ١٢٠ . ياقوت ، معجم الادباء ، ج٥ ، ص ٢٧٧ .

(١٠٠) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣ – أ . ابو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٨١ .

(١) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 399 .

(٢) ورهط آل الجراح من ولد (دارا٣ابن دارا) . (ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٥١٢) .

في بعض العلوم (٣) . ويقول فيه الصابي : « ورتب علي بن عيسى الامور والدواوين على ما رأى الاصلاح والسداد ، وكان رجلا عاقلا عارفا بالاعمال حافظا للاموال ، كثير الوقار والجد ، بعيدا عن التبــذل والهزل » (٤) . ويصفه صاحب الفخري بقوله : « وكان شيخا من شيوخ الكتاب، فاضلا دينا وعارفا متزهدا » (٥) .

وعلى الرغم من طول الفترة التي شــغل فيها مناصب رسمية ، لم يعرف عنه أنه أزال فيها نعمة احد ، ولا قتل احد ، ولا سعى في ذمه، وكان « يجري على خمسة واربعين الف انسان جرايات تكفيهم » (٦).

حاول هذا الوزير اصلاح الادارة ، واعادة تنظيم الدواوين (٧) وأعتمد على عناصر ذات خبرة وكفاءة في تسيير امور الدولة ، على الرغم من انــه عمد الى تعيين اقاربه واصحابه للمناصب الحساسة (٨) ، وبذلك لم يستطع ان يتجــرد من عيوب غيره من معاصــريه الذين لم يتورعــوا عن توزيع المناصب على الاقارب والمقربين اليهم .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٩٢ . ياقوت ، معجم الادباء ، ج٥ ص ٢٧٧ . اسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ، ١ ، ص ٦٧٨.

(٤) الوزراء ، ص ٣٠٦ .

(٥) ابن الطقطقي ، الفخــري ، ص ٢١٦ .

(٦) الصفدي ، الوافى بالوفيات ، ج ١٢ ، ورقة ١٣٣ ــ ب . كــرد علي . م.ق ، ص ٢٥٠ .

(٧) العيون ، ورقة ٨٢ ــ أ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

(٨) عريب ، الصلة ، ص ٤٢ .
SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 400 .

يبدو أن أختيار علي بن عيسى ، لمنصب الوزارة ، كان تحت تأثير الظروف حينذاك ، فقد اخفق الخاقاني فيما اوكل اليه من اصلاحات، وقد شكك ابن الفرات في اخلاصه ، فأهين اقبح اهانة ، وهتك حرمه . فلم يبق سوى علي بن عيسى ، يستطيع ان يرأب الصدع الذي أحدثه من قبله ، رغم التحفظ الذي يمكن ان يثار ضده ، الا وهي تهمة اشتراكه بالمؤامرة الفاشلة في سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م مع ابن المعتز [٩] . لكن ابن الفرات ، الوزير آنذاك ، كان قد برأه من تلك التهمة [١٠] . وبذلك أخذ المقتدر بنصيحة مؤنس ، وارسل في طلب علي بن عيسى من مكة [١١].

أوجد الوزير المعزول محمد بن عبيد الله الخاقاني ، وضعا معقدا ، فقد اضعف هيبة الدولة ، وساعد على فساد الادارة ، وتفشي الرشوة ، وضيع الاموال ، حتى بلغت الاضافات التي حملها ميزانية الدولة ، اكثر من الف ألف دينار في السنة [١٢] .

وقد تناول علي بن عيسى هذا الوضع الشاذ المرتبك ، بما عرف عنه من الحذق الاداري ، والحكمة والدهاء والسياسة ، وصدق العزيمة ، والاخلاص والزهد والتدين والتعفف [١٣] ، وليس هناك ادنى شك في قول الصولي : « ولا اعلم انه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته

(٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٢ .

(١٠) BOWEN . op . cit . P . 113 .

(١١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣ ــ أ .

(١٢) عريب ، الصلة ، ص ٤١ .

(١٣) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٢ ، قسم ٢، ورقة ١٣٣ ــ أ .

وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه ، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله » (١٤) .

اهتم الوزير الجديد ابن الجراح ، بأصلاح شؤون البلاد ، فأقر بعض كبار كتاب الدواوين في مناصبهم ، وغير بعضهم ممن لا يتوسم فيهم المقدرة والنزاهة والاخلاص (١٥) ، وحذر حكام الولايات من اساءتهم معاملة رعاياهم ، وأمرهم بانصافهم والنظر في شكاواهم ضد جباةالضرائب وأعلن انه لن يتغاضى عن أي تقصير قد يرتكبه موظفو الدولة ، وانذر باتخاذ اجراءات شديدة ورادعة ضد كل شخص يعمل على تحقيق اطماعه الشخصية عن طريق الرشوة (١٦) وفضلا عن ذلك فقد حرص هذا الوزير على نشر العدل بين الناس حتى انه كان يجلس بنفسه للمظالم (١٧).

وقد واجه علي بن عيسى خلال مدة وزارته عدة مشاكل ، على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وكانت اولى المشاكل تتمثل في الازمة المالية ، ذلك ان ابن الفرات قد أسرف في الصرف ، إضافة إلىتلاعبه بالكثير منها . كما ان خلفه الخاقاني كان قد توخى نفس الطريقة ، حيث انه لم يجد حلا بديلا لمواجهة متطلبات دار الخلافة ، ومعلوم انه اعتمدها لكسب الانصار . والملاحظ ايضا ان اموال الخزينة قد تضاءلت بسبب الحروب والفتن الداخلية ، وكذلك اهمال الاراضي الشاسعة التي ظلت بورا وبدون استثمار ، وقد نادى علي بن عيسى بالكف عن الترفوالتبذير

(١٤) ياقوت ، معجم الادباء ، ٥ ، ص ٢٧٨ .

(١٥) BOWEN . op . cit . P . 125 .

(١٦) BOWEN . op . cit . P . 125 .

(١٧) عريب الصلة ، ص ٤٨ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٨ . سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٣٩ .

الذي أصبح أمرا عاديا في البلاط ، وحث الولاة علـى اصلاح الاخطـاء التي حصـلت من سابقيهم (١٨) .

فلا غرابة ان نجد هذا الوزير ، ينصرف بكل امكاناته ، الى تسيير أمور الدولة ، ليل نهار ، محاولا ان يتدارك العجز الذي أصاب بيت المال . ونتيجة لتلك الجهود الصادقة التي بذلها الوزير المصلح « عمرت البـــلاد فزادت العمارة وتضاعفت الزراعة » (١٩) ، فلما جاءت السنة القادمة بلغت زيادة « الارتفاع في العشرة ثلاثة لان الخير انتشر بالعدل » (٢٠) . وقال عنه ابن كثير : « وكان من خيار الوزراء واقصدهم العـدل والاحسان واتباع الحق » (٢١) .

وكان علي بن عيسى كثير الاحسان على الضعفاء والفقراء ، حيث بلغ دخله من ضياعه « في السنة سبع ماية الف دينار ، يخرج منها في وجوه البر ست ماية الف دينار وستين الف دينار ، وينفق أربعين الف دينـار في خاصته » (٢٢) ، ويضيف ياقوت ان دخل علي بن عيسى بلغ : «عند عطلته ولزومه بيته نيفا وثمانين الف دينار ، يخرج منها في وجوه البر نيفـــا واربعين ، وينفق ثلاثين الفا على نفسه » (٢٣) ، وبذلك وصف هذا الوزير

(١٨) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 401 .

(١٩) الهمداني ، التكالمة ، ج١ ، ص ٢٠ .

(٢٠) مسـكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٠ .

(٢١) البداية والنهاية ، ح ١١ ، ص ١٢٠ .

(٢٢) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٢ / قسم ٢، ورقة ١٣٣ ــ أ. ياقوت ، معجم الادباء ، ج٥ ، ص ٢٧٧ .

(٢٣) معجم الادباء ، ج٥ ، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ .

بأنه : « كان غنيا شاكرا صدوقا دينا خيرا صالحا عالما من خيار الوزراء وهو كثير المعروف والصلاة والصيام ومجالسة العلماء » (٢٤) .

ولعل أهم مأثرة اجتماعية ، اقترن بها اسم هذا الوزير المصلح هي إهتمامه بالامور الصحية ، ففي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤م اتخذ علي بن عيسى المارستان (٢٥) بالحربية ، وأنفق عليه من ماله الخاص (٢٦) ، وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطببه » (٢٧)، وربما كانت الامراض التي تفشت في بغداد خلال شهري تموز وآب في السنة التي سبقت انشاءه المارستان(٢٨) ، وهي التي حفزت الوزير على اتخاذ تلك الخطوة الاصلاحية.

وأوعز الوزير المصلح الى الطبيب سنان بن ثابت ، بأن يخصص أياما معينة لزيارة المسجونين ومعالجة المرضى منهم (٢٩) ، وذلك لان الظروف

(٢٤) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٢ / قسم ٢ ، ورقة ١٣٣ — أ.

(٢٥) الحربية : محلة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، قرب مقبرة أحمد بن حنبل ، وينسب الباب الى حرب بن عبد الله البلخي أحد قواد أبي جعفر المنصور . (الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص ١٢١) .

(٢٦) العيون ، ورقة ٨٢ — أ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٥٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٢٨ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٦ — أ .

(٢٧) ابن ابي أصيبعة ، طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٢٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢٠ — ١٢١ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٢٣٣ . الشهابي ٣٪ الغرر الحسان ص ٢٣٥ .

(٢٩) ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

المعيشية الصعبة التي كان يلاقيها اولئك المسجونون ، تسهل أصابتهم بالامراض المختلفة ، وبحكم وجودهم في السجن ، فهم غير قادرين على استشارة الاطباء [٣٠] ، فكتب الى سنان يقول : « فكرت مد الله في عمرك في امر من في الحبوس وانه لا يخلو من كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض .. فينبغي أن تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم وتحمل اليهم الأدوية والاشربة ويطوفون في سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى ويزيحون عللهم فيما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة » [٣١] . ومن الملاحظ ان هذا النص الذي صدر عن مسؤول مباشر ، يوضح بدون ريب ان عدد المسجونين كان كبيرا جدا ، وان حالتهم الصحية كانت متردية، الى درجة كبيرة ، وأن الاماكن التي حجزوا فيها هي من الرداءة بحيث تساعد كثيرا على تفشي الامراض بينهم .

وقد شمل علي بن عيسى القرى والارياف بعنايته ، فأمر الطبيب سنان ابن ثابت ، بأرسال أطباء لزيارة القرى في السواد ، والتنقل بين تلك المواضع ، وبخاصة التي تكثر فيها الاوبئة والامراض ، على أن يأخذوا معهم كميات كافية من الادوية والاطعمة والاشربة لهذا الغرض ، وأن يبقوا في تلك النواحي المدة التي يتطلبها عملهم [٣٢] ، وخول اولئك الاطباء ، بأن يعالجوا السكان المسلمين ثم الذميين [٣٣] فكتب الى سنان بهذا الصدد: « فكرت في من في السواد من أهله فانه لا يخلوا ان يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الاطباء فتقدم بانفاذ متطببين وخزانة

(٣٠) متز ، م.ق ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٣١) ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٣٢) القفطي ، اخبار الحكماء ، ص ١٩٤ . متز ، م.ق ، ج١، ص٩٢.

(٣٣) احمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص ١٣ .

للادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منــــه مدة ما تدعو الحاجــة اليه ويعالجون من فيـــه من المرضى ثم ينتقــلو الى غيره » (٣٤) .

والتفت علي بن عيسى الى اصلاح المساجد وتعمــيرها (٣٥) ، وأمر بفرشها بالحصر وتنويرها ، واجزى للائمــة والمؤذنين ارزاقا ثابتة (٣٦) ، وابطل المكس (٣٧) بمكة ، والتكملة (٣٨) بفارس وسوق بحر الاهــواز ،

---

(٣٤) ابن ابي اصيبعة ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٠٢ .

(٣٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٨ .

(٣٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٤١ .

(٣٧) المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع فى الاســـواق فى الجاهلية ، وقيل درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة .

وفى المصباح : غلب المكس فيما يأخذه اعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء كقوله وفى كل صاع امرىء مكس درهم . ج٢ ، ص ٧٩٣ . انظر كذلك المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٠٤ .

(٣٨) التكملة : هي ضريبة كانت تستوفى من السكان فى بلاد فارس بالاضافــة الى الخراج الذي كانوا يدفعونه ، وذلك ان قوما منهم قــد جلا عن تلك البلاد فوضع الخراج الذي كانوا يدفعونه على الباقــين فسمى ذلك بالتكملة لانه كمل به قانون فارس القديم . (انظر الصـــابي ، الوزراء ، ص ٣٦٦ — ٣٦٩) . وكذلك التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ٦٨.

وأزال جباية الخمور بديار ربيعة (٣٩) ، فبانت بركته على الدنيا (٤٠) .
وبأعماله تلك تمكن من ازالة السنن الجائرة ، فعمرت البلاد ، واستقامت الامور ، وعادت هيبة الحكم ، وانصف السكان ، وصلح امر الرعية ، ورسم سياسة واضحة وعادلة للعمال ، وأكد عليهم ضرورة السير بموجبها ، وعدم الحياد عنها .

وكان علي بن عيسى قد أشار على الخليفة المقتدر بأن يقف العقار والمستغلات ببغداد على الحرمين والثغور ، وقد بلغت غلات تلك الاوقاف ثلاثة عشر الف دينار في الشهر (٤١) ، والضياع الموروثة بالسواد ، وغلتها نيف وثمانون الف دينار ، وقد استجاب الخليفة لاقتراح وزيره واشهد بذلك القضاة والشهود على نفسه . وحينئذ انشأ الوزير ديوانا خاصا سماه « ديوان البر » (٤٢) . وبذلك أصبح هذا الديوان يمول مشاريع تحسين المدينة المقدسة وحماية الحدود .

وهكذا حظيت مكة المكرمة بكثير من عناية الوزير ابن الجراح ، فعندما كان منفياً الى هذه المدينة المقدسة ، أطلع عن كثب ، على أحتياجاتها ولمس شحة الماء فيها ، فلما تقلد الوزارة ، أمر بشراء قافلة من الجمال

(٣٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٠ .

(٤٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٤١) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٠ .

(٤٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٣ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٧ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٢ / قسم ٢ ، ورقة١٣٣ ـ ب . ياقوت ، معجم الادباء ، ج٥ ، ص٢٧٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢٣ .

BOWEN . op . cit . P . 128 .

SOURDEL , op . Cit P · 402

والحمير ليجلب عليها الماء من جدة الى مكة ، ورصد مبلغا كافيا من المال لسد نفقات هذا المشروع ، وأوعز بحفر بئر في مكة ، سميت «الجراحية» (٤٣) — نسبة اليه — ولا شك ان الوزير هو الذي أقنع المقتدر والسيدة أمه سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ببناء قناة لسحب المياه الى مكة (٤٤) .

ولابد أن يكون للوزير — دون ريب — ضلع في اتمام الاضافات بالحرم المكي في سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، والتي كان المعتضد قد بدأها في الجدار الشمالي ، وذلك بأحلال أعمدة حجرية لرفع السقف ، بدلا من الأعمدة الخشبية القديمة . وبناء على رغبة الوزير واقتراحاته أمر المقتدر ببناء باب كبير في سياج الحرم الخارجي ، وسمي هذا الباب بعدئذ بباب ابراهيم (٤٥) . وهكذا تكون مكة المكرمة ، قد استفادت من (ديوان البر) الذي انشأه الوزير علي بن عيسى ، والذي استهدف منه الانفاق على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، وحماية الحدود .

ولشدة حرص علي بن عيسى على اموال الدولة ، فانه اسقط كثيرا مما زاده الوزير السابق محمد بن عبيد الله الخاقاني اثناء وزارته في دواوين الجند واقطاعاتهم (٤٦) . على الرغم من انه كان يتوقع اثارة عاصفة ضده من جراء اقدامه على هذه الخطوة ، وبالفعل جر عليه عمله الاخير هذا

---

(٤٣) BOWEN . op . cit . P . 128 .
SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 402 .

(٤٤) BOWEN . op . cit . P . 128 .
Ibid ' P . 128

(٤٥) BOWEN . op . cit . P . 129 .

(٤٦) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٢٩ .

سخطا كبيرا من الناس ومنهم رجـال القصر والقـــادة والجنود والحريم والخدم [٤٧] ، مما دفعهم الى ان يشغبوا عليه ، وينعتوه بالبخل والضيق والشح وقطع الارزاق ، غير ان الوزير ، انما اقـــدم على اجراءاته تلك مضطرا ، لما رأى نفقات الدولة زائدة عن دخلها زيادة مفرطة [٤٨] .

وعزم الوزير على تخفيض نفقات الخليفة نفسه ، ومنها نفقات المطبخ الذي وجد قائمة مصروفاته باهضة جدا ، اذ بلغ ثمن المسك وحده نحو ثلثمائة دينار في الشهر [٤٩] ، علما بأن الخليفة كان لا يرغب في ان يوضع المسك في طعامه ، لكن الوزير عدل عن رأيه عندما شعر بأن المقتدر لا يرغب بالتخفيضات التي ينوي الوزير تطبيقها [٥٠] .

وعلى الرغم من العمل الدؤوب الذي بذله علي بن عيسى ، فانه لم يسلم من الاذى ، اذ شعب الجند الرجالة الحجرية [٥١] وأحرقوا أصطبله وطالبوه بالزيادة في أرزاقهم ، فأضطر الوزير المقتصد على كره منه الى أن:

(٤٧) BOWEN . op . cit . P . 132 .

(٤٨) مســـكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٢٩ .

(٤٩) الصـــابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٨ .

(٥٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٥٢ .
BOWEN . op . cit . P . 135 .

(٥١) الحجرية : يعود تاريخ ظهورهم الى ايام الخليفة المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) عندما استخدم جماعة من الغلمان الاتراك للقيام بخدمته في القصر ووضعهم في حجرات خاصة فسموا بالحجرية (ويقول الصابي : فأما مماليك المعتضد بالله فانه رتب امرهم على المقام في القصر والحجر تحت مراعـــاة الخدم والاستاذين وسماهم الحجرية) (الوزراء ص ١٧) .

« يزيد كل غلام ثلاثة دنانير في كل شهر ، وزيد كل من الرجالة نصف وربع دينار في كل شهر فسكن الشغب » [٥٢]. فاذا علمنا ان عدد الغلمان فقط كان (٧٠٠) غلاما [٥٣]، فيكون مقدار الزيادة في كل شهر (٢١٠٠) دينار ، بالاضافة الى مقدار الزيادة التي اعطيت للرجالة والذين كان عددهم يبلغ اضعاف الغلمان .

وقد اصيب الوزير بصدمة عظيمة ، عندما وجد الخليفة يغفله ويهمله فيما يتعلق بأسرار الدولة المهمة [٥٤] ، اذ كان المقتدر يأخذ بنصيحة الآخرين من خلف ظهره ، ومنهم الوزير السابق المحتجز علي بن الفرات ، ذلك ان المقتدر كان يشاوره وهو في سجنه [٥٥]. وهذا يفسر لنا ان سياسة الوزير تعرضت الى النقد والتجريح ، وان المقتدر نفسه لم يكن راضيا عن تصرفاته [٥٦] .

سئم علي بن عيسى من قلة أدب الحاشية وسوء معاملتم له ومطالبتهم المستمرة بالاموال . وشعر بأن هناك مؤامرة تحاك ضده خاصة بعد ان شغب الجند في سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م على اثر اخماد حركة الحسين بن حمدان مطالبين بالزيادة ، وتأمل الوزير الاوضاع العامة ، فتوقع بأنها بداية هبوب عاصفة ، فخشي من ان يطالب بما لا يكون له وجه ، وان يحدث من الفساد ما لا يقوم له عذر ، فوقف امواله ، واعتق عبيدة ،

(٥٢) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص٣٨ .

(٥٣) عريب ، الصلة ، ص ٥٨ .

(٥٤) BOWEN . op . cit . P . 132 .

(٥٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٤ .

(٥٦) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 403 .

وشرع في الاستعفاء ، وراسل المقتدر ، ولكن الخليفة رفض طلبه هذا (٥٧) .
وكان عزوف علي بن عيسى عن الوزارة ، انما هو محمول على ورعه من الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا . كما هو معروف عنه .

واتفق يوما ان ذهبت اليه ام موسى القهرمانة في اواخر شهر ذي القعدة سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، لتتفق معه على مقدار ما يخصص في عيد الاضحى للحرم والحاشية من الاضاحي ، وكان الوزير محتجبا فلم تستطع مقابلته ، اذ صرفها حاجبه صرفا جميلا ، فغضبت من ذلك ، وعلم الوزير ، فيما بعد ، بقدومها وانصرافها ، فحاول عبثا استرضاءها فأبت (٥٨) . وعندها وجدت ام موسى الفرصة سانحة امامها لتنتقم من علي بن عيسى ، الذي كان قد هاجم أخاها في السنة السابقة لحصوله على امتيازات في سبيل اثراء نفسه (٥٩) . وبصعوبة استطاعت ، هذه القهرمانة ، انقاذ اخيها من اعدام محقق (٦٠) .

اتصلت ام موسى بالمقتدر والسيدة والدته ، فأغرت بعلي بن عيسى وتخرصت عليه الأحاديث (٦١) ، وقد اصغى المقتدر لتلك التهجمات، خاصة

---

(٥٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٢١ .

(٥٨) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٠ .
SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 406 .

(٥٩) بلغت ايراداته في كل شهر من شهور الاهلة سبعة آلاف دينار (عريب ، الصلة ، ص ٥٨) .

(٦٠) BOWEN . op . cit . P . 152 .

(٦١) مسكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ٤١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص ١٥٤ .

وان ابن الفرات كان قــد اتصل بالخليفة عن طـريق (ابي عبد الله بن فرجويه) (٦٢) الذي كان يتآمر مع ابن الفرات ضـــد علي بن عيسى ، ويكاتبان الخليفة في معايب الوزير وكتابه وعماله (٦٣) ، وكان المقتـــدر يوافق ابن الفرات على تلك الرقاع • التي تعهد بها ابن الفرات أن يدفع للولد والحرم والحشم ولمن بالحضرة مخصصات ، بقدر ما كان يطلقه في أيام وزارته الأولى ، وان يوفر بعد ذلك من مصادرات العمـال ، ومال مرافقهم في النواحي في كل شهر من شهور الاهلة خمسة واربعـين ألف دينار (٦٤) • وضمن للمقتدر ووالدته في كل يوم الفا وخمسمائة دينارا(٦٥)، « للمقتدر منها في كل يوم الف دينار ، وللسيدة في اليوم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون دينارا وثلث ، وللأميرين ابي العباس وهارون ابني المقتدر في كل يوم مائة وست وستون دينار وثلثين » (٦٦) •

وكلما هم المقتدر بصرف علي بن عيسى عن الوزارة، كان مؤنس يصده عن ذلك فلما خرج مؤنس المظفر الى مصر لحرب الفاطمي صفا الجو للمتآمين فتمكن ابن فرجويه من السعاية على الوزير (٦٧) •

(٦٢) احد خواص ابن الفرات .. (أنظـــر مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٣) .

(٦٣) BOWEN . op . cit . P . 148 .

(٦٤) مســـكويه ، م . ق ج ١ ، ص ٤٤ .

(٦٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٦ .

(٦٦) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج١٢ ، ورقة ١٣٠ — أ .
BOWEN . op . cit . P . 148 .

(٦٧) مســـكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٣ .

وهكذا وافق المقتدر على شروط المتآمرين ، كما انه انصت لتخرصات الحريم وانصاع لضغط بعض افراد الحاشية كنصر الحاجب وابن الحواري (٦٨) ووشاية ابن مقلة الذي اوهم الخليفة ان عليا بن عيسى قد أخفى عنه بعض الاموال لعدم مكافأة المقتدر للوزير على اخلاصه وتفانيه في عمله (٦٩) . وحينئذ امر الخليفة باعتقال وزيره علي بن عيسى عند زيدان القهرمانة (٧٠) . ونهبت منازل أخويه ابراهيم وعبد الله وحاشيته وذويه (٧١) .

ومن هنا نرى ان الخليفة لم يثمن اخلاص علي بن عيسى وخدماته وتفانيه وضحى بوزيره المصلح ، الذي تمكن من الحصول على سمعة جيدة اثناء وجوده في منصب الوزارة . وذلك ان سلوكه التقي الورع ، ودأبه على العمل ونزاهته وعفته ، كل ذلك ، خلق بلا شك انطباعا حسنا عن الوزير المخلوع ، اذ كانت مهارته في ادارة أمور الدولة مثار اعجاب الكثيرين ، خاصة الذين استفادوا من اصلاحاته الكثيرة .

ان عملية اقصاء علي بن عيسى من الوزارة تشير الى ان الخليفة لم يكن مهتما بالمصلحة العامة بقدر اهتمامه بأرضاء الحاشية ، واطماعه الخاصة ، فعلى الرغم من حراجة الظروف التي كان يمر بها المقتدر ، وكثرة الاخطار الخارجية ، وحركات التمرد ، التي كانت تقوم ضده الاقتطاع اجزاء

(٦٨) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٢٧ ، مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤١ .

(٦٩) BOWEN . op . cit . P . 159 .

(٧٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٤ . BOWEN . op . cit . P . 151 .

(٧١) عريب ، الصلة ، ص ٦١ .

مختلفة من جسم مملكته فانه مع هذا كله ، لا يزال دون مستوى المسؤولية وتقدير الظروف ، فقد ضحى بعلي بن عيسى الذي حاول ان يعيد للوزارة هيبتها فقد تولى بنفسه قيادة حملة لغزو الصائفة (٧٢) ، وبذلك يكون هو الوزير الوحيد الذي قاد حملة عسكرية خلال عصر المقتدر بالله.

٥ ـ وزارة ابن الفرات الثانية ٣٠٤ ـ ٣٠٦ هـ :

أعيد علي بن الفرات الى منصب الوزارة ، بعد ان استعاد ثقة المقتدر وعطفه وهو في سجنه ، اذ كان الخليفة يزوره ويجلس اليه (٧٣) ، وقد وجد الوزير الجديد الأمور المالية مرتبة بنظام تام ، واستبشر بعض رجال القصر بعودة ابن الفرات (٧٤) ، لانهم تخلصوا من الوزير المقتر ، علي بن عيسى ، أولا ، ولعلهم كانوا يأملون ان تجري عليهم الاعطيات اكثر مما هي عليه في وزارة ابن عيسى . وفعلا اعاد ابن الفرات مخصصات الحاشية والموظفين الى سابق حالها .

أكسبت الخدمة الطويلة ، الوزير ابن الفرات ، خبرة واسعة بشؤون الوزارة وأدارة الدولة ، وقد استطاع ان يسيطر على حياة الدولة الاقتصادية المتشعبة سيطرة كاملة (٧٥) ، وبذلك اخذ يدبر شؤونها بمقدرة وكفاءة . وقد تطاول عليه الهاشميون وضجوا في امر ارزاقهم ، وافرطوا في القول

(٧٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٨ .

(٧٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٤ .

(٧٤) BOWEN . op . cit . P . 154 .

(٧٥) متز ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٤ .

له ، فصار مشايخهم الى ابن الفرات واعتذروا اليه ، كما ان المقتدر أنكر تطاول هؤلاء على وزيره ، وامر ان يضم الى ابن الفرات جماعة من الغلمان الحجرية كحرس له ، وان يكونوا معه في كل موضع يحل فيه الوزير (٧٦).

كان هم ابن الفرات الرئيس الحصول على اكبر مقدار من المـال ، فالتجأ الى الطرق القديمة التعسفية ، ثم بدأ يصعدها ، فقد اوقف كـل مستخدمي علي بن عيسى واخوانه وكتابه ومعتمديه، ثم اعاد سجن الخاقاني وانصاره ليحصل منهم على مبالغ جديدة بتهمة ان علي بن عيسى كان متسامحا معهم ، وقد قرر أيضا ان يدفع العمـال المصروفين بالمصادرة المنح التي استلموها واوجد لهذا الغرض ديوانا جديدا سماه « ديوان المرافق » (٧٧) الذي كلف بأدارته هارون بن عمران عظيم دار الخلافة وجهبذها والـذي كان يتمتع بذكاء وقاد (٧٨) .

وفي سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م اخر ابن الفرات أرزاق الفرسان محتجـا بضيق ذات اليد ، ومدعيا ان الاموال انما شحت عنده نتيجة لكثرة ما أنفق في محاربة يوسف بن ابي الساج (٧٩)، فشغب عندئذ الجند وخرجوا الى المصلى (٨٠) ، ولما شعر الوزير بحراجة الموقف ، التمس من الخليفة مساعدته بدفع مائتي الف دينار من بيت مال الخاصة ليضيف اليها مائتي ألف

(٧٦) عريب ، الصـلة ، ص ٦٢ .

(٧٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٢ .

(٧٨) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 408 .

(٧٩) هو عامل اذربيجان وقائد أحد فرق الجيش . وسوف يشرح في الفصل القادم .

(٨٠) ابن الاثير ، والكامل ، ج٦ ، ص ١٦٠ .

دينار اخرى ويصرف الجميع في ارزاق الجند ،فعظم ذلك على الخليفة[٨١]، فذكر وزيره بالشروط التي تعهد بها أبان تقلده منصب الوزارة ، ولم يقتنع المقتدر بحجة الوزير وتنكر له [٨٢] .

واذا أخذنا بالرواية التي انفرد بها الصابي ، والتي تذكر أن المقتدر طلب من ابن الفرات (٢٠٠ الف دينار) [٨٣] ، وفي وسط هذه الحيرة ، استشار الوزير معاونيه فأشاروا عليه برفض طلب الخليفة ، بحجة انه اذا لم يرفض طلب الخليفة فسيواصل الاخير طلباته [٨٤] . وعندئذ اجاب الوزير على طلب الخليفة معتذرا ومحتجا بكثرة ما يجب عليه ان يدفعه من المؤن والنفقات التي ترتبت عليه .

زاد الارجاف بالوزير عقب هذا الموقف الذي إتخذه من الخليفة ويبدو أن ذلك كان بسبب الموقف الصريح والجريء الذي وقفه الوزير بحيث لم يتخاذل أمام الخليفة ، على الرغم انه شعر بتضعضع مركزه ، خاصة بعد ان اتهم بتحريض يوسف بن ابي الساج الذي أستولى على الري [٨٥] ، وكتب الى الخليفة « يلتمس الرضا ويبذل سبعمائة الف دينار عن اعمال الخراج والضياع بكورة الري وما يليها خالصة سوى ارزاق الاولياء في تلك الاعمال وسوى النفقات الراتبة » [٨٦] ، لكن الخليفة لم يستجب

---

(٨١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٥٦ .

(٨٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٠ .

(٨٣) الوزراء ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

(٨٤) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 412 .

(٨٥) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج١٢ ، ورقة ، ١٣٠ — ١ .

(٨٦) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٦ . الهمداني ، التكملة ج ١ ، ص ١٨ .

الى طلبه هذا ، ورغب يوسف بن ابي الساج بأن يجدد له العهد على الولاية التي كان يتولاها سابقا [٨٧] ، واشار ابن الفرات بذلك . إلا أن المقتدر ونصر الحاجب وابن الحواري أصروا على أن لا يقر ابن أبي الساج على تلك الولاية الا بعد ان يرد الى العاصمة ، ويقدم الولاء والخضوع والطاعة للخليفة [٨٨] . وبما أن المتمرد ابن أبي الساج لم يمتثل للحضور الى العاصمة، ولمواقف ابن الفرات السابقة نحوه،فقد اتهم الوزير بمواطأته [٨٩].

وتدعي SOURDEL أن ابن الفرات ارتكب ثلاثة اخطاء فادحة ، هي استرجاع أمواله المصادرة ، وثبوت وجود اموال في حوزته كان قد انكر وجودها ، وأخيرا طرد عدد من الكتاب والمعتمدين ليضع عوضا عنهم من أهله وأقاربه من غير ان يهتم بالجدارة والكفاءة في قيامهم بأعمالهم [٩٠].

ومما عجل في نهاية وزارة ابن الفرات الثانية ، ان الوزير عندما علم، أن نصر الحاجب ، وأبا القاسم بن الحواري ، وشفيع اللؤلؤي ، يتهمونه بتحريض يوسف بن ابي الساج على العصيان عاداهم ، وحاول ان يسيء اليهم ، ومنعهم اكثر حوائجهم ورفض مطاليبهم ، كما ان ابن مقلة كاتبَ نصر الحاجب واتهم ابن الفرات بأحتفاظه بخمسمائة الف دينار ، وقد

---

(٨٧) آذربيجان وارمينية .

(٨٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، ج ٤ ، ص ٧٧٥ .

(٨٩) العيون ، ورقة ٩٦ — ب (تحقيق ، نتيلة ، ص ٢٨٢) . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٤ .

(٩٠) LE VIZIRAT ' ABBSIDE ' P . 412 .

نقل الحاجب ذلك الى المقتدر ليثير حفيظته على الوزير(٩١) . هذا بالاضافة الى ما أشيع عن ابن الفرات انه كان يريد إرسال الحسين بن حمـــدان لمحاربة المتمرد يوسف بن ابي الساج ، وكان يهدف من وراء ذلك ، ان يتعاون ابن حمدان مع ابن ابي الساج ، ويساندهما في ذلك الوزير إبن الفرات لخلع المقتدر من منصب الخلافة (٩٢) .

وفي وسط هــذا الجو من الحقـــد في دار الخلافة ، تزايد نشاط المناهضين لسياسة ابن الفرات ، والذين كانوا قد جردوا من مناصبهم بدون أي تعويض عند عودة وزارة ابن الفرات هذه .

وهنا يتضح لنا موقف الوزير الصلب ، وصراعه مع عدة قوى عسكرية ومدنية . وعلى الرغم من ذلك كان ابن الفرات يحاول ان يثبت مركزه ، ويؤثر في الاحداث ويوجهها الوجهة التي يراها صائبة ، ومع أنه شعر بنهاية احتفاظه بمنصبه هذا ، لكنه لم يتخاذل ، فقد وقف بجرأة عندما جـاءه نصر الحاجب يستدعيه ومعه عدد من الجند ، فقال الوزير بثبات ورباطة جأش : « الموكب أم بدراعة ؟ » (٩٣) ، وهكذا قبض على ابن الفرات في سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م (٩٤) .

---

(٩١) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٥٢ .

(٩٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٦٠ .

(٩٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / ج ٤ ، ص ٧٧٧ .

(٩٤) عريب ، الصلة ، ص ٧٣ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ٩٢ ــ ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٧٤) .

٦ ـ حامد بن العباس يتقلد الوزارة ٣٠٦ ـ ٣١١ هـ :

كان حامد بن العباس يتولى ضمان واسط منذ فترة طويلة قبل ان يتقلد الوزارة • ولا نغالي اذا قلنا أن الوزارة وصلت إلى الدرك الاسفل بتقليدها الى حامد بن العباس ، اذ نلمس بمجرد امعان النظر في أسباب إختياره ، ليس ضعف الوزارة فحسب ، بل وتلاشي تأثيرها في سياسة الدولة العامة • فان ترشيح هذا الوزير كان بتأثير أبي القاسم علي بن محمد الحواري (٩٥) ، أحد موظفي قصر الخلافة ، الذي وصف الوزير الجديد باليسار العظيم ونبل النفس (٩٦) ، وبأستطاعته جمع مبالغ كبيرة للدولة لهيبته عند العمال • وذكر كبر قصمه وكثرة غلمانه اذ كان له اربعمائة غلام يحملون السلاح (٩٧) • ووصفة التنوخي بأنه : « رجل قديم الرياسة في العمال وله مروءة عظيمة وضياع كثيرة وغلمانه كثيرو العدد وله هيبة وسطوة وسن (٩٨) ، الا انه نشأ بعيدا عن الحضرة فلم يستشف اخلاقه وافعاله » (٩٩) •

---

(٩٥) كان عظيم البذل ، واتصل بام موسى القهرمانة ، فأوصلته الى المقتدر وأصبح اثيرا لديه ، وهو الذي اشار باستيزار حامد بن العباس . (التنوخي ، نشوار ، ج ١ ، ص ١٢٢) .

(٩٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٧٤ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص٥٨.

(٩٧) العيون ، الورقة ٩٤ ـ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٧٧) .

(٩٨) كان عمره حين تقلد الوزارة (٨٥ سنة) .

(٩٩) نشوار المحاضرة ، ج٨ (مطبعة المفيد) ، ص ٦٣ .

وكان حامد بن العباس قد راسل نصر الحاجب طامعا بالوزارة ، كما راسل السيدة في هذا الصدد ، ممنيا إياها بالمال (١٠٠) ، وهكذا تم له ما أراد . ويبدو ان اختيار حامد للوزاة لم يكن ، في الحقيقة ، قائما على أساس الكفاءة والمقدرة الادارية ، وإنما أوصله الى الوزارة — وهو ليس جديرا بها — أنه كان مدينا بمبلغ الفي الف دينار عن ضمانه ، وكان يطمع في ان يسقط دينه اذا تولى الوزارة (١) .

لم يكد حامد بن العباس أن يتبوأ منصبه حتى ظهرت معايبه ، وبدا جهله بأمور الوزارة ، ولعل ذلك متأتيا من كون هذا الوزير نشأ بعيـدا عن مجرى الأمور في دار الخلافة ، فلم تصقل اخلاقه وافعاله ، ولم تتطبع بطابع حاضرة البلاد (٢) ، وقد خلق بذلك انطباعا سيئا لدى الخليفـة والحاشية . وسرعان ما بانت للقواد وخواص المقتدر حـدة طبع الوزير ، وعجزه في التدبير ، وقلة خبرته بأمور الوزارة (٣) . وعندئذ عاتب الخليفة أبا القاسم بن الحواري على مشورته تلك ، فاقترح ابن الحـواري على المقتدر بأطلاق علي بن عيسى من السجن وتقليـده الدواوين (٤) ، وعلى

---

(١٠٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦، ص ١٦٠ .

(١) العيون ، ورقة ٩٤ — أ (تحقيق ، نبيلة ص ٢٧٦) ابن خلدون، العبر ، المجـلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٨٨ .

(٢) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨ (مطبعة المفيد) ، ص٦٤ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٧٧ .

(٣) BOWEN . op . cit . P . 162 .

(٤) عريب ، الصـلة ، ص ٧٤ .

الرغم من ان المقتدر عارض هذا الاجراء أول الامر إلا انه وافق عليه مكرها فيما بعد .

وترى SOURDEL أن عليا بن عيسى كان يأمل من وراء تأييد ترشيح حامد بن العباس للوزارة ، ان يكون مساعدا له (٥)، وبالفعل شغل علي ابن عيسى هذا المنصب على الرغم من انه كان متوقعا ان لا يوافق أن يكون مساعدا لوزير بعد ان كان قبل فترة وجيزة وزيرا .

وبالاضافة الى جهل حامد بن العباس بأمور الدولة ، فانه كان سيء السيرة ، حتى قال عنه التنوخي : « ما رأينا ولا سمعنا برئيس أسفه لسانا من حامد بن العباس ، فانه كان لا يرد لسانه عن احد البتة ، وكان اذا غضب شتم » (٦) ، وكان لايتورع ان يتلفظ بألفاظ فاحشة ، ففي ذات يوم جاءته ام موسى القهرمانة ، فخاطبته في شيء من الاموال عن رسالةالمقتدر فقال لها :

اضرطي والتقطي واحسبي لا تغلطي (٧)

واتفق مرة ان كان حامد بن العباس وعلي بن عيسى بحضرة المقتدر، فالتفت الوزير حامد الى معاونه علي بن عيسى وقال : « انا نلت هذا مرتين » (٨) ، وكان يشير الى ولد امرد . وفي موقف آخر كان حامد بن العباس قد استحضر الوليد بن أحمد بن أخت الراسبي ، ليطالبه بمصادرة، فلما اشتد النقاش قال الوزير لعلي بن عيسى : « يلذني الساعة ان أنيل ام

---

(٥) LE VIZIRAT ' ABBSIDE ' 414 .

(٦) نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، (مطبعة المفيد) ، ص ٤٩ .

(٧) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨ ، (مطبعة المفيد) ، ص ٤٩ .

(٨) ن . م ، ص ٥٠ .

هذا »[٩]. هذا نموذج من سلوك وزير من وزراء المقتدر بالله ، ويبدو ان تصرفاته تلك تعكس ، بلا شك ، احداث عصره .

وبذلك سقطت منزلة حامد بن العباس عند المقتدر بالله منذ بداية سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م . وشعر هو وخواصه ، بأنه لا فائدة من الاعتماد على الوزير في شيء من الامور البتة [١٠] ، وبذا أصبحت سلطة الوزير اسمية فقط ، وصارت الامور كلها في يد علي بن عيسى حتى قال أحد الشعراء :

قل لابن عيسى قولة　　يرضى بها ابن مجاهد
أنت الوزير وانما　　سخروا بلحية حامد
جعلوه عند سترة　　لصلاح أمر فاسد
مهما شككت فقل له :　　لم واحد في واحد [١١]

وقد اقتصر حامد بن العباس من الوزارة على مظاهرها الشكلية ، فأكتفى بلبس السواد والجلوس في دست هذا المنصب بينما أصبح الوزير الفعلي علي بن عيسى فقيل [١٢] :

أعجب من كل ما رأينا　　ان وزيرين في بلاد

---

(٩) ن . م ، ص ٥٠ .

(١٠) العيون ، ورقة ٩٥ ـ ا (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٧٩). مسكويه م .ق ، ج١ ، ص ٥٩ .

(١١) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٩ . ابن كثير ، البداية النهاية، ح ١١ ، ص ١٢٩ .

(١٢) مسكويه ، م.ق ج١ ، ص ٥٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١١ ، ص ١٣٠ .

(١٣) مسكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ٧١ .

هــذا ســواد بــلا وزير   وذا وزير بــلا سواد

ويجدر بنا ان نشير الى ان هذا الشعر وأمثاله يظهر لنــا تحسس الادباء والشعراء ، بالأمور العامة التي كانت تجري حولهم ، وانهم أمدونا بصورة صادقة ، او تكاد ، عن حالة الوزراء والوزارة آنذاك .

واجه الوزير حامد بن العباس صعوبات جمة ، فبالاضافة الى الصعوبات والمشاكل الادارية والمالية التي كان الوزير يجهلها ، ومحاسبة علي بن عيسى له ولكتابه [١٣] ، ارتفعت الاسعار في سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م عما كانت عليه الامر الذي ادى الى شغب العامــة شغبا عظيما متصلا [١٤] ، فادعى كتاب حامد ومؤيدوه ، ان عليا بن عيسى هو الذي حرض العامة على الشغب لان السعر لم يكن قد زاد زيادة توجب ذلك [١٥] . غير ان ادعاءهم هذا يبدو واهيا ، فان عليا بن عيسى لم يسلم من اذى اولئك المشاغبين [١٦] عندما وجهوا أذاهم الى المسؤولين جميعا بما فيهم الخليفة نفسه .

ونتيجة لذلك الشغب حدثت مضاعفات ، وتحركت العامة في المساجد الجامعة ببغداد ، وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة وأحرقوا الجسر وأطلقوا المسجونين ، ولما اجتمع اليهم نصر الحاجب وثبوا عليه ورجموه بالآجــر وعندئذ وجه اليهم الوزير جماعة من غلمانه ، فدخلوا المسجد الجامع بالجانب الغربي من بغداد على دوابهم ، وقتلوا جماعة من المشاغبين ، وقــد بات الناس ليلتهم تلك وهم في أشد حالات القلق والخوف على أنفسهم وأموالهم

---

(١٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(١٥) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 421 .

(١٦) مسكويه ، م .ق ، ج ١ ، ص ٧٣ .

وحرمهم (١٧) .

والملاحظ ان حركات الشغب هذه قامت بها جماعة من ذوي الدخل الواطيء من العامة والجند الذين لا يستطيعون الحصول على المواد الضرورية لأن أسعارها المرتفعة لا تتلاءم ودخلهم المحدود .

وقد بان ضعف قوى الامن بصورة واضحة في هذه الظروف بحيث عجزت عن اسكات المتذمرين . وازاء هذا الجو المضطرب ، أنفذ المقتدر جماعة من الغلمان الحجرية في شذاءات (١٨) عدة لأخماد حركة العامة ، وتمكن من تشتيت شملهم وقبض على قسم منهم فضرب بعضهم بالسوط وقطع ايدي قوم آخرين اتهموا بالافساد (١٩) ، لكن القوة العسكرية التي سخرها الخليفة لاسكات الاصوات المتذمرة سرعان ما تجاوبت مع المتذمرين وضجت الرجالة المصافية في دار الخلافة هي الاخرى من زيادة السعر أيضا (٢٠) .

وقد لجأ الخليفة الى معالجة الوضع المتأزم الذي كاد يودي بكيان الدولة ، فأقدم الخليفة على خطوة جريئة ، بأن فرض سعرا معينا على الدقاقين وامر بفتح الدكاكين والبيوتات العائدة للوزير وللسيدة أم المقتدر والامراء وأولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة ، وبيعت الحنطة بنقصان

(١٧) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٧٤ . الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ٣٦ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٩٨ .

(١٨) شذاءات : ضرب من السفن ، الواحدة شذاة . (حبيب زيات ، « معجم المراكب والسفن في الاسلام » ، مجلة المشرق ، ج٣ — ٤ ، ص ٣٤٤ . انظر الصابي ، الوزراء ، ص ١٩ . مسكويه ، م.ق ، ص ٦ .

(١٩) مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٢٠) ن . م ، ص ٤٤ .

خمسة دنانير (٢١) في الكرّ (٢٢) ، وطولب التجار والباعة بأن يبيعوا بمثل هذا السعر ، وقد حدد الكر المعدل بخمسين دينارا ، وتقدم الى الدقاقين بذلك فرضي العامة وسكنوا (٢٣) ، اصدر الخليفة امرا بفسخ ضـــمان الوزير الذي كان السبب في زيادة الاسعار بسبب احتكاره لقوت العامة ، مما أدى الى اشتداد تذمرهـــا ، وقرىء امر المقتدر هـــذا في الشوارع والاسواق وعلى المنابر ، وحذر الخليفة جميع الوجوه والقواد والغلمان ، من ان يضمنوا شيئا حتى لايقوم احتكار في المستقبل (٢٤).

ويبدو أن السلطة لم تكن من القـــوة والجديـــة بحيث تستطيع ان تتدخل في السوق ، وتفرض الاسعار التي تريدها ، والتي تلائم مستوى عامة الشعب ، اذ ان للتجار طرقا ملتوية استطاعوا بها التغلب على هـــذا الامر . واذا أضفنا الى ذلك نصيحة الحاشية (٢٥) ، التي تقول بأن المنافسة

(٢١) ن . م ، ص ٧٤ .

(٢٢) الكر : هو مكيال بابلي الاصل ، وكان يساوي فى العراق من حيث الاساس ٣٠ كارة = ٦٠ قفيزا ، وكـــل قفيزة = ٨ مكاكيل . وفى القرن العاشر الميلادي كان الكر الكبير او الوافى فى بغداد والكوفة = ٦٠ قفيزا ، وكل قفيز ٨ مكاكيك . كل مكوك ٣ كيلجات . كل كيلجة ٦٠٠ درهم مـــن القمح = ٢٧٠ كغم (هنتس ، ص ٦٩) .

ومن جهة أخرى كان ما يدعى « بالكر المعدل » يساوي ٦٠ قفيـــزا ايضا لكن كل قفيز كان ٢٥ رطلا بغداديا فقط ، اي انه يعادل ٦٠٩ر٣٧٥كغم قمح (الخوارزمي ، ص ٧٦) .

(٢٣) عريب ، الصـــلة ، ص ٨٤ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٤ — ٧٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٦٧ .

(٢٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٥ .

(٢٥) عريب ، الصلة ، ص ٨٤ . مسكويه ، م.ق، ج١ ، ص ٧٤ .

الحرة بين التجار ، هي التي تؤدي بطبيعة الحال الى انخفاض الاسعار بصورة تلقائية ، وهو ما يعرف في الاقتصاد ، بسياسة العرض والطلب ، كل ذلك حدا بالسلطة الى التراجع عن خطوتها تلك فكان ذلك « صوابا وصلح امر السعر » (٢٦) .

ومن المحتمل جدا ان تكون هذه اول بادرة يقوم بها خليفة بغية تحديد الاسعار ، ويفرض ذلك على التجار لكي يكون في مقدور العامة الحصول على المواد الضرورية بما يتلاءم ودخلها المحدود ، وهذا دون ريب لا يدل على أن الخليفة المقتدر كان يراعي شؤون العامة ، وتوفير القوت الضروري لها ، بقدر اهتمامه بالمحافظة على سلطته ومركزه ، اذ وجدناه يقدم على خطوته الجريئة تلك ، بعد ان سبب ارتفاع الاسعار اختلال أحوال الدولة ، بسبب تقاعس الجهاز الاداري وجشعه وإهماله لمصالح الرعية .

ويجدر بنا أن نجمل الاسباب التي عجلت بأقصاء حامد بن العباس عن الوزارة وعلي بن عيسى عن الدواوين بما يلي :

١ — ضجر المقتدر من استغاثة الاولاد والحريم والخدم والحاشية من تأخير ارزاقهم ، فان عليا بن عيسى كان يؤخرها ، فاذا اجتمع عدة شهور اعطى بعضا واسقط بعضا ، وحط من ارزاق العمال في السنة شهرين (٢٧) .

٢ — ان المقتدر بدأ يستشير ابن الفرات وهو في سجنه ، وقد

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٦٧ .

(٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٣ . مسكويه ، م.ق ، ج ١ ص ٨٥ .

طعن ابن الفرات (الوزير المسجون) بكفاءة حامد بن العباس وإخلاصه إذ قال للمقتدر : « لم يكن موضعا لتدبير المملكة ولا لضبط الدواوين »[٢٨].

٣ — ثم ان ابن الفرات كتب للمقتدر وضمن له أموالا إن هو أقصى حامد عن الوزارة وقلده اياها ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « أنا اتضمن خمسة أضعاف ما ضمنه حامد ان اعاده ومكنه مما يريد فوعده المقتدر بذلك »[٢٩].

٤ — وبالرغم من ان حامدا كان هو الوزير ، الا أن أعماله قلصت، واستأثر بالامور جلها معاونه علي بن عيسى ، وبذلك اصبح الوزير لايدخل نفسه في شيء من الامور ، ولايزيد على ان يحضر في ايام المواكب[٣٠] مرتديا الملابس الرسمية كما اسلفنا .

٥ — وتنيجة لهذا الاهمال الذي عاناه الوزير ، سئم من تلك الحالة السيئة التي كان يعيشها ، فاضطر ان يستأذن المقتدر بالخروج الى واسط والمقام بها لينظر في شؤون ضمانه بنواحيها فأذن له[٣١] .

٦ — كانت القهرمانة ام موسى قد زوجت ابنة أخيها الى أحد احفاد المتوكل على الله ، وحينئذ حصلت تخرصات مفادها ، ان القهرمانة تعمل

---

(٢٨) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٨٥ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ج٨ ، (مطبعة المفيد) ص ٦٢ — ٦٣ .

(٢٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٨٦ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٨٢ .

(٣٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٨٦ .

(٣١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٣ .

على تقليد صهرها الخلافة ، وعد ذلك تهاوناً من قبل الوزير [٣٢] .

٧ — ادت الجفوة بين الوزير ومفلح الاسود ، الى أن يحقد مفلح — وهو من أقرب المقربين الى الخليفة — على الوزير ، فسعى في اقصائه وإستيزار ابن الفرات [٣٣] .

٨ — ويضاف الى تلك الاسباب سبب آخر هو الاضطراب الذي أثارته العامة والجند ، لأرتفاع الاسعار ، والذي كاد يعصف بكيان الدولة كما أسلفنا .

٧ — وزارة ابن الفرات الثالثة ٣١١ — ٣١٢ هـ :

عزل حامد بن العباس عن الوزارة سنة ٣١١هـ/٩٢٣م وتقلدها ابن الفرات للمرة الثالثة [٣٤] ، وأقصي علي بن عيسى عن الدواوين وقبض عليه حيث سجن عند زيدان القهرمانة في الحجرة التي كان فيها ابن الفرات [٣٥] . وصار المحسن يعاون اباه الوزير في ادارة شؤون الدولة . وأفرط المحسن في تعذيب الوزير المعزول حامد بن العباس ومساعده علي بن عيسى وصادرهما ، كما صادر كثيراً من انصارهما ، حيث بلغت مجموع مصادراتهم

(٣٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٨٧ .

(٣٣) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٨٣ .
مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٨٧ .

(٣٤) العيون ، ورقة ١٠٨ — أ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٠٦) . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٣٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢٠٧ .

(٣٥) روى ابو حيان التوحيدي هذه القصة : « مر بكناسين احدهما فى البئر والاخر على راس البئر ، واذا ضجة ، فقال الذي فى البئر :

من العين (٧٫٥٧٥٫٦٨٠) دينار ، ومن الورق (٥٫٣٠٠٫٠٠٠) [٣٦] .

وعلى الرغم من ان المقتدر امر بأن يخدم الوزير المطرود في سجنه ، وان يزود بالطعام والشراب الجيدين [٣٧] ، لكن المحسن كان يشتمه امام الناس أقبح شتم [٣٨] ، ويلبسه جلد قرد لـــه ذنب ويقيم من يرقصه ويصفعه [٣٩] ويشرب على ذلك ، « واجرى على حامد افاعيل قبيحة ليست من أفاعيل الناس ولا يستجيزها ذو دين ولا عقل » [٤٠] . اذ أن عليـا إبن عيسى ، الشيخ النقي ، لم يسلم من اذى المحسن الذي البسه جبـة صوف وصفعه عشر صفعات [٤١] ، وهكذا تمادى ابن الوزير في الاساءة الى علي بن عيسى ، على الرغم من حسن سيرته .

صار الوزير يتصرف كما يشاء وفق خطة تضمن بقاءه بمنصبه هـذا مدة أطول ، فقد تمكن من نفي علي بن عيسى الى مكة ، ومنها الى اليمن ، حتى يأمن جانبه [٤٢] وكان المحسن قد كلف حارسه بأن يقتله ، لكن علياً

ماالخبر ؟ فقال : قبض على علي بن عيسى . فقال : ومن أقعدوا بدلـــه ؟ قال : ابن الفرات . قال : قاتلهم الله ، اخذوا المصحف ووضعوا بدلـــه الطنبور » ، (الامتـاع والمؤانسة ، ج٢ ، ص ٥٤) .

(٣٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٥ — ٢٤٨ .

(٣٧) BOWEN . op . cit . P . 225 .

(٣٨) عريب ، الصلة ، ص ١١٢ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠١ .

(٣٩) عريب ، الصـــلة ، ص ١١٢ .

(٤٠) ن . م ، ص ١١٢ .

(٤١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١١١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ص ١٧٤ . BOWEN . op . cit . P . 212 .

(٤٢) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١١٣ . BOWEN . op . cit . P . 226 .

الذي احتاط للامر عرف كيف ينجو حيث ارجع الحارس الى بغداد (٤٣) وأبعد حامد بن العباس الى واسط (٤٤) ، ثم اوعز بقتله فقتل (٤٥) .

أثارت سياسة ابن الفرات هذه السخط العام ضده ، حيث انكر الناس قسوة ابنه المحسن المتناهية ، بالاضافة الى تعسف ولاته ، ولم يتنكر المقتدر أفعال وزيره ابن الفرات ، ولا أفعال ولده المحسن الشنيعة ، وإنما زاد في تماديهما ، اذ خلع الخليفة على المحسن خلع المنادمة (٤٦) ، وزاد في مخصصاته الشهرية الفي دينار (٤٧) . ويظهر انموقف المقتدر هذا دفع المحسن إلى مزيد من الاعمال الطائشة .

وقد استهجن مؤنس المظفر ، ما جرى للوزير وكتابه وعماله من المكروه على يد ابن الفرات وابنه المحسن (٤٨) ، وأثارت العملية التي تم بها إنهاء حياة حامد بن العباس الوزير السابق ، والنعمان بن عبد الله الكاتب وإبراهيم بن عيسى ، وعبد الله بن ماشاء الله ، وابن حماد الموصلي الكاتب وأحمد بن محمد بن قرابة (٤٩) استنكارا واسعا . وعلى الرغم من تودد ابن الحواري الى المحسن وتهنئته له ، لم يسلم من التعذيب والموت

(٤٣) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 428 .

(٤٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٤ .

(٤٥) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٠٤ .

(٤٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٣ .

(٤٧) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٩٣ .

(٤٨) ن . م . ص ١١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٥ .

(٤٩) عريب ، الصلة ، ص ١١٤ .

خنقا (٥٠) ، فضلا عن أن هذه العملية أدت الى اعمال العسف ، بما فيذلك نفي عدد من الشخصيات . فأنضوى اكثر الفرسان في العاصمة ، تحت لواء مؤنس الذي كان قد عاد لتوه من غزوة مؤزرة ضد الروم ، والذي كان غير ميال الى تقليد ابن الفرات ، كما أن ابن الفرات الذي تقلد الوزارة للمرة الثالثة ، كان هو الآخر شديد الحساسية من مؤنس، ولا يطمئن إليه ، وذلك لميل القائد المظفر الى علي بن عيسى وثقتهالكبيرة به.

ولم يمض أكثر من اسبوع على قدوم مؤنس من جبهة الروم ، الا وبدأ الوزير يوغر صدر الخليفة على قائده مؤنس ، متهما اياه بمحاولة ضم الرجالة اليه ليصبح اميرا للأمراء (٥١) ، وحينئذ سوف يتغلب على أمر الدولة ، ولا سيما وان القواد والغلمان كانوا يساندونه ، وبذلك تمكن الوزير من اقناع المقتدر بضرورة خروج مؤنس ومؤازريه منالجند الى الرقة (٥٢) ، للتخلص من دفع نفقات جيشه أولا ، وللتخلص منطامعه التي بدأت تظهر جلية ثانيا (٥٣) . وهكذا استطاع الوزير ابعاد أقوى منافس له في العاصمة .

والحق ان الخلاف الذي حدث بين مؤنس قائد الجيش ، والوزير إبن الفرات كان ناتجا عن محاولات الجيش المتكررة للتدخل في الامور السياسية والادارية ، وإن نجاح الوزير فيإبعاد مؤنس المظفر عن العاصمة،

(٥٠) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 428 .

(٥١) BOWEN . op . cit . P . 229 .

(٥٢) الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٨ .

(٥٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ص ١٧٥ .

يمثل انتصارا بينا للسلطة السياسية على التدخل العسكري .

ما ان فرغ الوزير علي بن الفرات من مصادرة الوزير المخلوع وجميع كتابه، وقتل بعضهم ونفي البعض الآخر ، واخراج مؤنس الى الرقة ، حتى شرع في رسم الخطط للقبض على نصر الحاجب (٥٤) ، وشفيع المقتدري (٥٥) ، فوصف للمقتدر بالله ما في حوزة نصر القشوري من الاموال والضياع ، وكثر ما يصل اليه من الأعمال التي يتولاها ، وقد تمكن الوزير من الحصول على موافقة الخليفة في تسليم نصر له ، فلجأ الأخير الى السيدة أم المقتدر ، واستغاث بها ، وقد تمكنت من ان تثني ابنها عن مغبة الانسياق وراء طلبات ابن الفرات (٥٦) .

وهنا اخفق الوزير مرة أخرى امام قوة الحاشية عندما لم ينفذ طلبه ، وهذا دون ريب يعتبر ضربة لوجهة نظر الوزير ولسياسته الرامية إلى الاستئثار بالسلطة كما يبين لنا عجزه عن تنفيذ الاجراءات التي يراها ضرورية لحفظ هيبة منصبه وسلامته .

ومع هذا فاننا حينما نريد ان نقيم الوزير ابن الفرات ، فاننا نجده كريما ذا رياسة وكفاءة في عمله ، ومن محاسنه انه جرى ذكر اصحاب الأدب وطلبة الحديث ، وما هم عليه من الفقر والتعفف فقال : « انا نحن

---

(٥٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٥ .
BOWEN . op . cit . P . 237 .

(٥٥) شفيع اللؤلؤي المقتدري ، كان صاحب البريد ومحل ثقة المقتدر . (انظر عريب ، الصلة ، ص ٤٥)

(٥٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٣ . مسكويه ، م .ق ، ج١ . ص١١٧ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٤٢ .

أحق بأعانتهم ، فأطلق لأصحاب الحـديث عشرين الف درهم ، وللشعراء عشرين الف درهم ، ولاصحاب الأدب عشرين الف درهم ، وللفقهاء عشرين ألف درهم ، وللصوفية عشرين الف درهم » (٥٧) ، وقد بلغ مجموع ذلك مائة الف درهم (٥٨). وكان الصولي يتقرب لابن الفرات أيام محنته ، فلما تولى الوزارة زاد في رزقه سبعين ديناراً (٥٩) .

ويرجع الفضل للوزير ابن الفرات في اسقاط المواريث وردهـا إلى أصحابها ، بعد أن كان المقتدر ورجاله يأخذون اموال من يمـوت (٦٠) ، وكان ابن الفرات قد إقترح على الخليفة المقتدر إبطال السيطرة على أموال من يرث ، وأفهمه بأن المعتضد والمكتفي ، قد قطعا الدخول على النـاس في المواريث وقال : « أنا أرى لمولاي ان يحيي رسومهما وان يأمر بأثبات عهد الا يتعرض أحد في ميراث » (٦١) . فأجابه المقتدر الى ذلك ، وأنشأ

(٥٧) العيون ، ورقة ١٠٩ ــ أ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٠٨ ــ ٣٠٩). الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢٤ . مسكويه ، م.ق ، ص ١١٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٠ .

(٥٨) وذكر انه لم يسبق ابن الفرات الى ذلك الى ما قيل من أن مسلمة ابن عبد الملك أوصى عند وفاته بالثلث من امواله لطلاب الأدب . (مسكويه ج١ ، ص ٢١٠) .

(٥٩) عريب ، الصـلة ، ص ١١٤ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص ٩٨ .

(٦٠) احمد زكي صفوت ، جمهرة رسـائل العرب ، ج٤ ، ط ١ ، ص ٤١٠ .

(٦١) عريب ، الصلة ، ص ١١٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ورقـة ٢٥ .

الوزير إبن الفرات كتابا عن المقتدر في إسقاط المواريث (٦٢) ، ومما يعتد به على إبن الفرات أنه أمر بأنشاء مستشفى خلال وزارته هذه ، كان ينفق عليه من ماله الخاص مائتي دينار في الشهر (٦٣) .

غير أن ابن الفرات لم يستطع ان يحافظ على قوة مركزه هـــذا ، والذي جعــله الرجل الثاني بعد الخليفة . ويبدو أن هنـــاك عدة عوامل تظافرت لتعيد الوزارة الى وضعها المتردي ، بعد ان حاول ابن الفرات أن يضعها في محلها الطبيعي لتلعب دورها الرئيس في توجيــه سياسة الدولة. لكنه يظهر ، أن المعوقات التي وقفت امامــــه ، على الصعيدين الداخلي والخارجي ، كانت من القوة ، بحيث عجز الوزير عن تذليلها ، ولعل اهم المشكلات التي لاقتها وزارة ابن الفرات الثالثة هي : الحقـــد والضغينة الواضحان بين الوزير ومنافسيه من رجال الحاشية ، علاوة على هجمـــات القرامطة ، وتعرضاتهم لقـــوافل الحجاج التي ازدادت منذ عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م) ، عندما اعترض أبو طاهر القرمطي قوافل الحجاج عند رجوعهم من مكة (٦٤) ، وقتل منهم خلقا كثيرا وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان،

---

(٦٢) الصابي ، الوزراء ص ٢٦٨ — ٢٦٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٧٦ .

ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٤٨ .

(٦٣) ابن ابي اصيبعة ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٠٨ . ابن كثير ، التداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٤٨ ١٤٨ . احمد بن عيسى ، تاريخ البيمارستانات ص ١٨٤ . متز ، م.ق ، ج٢ ص ٢٠٧ .

(٦٤) الذهبي ، العبــر ، ج٢ ، ص ١٥٠ .

وأحمد بن بدر عم السيدة ام المقتدر [٦٥] ، وغيرهما الكثير من خـدم الخليفة وحرمه ، ولما بلغ الخبر بغداد ، استغل اعداء الوزير حراجة الموقف فغصت طرقات العاصمة بالناس ، وخرجت النساء حافيات منشرات الشعور مسودات الوجوه ، يلطمن ويصرخن في الشوارع [٦٦] ، وانضاف اليهم جرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات [٦٧] ، فكانت صورة فظيعة هزت كيان الدولة وزعزعت ثقة الخليفة بالوزير ، وثقة الناس بالخليفة .

استغل أعداء الوزير هذا الوضع المضطرب ، ومنهم نصر الحاجب الذي رأى أن الفرصة سانحة له للانتقام من الوزير ابن الفرات الذي حاول سابقا الايقاع به [٦٨] . فقال نصر للوزير بحضرة المقتـدر : « زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال بأبعادك مؤنساً الذي يناضل الاعداء ويدفع عن الدولة » [٦٩] . كما ان العامة وثبت على الوزير ورجمت طيـاره بالآجر وضجت بالطرقات بأن ابن الفرات : «القرمطي الكبير وليس (يقنعه) إلا اتلاف أمة محمد » [٧٠] . وان تحرك العامة هذا ادى الى ان منعت الصلاة

---

(٦٥) الصـابي ، الوزراء ، ص ٥٧ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص١٢١ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٩ — ب (تحقيق ، نبيـلة ص ٣١٠) .

(٦٦) مسـكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ١٢١ .

(٦٧) عريب ، الصلة ، ص ١١٩ . الذهبي ، دول الاسـلام ، ج ١ ص ١٣٨ .

(٦٨) BOWEN . op . cit . P . 238 .

(٦٩) الصـابي ، الوزراء ، ص ٥٦ . مسـكويه ، م.ق ، ج ١ ص ١٢١ .

(٧٠) مسكويه ، م .ق ج١ ، ص ١٢٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ج ٦،

في المساجد الجامعة (٧١) ، وهذه الطريقة مألوفة من طرق الاحتجاج التي كان العامة يستغلونها للتعبير عن استيائهم عند تردي الأحوال •

ويشير صاحب المنتظم الى ان نفوذ ابن الفرات قد تضعضع منذ بداية سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م ووثبت العامة عليه ، لان حجاج عام ٣١١هـ / ٩٢٣ م تعرضوا لهجوم القرامطة بقيادة ابي طاهر الجنابي ، وهم في طريق عودتهم من الحجاز ، فقتل القرامطة بعضهم ونهبوا أموالهم ، وأسروا البعض الآخر ، وخرجت النساء في بغداد منشورات الشعور ، يلطمن ويصرخن ، فاستغل نصر الحاجب الفرصة للكيد بالوزير ، وكان ينقم عليه ويتهمه بالخيانة ، كما انه أبعد مؤنس المظفر عن بغداد ، واتهمت عامة الناس الوزير بالتعاون مع القرامطة (٧٢) •

وهكذا تحرج موقف ابن الفرات ، ونشط اعداؤه وعلى رأسهم الحاجب الذي أشار على الخليفة بأستقدام القائد مؤنس ، العدو اللدود لابن الفرات • وبالفعل كوتب مؤنس بالتعجيل الى العاصمة (٧٣) ، وعندما اقترب منها ، لم يتأخر أحد من كبار رجال الدولة عن الترحيب به ، حتى ان الوزير ابن الفرات « ركب للسلام عليه ولم تجر له بذلك عادة »(٧٤)،

ص ١٨٨ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٨ .

(٧١) العيون ، ورقة ١١٠ – أ (تحقيق ، نبيلة ص ٣١١). الصابي، الوزراء ، ص ٥٧ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢٢ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٨ .

(٧٢) ابن الجوزي ، ج٦ ، ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٧٣) عريب ، الصلة ، ص ١٢٠ .

(٧٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٧ . مسكويه ، م.ق ، ج١، ص ١٢٢ .

وتكاد تكون هذه أول بادرة يتخذها ابن الفرات، بأن يخرج وزير الاستقبال أحد قادة الجيش، اذ لم يسبقه اليها أحد، وبعمله هذا يكون قد أضعف مركز الوزارة، وساعد في سيرها وبسرعة نحو الهاوية .

ان مجرد استدعاء مؤنس الى العاصمة، كان يعني عودة التدخل العسكري في السياسة بصور مكشوفة، اذ كان لقائد الجيش اليد الطولى في عزل الوزير ابن الفرات واختيار خلفه .

وهكذا بدأ مصير الوزير واضحا ولم يشفع له تخضعه لمؤنس فتم عزله وحلت به نكبة ثالثة فقد على أثرها حياته [٧٥]، وكل ممتلكاته، بعد ان تعرض هو وابنه المحسن لأشد أنواع الاهانة والتعذيب والضرب المبرح، ليس من رجال الدولة المسؤولين فحسب، بل من العامة التي كانت ناقمة على الوزير وابنه الذي سامها سوء العذاب، بحيث سميت السنة التي تقلد بها ابن الفرات الوزارة بسنة الدمار [٧٦] لانها اقترنت بتعسف المحسن وتسلطه على الناس [٧٧] . فما ان سمعت الجماهير الهائجة بانه قبض على ابن الفرات حتى صاحوا : « قد قبض على القرمطي الكبير وبقي القرمطي الصغير » [٧٨] .

وكانت الجماعة التي أوكل اليها القبض على الوزير قد استعملت معه منتهى الاهانة والتعسف، حيث دخلت الى « دار حرمه فأخرجوه منها

---

(٧٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص ١٨٩ .

(٧٦) عريب، الصلة، ص ١١٠ .

(٧٧) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 420 .

(٧٨) الصابي، الوزراء، ص ٦١ . مسكويه، م.ق، ج١، ص١٢٦.

حاسرا » (٧٩) ولم يسمحوا له بأن يرتدي ملابسه الضرورية ، وقد اعتقل عند نازوك صاحب الشرطة ، ثم نقل الى دا رالخلافة ، لكن وجوه القواد اجتمعوا واتفقوا على مطالبة الخليفة باخراجه من البلاط (٨٠) ، وهددوا بالخروج بأسرهم الى المصلى ، واسرفوا في التهديد ، الأمر الذي إضطر المقتدر الى اخراج الوزير المحبوس من دار الخلافة وسلم إلى شفيع اللؤلؤي » (٨١) .

وما زال قادة الجيش ، وأعداء ابن الفرات يضغطون على المقتدر ، حتى وافق بعد تردد ، على قتل ابن الفرات والمحسن (٨٢) ، ويعلق صاحب المنتظم على هذه الحادثة بقوله : « فما مضت الا سنوات حتى ابتدأت الوزارة تتضعضع ويتقلدها من ليس بأهل لها والا علم لهم بها » (٨٣) .

٨ ــ وزارة أبي القاسم عبدالله بن محمدبن الخاقاني ٣١٢ ــ ٣١٣ هـ

في الوقت الذي أرجف بأبن الفرات كان ابو القاسم عبد الله بن محمد

(٧٩) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٢٦ .
(٨٠) عريب ، الصلة ، ص ١٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٨ .
(٨١) الصابي ، الوزراء ، ص ٦١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص١٢٧ .
(٨٢) عريب ، الصلة ، ص ١٢١ . الذهبي ، العبر، ج٢ ، ص١٥٢ .
BOWEN . op . cit . P . 241 .
(٨٣) ابن الجوزي ، ج٦ ، ص ١٩١ .

ابن الخاقاني ، يتآمر للحصول على كرسي الوزارة المهزوز [٨٤] ، ويحاول دائما خلق المشاكل لابن الفرات ، وانتهز فرصة كارثة قافلة الحج [٨٥] ، فاتفق مع كل من نصر الحاجب وثمل القهرمانة [٨٦] وغيرهما ، واشار مؤنس بأبي القاسم الخاقاني [٨٧]، وعلى الرغم من أن انطباع المقتدر عن أبي القاسم الخاقاني ، لم يكن حسنا ، اذ قال لمؤنس : « أبوه خرب الدنيا وهو شرّ من أبيه » [٨٨] فانه مع ذلك رضخ لالحاح رجال الحاشية وقواده ، وقلد ابا القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني الوزارة والدواوين وخلع عليه ، وأقطعه ما كان في يد ابن الفرات من الضياع ، وخصص له خمسة آلاف دينار في الشهر اسوة بابن الفرات [٨٩] .

لم يكن الوزير الجديد ، بالرجل الكفء ، اذ ما أن عرف الوزير المخلوع من أن أبا القاسم الخاقاني قد تقلد الوزارة حتى قال: « السلطان نكب وما نكبت أنا » [٩٠] ، وسأل ابن الفرات أيضا عمن تقلد الدواوين فذكرت له اسماء الكتاب الذين تقلدوها ، فقال مستهزئا « أيد الله هذا الوزير بالكفاءة » [٩١] .

---

(٨٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ص ١٧٨ .

(٨٥) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 436 .

(٨٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٨ .

(٨٧) عريب ، الصلة ، ص ١٢٠ .

(٨٨) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

(٨٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٤ .

(٩٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٩١) ن . م ، ص ١٢٩ .

ومما يؤيد ضعف مركز الوزير الخاقاني ، ان المقتـــدر قال لشفيع اللؤلؤي : « ان مؤنسا ونصرا وهرون بن غريب قد اجتمعوا على انــــه لا يمشي للخاقاني أمر الا بتسليم ابن الفرات اليه » (٩٢) ، وهكذا انصاع الخليفة المقتدر بالله للضغط ، فسلم وزيره المعزول الى خلفه ، على أمل أن يستحيل منه ومن ابنه وكتابه الفي ألف دينار (٩٣). وقد حوكم ابن الفرات وابنه المحسن الذي القي القبض عليه وهو يرتدي ملابس النساء بعـد ان حلق لحيته وتقنع (٩٤) ، ولقيا أشد مكروه اثناء تلك المحاكمة ، اذ قيـدا وغلا ، والبس كل واحد منهما جبة صوف ، وضرب على رأسهما بالدبابيس والسوط ، ضربا مبرحا ، حتى انجسم المحسن تدوّد من أثر الضرب ومنع عنه الطعام اياما عديدة (٩٥) ، وعندما قطع رأساهما ، غرقا في نهر الفرات وغرقت الجثتان في دجلة (٩٦) ، وهكذا انتهت حياة الوزير ابن الفرات وابنه المحسن على هذه الصـورة البشعة .

ولعل المنافسة التي اشتدت بين ابي العباس احمد بن عبيد الله الخصيبي كاتب السيدة أم المقتدر ، وبين الوزير الخاقاني ، أظهرت الوزارة بأبشع صورها ، فبدت وكأنها سلعة تباع وتشترى ، ذلك ان الخصيبي كان قد تولى النظر في أمر زوجة المحسن . وتعهد ان يستحصل منهـا سبعمائة ألف دينار ليضيفها الى بيت مال الخاصة (٩٧). ولما علم الوزير الخاقاني

(٩٢) عريب ، الصلة ، ص ١٢١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢٩ .

(٩٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٦٣ . الذهبي ، العبر ، ج٢، ص ١٥٢ .

(٩٤) عريب ، الصلة ، ٦٩ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢٣ .

(٩٦) مســـكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٩٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨١ . انظر مسكويه ، م.ق ،

بسعاية الخصيبي تلك ، وان كاتب السيدة يحاول الايقاع به ، تعهد الوزير حينئذ ان يستخرج من الخصيبي مائة الف دينار زيادة على ماتعهد به هذا للخليفة (٩٨) . ومع أن المقتدر رفض طلب الوزير هذا ، الا أن عملية المزايدة تلك توضح لنا مظهرا من مظاهر انحطاط مؤسسة الوزارة حيث وصلت الى الدرك الاسفل .

ومما أوهن أمر الوزير الخاقاني وكرهه الى الناس غلاء الاسعار في عهد وزارته (٩٩) ، فأضطربت الامور ، وتعرضت خزينة الدولة الى الافلاس، حتى ان الوزير عجز عن دفع نفقات الجند الذين شغبوا وطمعوا في النهب، وأشرفت بغداد على فتنة جديدة ، لولا ان المقتدر أمر بأخراج ثلثمائة الف دينار من بيت مال الخاصة (١٠٠) ، تلافيا لحل تلك الازمة المستعصية . غير ان تآمر نصر الحاجب على الوزير ، وسعاية الخصيبي كاتب السيدة أم المقتدر ضده ، وبتأييد حرم القصر ، ومنهم خالة الخليفة وثمل القهرمانة، كل ذلك عجل في اقصاء الخاقاني عن منصب الوزارة ومصادرته (١) . ولم تتجاوز فترة استيزار الخاقاني السنة والنصف . وكان الخاقاني قد أبدى عدم مقدرته على حل المشاكل التي تواجهه ، ورد على طلب الخليفة بان ليس بامكانه دفع ما يستحقه الفرسان من نفقات ، محتجا بأن حالته

ج١ ، ص ١٤١ .

(٩٨) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٤١ .

(٩٩) عريب ، الصلة ، ص ١٢٥ .

(١٠٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٤٢ .

(١) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٩ . مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ١٤٢ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢١٣ .

المرضية لا تسمح له بمعالجة الضائقة المالية ، وعجز عن دفع مائة الف دينار التي تقدم الخليفة بطلبها ، الامر الذي اضطر المقتدر أن يتحمل ذلك من بيت مال الخاصة (٢) .

٩ — وزارة ابي العباس احمد بن عبيد الله الخصيب ٣١٣ — ٣١٤هـ:

تولى أبو العباس احمد بن الخصيب الوزارة في رمضان سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م (٣) ، وعلى الرغم من أن الوزير الجديد كان عفيفاً عازفا عن مال السلطان ، لكن أمره ضعف ، بسبب اشتداد الازمة المالية ، وازدياد شغب الجند ، وانحراف السيدة عنه (٤) .

ويتهم مسكويه الوزير الخصيبي بأهماله امور الدولة ، وانصرافه الى اللهو وشرب الخمر اذ يقول : « كان يواصل شرب النبيذ بالليل والنوم بالنهار في أيام وزارته كلها ، واذا ما انتبه يكون مخمورا لافضل فيه للعمل ، فرد فض الكتب الواردة من عمال الخراج والمعاون وقراءتها والتوقيع عليها واخراجها الى كتاب الدواوين .. » (٥) .

وفي سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م تفاقمت الأزمة المالية ، من جراء الاهمال وتسيب أمور الدولة ، ولم تتوفر للوزير الاموال اللازمة التي

---

(٢) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 438 .

(٣) عريب ، الصلة ، ص ١٢٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٨٢ . ابن بطريق ، التاريخ المجموع ، ج٢ ، ص ٨٣ . ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج١٢ ، ورقة ١٣١ — ب .

(٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٧٠ .

(٥) تجارب الامم ، ج١ ، ص ١٤٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٤ .

كان يتقرب بها الى الخليفة ، وان المليون دينـار التي تمكن الوزير من الحصول عليها من الاعوان والمقربين ، لم يستطع ان يكسب بها تأييـد الخليفة خاصة بعد ان بدا بعض العسكريين يتطاولون عليه (٦) . فأشتد على الناس في الضرائب ، « ولم يدع عند أحد مالا احس به الا أخـذه بأتعس ما يكون الاخذ »(٧) ، حتى انه حاول ان يرجع المواريث ويأخذ من تركة المتوفى (٨) ، علـى الرغم من ان هذا الاجراء كان قد الغي منذ بداية وزارة ابن الفرات الثالثة (٩) في سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م . وقد انفق الخصيبي معظم الاموال التي جمعها على بذخه ولهوه واسـرافه المفرط ، حتى ان نفقاته بلغت (١٦٠ الف دينار) (١٠) خلال فترة استيزاره التي امتدت اربعة عشر شهرا .

٤

ونلاحظ ان نفقات الوزير الشهرية بلغت (ـــــ ١١٤٢٨ دينارا).

٧

وعندما استكثر علي بن عيسى هذا المبلغ ، قال الخصيبي : « ان هـذه النفقات صحيحة ، وهناك نفقات اخرى لم اسجلها ، فقـد كنت اسوغ

---

(٦) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 439 .

(٧) عريب ، الصـلة ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(٨) ابن الاثير ، الكامـل ، ج٦ ، ص ١٨٢ .

(٩) عريب ، الصلة ، ص ١١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٧٦ .

(١٠) انظر مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٥ — ١٥٦ . وكانت تلك النفقات على الوجه التالي :

لحرمي وأولادي وانفق نفقات استرها عن كاتبي » (١١) . هذا بالاضافة الى ان ابنه محمدا كان يتقاضى راتبا مقداره الفا دينار في كل شهر ، وهو لا يقرأ كتابا ولا يحضر ديوانا ولا يحسن ان يعمل شيئا (١٢) .

وبهذا يمثل الخصيبي مظهرا من مظاهر الضعف والانحلال في مؤسسة

أ — وارداتـــه :

كانت رواتب الخصيبي ٥٠٠٠ دينار فى الشهر

فيكون مجموع ما يقبضه فى ١٤ شهرا	٧٠ ٠٠٠ دينارا
واخذ من واردات اقطاعاتـــه	١٨٠ ٠٠٠ دينارا
فيكون المجموع دينار	٢٥٠ ٠٠٠ دينارا

ب — نفقاتـــه :

انفق فى كل شهر (٢٥٠٠ دينار) فيكون فى ١٤ شـــهر	٣٥ ٠٠٠ دينار
ثمن عقارات اضافها الى داره مع ماانفقه على البناء	٤٠ ٠٠٠ دينار
النفقات الحادثة مثل الكسوة والطيب والصلاة	٢٠ ٠٠٠ دينار
ما انفقه فى هدايا النوروز والمهرجان الى الخليفـة والامراء والسيدة والخالة وزيدان القهرمانة ومفلح	٣٥ ٠٠٠ دينار
ما انفقه على شراء البغال والدواب والجمال والخدم والغلمـــان	١٠ ٠٠٠ دينار
وانفق على من بدار الوزارة من الحجاب والبوابين واصحاب الرسائل والفرسان والرجالة :	٢٠٠ ٠٠٠ دينار
المجمـــوع	١٦٠.٠٠٠ دينار

(١١) مسكويه م.ق ، ج١ ، ص ١٥٥ — ١٥٦ .

(١٢) ن . م ، ص ١٥٤ .

الوزارة بصورة خاصة ، والدولة العباسية على وجه العموم ، ولم يستطع الوزير معالجة الامور المالية المتردية ، لانه ركز اهتمامه على المصادرات (١٣) فقط ، حتى قدرت المبالغ التي وصلته من المصادرات بألف الف دينار (١٤). ومع انغماسه في المصادرات ، كان يجهل ابسط قواعدها ، اذ كان يحفظ خطوط المصادرين عند احد كتابه ، على حين كان يجب حفظها في خزائن الوزارة نفسها ليتسلمها وزير عن وزير ، وأن تكتب بنسختين ، نسخة للديوان ونسخة عند الوزير (١٥) لان بقاءها عند صاحب الديوان بنسخة واحدة ، قد تكون عرضة الان تباع وبذلك يحصل ضرر لبيت المال، وبهذا أحدث هذا التسيب في الادارة ضياع اموال الدولة ، الأمر الذي أدى إلى اشتداد الضائقة المالية (١٦) .

ولم يتوان هذا الوزير عن ضرب « النساء والحرم بالمقارع وهتك

---

(١٣) صادر الخاقاني وابنه وكتابه على ٢٥٠,٠٠٠ دينار

صادر جعفر بن قاسم الكرخي ١٥٠,٠٠٠ دينار

عنده خط كاتب السمعي ليعجل لهعنمال فارس ١,٠٠٠,٠٠٠ درهم

وخط سليمان بن الحسن ٤٠٠,٠٠٠ دينار

وما ضمن صلة من اعمال الشام وخطوط ضمناء ٥٠٠,٠٠٠ دينار واسط والبصرة وطريق خراسان والنهروان ونهر بوق والذئب الاسفل .

(مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٤٥) .

(١٤) مسكويه ، م .ق ، ج ١ ، ص ١٤٥ ١٥٣ .

(١٥) ن . م ، ص ١٥٥ .

(١٦) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 440 .

ستورهن بتسليمهن » [١٧] الى الرجال بطرق لا يقبلها الشرع والعـرف ، « كما فعل مع بنت جعفر بن الفرات » [١٨] . ان تلك الاعمال مجتمعـة أدت الى اضطراب أحوال الدولة ، فأمر الخليفة بالقبض عليه [١٩] .

١٠ — عودة علي بن عيسى الى الوزارة ثانية ٣١٤ — ٣١٦ هـ :

استدعي علي بن عيسى بأشارة من مؤنس [٢٠] ، ليتقـلد الوزارة ، وعين عبيد الله بن محمد الكلوذاني (*)، بصورة موقتة ، الى حين قدوم الوزير الجديد [٢١] الذي شخص الى بغداد في بداية عام ٣١٥ هـ/٩٢٧م، وخرج الناس لاستقباله ثم قابل الخليفة فخلع عليه خلعا فاخرة وفرشـا ، ومنحه عشرين الف دينار [٢٢] .

---

(١٧) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٥٥ .

(١٨) ن . م ، ص ١٥٥ .

(١٩) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج١٢ ، ورقة ١٣١ — ب .

(٢٠) BOWEN . op . cit . P . 250 .

(*) كلواذي طوج قرب بغداد لهج بذكرها الخلفاء كثيرا (انظر التنوخي ص ٩٥) .

(٢١) عريب ، الصـلة ، ص ١٢٩ . مسـكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٤٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٤ . كان علي بن عيسى في الشام متوليا لهـا .

(٢٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ص ١٥١ . ابن الجوزي، المنتظم ، ج ٦ ص ٢٠٥ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقـة ٢٩ . ابن كثـير ، البداية والنهـاية ، ج١١ ، ص ١٥٤ .

ان اعادة علي بن عيسى الى كرسي الوزارة للمرة الثانيـة ، ليصلح الامور المالية المتردية ، كانت بلا شك بتأثير مؤنس ، الذي كان يثق بهذا الوزير ثقة مطلقة [٢٣] . وقد وجد الوزير الجديد الحالة بالغـة السوء ، فبدأ بمعالجة الازمة المالية المستعصية ، فاستخدم كتابا قديرين ، اذ قـلد الكلوذاني ديوان السواد ، وعين الفضـــل بن جعفر بن حنزابة ديوان المشرق ، وأبا بكر محمد بن جني ديوان المغرب ، وابا علي بن مقـــلة ديوان الضياع الخاصة والمستحدثة ، ومحمد بن الحسين بن أحمد الماذرائي (وهو كردي) ديوان الضياع الفراتية ، وابا محمد بن روح ديوان زمام الخراج والضياع العامة بالسواد والاهواز وفارس وكرمان ، وأبا القاسم بن النفاط ديوان زمام النفقات والخزائن ، وأبا جعفر القمي ديوان الدار ، وعبد الوهاب بن الحسن ديوان البر وديوان الصدقات ، ومحمد بن أحمد قلنسوة ديوان زمام الجيش ، ومحمد بن عيسى (شقيقه) ديوان الحرم ، وابا يوسف ديوان الفص والخاتم [٢٤] ، وقد قدر لخمسة من هؤلاء الكتاب أن يتولوا الوزارة فيما بعد .

وجه علي بن عيسى اهتمامه للمشكلة المالية ، فصار يشرف عـلى الامور بنفسه ، حتى انه كان يواصل عمله الى ساعة متأخرة من الليل ، ولا ينام الا بعد مقابلة اصحاب الدواوين وتصفية كل الحسابات اليوميـة معهم ، وخصص يوم الثلاثاء من كل اسبوع للنظر في المظالم [٢٥] ، وفرض رقابة شديدة على خزينة الدولة فطالب موظفيه بأن يقدموا تقريراً حسابياً في نهاية

---

(٢٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٤ .

(٢٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٢ .

(٢٥) عريب ، الصلة ، ص ١٣٠ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص١٥٢ .

كل اسبوع ، بدلا من التقرير الشهري الذي كان معمولا به سابقا (٢٦). وهكذا اثمرت جهود الوزير واستقامت الامور في عهد وزارته ، اذ حصل توازن بين الدخل والخرج (٢٧) فكان كعادته ان اقتصد في النفقات العامة، ونظم الضرائب ، « واسقط من الجند من لا يحمل السلاح من أولاد المرتزقة من هو في المهد ، ومن ارزاق المغنين والندماء والشيخ الهرم ومن ليس له سلاح » (٢٨) . واقتصر فيأرزاق العمال « وجعلها عشرة أشهر في كل سنة ، واعطى لاصحاب البرد والمنفقين ثمانية اشهر في كل سنة ، وحط من مال الرجالة برسم النوبة ومال الفرسان وجميع ارزاق من كان يرتزق بهذين الرسمين من الكتاب .. وخفض من مال الخدم والحشم » (٢٩)، وبذلك يكون الوزير قد حاول ان ينقص من المصاريف الى ادنى حد ، مخفضا بذلك كل النفقات التي كان يراها زائدة (٣٠).

وتنيجة لهذه الاجراءات استقرت الاحوال ، وزادت الواردات ، وكان الوزير قد عزف عن أخذ وارد ضياع الوزارة (٣١) ، متوخيا من خطوته هذه الاقتصاد في النفقات ، وضاربا اروع الامثلة في نكران الذات ولعله كان يهدف من وراء ذلك ان يكون قدوة حسنة لاولئك الموظفين الجشعين علهم يخففوا من غلواء جشعهم وطمعهم في نهب اموال الدولة والمواطنين،

(٢٦) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 443 .

(٢٧) مسكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ١٥٢ .

(٢٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٤ .

(٢٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٢ .

(٣٠) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 444 .

(٣١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٩ .

مما دفع المقتدر الى ان يكبر فيه هذه الروح ويوجه اليه كتاب شكر (٣٢) تقديرا لخدماته ونزاهته وتفانيه في عمله • ولكن هذه الاجراءات التي استحق الوزير عليها شكر الخليفة وتقديره، أزعجت « الخدم والحشم فوثبوا بالوزير بألسنتهم وثوبا قبيحا ورجموا طياره » (٣٣) •

وعلى الرغم من هذه الجهود الكبيرة التي بذلها الوزير ، فان المشكلة ما فتئت ان ظهرت للوجود مرة اخرى ، وتفاقمت كثـــيرا ، وذلك لعظم النفقات الطائلة التي كان يحتاج اليها الخليفة وحاشيته ، الى جانب ما انفق على الجيوش في قتال الروم الذين هاجموا الثغور ، ودخـلوا سمساط ، وغنموا جميع ما فيها من مال وسلاح وضربوا الناقوس في الجامع اوقات الصلاة ، فجهز جيشا بقيادة مؤنس لمحاربتهم (٣٤) •

وفي بدايــة عام ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م لمس عـلي بن عيسى نقصـان الواردات وزيادة النفقات ، المتأتية من الزيادة التي اضطر الوزير الى منحها للجنـد على اثر انصرافهم من الانبار بعـد حـرب القرمطي ، والتي بلغت (٢٤٠،٠٠٠ دينار) في السنة (٣٥) ، مضافة الى نفقات دار الخلافة المفرطة، الامر الذي أحرج موقف الوزير ، وزاد في المعضلة المالية ابان وزارة ابن عيسى ، هاله كل ذلك واستعظمه في الوقت الذي لمس فيه الوزير عجـز اولئك الجند عن رد خطر القرامطة الذين باتوا يهددون العاصمة نفسها •

---

(٣٢) ن • م ، ص ١٥٩ •

(٣٣) مسكويه ، م •ق ، ج١ ، ص ١٥٧ •

(٣٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٦ •

(٣٥) ن • م ، ص ١٩٢ •

وتبين للوزير انحراف نصر الحاجب عنه وذلك لميل مؤنس اليه (٣٦)، وعندما شعر بأنه لا يمكنه ممارسة واجباته كاملة دون مساعدة القائد مؤنس ، والذي كان دائما يضطر لمغادرة العاصمة دفاعا عن بعض الحدود عندئذ قرر الوزير الاستقالة من منصبه ، لكن المقتدر بالله أمره بالبقاء بمنصبه قائلا : « أنت عندي بمنزلة المعتضد بالله ولي عليك حقوق » (٣٧)، وأمام اصرار الوزير على الاستقالة ، شاور المقتدر مؤنسا المظفر ، فرشح له ثلاثة اشخاص (٣٨) لم يرض المقتدر عنهم ، وبلغ أبا علي بن مقلة ذلك فجد في السعي حتى تولى الوزارة (٣٩) ، اذ بذل أموالا جزيلة في سبيل ذلك ، وتودد الى نصر الحاجب ، ولما قرب القرامطة من الانبار ، وكان ابن مقلة يوافي نصر القشوري بأخبارهم تباعا (٤٠) ، فعرضها هذا بدوره

---

(٣٦) نفس المصدر والمكان .

(٣٧) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٨٤ .

(٣٨) هم الفضل بن جعفر بن حنزاية . وابو علي بن مقلة ، ومحمد ابن خلف النيرماني ، (مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٢) .

(٣٩) ابن الطقطقي ، الفخري ، ٢٧٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ١١ ، ص ١٥٨ . اليافعي ، مرآة الجنان ، ج١ ، حيدر آباد ، ص ٢٦٧.

(٤٠) عندما اقترب القرمطي من الانبار ، انفذ ابن مقلة خمسين طيرا الى الانبار مع أحد رجاله وكوتب عليها عن اخبار القرامطة وتقدمهم وقتا بعد وقت فكان ينفذها الى نصر الحاجب ليعرضها على المقتدر . وفي أثناء ذلك كان نصر يطري على موقف ابن مقلة امام المقتدر . (مسكويه م.ق ، ج١ ، ص ١٨٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٢) .

على المقتدر[٤١]، وبذلك أمر المقتدر بالقبض على علي بن عيسى واحتجازه بدار الخلافة [٤٢]، بعد ان أظهر بوضوح عدم قدرته على تحسين الأوضاع المالية المتدهورة، ولانه لم يكن بوسعه الصمود امام مناورات قصر الخلافة والحاشية التي ابدت عدم ارتياحها لاجراءات هذا الوزير في المجال الاقتصادي [٤٣] .

١١ — وزارة ابي علي محمد بن مقلة ٣١٦ — ٣١٨ هـ :

ونتيجة للخدمات التي قدمها ابن مقلة تعزز مركزه وتغلب على منافسيه وخاصة محمد بن خلف النيرماني، الذي جد هو الآخر في طلب الوزارة وضمن ثلثمائة الف دينار معجلة، غير ان محاولاته هذه فشلت وبذلك اسندت الوزارة الى ابن مقلة [٤٤] بعد يومين من الانتظار في دار نصر الحاجب، وبهذا لم يأت تنصيبه مباشرة بعد اقالة علي بن عيسى [٤٥] .

كان الوزير الجديد في بداية امره يخدم في بعض الدواوين براتب شهري يبلغ ستة دنانير [٤٦]، فما زال على ذلك حتى علت حاله وكثر ماله

(٤١) عريب، الصلة، ص ١٣٤ . مسكويه، م.ق، ج١، ص ١٨٥ .

(٤٢) الصابي، الوزراء، ص ٢٤٢ .

(٤٣) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 448 .

(٤٤) مسكويه، م.ق، ج١، ص ١٨٦ . ابن الاثير، الكامل، ج ٦ ص ١٩٢ .

(٤٥) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 448 .

(٤٦) ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢٧٠ .

وتوسع جاهه ، وقد اشتهر هذا الوزير بجودة خطه حتى ضرب به**المثل** (٤٧) اذ هو أول من استخرج هذا الخط ونقله عن الخط الكوفي (٤٨) . وعهد لابن مقله ان يكتب كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه ، والكتاب هذا محفوظ في كنيسة قسطنطينية (٤٩) .

اعتمد ابن مقلة في تسيير أمور الدولة المالية على المصادرات والضمانات فقد أخذ الوزير خطوط العمال والضمان بنحو (٠٠٠ ١٠٠) دينـار ، واستلم من القاسم بن دينار واحمد بن محمد بن رستم (٠٠٠ ٦٠٠) درهم كانا قد حملاها الى علي بن عيسى فوجداه قد صرف فاستلمها ابن مقلة ، ونظرا لقيام مودة بين الوزير وبين ابي عبد الله البريدي ، فقد تلقى الوزير (٠٠٠ ٣٠٠) دينار بمثـابة مساعدة مالية من البريدي عامـل الاهواز (٥٠) . وبذلك قال عنه صاحب الفخري : « واستقل بأعباء الوزارة أمرا ونهبا ، وبذل ما مبلغه خمسمائة الف دينار » (٥١) ، ولهذا توفرت للوزير الاموال التي كم بها الافواه « فاستبشر الناس به وسكنوا اليـه وانفسحت آمالهم ، وتباشروا بايامه ومدحه الشعراء » (٥٢) .

---

(٤٧) القرماني ، اخبار الدول ، ص ٩٣ .

(٤٨) وبجودة خطه قال الصاحب ابو القاسم اسماعيل بن عباس :

خـط الوزير ابن مقـلة بسـنان قلب قمـله

« الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٢١٠ » .

(٤٩) الثعالبي ، ثمـار القلوب ، ص ٢١٠ .

(٥٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٧ .

(٥١) ابن الطقطقي ، الفخـري ، ص ٢٧٢ .

(٥٢) عريب ، الصلة ، ص ١٣٥ .

ومن سوء طالع ابن مقلة ان يقع انقلاب عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م [٥٣] أبان وزارته هذه ، ويخال للباحث ان الوزير لم يكن لـه دور يذكر في أحداث ذلك التمرد الفاشل ، اذ ما ان دخل المتمردون دار الخلافة ، حتى فر الوزير منها مع من فر من الخدم وسائر الحجاب [٥٤]، غير ان الخليفة الجديد القاهر بالله ، أبقى ابن مقلة في منصب الوزارة [٥٥] ، وحـرر الوزير بنفسه كتابا بخبر تقليد القاهر الخلافة للولاة في النواحي [٥٦] .

ولكن بعد احباط حركة سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، ورجوع المقتـدر الى دست الخلافة ، عاد ابو علي بن مقالـة فتولى الوزارة ، وكتب عن المقتدر برجوع الخلافة اليه ، وتجديد بيعة الولاة له في الاقاليم [٥٧]، وأمر الخليفة وزيره بأطلاق مال البيعة للجند ، وزيادة دينار لكل راجل ، وثلاثة دنانير لكل فارس ، ولما نفذت الاموال من جراء كثرة العطاء اضطر الخليفة

(٥٣) في النصف من شهر محرم من سنة ٢١٧ هـ خلع المقتـدر عن الخلافة ونصب بدله أخاه محمد بن المعتضد ، الذي لقب القاهر ، وسنبحث ذلك في فصل قادم . (عريب ، الصلة ، ص ١٣٩ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٠) .

(٥٤) عريب ، الصلة ، ص ١٤١ .
SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 45I .

(٥٥) المسعودي التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٦ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ص ١٩٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٠ . ابو المحاسن، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٥٦) مسـكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٤ . ابن الاثـير ، الكامل ج ٦ ، ص ٢٠١ .

(٥٧) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ . مسكويه ، م.ق ، ج ،١ ص ١٩٩.

الى اخراج ما في الخزائن من كسوة واشياء ثمينة [٥٨] ، والتي نجت من عبث الناهبين لقصر الخلافة خلال هذه المحنة [٥٩].

وهنا يظهر لنا دور الوزير ، الذي تنقل بين خليفتين خلال يومين ، وكأنه مجرد موظف تنفيذي ، مهمته اخبار عمال النواحي بمن تقلد الخلافة ليس الا . ويروى مسكويه عن ثابت بن سنان انه حضر مجلس الوزير ابن مقلة ، فوجد انه لم يكن له عمل سوى التوقيع للجند ببيع الضياع وتحويل ملكيتها [٦٠] ، وتحت تأثير مؤنس اضطر الوزير ان يقبل اشراف علي بن عيسى على الدواوين والنظر في المظالم [٦١] . وبهذا تكون مؤسسة الوزارة خلال فترة استيزار ابن مقلة ، قد انحدرت إلى أدنى الدرك ، لما اصابها من ضعف كبير ملحوظ ، فتلاشى تأثيرها في سياسة الدولة أو كاد . ومن الطريف ان المقتدر شكر وزيره على موقفه [٦٢] وخلع عليه وكناه [٦٣] .

وسنرى أن من عوامل تدهور الاحوال في عهد وزارة ابن مقلة، أن القرامطة قد أغاروا على مكة المكرمة في سنة ٣١٧ هـ /٩٢٩ م وقتلوا

---

(٥٨) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٠٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٩ .

(٥٩) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 454 .

(٦٠) تجارب الامم ، ج١ ، ص ٢٠٠ .

(٦١) عريب ، الصلة ، ص ١٥٠ .

(٦٢) ن . م ، ص ١٤٤ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٦٢ .

(٦٣) مسكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ٢٠١ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٦٢ .

الحجاج ونهبوا اموالهم وقلعوا الحجر الاسود (٦٤) . وقد وقف الخليفة ووزيره من هذه الحادثة المروعة ، والتي تركت ذكرى أليمة في التاريخ ، موقف المتفرج ولم يحركا ساكنا .

ولقد تعاون الوزير ابن مقلة مع مؤنس قائد الجيش ، فاتسع بذلك نفوذ الاتراك في الادارة ، واخذوا يتدخلون في اختيار الوزراء ، وبهذا سيطروا بصورة تامة على جميع مؤسسات الدولة . ولما احتدم النزاع بين الخليفة ومؤنس (٦٥) اتهم المقتدر وزيره ابن مقلة بتأييد مؤنس ضده ، وكان هذا القائد قد ذهب للنزهة الى ضواحي العاصمة ، فاغتنم المقتدر فرصة غيابه فقبض على ابن مقلة (٦٦) ولما كان محمد بن ياقوت ، صاحب الشرطة ، معاديا للوزير المعتقل أسرع في انفاذ شخص الى دار الوزير فأحرقها (٦٧) .

وكانت دار الوزير ابن مقلة بالبستان الزاهر على الجانب الشرقي من نهر دجلة ، والتي أنفق عليها (٢٠٠,٠٠٠) دينار (٦٨) ، ومن ثم الحق بها

---

(٦٤) العيون ، ورقة ١٢٦ ــ ب . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص٢٠٥ .

(٦٥) صفوت ، م.ق ، ج٤ ، ص ٤١١ .
BOWEN . op . cit . P . 291 .

(٦٦) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ص ٢٠٩ . ابن خلكان ، م.ق ، ج٤ ، ص ١٩٨ . العيون ، م . ق ، ج٤ القسم ١ ، ص ١٢٨ ــ أ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٥٠) .

(٦٧) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٢٠٣ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٧ ــ ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٥١) .

(٦٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٩ . لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ١٨٩ .

نحو عشرين جريبا[٦٩] من البستان حيث اضيف الى نطاق قصره الجديد[٧٠] وكان ملحقا بهذا القصر مكان خاص لتربية الطيور والحيوانات ، وكانت فيه أنواع غريبة من الطيور عمل لها بيوتات خاصة تأوي اليها وتضع افراخها فيها ، منها المصوتة والمليحة الريش ، واقتنى الغزلان والنعام وحمر الوحش [٧١] . ومن الجدير بالذكر ان هذا الوزير كان يستهلك من الفاكهة في اسبوع واحد ما قيمته خمسمائة دينار [٧٢] . ولعل هذه الرواية توضح لنا مدى الترف الذي كان يعيشه اولئك الوزراء .

١٢ — وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ٣١٨ — ٣١٩ هـ :

وخلال السنين الاخيرة من خلافة المقتدر زخر تاريخ الوزارة بالصراع العنيف الذي دار بين الخليفة ومؤنس ، والذي انتهى بالحرب التي انتهت بأنتصار القائد على الخليفة . وكان المقتدر ينوي ان يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله [٧٣] ، ولكن مؤنسا ، الذي رجع لتوه الى بغداد من نزهته ، اغتاظ من خطوة الخليفة هذه ، وطلب في باديء الامر رد ابن مقلة

---

(٦٩) الجريب : الجريب بوصفه مكيال = ٧ أقفزة (انظر هنتس ص ٦١) . والجريب بوصفه مقياس المساحة = على وجه الدقة ١٥٩٢ متر مربع (هنتس ، ص ٩٦) .

(٧٠) لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ١٨٩ .

(٧١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٩ .

(٧٢) ن . م ، ص ٢٠٩ .

(٧٣) BOWEN . op . cit . P . 292 .

الى الوزارة ، الا أن المقتدر أصر على طرده ، وهم بقتله لولا أن عليا بن عيسى هدأه وقال : « ما ذنب وزيرك في شناعة مؤنس له فصرفه عن رأيه » (٧٤) . وقد تراجع المقتدر عن تقليد الحسين بن القاسم لعدم موافقة مؤنس عليه ، وادرك ان ليس باستطاعته معاداة قائده فرضي بأقتراح علي ابن عيسى عندما رشح له سليمان بن الحسن بن مخلد (٧٥) ، فخلع عليه ، على ان يشاركه علي بن عيسى بالاشراف على سائر الامور والاعمال والدواوين والنظر في المظالم (٧٦) عندئذ رضي مؤنس بهذا الاجراء (٧٧) . وما من ريب في ان تحكم قائد الجيش بشخص الوزير، واشتراط الخليفة مشاركة علي بن عيسى له في شؤون الوزارة ، يدلان على الاتجاه نحو الانتقاص من قيمة الوزير وأهمية الوزارة .

وكان الوزير الجديد من اقرباء علي بن عيسى الذي عينه في اول الامر في خدمته ثم أصبح كاتبا قادرا ومتمكنا من الكتابة ، حيث شغل عدة مناصب في الادارة خلال وزارات ابن الفرات السابقة ، الامر الذي سبب له بعض المشاكل (٧٨) كما عمل في وزارة علي بن عيسى، وحامد بن العباس والخصيبي ، وأخيرا في وزارة علي بن عيسى الثانية ، وفي سنة

(٧٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠٤ .

(٧٥) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣١٨ .

BOWEN . op . cit . P . 292 .

(٧٦) عريب ، الصلة ، ص ١٥٠ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

(٧٧) العيون ، ورقة ١٢٨ — أ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٥٢) . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٨٧ .

(٧٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .

٣٠٦ هـ / ٩١٨ م صار كمرشح بارز للوزارة (٧٩) .

غير أن الاموال قد شحت في عهد وزارة سليمان بن الحسن ، وكثرة المطالبة عليه ، شلت كثير من وظائف الدولة فنشطت الدسائس والضمانات والسعاية للوزارة (٨٠) . وفي محرم سنة ٣١٩ م طالب الفرسان ببغداد الوزير بأرزاقهم وشتموه واغلظوا القول فيه ، فرماهم غلمانه بالآجر من أعالي الدار ، لكن المهاجمين اقتحموا الدار بعد أن أحرقوا بابه وهموا بالفتك بالوزير لولا أنه التجأ الى دار علي بن عيسى (٨١) .

ولا غرابة من أن يتعرض الوزير خلال ممارسته لمسؤولياته ، الى مثل تلك الاهانات والتدخلات في شؤون وظيفته، وهذا بلا شك مظهر من مظاهر تدهور الوزارة في عهد سليمان بن الحسن ، ولعل ذلك يرجع الى ان الضائقة المالية في أيامه أدت الى استمرار شغب الجند ، وبذا ظهر «ماكان مستورا من سخف الكلام وضرب الامثال المضحكة ، واظهار اللفظ القبيح بين يدي الخليفة مما يجل الوزراء عنه » (٨٢) وحينئذ هجاه الشعراء واستكثروا الوزارة عليه فقال ابن ياقوت :

يا سليمان غنني ومن الراح فأسقني (٨٣)

ولابن دريد فيه (٨٤) :

---

(٧٩) عريب ، الصلة ، ص ٧٣ .

(٨٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢١٣ .

(٨١) عريب ، الصلة ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .
SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 456 .

(٨٢) عريب ، الصلة ، ص ١٦١ .

(٨٣) ن . م ، ص ١٦١ .

(٨٤) ن . م ، ص ١٦١ .

سليمان الوزير يزيد نقصا   فأحر بأن يعود بغير شخص
أعم مضرة من ابي خلاط   وأعيا من ابي الفرج ابن حفص

وهكذا تزعزع مركز سليمان بن الحسن ، وادت الاضطرابات التي التي حدثت في بغداد وخارجها الى فسح المجال امام مؤنس للتدخل في امور الدولة بصورة واضحة ومكشوفة ، بحيث انه اجبر الخليفة على طرد ياقوت وابنيه عن العاصمة ، وفرض على المقتدر ان يعين ابن رائق حاجبا له (٨٥). وقد أظهر الوزير عدم قدرته على تسيير الأمور امام اضطرابات الجيش ، خاصة بعد أن أخذت الضائقة المالية بخناق الوزير ، الامر الذي جلب له النقد اللاذع من عدة جهات ، مما دفع الخليفة الى القبض عليه في ٢٥ رجب سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م (٨٦) .

وعندما اراد الخليفة استيزار الحسين بن القاسم ابي مؤنس ذلك ، وأشار بتقليد عبيد الله بن محمد الكلوذاني ، فاضطر المقتدر الى تقليده الوزارة ، والقبض على سليمان بن الحسن وذلك في رجب سنة ٣١٩ هـ/ ٩٣١ م (٨٧) وأخذ الكلوذاني خط الوزير المخلوع بـ (٢٠٠ ألف دينار)(٨٨) واكتفى المقتدر بأن طلب من الوزير الجديد ان يقلد الحسين بن القاسم احد الدواوين المهمة ، وأمر عليا بن عيسى بأن يكون مستمرا ومشرفا

---

(٨٥) SOURDEL ' op . cit . TOME ' II ' P . 459 .

(٨٦) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٢١١ .

(٨٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٣ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢٢٩ .

(٨٨) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٢١٢ .

على أمور الدواوين والنظر في المظالم (٨٩) .

ولم تطل ايام وزارة الكلوذاني اكثر من شهرين وثلاثة ايام (٩٠)، ولم يستطع تنفيذ خططه ، وكثرت المصادرات في ايامه وشغب الجند عليه وشتموه ورجموه وهو في السفينة (٩١) ، فحلف انه لا يدخل بعد ذلك في الوزارة ، واعتكف في داره واغلق بابها عليه .

وربما كان سبب استبداله ، هو استمرار الضائقة المالية وشغب الجند المتصل ، واضطراب الامن الذي استفحل بسبب هجوم القرامطة المستمر على الكوفة (٩٢) وتدخل مؤنس في شؤون الدولة (٩٣) ، وانهزام جيش الخليفة الذي كان يقوده هرون بن غريب الخال امام مرداويج بنواحي همدان (٩٤) ، وامتناع العمال عن ارسال الاموال الى العاصمة ، فاستعفى وقال : « ما أصلح أن أكون وزيرا » (٩٥) ، فصرف عن الوزارة، ولعله الوحيد الذي لم يعنف ولم ينكب في هذا العصر .

---

(٨٩) ن . م ، ص ٢١٢ .

(٩٠) عريب ، الصلة ، ص ١٦٤ .

(٩١) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٧٣ . عريب ، الصلة ، ١٦٤ . مسكويه ، م . ق ، ص ٢١٩ .

(٩٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .

(٩٣) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٢١٢ .

(٩٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٤ . انظر مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٩٥) عريب ، الصلة ، ص ١٦٤ .

١٣ — وزارة الحسين بن القاسم بن وهب ٣١٩ — ٣٢٠ هـ :

اشتد سعي الحسين بن القاسم ، في طلب الوزارة ، حتى انه لم يتوان من سلوك طريق الشعوذة والدجل في سبيل الحصول على هذا المنصب [٩٦]، وتعهد بتسديد جميع النفقات من غير أن يطلب شيئا من الخليفة ، وضمن لبيت مال الخاصة الف الف دينار [٩٧] ، وهذه دلالة عن تحول الوزارة من منصب اداري يتولاه موظف يتناول مخصصات ورواتب ، الى منصب يتضمنه الوزراء بدفع اموال لبيت المال الفارغ ، ولم يكتف الحسين بن القاسم بما ضمنه بل صار يتودد الى مؤنس وحاشيته ، حتى انه تقرب الى بعض النصارى من الكتاب وكان يقول لهم : « ان أهلي منكم واجدادي من كباركم » [٩٨] . وبذلك رشحه مؤنس المظفر ، وقلد الوزارة في رمضان ٣١٩ هـ /٩٣١ م وخلع عليه [٩٩] .

---

(٩٦) انظر عريب ، الصلة ، ص ١٦٤ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢١٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦، ص ٢١٥ .

(٩٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢١٨ .

(٩٨) عريب ، الصلة ، ص ١٦٤ . ابن الاثير ، الكامل، ج٦، ص ٢١٦.

(٩٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢١٩ . ابن الفوطي ، مجمع الاداب ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩٠٨ .

والغريب ان الحسين بن القاسم تمكن من ان ينال رضا مؤنس عن طريق كل من يلبق ، ومفلح ، والدانيالي (١٠٠)، فوافق قائد الجيش على ان يعهد بالوزارة اليه بعد ان كان من أشد المعارضين في ذلك (١) ، وبهذا يكون تقلد الحسين بن القاسم الوزارة قد تم بناء على موافقة مؤنس وليس هزيمة له كما ظنت SOURDEL (٢) ، غير ان استيزار الحسين بن القاسم اعتبر نهاية نفوذ علي بن عيسى الذي كان يتولى الاشراف على الدواوين والنظر في المظالم منذ احباط حركة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م . حيث ان الوزير الجديد لم يكتف بتجريد علي بن عيسى عن مناصبه وانما نفاه الى خارج العاصمة (٣) .

وقد كافأ الوزير الجديد أولئك الذين سعوا له في الوزارة ، فتحسنت أحوالهم المالية ، فقد قلد الدانيالي الحسبة ببغداد وأجرى له (١٠٠) دينار في الشهر ، وما لبث ان ضاعفها (٤) ، وأجرى لـ (دمنة)

(١٠٠) الدانيالي : هو رجل كان يقيم بمدينة السلام ، يظهر كتبا ينسبها الى دانيال بخط قديم ويودع تلك اسماء قوم من أرباب الدولة على حروف مقطعة اذا جمعت فهمت ، وهي نوع من الشعوذة ، فبعد أن عرف صفات الحسين بن القاسم قال : انه ان وزر للثامن عشر من خلفاء بني العباس استقامت اموره كلها وعلا على اعدائه وانفتحت البلاد على يده وعمرت الدنيا في ايامه (مسكويه ، ص ٢١٥) . وكان محتالا ذكيا يعتق الكاغد ويكتب فيه بخطه ما يشبه الخط العتيق (ابن الاثير ، ج٦ ، ص ٢١٥).

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢١٥ .

(٢) LE VIZIRAT , ABBASIDE , TOME II , P : 463 :

(٣) I bid , P . 463 :

(٤) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٢١٧ .

جارية المقتدر مائة دينار كل يوم ، لانها كانت توصل رقاعه الى مولاهــا الخليفة ، واختص الوزير بجعفر بن ورقاء (وهو قائد في الجيش) وأبي عبد الله محمد بن خلف النيرماني ، وقلده اعمال الحرب والخراج والضياع بحلوان وماه الكوفة ، والبس القباء والسيف والمنطقة وتسمى بالأمارة (٥).

الا أن مؤنسا الذي كان قد رشح الحسين بن القاســم للوزارة ، سرعان ما قلب له هذا ظهر المجن ، عندما بلغه عن اجتماع الوزير بعــــدد من قادة الجيش الذين ظن مؤنس أن الوزير يتآمر ضده معهم . وممـــا زاد في ريبة مؤنس هو استدعاء(٦) هرون بن غريب من دير العاقــول(٧) من جانب الوزير ، حيث فسر مؤنس هذا الاستدعاء ، بأنه أضعاف لمركزه ، ومن ثم التخلص منه نهائيا . عندئذ طلب من المقتدر صرف الحسين بن القاسم عن الوزارة ، ونفيه الى عمان ، وفي الوقت الذي وافق الخليفة على صرف وزيره عن منصبه ، إلا انه لم ير ضرورة لنفيه الى عمان (٨) .

علم الوزير الحسين بن القاسم بتغير مؤنس عليه ، وانه عمل على كبس داره والقبض عليه ، لذا لم يجرأ على أن ينام في داره ، فالتجـأ الى

(٥) ن . م ، ص ٢٢٠ . الهمداني ، التكملة ج١ ، ص ٦٥ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢١٦ . ابن كثير ، البدايـــة والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٨ . ابن خلدون ، ص ٨١٧ .

(٧) دير العاقول : بين مدائن كسرى والنعمانية . بينه وبين بغــــداد خمسة عشر فرسخا ، على شاطيء دجلة اما الآن فبينه وبين دجـلة مقدار ميل . وكان عنده بلد عامر واسواق ايام كون النهروان عامرا (ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٥٢٠) .

(٨) مسكوية ، م . ق ، ج١ ، ص ٢٢١ . ابن الاثير، الكامل ، ج٦، ص ٢١٦ .

دار الخلافة [٩] . « واوقع الحسين للمقتدر ان مؤنسا عمل على أخـــذ الامير ابي العباس [١٠] والخروج به الى مصر والشام ليعقد له الامر في الخلافة هناك » [١١] ، ولما أرسل مؤنس خادمه بشري برسالة الى المقتـــدر أمر الوزير بالقبض على هذا الخادم وضربه بالمقارع ، ومصادرتـــه عـــلى (٣٠٠٫٠٠٠ دينار) [١٢] وما أن علم مؤنس بما حل بخادمه حتى اتجـــه مسرعا نحو الموصل مع عدد من جنده .

عندئذ خلا الجو للوزير ، وأقدم على مصادرة أموال وضياع مؤنس واستحدث ديوانا جديدا سماه « ديوان المخالفين » [١٣] لتصفية الامـــلاك المصادرة في هذا المجال ، اذ وجد الوزير الفرصة سانحة للتضييق عـــلى انصار مؤنس ، فصادر من ابن مقلة (٢٠٠ز٠٠٠ دينار) وقد حـــاول ان يصادر علي بن عيسى على مبلغ (٢٠٠٫٠٠٠ دينار) ، وكاد المقتـــدر أن

---

(٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢١٦ . مسكويه ، ص ٢٢٠ .

(١٠) وقف الامير ابو العباس بن المقتدر على ما فعله الحسين بن القاسم فحقد عليه ، وعندما تولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٣ م عاقب الحسين على وشايته تلك . (مسكويه ، ص ٢٢١ . ابن الطقطقي ، ص ٢٧٣) .

(١١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٢١ . ابن خـــلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٧ .

(١٢) عريب ، الصـــلة ، ص ١٦٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٢٤٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٨ .

(١٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٢٣ . ابن كثير ، البداية والنهايـــة ج ١١ ، ص ١٦٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٧. الهمداني التكملـــة ، ج١ ، ص ٦٤ .

يوافق وزيره على هذه المصادرة لولا ان صده هرون بن غريب عن ذلك(١٤).

ان الأجراءات الحازمة التي اتخذها الوزير الحسين بن القاسم قد عززت مركزه عند المقتدر ، وأمر ان يكنى ويلقب بـ (عميد الدولة)(١٥) وأن يضرب لقبه على الدنانير والدراهم (١٦) . وهنا يظهر للمتتبع ان الوزارة ازدادت أهميتها ، وتعزز مركزها ، وصار باستطاعة الوزير ان يمارس صلاحياته كاملة ، ويؤثر بصورة مباشرة في رسم سياسة الدولة ، حتى انه صار يصدر كتبه الى العمال بعبارة : « من الوزير ابي علي عميد الدولة ابن ولي الدولة القاسم بن عبيد الله » (١٧) .

غير ان نجم الوزير سرعان ما مال نحو الافول ، بعد ان اشتدت الازمة المالية في اواخر عهده ، مما اضطر الحسين بن القاسم الى ان يبيع من الضياع السلطانية بـ (٥٠٠٫٠٠٠ دينار) وأن يستلف قسما من مداخيل سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م قبل موعد جباية الضرائب بعدة شهور ، ولم يبق له أي مجال لسد نفقات سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م الخراجية(١٨). فتضعضع

---

(١٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٢٥ . وقد تمكن هرون من أن يقنع المقتدر بأن يطرح ٥٠ الف دينار مما فرض على ابن مقلة فوافق الخليفة على ذلك .

(١٥) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٦٤ .

(١٦) عريب الصلة ، ص ١٦٧ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٢٣ . ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج١٢ ، ورقة ١٣٣ — أ . ابن الاثير ، الكامل ، ٦١ ، ص ٢١٩ . ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، ج٤ ، قسم ٢ ، ص ٩٠٩ .

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ١٦٧ . الهمداني، التكملة ، ج١ ، ص٨٢.

(١٨) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٢٦ . ابن الاثير ، الكامل ،

مركزه ، خاصة بعد ان اشتدت طلبات الجند له بالاموال « ولازمه الحشم في دار الخلافة ملازمة قبيحة وأهانوه وأهانوا الخليفة بسببه فثقل ذلك على المقتدر » [١٩] ، ويضيف ابن كثير فيقـــول : « أما الوزير فانه ظهرت خيانته وعجزه فعزله المقتدر » [٢٠] عن الوزارة في ربيع الآخر سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ولم تدم وزارته اكثر من ستة اشهر [٢١] .

ويعتبر الحسين بن القاسم آخر وزير حاول الاستقلال بمنصبه، والذي خسره بعد حين ، ثم حاول ان ينهض به بما حصل عليه من كنى وألقـاب ولكن محاولاته هذه باءت بالفشل ، خاصة بعد ان واجه انهيار ميزانيـة الدولة ، بالاضافة الى المشاكل الاخرى التي عرضت له ومنها دخوله بنزاع سافر مع الجانب العسكري المتمثـل بمؤنس ، ولم تكن علاقتـه بالموظفين المدنيين بأحسن من علاقته بالعسكريين [٢٢] .

ج ٦ ، ص ٢١٩ .

SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 466 :

(١٩) عريب ، الصلة ، ص ١٧٣ .

(٢٠) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٨ .

(٢١) ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ ، ورقة ١٣٣ ـ آ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٢٨ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٧٤ . ابن القوطي ، مجمع الآداب ، ج ٤ ، قسم ٢ ، ص ٩٠٩ .

(٢٢) SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 466 :

١٤ — وزارة الفضل بن جعفر بن الفرات ٣٢٠ هـ :

قلد المقتدر بالله الوزارة ، الفضل بن جعفر بن الفرات ، وصودر الوزير المعزول على أربعين الف دينار ، ثم أبعد الى البصرة (٢٣) ، وكان الوزير الجديد مشهورا — عند الخاص والعام — بالفضل والعلم وقدرته وحسن تبصره بالامور وتجنب الهزل واللهو ، حيث كان من خيار آل الفرات (٢٤) ، فلما عهدت اليه الوزارة استبشر بها ، مع انه يعلم نهايتها غير حميدة ، ولذلك قال فيه أحد الشعراء (٢٥) .

أتطمع في الذي أعيا ابن مقله   وقد أعيا على الوزراء قبله
وأدبر أمر من ولاك حتى   كما نرجو من الادباء مهله
كأنك بالحوادث قد توالت   عليك وجاءك المكروه جمله

ولم تطل وزارة الفضل بن جعفر ولم تكن له سيرة مأثورة (٢٦) ، الا انه لم يجد لا وقتا كافيا ، ولا امكانيات لازمة للنهوض بالوضع المتضارب الذي تركه له الوزير السابق . حتى انه لم يقم بتغييرات كبيرة بين موظفي الدولة . وبناء على ذلك فقد عمت الاضطرابات بغداد ، اذ وفد اليها في

(٢٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٢٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ .

(٢٤) عريب ، الصلة ، ص ١٧٣ .

(٢٥) ن . م ، ص ١٧٣ .

(٢٦) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٧٥ .

جمادى الاول من سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م أناس من أهل الثغور والجبال (الحدود الشرقية والغربية) ، واستنفروا سكان العاصمة وذكروا ما يقاسونه من ويلات على ايدي الديلم والروم ، بحيث اصبحت ثغورهم مهددة من اعدائهم . فهاج الناس وساروا معهم الى المسجد الجامع بمدينة المنصور وكسروا المنبر ، ومنعوا الخطيب من القاء خطبة الجمعة « ورجموه حتى أدموه وسلخوا وجهه وجروا برجله وقالوا يافاجر تدعو لرجل لاينظر في أمور المسلمين ، قد اشتغل بالغناء والزنا عن النظر في أمور الحرمين والثغور يفرق مال الله على اعداء الله » (٢٧) .

ادرك الوزير حراجة الظروف وشدة خطرها ، فمال الى استرضاء مؤنس وأرسل له رسالة وحثه على القدوم (٢٨) ، على أمل أن تستقيم الامور بمجيئه وتخمد الفتن ، ويقل شغب الجند ، ويحصل التفاهم بين الخليفة وقائده . ومع ان مؤنسا تلقى تلك الرسالة بحذر ، الا انه رحب بمبادرة الوزير هذه ، فكتب الى المقتدر عدة رسائل يقول في احداها : « لست بعاص لأمير المؤمنين ولاشققت عصاه وانما تنحيت عنه لمطالبة أعدائي عنده وقد جئت الى بابه برجاله وليس مذهبي الفتن ولا أراقة الدماء » (٢٩) .

وكان المقتدر قد أصغى لقوله وسر به ، وكاد الوزير ان ينجح في مسعاه ، ويعيد الوئام بين الخليفة وقائده ، لولا بعض رجال الحاشية ، ممن كانوا يكرهون مؤنسا ، ويخشون رجوع سيطرته ، وعلى رأس

(٢٧) عريب ، الصلة ، ص ١٧٤ .
(٢٨) ن . م ، ص ١٧٤ .
(٢٩) ن . م ، ص ١٧٥ .

هؤلاء ابني رائق ، وياقوت ، وابنه محمد ، ومفلح وغيرهم ، الذين أوهموا الخليفة بأن مهادنة مؤنس [٣٠] ما هي إلا عجز واضح من الخليفة وأضافوا قولهم : « ولعلها حيلة عليك وخدعة لك » [٣١] وما زالوا يلحون الى أن حملوه على الخروج الى الشماسية لملاقاة جيش مؤنس .

وهنا يظهر ان دور الوزير كان ضئيلا ، وان مجرد خروج الخليفة على رأس الجيش يكون ضربة لمساعي الوزير وخطته في المصالحة التي بدأها وكاد ان ينجح فيها . وقد اكتفى الوزير بالخروج مع المقتدر والسير مع بقية رجال الحاشية ، وعندما الح رجال الحاشية عليه وتقدم الى ساحة المعركة تخلف الوزير عنه [٣٢]، ولقي الخليفة حتفه واستتر الوزير [٣٣] .

ومن خلال تصرفات الوزير ، تكاد حقيقة موقفه تكون واضحة تماما لرجل قد وزن الامر من أول وهلة ، ورأى بعين تقديره الصائبة نتيجة المعركة بين الرجلين ، فدفعه اخلاصه للخليفة وحرصه على مركزه ، الى محاولة احلال التفاهم بينهما ، وكاد أن ينجح ، فلما خرجت الحوادث عن المجرى الذي اراده لها تخلف عن الخليفة ثقة منه بأن النهاية مقدرة محتومة وان وجوده في ساحة المعركة ليس وراءه جدوى في تغيير ما سيقع وسيكونه

---

(٣٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٣١) عريب ، الصلة ، ص ١٧٥ .

(٣٢) مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .
SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 469 :

(٣٣) عريب ، الصلة ، ص ١٨٠ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٣٧ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٨ .

١٥ — مصادرة الوزراء :

يبدو للباحث ان التنافس والمساومة على الوزارة بلغا اوجهما في خلافة المقتدر ، وقد عمل أولئك المتنافسون على تصديع كيان الدولة بدسائسهم ، وشلوا الجهاز الاداري بأنقسامهم وتخاصمهم ، فحطمتهم أخيرا قوة الجيش وعداؤه لهم . ذلك ان الخليفة كان صغير السن ، وقد ترك زمام الامور بين يدي أمه وحرمه وخدمه ، فاضطربت الامور ، وخلت بيوت الاموال(٣٤) واستخف القواد والوزراء بالخليفة ، وزالت هيبته من النفوس ، واستأثر الوزراء بالاموال ، وحصلوا عليها بطرق مختلفة كالرشوة والهدايا ، التي ترد اليهم من العمال والولاة ، ومن كبار موظفي الدولة ، بالاضافة الى ما يغتصبونه من ضياع الخليفة ومن عامة الشعب ، ومصادرات بعضهم البعض ، وما يسلبونه من أموال الجباية .

فلما تولى الوزارة ابو الحسن علي بن الفرات ، قاربت ايراداته مائتي الف دينار وذلك لان المقتدر أقطعه الضياع التي كان المكتفي قد اقطعها للعباس بن الحسن ، وكانت غلتها خمسين الف دينار ، واجرى له خمسة آلاف دينار في كل شهر (٣٥) ، وامتلك ضياعا واسعة بنواحي واسط ، وانفق على الدار التي كان ينزل بها في المخرم خمسين الف دينار (٣٦) .

(٣٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٢ .

(٣٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩ .

(٣٦) الصابي ، الوزراء ، ص ١٩٩ .

ويقول ابن خلكان ان ابن الفرات كان يمتلك أموالا كثيرا « تزيد على عشرة آلاف دينار ، وكان يستغل من ضياعه في كل سنة الفي الف دينار » (٣٧) ، وقد صادره الخليفة وأخذ امواله بعد أن فطن الى تلك الثروة التي حازها وزيره لنفسه ، وبلغ مقدار ما صودرت من أمواله في وزارته الثانية ، عشرة ملايين دينار (٣٨) .

وكان مجموع المبالغ التي صادرها ابن الفرات وابنه المحسن في وزارته الثالثة : « من العين (٣٩) سبعة آلاف الف وخمسمائة الف وخمسة وسبعين الف وستمائة وثمانين دينار ، ومن الورق (٤٠) خمسة آلاف الف وثلاثمائة الف درهم » (٤١) .

ويتضح من هذا النص ، ان بتلك الاساليب الملتوية وغير المشروعة ، ازدادت ثروة الوزراء زيادة مفرطة ، ومما دفع غيرهم الى منافستهم للحصول على كرسي الوزارة ، وبذل الرشوة والهدايا للقواد وبعض أفراد الحاشية،

(٣٧) وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٩٨ .

(٣٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٥ .

(٣٩) العين : ما ضرب من الدنانير . يقال اشتريت بالعين لا بالدين . (انظر ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٦٤٧) . (والعين النقد ، يقال اشتريت العبد بالدين أو العين . والعين الدينار . والعين الذهب عامة . وتقول العرب هذا دينار عين) . أنظر ابن منظور ابو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، المجلد الثاني ، دار لسان العرب ، بيروت ، ص ٩٤٧) .

(٤٠) الورق : المال من الدراهم . (انظر الفيومي ، المصباح المنير ، جا ٢ ، ص ١٠٣) . ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٠ .

(٤١) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٨ .

ولنساء الخليفة ، واحيانا الى الخليفة نفسه [٤٢] عن طريق الضمان، فيتعهد للخليفة بدفع مبلغ معين من المال لقاء حصوله على منصب الوزارة .

وكان المعتاد ان يتهم كل وزير سلفه بسوء التصرف والظلم والتعسف ويطلب منه ومن كتابه واعوانه ان يفدوا انفسهم بكميات من المـال [٤٣]، ولم ينج الولاة [٤٤] ولا القضاة [٤٥] من هذا الاسلوب التعسفي ، حتى أن احدى قهرمانات دار الخلافة فقدت ثروتها الكبيرة بالمصادرة [٤٦].

ويحصل الوزير الجديد على المال عادة ، من الوزير المعزول ، ومن اتباعه وأهله وموظفيه ، بمصادرة أموالهم وأملاكهم ، بعد ان يستخـدم منتهى القسوة في تعذيبهم للحصول على المال الذي ضمن به منصب الوزارة وفي ذلك يقول الصابي : « وقد تعددت وسائل استحصال الامـوال عن طريق المصادرة والاستصفاء بحيث أصبح كل صاحب منصب أو مال عرضة للمصادرة » [٤٧] .

وقد وجدت الدولة تبريرا لمصادرة أموال الوزراء والعمال لان هؤلاء انفسهم جنوا أموالهم عن طريق غير شرعي ذلك أن اغلب المصادرين قـد

(٤٢) ففي سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١م قدم الوزير حامد بن العباس للخليفة المقتدر بستاناً بناه وسماه (الناعورة) قيمته مائة ألف دينار وفرش مساكنه بأنواع المفارش الفاخرة . (ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ص ١٦٩) .

(٤٣) عريب ، الصلة ، ص ٣٩ .

(٤٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٧٤ .

(٤٥) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٤ .

(٤٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٦٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٤٥ .

(٤٧) الوزراء ، ص ١٤٩ .

أثروا على حسابات الشعب، ومن جراء سوء سلوكهم واستغلالهم مناصبهم[٤٨].

ومن ذلك يخال لنا أن الوزراء أصبح لاهمَّ لهم الا ابتزاز أموال الدولة والناس ، وانفاقها دون تنظيم ؛ كما اتبعوا اسلوب المصادرة وسيلة لتوفير الاموال للدولة ولهم معا . وقد أصبحت هذه الوسيلة ، بمرور الزمن ، سنة قبيحة ، يلجأ اليها الخلفاء والوزراء ، فتفشت الرشوة ، وضاعت الحقوق ، وانتشرت الفوضى والاضطرابات في جميع ارجاء الدولة.

وان الاموال المصادرة كانت تشكل موردا أساسا للخزينة ، وأصبح الوزير الجديد يستفيد منها لسد العجز الحاصل في خزينة الدولة ، واسكات الاصوات المطالبة بالمال من الجند والحاشية ، ونتيجة لاستمرار هذه السياسة استحدث ديوان خاص لادارة الاملاك المصادرة بأسم « ديوان المصادرين »[٤٩]

وقد أدت المصادرات الى سنن غير مرغوب فيها ، فالموظفون الكبار صاروا مضطرين الى جمع الثورة بكل وسيلة استعدادا لليوم الاسود [٥٠]، ولجأ المسؤولون ، وبقية السكان الى حيل مختلفة ليخفوا ثروتهم عن عيون الطامعين ، فنشأت عادة دفن النقود تحت الارض . ففي سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م كان الحسين بن أحمد المعروف بأبن الجصاص قد صودر « فحفرت داره فوجدت له في بستانه أموال جليلة مدفونة في جرار اخضر وقماقم مرصصة الرؤوس فحملت كهيئتها الى دار المقتدر » [٥١] . وفي عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م اعترف الوزير المعزول حامد

(٤٨) منز ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٤٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٥٠) الصابي ، الوزراء ، ص ص ٣٢ — ٣٤ .

(٥١) عريب ، الصلة ، ص ٤٨ .

ابن العباس انه دفن (٥٠٠٫٠٠٠ دينار) (٥٢) ، وكان المتمردون عـــام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م قـد أخرجوا من تربة السيدة ام المقتدر بالرصـــافة (٦٠٠٫٠٠٠ دينار) حيث كانت مخبأة هناك (٥٣) .

وكان لدفن النقود اثر اقتصادي سيء اذ فقدت بذلك كميات كبيرة من النقود الفضية والذهبية بوفاة اصحابها ، فنتج عن ذلك حجز وتجميد كميات كبيرة من النقد من التداول ، وهذا بدوره أدى ، بلا ريب ، الى عرقلة النشاط التجاري وتعويق واضعاف نمو المؤسسات الصيرفية (٥٤) .

ومن الملاحظ ان عادة دفن النقود تشير، بلا شك ، اما الى ان المجتمع لم يعد يدرك تماما أهمية تشغيل الاموال في التجارة ، وهذا الاحتمـال غير وارد بحكم كون العرب تجارا ماهرين ، او أن أحوال الدولة غـــير مستقرة ، وان ذلك كان متأتيا من عدم الاطمئنان ، وفي كلتا الحالتين شل للحركة التجارية .

ومع ان المصادرات سببت ارتبـاكا في مؤسسات الدولة الاداريـــة والسياسية ، الا انها لم تكن تخلو من بعض الفائدة ، بالرغم من بشاعـة أساليبها ، اذ انها منعت تراكم الثروة المفرطة ، وقللت من التباين الاقتصادي

(٥٢) أعترف حامد بانه دفن هذا المبلغ فى بلاليع . (مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٠٢) .

(٥٣) العيون ، ورقة ١٢٣ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٢٢ .

(٥٤) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٧٨ .

بعض الشيء رغم ان ذهاب أموال المصادرين للخزينة ، يعني اعادة توزيعها على الموظفين في الرواتب من جهة واستفادة الناس احيانا منها عن طريق الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة من جهة اخرى [٥٥] .

ومن العجيب ان نرى ، ان الوزارة كانت سبيلا يوصل الى السجن في أغلب الاحيان ، وندر من نجا من الوزراء ، ولم يسجن ، وربما قتل ولم يحبس ، وربما أصابه الامران معا [٥٦] ، وبهذا أصبحت الوزارة مسرحية هزلية قائمة بذاتها ، الا أن خاتمتها غير سعيدة ، في الاعم الاغلب ، فقد سجن ابن الفرات بعد عزله من وزارته الاولى ونهبت دوره، وهتكت حرمه وصودرت أملاكه [٥٧] ، ولم يكن نصيب الخاقاني بأحسن من سلفه [٥٨] وهكذا كان مصير علي بن عيسى [٥٩] ، وحامد بن العباس [٦٠] ، والخصيبي [٦١] وغيرهم ممن وزر للخليفة المقتدر بالله ، وقد قتل بعض هؤلاء ، كحامد بن العباس [٦٢] ، وعلي بن الفرات وابنه المحسن [٦٣] وغيرهم .

---

(٥٥) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٧٩ .

(٥٦) صلاح الدين المنجد ، بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ، بيروت ، ص ١١٧ .

(٥٧) عريب ، الصلة ، ص ٣٦ .

(٥٨) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٧ .

(٥٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٤ .

(٦٠) عريب ، الصلة ، ص ١١٠ .

(٦١) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٧٠ .

(٦٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٠٤ .

(٦٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٧٩ .

وسبب ذلك ان الخليفة كان يسمع أقوال المنافسين ويصغي الى مقالة الحاسدين ، فيأمر بعزل وزيره وسجنه ، وربما قتله ، فاذا لم يسجن ويضيق عليه ، جاء خلفه وألح في سجنه انتقاما منه ، وخشية من أن يشغب ويتآمر عليه فيبعده عن منصب الوزارة الذي سعى كثيرا حتى تمكن من الحصول عليه . وبعد فترة من الزمن يلقي الوزير الجديد نفس المعاملة التي عامل بها الوزير السابق بل ربما أشد قسوة ، وقد يعود الوزير الى منصبه اكثر من مرة ، كابن الفرات وعلي بن عيسى ، فيعود معه أعوانه ، وهم مشبعون بروح الانتقام ، الامر الذي يؤدي في الاعم الاغلب ، الى اضطراب الامن وانتشار الظلم ، وزيادة الاحقاد والضغائن وحبك المكائد للايقاع بخصومهم ومنافسيهم بالتعاون مع بعض قادة الجيش ونساء القصر (٦٤) .

ولعل أهم الدوافع التي كانت تدفع الخليفة الى عزل وزيره ومصادرته هو حاجة الخليفة الى المال ، وعجز الوزراء عن توفيره لسد نفقات دار الخلافة والجند المتزايدة مما يدفع الخليفة الى مصادرة أموال الوزير وكتابه (٦٥) .

وثمة عامل آخر دفع المقتدر الى الاسراف في تولية وعزل الوزراء ، هو ان بعض الطامعين بالوزارة كانوا يتعهدون للخليفة بأداء مبلغ كبير من المال مقابل حصولهم على منصب الوزارة ، فأدى هذا الاسلوب الى زيادة حدة المنافسة والمساومة على طلب الوزارة ، وأدى هذا بدوره الى اضطراب

---

(٦٤) العيون ، ورقة ٧٤ ــ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ص ٢٤٠ ــ ٢٤١) . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٥ ، ١٤٣ .

(٦٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ .

شؤون الدولة والادارة وعدم كفاءة الوزراء ، حيث تقلدت هـــذا المنصب شخصيات ضعيفة ، تفتقر الى الدراية والخبرة بأمور الـدولة ، وبذلك تسيء الى البلاد بصورة عامة .

وفي وسط هـــذا الجو عمت الفوضى الادارية ، وتوالت المؤامرات ومصادرة الاموال وأصبح كرسي الوزارة ، ارجوحة يتداولها ابن الفرات وعلي بن عيسى ، وحامد بن العباس ، وابن مقلة ، وغـيرهم (٦٦) ، ولم يعد أحد يطمئن على نفسه وماله ، وتسبب عن هذا حدوث حركات تمردية استهدفت قطع صلتها بمركز الخلافة ، الامر الذي أدى الى قـلة الاموال التي تحمل الى العاصمة ، فسيطر الفاطميون على المغرب وهددوا مصر ، واستقل القرامطة في البحرين وخربوا السواد عدة مرات (٦٧) ، بل ان بغداد نفسها فزعت منهم مرارا ، وكادت أن تقع في قبضتهم (٦٨) .

والذي يوضح لنا بجلاء مركز الوزارة ، ان الوزير ابن الفرات في وزارته الثالثة (٣١١ — ٣١٢ هـ / ٩٢٣ — ٩٢٤ م) كان يخـاف التاجر ابن الجصاص ، وقد حاول ان يتخلص منه ، الا ان هذا التاجر كان فطنـــا ذكيا فأستطاع التخلص من مـكائد الوزير ، اذ هدده وأوقفه عند حـده عندما قال له : « لاقصدن الخليفة ولأحولن اليـه من خزانتي الفي الف دينار عينا وورقا ، ولا أصبح الا وهي عنده وأنت تعلم قدرتي عليهـا ،

(٦٦) شلبي ، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

(٦٧) العيون ، ورقة ١٠٨ — ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٠٧) . الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٩٠ .

(٦٨) المسعودي ، مروج الـذهب ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٧ .

وأقول له : خذ هذا المال وسلم ابن الفرات الى فلان واستوزره»(٦٩).

ويبدو للمتتبع ان تعدد الوزراء (٧٠) في عصر المقتدر بالله كان أهم ظاهرة ميزت ذلك العصر ، وبالتالي فان هذه السياسة أدت الى عـــدم استقرار الأحوال السياسية والاقتصادية والادارية ، اذ كان الخليفة يوافق على عرض الضامنين للوزارة ، ويسمح للوزير باستخدام اساليب العنف والقسوة للحصول على الاموال من الوزير المعزول ، مما ادى الى حرمان الدولة من وزراء اكفاء (٧١) ، وعدم الاستفادة من قابلياتهم الفذة التي لو تهيأ لها العمل بحرية واطمئنان لانتجت كثيرا .

ولا شـــك ان تلك السياسة آلت الى بث روح الكراهية والانتقـام في نفوس الشخصيات الكبيرة في الـــدولة (٧٢) ، فضعف منصب الوزارة ، خاصة في عهد الخاقاني والخصيبي ، حيث اهمل الاول شؤون الخلافة (٧٣)، وانصرف الثاني الى الخمر وترك أمور الدواوين ، وعهد بمالية الدولة الى كتابه ، فقلت الاموال في عهدهما ، وساد الظلم (٧٤) ، واضطربت الادارة ، فأدت حاجة الدولة للمال الى مصادرة الناس ، بدون مسوغ شرعي ، فلم

(٦٩) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، (مطابع دار صادر) ص ص ٣٢ — ٣٣ .

(٧٠) لقد وزر للمقتدر ١٢ وزيراً . (المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٩ . زمباور ، معجم الانساب ، ج١ ص ٧ — ٨ .

(٧١) كابن الفرات ، وعلي بن عيسى .

(٧٢) عريب ، الصلة ، ص ص ١١٢ — ١١٣ .

(٧٣) كرد علي ، الادارة الاسلامية ، ص ١٨٣ .

(٧٤) متز ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

يدع عند احد مالا الا أخذ منه بأتعس ما يكون الاخذ من الشدة والقسوة.

ومما لا ريب فيه ، ان هذه الاوضاع ، فسحت المجـــال للجيش في التدخل لتدارك سوء الاحوال ، فكثيرا ما رأينا مؤنسا يشير بعـــزل وزير وتولية آخر محله ، وما هذا التدخل الا مظهر من مظاهر انحطاط الوزارة وتضاؤل اهميتها ، وتلاشي تأثيرها في رسم سياسة الدولة العامة .

تضاءلت منزلة الوزراء الى درجة الاعتداء على حرمهم ونسائهم (٧٥)، ومع ذلك فطلاب الوزارة كثيرون ، ولعل حب المنصب ، والاستحواذ على الاموال كانا عاملين من عوامل التنافس على الوزارة ، فقد اخذ الخاقاني ما كان في يد ابن الفرات من الاموال ، وكانت سبعة ملايين دينار (٧٦) ، لكن الصابي يذكر ان مقـــدار ما أخذ من ابن الفـــرات من : « الضياع والاقطاع والاملاك والعقار والاموال والغلات ، وصح له مقداره الف الف ، دينار سوى الأثاث والرجل والكراع (٧٧) والجمال ولم يأخذ من أحـــد من الوزراء قبله ولا بعده مثل ذلك » (٧٨) . ولعل رواية عريب الآنفة الذكر، اقرب الى الصحة لانه يأخذها عن الصـــولي الذي يقول : « حـــكي عن الصولي وكان مشاهدا ومشرفا على أخبارهم » (٨٩) .

(٧٥) عريب ، الصلة ، ص ٣٦ . العيون ، م . ق ، جـ ١ ، القسم ١ ، ورقة ٧٣ ــ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٣٥) .

(٧٦) عريب ، الصلة ، ص ٣٧ .

(٧٧) الكراع : من الدواب ما دون الكعب ، وقيل لجماعة الخيل خاصة كراع . (المصباح المنير ، جـ ٢ ، ص ٧٢٨) .

(٧٨) الوزراء ، ص‌ص ٣٤ ــ ٣٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٠٩ .

(٧٩) الصلة ، ص ٣٧ .

وفي سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م استخرج ابن الفرات من حامد بن العباس الف الف وثلثمائة الف دينار (٨٠) ، وصودر خادمه بأربعين الف دينار والزم علي بن عيسى (معاون الوزير المعزول) بدفع ثلثمائة الف دينار(٨١) لكن الصابي يقدر المبلغ الذي صودر عليه المادرائي بأقل من ستمائة دينارا عما ذكره مسكويه آنفا (٨٢) ، وعندما أقصى ابن الفرات بعد وزارته الثالثة أقر بأنه قد خلف عند هرون الجهبذ مائة ونيف وستين الف دينار (٨٣) ، ثم اخذ خط كل من أولاده الثلاثة بمائة الف دينار (٨٤) وأخذ من المحسن ثلاثة آلاف الف دينار ، وقال في ابن الفرات في وزارته الثانية : « تأملت ما صار الى السلطان من مالي فوجدته عشرة آلاف الف دينار » (٨٥) ، وقد كان ما دفعه ابن الفرات بعد وزارته الثالثة الفي الف دينار (٨٦) .

---

(٨٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٩٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ٧ ص ١٧٤ .

(٨١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٠٩ . ابن الجوزي . المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٧٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ قسم ٤ ، ص ٧٨٣ .

(٨٢) الوزراء ، ص ٥٢ .

(٨٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ؛ ص ١٧٨ .

(٨٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٤ ٧٧ .

(٨٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٥ .

(٨٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٣١ . الصابي ، الوزراء ، ص ٦٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨٩ .

وبلغت الاموال التي صادرها الخصيبي في سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م مايقارب المليون دينار [٨٧] ، ولما عزل ابن مقلة عام ٣١٨ هـ/ ٩٣٠ م صودر بمائتي الف دينار [٨٨] .

على أن نظام المصادرة قد تقلب في أطوار شتى ، فكان في أوائل القرن الرابع الهجري ، ضربا من ضروب العقاب ، ولكن فيما بعد توسع أكثر ، اذ صار يشمل كل من كانت له صلة بالحكومة ، فتدور حوله الشبهات في استقامته ونزاهته ونقاوة يده، فكان يصادر بين حين وآخر [٨٩] .

وفي بعض الاحيان كانت تلك المصادرات تمتد حتى تشمل اناسا غير رسميين ليست لهم أية علاقة بمؤسسات الدولة ، ففي سنة ٣٠٢ هـ/٩١٤م صودر احد تجار الجواهر المعروف بأبن الجصاص ، وأخذت منه أزبعة آلاف دينار [٩٠] بينما يضيف عريب على هذا المبلغ ويقدره بستة الاف ألف دينار [٩١] . وكان هذا الجوهري قد صودر عام ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م على أثر اخفاق حركة ابن المعتز الذي اختبأ عند ابن الجصاص ، وصور

(٨٧) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

(٨٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٤ . ا ن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ؛ ص ٧٨٧ .

(٨٩) متز ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٩٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٥ . الذهبي ؛ تاريخ الأسلام ج ٧ ، ورقة ٥ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٢١ أبو المحاسن ، ج ٣ ، ص١٨٥ .

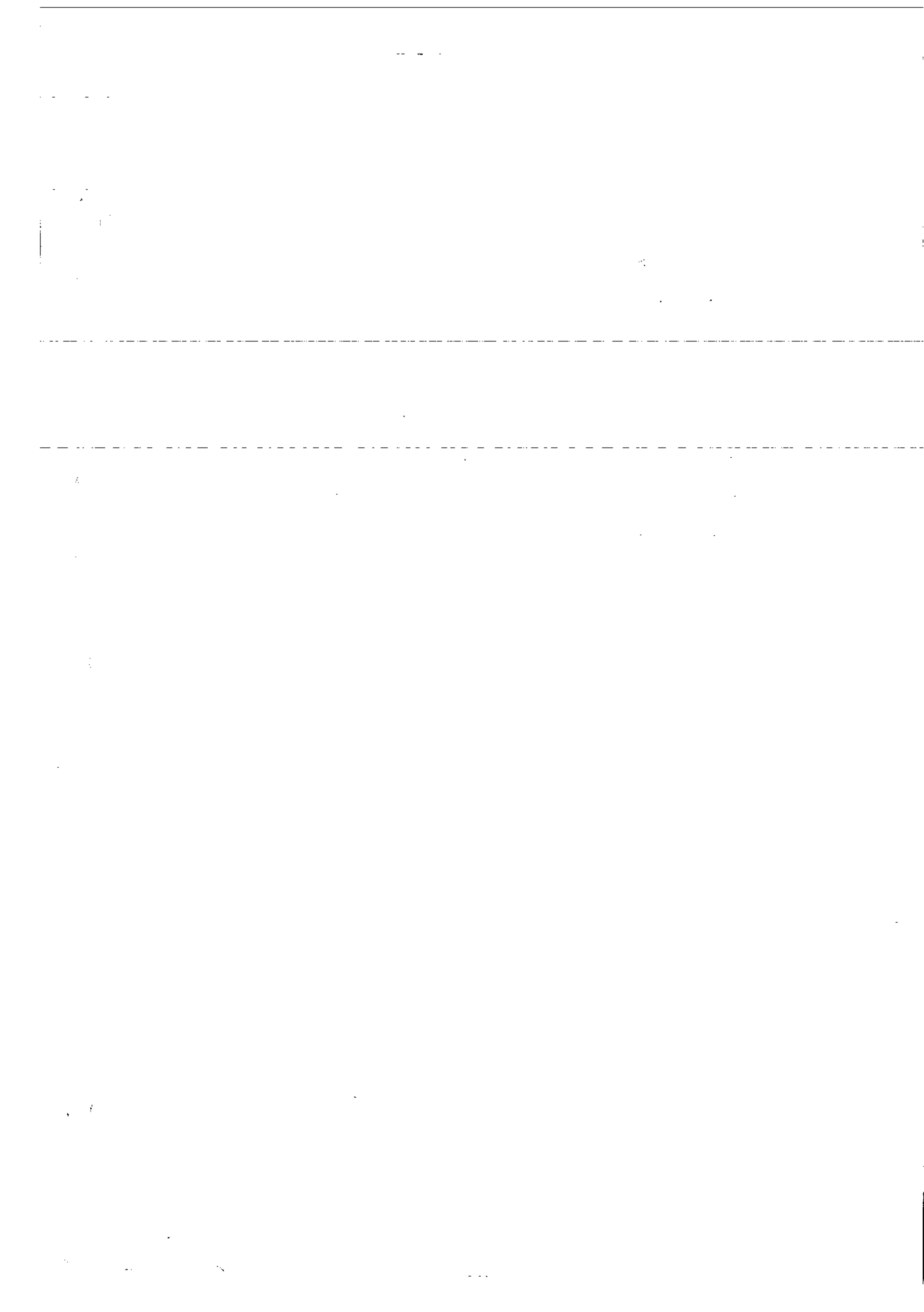
(٩١) الصلة ، ص ٤٨ . ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص ٩١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢٢ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

الاخير بما قيمته ستة آلاف دينار (٩٢) لكن ابن شاكر ينقل لنا عن ابن الجوزي فيقول : « ان ما أخذ منه ستة عشر الف الف دينار عينا وورقا وقماشا وخيلا » (٩٣) .

وهكذا شاعت المصادرات في المجتمع ، حتى لقد صارت المصادرة سنة جارية وعادة متبعة ، يستخرجون بها ما عند الوزير المعزول وحاشيته من مال بالقوة والاكراه ، والا شك ان الذي كان يدفع الى المصادرات ، على الرغم من عدم اتفاق اساليبها مع الشرع والعرف والاخلاق ، حب المال ، ليكون ذلك وسيلة بأيدي المسؤولين لسد نفقات ما يحتاجون اليه من البذخ والاسراف واللهو ولتثبيت مركزهم .

(٩٢) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٢٧١ . التنوخي ، نشوار ، ج ١ ، ص ٢٥ .

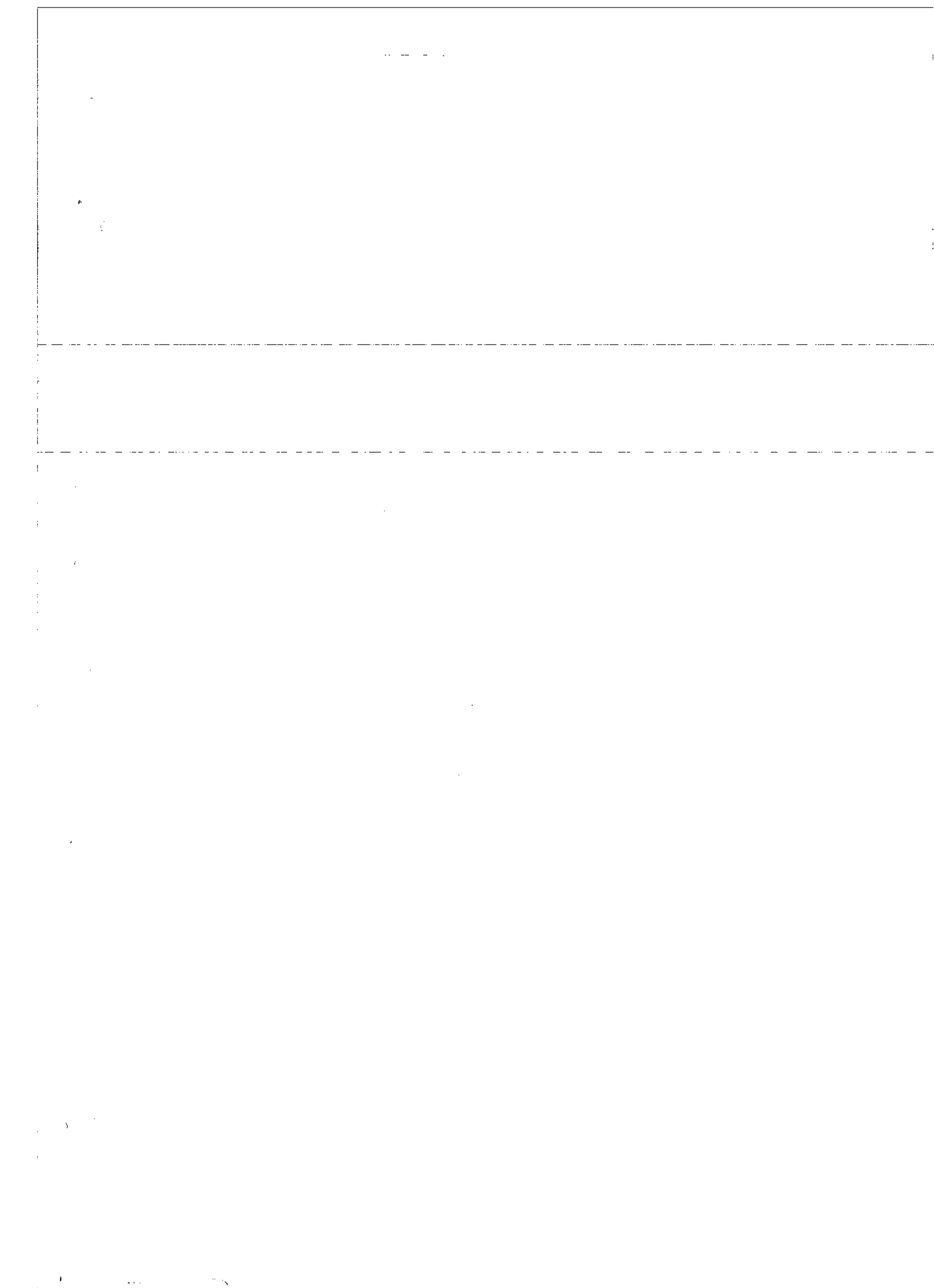
(٩٣) ابن شاكر الكتبي فوات الوفيات ، ص ٢٧١ . البيروتي ، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ١٥٣ .



الفصل الرابع

الجيش وأثره في أحداث العصر

١ ـ بداية نفوذ الاتراك .
٢ ـ الفرق العسكرية . .
آ ـ الساجية
ب ـ الغلمان الحجرية
ج ـ الرجالة المصافية
د ـ الفرسـان
٣ ـ تدخل الجند في الادارة .
٤ ـ القائد مؤنس المظفر .



الجيش وأثره في أحداث العصر

١ — بداية نفوذ الاتراك :

انضوى الجند المرتزقة الاعاجم بأعداد كبيرة تحت راية العباسيين وقاتلوا الى جانبهم ابان الثورة العباسية . وهم « أصحاب الديوان من أهل الفيء والجهاد يفرض لهم العطاء من بيت المال » (١) . وبذلك تم بناء الجيش على أسس جديدة تختلف كل الاختلاف عما كان عليه خلال العهد الاموي . فبينما اقتصر الجيش في العصر الاموي ، في الاعم الاغلب ، على عنصر واحد هو العنصر العربي ، أصبح الجيش العباسي يتألف من عناصر عديدة وأجناس مختلفة ، ترتبط بروابط واهية ، الامر الذي ادى الى التنافس والتنابذ المحتم بين تلك العناصر المتنافرة . وقد ادى هذا بدوره الى ان يتأثر الجيش العباسي بمؤثرات اجنبية سواء أكانت فارسية أم تركية أو غيرها ، وابتعد عن الروح العربية ، وأدى ذلك ايضا الى اضمحلال نفوذ العنصر العربي في صفوف الجيش (٢) .

ويمكن اعتبار عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ — ٨٤١ م) (٣) بداية دخول العنصر التركي في الجيش العباسي بأعداد كبيرة

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٣٣ .
(٢) زيدان ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧١ .
(٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٤ .

وهم غلمان جلبوا كرقيق ، فكان امراء الأقاليم يستوفونهم بأعتبارهم جزء من ضريبة الخراج او كهدايا، « وكان المعتصم يحبجمع الاتراك وشراءهم من أيدي مواليهم ، فاجتمع له منهم أربعة آلاف » (٤) ، ومن ثم ادخلوا في صفوف الجيش ، وكانت قيادتهم بادىء بدء بيد رجال من العرب أو الفرس ، ولكن هؤلاء ما لبثوا ان تدرجوا في سلم الجندية الى أن وصلوا الى أعلى مراتبها ، حيث ظهرت عند البعض منهم مؤهلات ومواهب مكنتهم من التحكم في مقاليد السلطة (٥) .

وكانت هناك ظروف عديدة واتت هؤلاء الاتراك ، وافسحت المجال امامهم بالتغلغل في صفوف الجند العباسي ليحتلوا موقع الصدارة فيه ، فالخصومة التي اشتدت بين العرب والفرس على أثر النزاع بين الامين والمأمون ، تطلب ايجاد عنصر جديد في صفوف الجيش ليخلق نوعا من التوازن الذي اختل بتغلب المأمون على الامين . ومما زاد في مخاوف المعتصم وزيادة حذره ان الجند الخراساني لم يكونوا على صلة طيبة معه، ذلك أنهم وقفوا فيالصف المناويء لهفي تأييدهم بيعة العباس بن المأمون(٦)، ولذلك التجأ المعتصم الى العنصر التركي الذي انخرط لتوه في صفوف الجيش ، على أساس ان هؤلاء سيكونون الدعامة الاساسية لخلافته ، يضاف الى ذلك عامل آخر هو ان أم المعتصم كانت تركية الاصل (٧) .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٩ .

(٥) زيدان ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٩٥ .

(٦) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ / جـ ٣ ، ص ١١٦٤ . المسعودي، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ١٥ .

(٧) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤/ جـ٣ ، ص ١٣٢٩ . حتي ،
=

ومما سهل على الاتراك السيطرة على الامور ، ان قوة العـــرب العسكرية كادت ان تتلاشى ، كما ان الخراسانيين الــذين كانوا يؤلفون القسم الاكبر من الجيش سرعــان ما استنزفوا كــل قواهم وقابلياتهم الحربية (٨) ، الأمر الــذي اضطر الخلفاء الى الاعتماد على المرتزقـــة الاجانب . وإن استخدام الاتراك على هذه الصورة أفسح المجال لزيادة عدد الجند زيادة مفرطة .

انّ هذا المسلك الخطر من جانب الخلفاء العباسيين الأوائل ، يؤكــد حقيقة مهمة ، هي ان الجيش في هذه الفترة تحول من جيش يحمي حمى الدولة الاسلامية وينشر لواءها ، الى جيش من المرتزقة الاجانب لا يهمهــم نصرة دين ولا دولة . وقد اثبتت الايام ان هؤلاء المسترقين لم يكونوا أهلا للوثوق بهم والركون اليهم (٩) . فقد تدخلوا في شـــؤون الدولة الادارية والمالية وتحكموا في تعيين الخلفاء (١٠) والوزراء وبعض الولاة (١١). وأضعفوا معنوية الجيس الذي أصبح نهباً للأنقسامات والمنازعات خاصــة في عهود الخلفاء المستضعفين (١٢) ، وبذلك قال حتي : « وبينما كان جناحا النسر العباسي يكسران في الشرق والغرب ، كان قلبه هدفا لينال الدخلاء

فيليب ، تاريخ العرب المطول ، جـ ٢ ، ص ٥٥٩ . حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ .

(٨) ديمومبين ، موريس ، النظم الاسلامية ، ص ١٦١ .

(٩) زيدان ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧١ .

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٦٩ .

(١١) BOWEN , op : cit , P : 113 :

(١٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٦٧ .

من الترك » (١٣) •

وكان من المحتم ان يؤدي هذا الامر الى اضعاف سطوة الحكومة المركزية ويمهد السبيل فيما بعد للدخلاء ان يسيطروا على الامور في العاصمة ويسلبوا كل صلاحيات الخليفة ، وبذلك كانوا أشد خطرا على الدولة من سائر أنواع الجند ، وحتى من اعدائها الخارجيين •

وكان ظهور الجند التركي في الدولة العباسية ، واستبدادهم بشؤونها بداية عهد انحلال الخلافة وتداعي صرحها ، وكثيرا ما شاهدنا الخليفة في عاصمته كالأسير ، أموره بيد حرسه (١٤) • ويعتبر قتل الخليفة المتوكل على الله عام ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م (١٥) أول حلقة في سلسلة من الحوادث المماثلة وان قتل المقتدر بالله لم يكن الا حلقة من تلك السلسلة والتي كادت ان تقضي على الخلافة العباسية • وهكذا تغلب العنصر التركي ، فزاد عدد أفراده زيادة كبيرة ، وصار دفع ارزاقهم من أهم المشاكل التي تواجهها الدولة ، على الرغم من انهم كانوا لا يقدمون خدمة للدولة غير الشغب والفوضى (١٦) •

ويتميز النصف الثاني من القرن الثالث ، والثلث الاول من القرن الرابع الهجري ، بأستبداد الاتراك وتحكمهم بأمور الدولة ، ومطالبتهم

(١٣) تاريخ العرب المطول ، جـ ٢ ، ص ٥٥٩ •

(١٤) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ص ١٠٦ — ١٠٧ •

(١٥) ن • م ، ص ٦٧ • والتنبيه والاشراف ، ص ٣٦٢ •

(١٦) أنظر مسكويه ، م • ق ، جـ ١ ص ٥ و ٦ و ١٣ و ٢٨ و ٤٤ و ٧٤ و ٧٥ و ١٢٧ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٥٧ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٨٢ و١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٦ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٠٨ و ٢٣٦ •

المستمرة بالزيادات التي ارهقت مالية الدولة ، فانعكس ذلك على السكان الذين أرهقوا بالضرائب فأشتدت كراهيتهم للجنود الاتراك وضاقوا بهم ذرعاء وبخاصة حين عرقل شغبهم المستمر اسلوب الحياة المعتادة للناس وأثر على معيشتهم (١٧) .

شهد عصر المقتدر صراعا حـــادا بين الفئات العسكرية والسـلطة المدنية (١٨) ، ففي بداية خلافته كان الوزير يتولى سلطاته في الاشراف على الجيش ، بالاضافة الى الدواوين (١٩) ، ولكن السلطة المدنية ما لبثت ان انحسرت ، في الوقت الذي توسعت فيه صلاحيات الجانب العسكري فصار قادة الجيش يتدخلون في امور الدولة (٢٠) . وان تدخلهم هــذا أصبح مصدر قلق واضطراب فوقع الخليفة تحت تأثير اهوائهم ورحمتهم ، فهـم حينما يحتاجون الى المـال ارضاءا لجشعهم يثيرون الشغب ويحـــدثون الفتن (٢١) ، ولا تسكن جوارحهم الا بعد ان ينالوا ما يريدون وهـــذا بطبيعة الحال يدل على تجردهم من روح الجندية والمثل الى حد بعيد (٢٢) وبذلك أدى ضعف السلطة المدنية الى فتح الطرق امام قواد الجيش للتدخل في شؤون الدولة والتجرؤ على الوزراء والموظفين فتدخـلوا في توليتهم

---

(١٧) السامر ، الحمدانيون ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(١٨) SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 403 :

(١٩) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤ .

(٢٠) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ١٠٩ .

(٢١) الكندي ، م . ق ، ص ٢١٧ .

(٢٢) الكبيسي ، م . ق ، ص ٦٠ .

وعزلهم [٢٣] •

ولم يكتف قادة الجيش بتدخلهم في تولية الوزراء وبقية الموظفين الاداريين وعزلهم وابعادهم ، بل كانوا يقدمون في بعض الاحيان على قتلهم [٢٤] وكثيرا ما رأينا قادة الجيش يتطلعون الى تولي الوظائف الادارية المهمة [٢٥]، ولم يكن دافعهم الى ذلك رغبتهم في الاصلاح ، وانما كان ذلك بدافع اطماعهم المتزايدة وتسابقهم الى جمع الاموال والاثراء على حساب المصلحة العامة •

ومما زاد الامر سوءاً أن منح الوظائف الادارية لقادة الجيش لم يكن يجري على أساس الكفاءة او المقدرةاو الخبرة الادارية ، وانما كثيرا ماكان الدافع الى ذلك هو كسب رضاهم والخوف من تمردهم على الدولة ، الامر الذي ادى الى فقدان السيطرة الحقيقية على أقاليم الدولة ، لان أصحاب الوظائف لم يمارسوا اعمالهم بأنفسهم بل كانوا يرسلون نوابا عنهم [٢٦] ، ولم يكن هم هؤلاء النواب غير ارضاء اسيادهم وتأمين الاموال لهم بغض النظر عن الاسلوب الذي يتبعونه مع السكان •

٢ — الفرق العسكرية :

اصبحت غالبية تشكيلات الجيش العباسي في عصر المقتدر من الجند

(٢٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٦٨ . العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١١١ — آ (تحقيق نبيلة ، ص ٣١٤) .

(٢٤) عريب ، الصلة ، ص ١٢١ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص١٣٧

(٢٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٥ و ١٦٩ .

(٢٦) عريب ، الصلة ، ص ٤٢ .

المرتزقة الاعاجم ، وبخاصة الاتراك ، فتعددت العناصر ، وكثرت الأيـادي الأجنبية المتعارضـة . وان تعدد العناصر والاجناس التي تتكون منها فرق الجيش وتعارض وتصادم هذه الأيادي الاجنبية الدخيلة ، آل بطبيعة الحال الى ضعف مركز الخلافة واستبداد العمال في الولايات واستقلالهم ، الامر الذي أدى إلى بروز ظاهرة الحركة الانفصالية في الامبراطورية العباسية.

واسلفنا القول ان سلطة الخلافة في عهد المقتدر تقلصت حتى اقتصرت على أرض السواد ، ولم يكد يطل القرن الرابع الهجري حتى انحصرت سلطة الخليفة الفعلية بمدينة بغداد وضواحيها فقط (٢٧) . ومما زاد الامر سوءاً أن هؤلاء الاجناد أصبحوا مطلقي الايدي ، ليس في قصر الخلافة حسب ، بل في جميع مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية (٢٨).

لقد اسهم الجند بصورة مباشرة في توجيه سياسة الدولة ، الوجهـة التي يرتضونها والتي تؤمن مصالحهم وأمتيازاتهم . ولعـل ذلك يفسر لنا عجز الخليفة عن ضبط الامور ، وعدم قدرته على السيطرة على جنده، وهذا بدوره يؤول الى ان يتحكم هؤلاء الجند بأستبدال الوزراء واحـداً بعد الآخر ، باحثين عن شخصيات تكون طوع بنانهم ، وتستطيع مواجهة المشاكل العسيرة التي تواجههم (٢٩) ، وهذا يشير بلا ريب الى القضاء على صلاحيات الوزير والهبوط بمستوى الخلافة بوجه عام ، من جراء إستهتارهم بأمور الدولة والنزاع المستمر فيما بينهم .

لقد انتظم الجند المرتزقة في فرق التفت حول بعض القواد للصـلة

---

(٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٠ — ٢٠٢ .

(٢٨) SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 434 :

(٢٩) زيدان ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٦٠ .

الوثيقة بين القائد وتابعيه من الجند ، فسميت بأسمائهم ، كالساجية نسبة الى يوسف بن ابي الساج ، والمؤنسية نسبةالىمؤنسالخادم ، والهارونية نسبة الى هارون بن غريب الخال . والنازوكية نسبة الى نازوك صاحب الشرطة وغيرها (٣٠) . وما لبثت ان تحولت هذه الفرق فيما بعد الى فئات ذاتهآثر كبير في الحركات السياسية والعسكرية ، وكانافرادها دائمي الشكوى من جراء تأخير أرزاقهم ، وأخبار تمرداتهم وشغبهم متواترة ومتشابهة تتكرر في جميع مراجع هذا العصر (٣١).

وكانت كل جماعة من الجند تشعر بشخصيتها المستقلة وتآزر ابناء جنسها وقائدها المضمومين اليه ، وتنيجةلذلك كثيرا ما نشبت بينها الحروب وأريقت من جراء ذلك الدماء (٣٢) . وعلى الرغم منأن هذه الفرق نسبت الى هؤلاء القواد ، الا انها كانت تابعة للدولة من الوجهة الفعلية ، وان علاقة هذه الفرق بأولئك القادة لا تتعدى كونها تقع تحت امرتهم (٣٣) ، ولكن كثيرا ما نرى افراد هذه الفرق تتخذ مواقف مؤيدة لقائدها وتنحاز

(٣٠) ومن تلك الفرق الشاكرية التي ظهرت ايام المهتدى (٢٥٥ — ٢٥٦ هـ / ٨٦٨ — ٨٦٩ م) واستفحل أمرها في أيام المستعين بالله (زيدان، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٢) .

(٣١) السامر ، الحمدانيون ، ج١ ، ص ٣٣ — ٣٤ .

(٣٢) العيون ، ورقة ١٢١ — أ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ص ١٥٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٥ .

(٣٣) الجنابي ، تنظيمات الجيش ، (رسالة ماجستير غير مطبوعة)، ص ٦ .

بجانبه ، معارضة بذلك وجهة نظر الخليفة ومصلحة الدولة العليا (٣٤).

ولعل هذا متأت من ان الخليفة المقتدر لم يتول بنفسه قيادة أية حملة عسكرية ، وربما كان هذا سببا قويا في شعور أولئك الجند بأرتباطهم بقوادهم وولائهم لهم ، بدلاً من ارتباطهم بالخليفة على الرغم من معرفتهم بأن ارزاقهم كانت تأتي من بيت المال الذي يكون تابعا بدوره للخليفةوتحت اشرافه . ولكننا قد نلمس لهؤلاء الجند بعض العذر في انشدادهم نحو قادتهم ، ذلك أن افراد الجيش كثيرا ما حصلوا على ارزاقهم المستحقة بفضل ضغط قادتهم على السلطات المدنية ، وان هؤلاء القادة لم يكتفوا بالحصول على الارزاق المتأخرة ، بل كانوا يحصلون لجندهم على زيادات كبيرة .

أ ــ الساجية :

هي فرقة من عسكر الخلافة سميت بهذا الاسم على ما اصطلح عليه الحكام في تلقيب كل جماعة من الجند تمييزا لهم عن سواهم (٣٥) . غير ان النصوص المتوفرة لم توضح لنا طبيعة الساجية كفرقة عسكرية ، من حيث أصول افرادها ، وتنظيمهم وتسليحهم ، وفيما اذا كانت مقتصرة على

(٣٤) الهمداني ، التكملة ، ج ١، ص ٥١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٥ و ٢٢٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٥. السيوطي ، الخلفاء ؛ ص ٣٨٣ . العيون ، م.ق ، ج٤ / القسم ١ ، ورقة ١٢١ ــ أ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٣٧) .

(٣٥) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/ قسم ٤ ، ص ٨٢٢ .

الاتراك ، ام انها ضمت اليها خليطا من الاعاجم ، وهل كانت فرقةعسكرية لها قيادة وتنظيم خاص ، ام انها فرقة تضم مجموعة من الاتباع يحملون السلاح للدفاع عن سيدهم ؟ .

وتنسب الساجية الى ابي الساج ديوداذ بن ديودست (٣٦) ، القائد العباسي الذي لمع اسمه منذ عهد المعتصم ، فأسهم في حرب بابك الخرمي في سنة٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م (٣٧) . وعقد له على الاهواز عام ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م حيث أمر بمحاربة الزنج (٣٨) ، غير ان أبا الساج انحاز الىالعسكر المؤيد للصفاريين ، وحينئذ دخل الزنج الاهواز فقتلوا أهلها وسبوا واحرقوا الامر الذي أدى الى عزل أبي الساج عنها (٣٩) . وكانت المنية قد واتت ديوداذ في سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م حيث كان بمدينة جند يسابور (٤٠) .

استمر آل الساج في خدمة الخلافة العباسية حيث عين محمد بن ديوداذ على الحرمين وطريق مكة بعد وفاة أبيه (٤١). وفي سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م اضطر الخليفة المعتضد بالله ان يولي محمد بن ابي الساج على

---

(٣٦) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ج٣ ، ص ٢٨٤ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٨٢٢ .

(٣٧) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ / ج٣ ، ص ١١٩٥ — ١١٩٧ .
المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ١٠ — ١٣ .

(٣٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢ .

(٣٩) ن . م ، ص ٢ .

(٤٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ٢٤ .

(٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص ٥٦ .

أذربيجان وأرمينية ، وذلك بعد ان تمكن الاخير من التغلب عليها (٤٢) ، وبقي محمد محتفظا بهذا المنصب الى ان مات في سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م فأجمع جنده على الأنضواء تحت قيادة ابنه ديوداذ (٤٣) ، غير ان عمه يوسف (٤٤) بن ابي الساج ، الذي سبق له ان التحق بأخيه محمد(٤٥)، خالفهم وطمع في زعامة الساجية فكانت بينه وبين ابن اخيه مناوشات انتهت بهزيمة ديوداذ بن محمد على الرغم من كثرة مؤيديه من الساجية (٤٦) . وقصد ديوداذ ومؤيدوه بغداد . ويبدو من ذلك ان الساجية الذين كانوا في دار الخلافة ببغداد ، هم من اتباع ديوداذ بن محمد ولم نلمس لديوداذ بن محمد اي أثر في الاحداث العامة عدا اشارة عابرة وردت في (تجارب الامم) من ان ديوداذ بن محمد كان ضمن غلمان الوزير حامد بن العباس لما دافعوا عن داره عندما هاجمته العامة في سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م(٤٧) .

أقر الخليفة الامر الواقع واعترف بولاية يوسف ابن ابي الساج على

(٤٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٧١٩ . ابن الاثير ، ج٦، ص ٩١ .

(٤٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٩٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ؛ قسم ٤ ، ص ٧٤٤ .

(٤٤) وهو لابن الثاني لابي الساج . (المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٢٠١) .

(٤٥) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٧٤ . المسعودي ، مروج الذهب ، ص ٢٠١ .

(٤٦) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٠٢ . ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ؛ ص ٩٨ ، ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤، ص٧٤٤.

(٤٧) مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٧٣ — ٧٤ .

اذربيجـــان وأرمينية (٤٨) . والظاهر ان روح التمـرد والعصيان وحب الاستقلال كانت الصفات المميزة ليوسف بن ابي الساج ، اذ ما أن سمع بتولي المقتدر بالله الخلافة ، واضطراب الامور ببغـــداد ، لصغر ســن الخليفة الجديد حتى اعلن العصيان ، فجهز خاقان المفلحي على رأس أربعة الاف رجل وأمره بالمسير الى أذربيجان لاحباط التمرد هناك (٤٩) ، ولكن الخليفة ما لبث ان رضى عن هذا المتمرد وقلده اعمال أرمينية واذربيجان حيث ضمنها يوسف بن أبي الساج بمائة الف وعشرين الف دينار (٥٠) وان هذا المبلغ يقترب من عشر ما كانت تدفعه هذه البلاد قبل هذا التاريخ . وقد خلع المقتدر على دليل النصراني كاتب يوسف بن أبي الساج ورسوله الى الخليفة (٥١) ، والذي حمل خلع الخليفة الى سيده .

غير ان تسامح الخليفة مع ابن ابي الساج جعله يتمادى في غيــه ، حيث اعلن العصيان مرة اخرى في سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م وتعزز مركزه على اثر التحاق مئة رجل من الخزرية ، محتجين على اقدام هــارون بن غريب

(٤٨) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٨٤ . العيون ، م .ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦٤ ب . (تحقيق نبيلة ، ص ٢١٧).

(٤٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٣٥ .

(٥٠) العيون ، ورقة ٦٤ ـ ب (تحقيق ، نبيـــلة ، ص ٢١٧) . (وردت هدايا ابن ابي الساج ٤٠٠ دابة و ٨٠ الف دينار وفرش أرمني لم ير مثله ، منه بساط طوله سبعون ذراعا وعرضه ستين ذراعا عمل فى عشر سنين لا قيمة له) . (ابن الجوزي ، المنتظم ج٦ ، ص ١١٠ . ابن كثير، ١١٦/١١).

(٥١) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٨٤ . عريب، الصلة، ص ٣١ .

على قتل رجل منهم ، وقد أرسل الخليفة اليه رشيقا الحرمي (ختن نصر الحاجب) ليصرفه عن العصيان ، فما كان من ابن ابي الساج الا أن قبض على رسول الخليفة وحبسه ومنعه من أن يكتب كتابا الى المقتدر ، لكن هذا المتمرد ما لبث ان تراجع عن غيه فاطلق رسول الخليفة ، وعزز موقفه هذا ان بعث بهدايا ومال الى الخليفة فرضي عنه (٥٢) .

استغل يوسف بن ابي الساج اضطراب الاوضاع السياسية في العاصمة بغداد ، وعدم استقرار الوزارة ، فصار يؤخر حمل المال الذي تعهد بأرساله الى العاصمة مقابل تقلده أذربيجان وأرمينية ، منتهزا ضعف الوزير محمد بن عبيد الله الخاقاني ، وتساهل علي بن عيسى ، فاجتمع له من جراء ذلك مال كثير عزز مركزه وحمله على العصيان على الدولة ، خاصة بعد أن علم بتقلد ابن الفرات وزارته الثانية (٥٣) .

ادعى ابن ابي الساج ان عليا بن عيسى أرسل له عهدا بتقليده على الري وقزوين وأبهر وزنجان قبل صرفه من الوزارة ، وبادر يوسف وسيطر على هذه النواحي ، لكن عليا بن عيسى أنكر كونه أرسل لابن أبي الساج عهدا جديدا (٥٤) . غير ان عريب يذكر ان عليا بن عيسى كان قد كتب الى ابن ابي الساج بمحاربة أخي صعلوك عامل الري على أمل ان أي

(٥٢) عريب ، الصلة ، ص ٥٦ .

(٥٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٤ — ٤٥ . ابن الاثير ، الكامل ح٦ ، ص ١٥٥ .

(٥٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣٠ . مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٤٥ — ٤٦ . الحموي ، التاريخ المنصوري ، ١٢٤ — ب . ابن خلدون العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٤ — ٧٧٥ .

من قتل منهما فيه فائدة للدولة [٥٥] ، وكاد الوزير المخلوع علي بن عيسى يؤخذ بجريرة يوسف ، لكن ظهور زيف ادعاء ابن ابي الساج هو الـذي أنقذ عليا بن عيسى من طائلة العقاب ، خاصة بعد ان تبين ان الكتـاب الذي أرسل الى يوسف بن ابي الساج من قبل علي بن عيسى كان قـد وقعه الخليفة نفسه [٥٦] .

ومع ذلك كتب ابن الفرات كتاب تهديد الى يوسف منكرا عليـه تعرضه الى هذه البلاد وكـذبه على علي بن عيسى ، وفي الوقت نفسـه أرسل خاقان المفلحي [٥٧] على رأس جيش لمحاربة ابن ابي الساج ، غير ان يوسف تمكن من ان يهزم جيش الخليفة ويأسر عددا من قادته ويدخلهم الري مشهورين [٥٨] ، الامر الذي اضطر الخليفة الى ان يوعز الى مؤنس الخادم بأخماد التمرد [٥٩] .

وعندئذ كتب يوسف بن أبي الساج الى الخليفـة يلتمس الرضى ،

(٥٥) الصلة ، ص ٦٧ . (محمد بن علي أخو صعلوك هو الذي تغلب على الري في عهد وزارة علي بن عيسى وصار يديرها باعتباره تابعا لصاحب خراسان الامير نصر بن احمد بن اسماعيل الساماني) . (ابن الاثير الكامل ١٥٥/٦) .

(٥٦) عريب ، الصـلة، ص ٦٧ .

(٥٧) مسكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ٤٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص ١٥٥ . ابن خلدون ٧٧٥/٤ .

SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 410 :

(٥٨) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٦ .

(٥٩) العيون ، ورقة ٩٦ ـ أ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢) .
ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٥ .

ويتعهد بدفع « سبعمائة الف دينار لبيت المال سوى ما يحتاج اليه الجند وغيرهم » (٦٠) ، ان هو أقر على أعمال الري ، لكن المقتدر لم يجبه على طلبه هذا وأصر على ضرورة القبض عليه وجلبه الى العاصمة وذلك لاقدامه على التزوير (٦١) . وامام تعنت الخليفة هذا تنازل ابن ابي الساج عن مطلبه الاول ، واكتفى بان طلب ان يقاطع على ماكان بيده قبل تمرده (٦٢) . وعلى الرغم من أن الوزير كان يميل الى القبول بهذه التسوية ، حلا للازمة وتجنبا لاراقة الدماء ، الا ان الخليفة رفضها هي الاخرى ايضا مصراً على ضرورة جلبه مطأطأ الرأس حتى يطأ بساط دار الخلافة (٦٣) .

وأمام اصرار الخليفة رأى يوسف بن ابي الساج ان دمه في خطر واندفع بكل قواه لمحاربة جيش الخليفة الذي كان يقوده مؤنس ، وأزاء ضغط يوسف مني قائد جيش الخليفة بهزيمة شنعاء بعد ان فقد جماعة من جيشه (٦٤) ، وكاد أن يقع في الاسر ، لولا ان ابن ابي الساج لم يرغب بذلك . ولم ينس مؤنسا هذا الموقف الودي من غريمه ابن أبي الساج ،

---

(٦٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٦ . ابن الاثير ، الكامل ؛ ج ٦ ص ١٥٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٧٥ .

(٦١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ؛ ص ١٥٥ .

(٦٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٧ .
SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 410 :

(٦٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٥ .

(٦٤) العيون ، ورقة ٩٦ — آ . عريب ، الصلة ، ص ٧١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٧٥ .

فكان يذكره بالشكر دائما (٦٥) ، ومع ذلك لا زال ابن ابي الساج يكاتب مؤنسا ملتمسا الصلح ، الا ان قائد جيش الخليفة لم يقبل بغير القبض على يوسف بديلا (٦٦) .

وتشاء الظروف أن تسعف مؤنسا الخادم بالتحاق عبد الله بن حمدان به (٦٧) ، وأن تصله امدادات أخرى من عاصمة الخلافة (٦٨) ، ولكن الذي ادى الى رجحان كفة جيش الخليفة هو (جوامرد) غلام يوسف بن ابي الساج مع ثلاثة اشخاص آخرين (٦٩) ، وكان لانضمام جوامرد الى جيش الخليفة الاثر الفعال في نشاط هذا الجيش وتغلبه على المتمرد يوسف بن أبي الساج . هذا بالاضافة الى ان عامل الصدف كان قـد حالف جيش الخليفة، ذلك أن يوسف بن ابي الساج كان قد سقط من دابته فتقـدم نحوه أعرابي فضربه على رأسه ، وهكذا وقع ابن ابي الساج في الاسر وحمل الى بغداد مشهراً على جمل ثم حبس بدار القهرمانة زيدان (٧٠) . ولم يسمح مؤنس بالقسوة على الأسير ولا الاسراف في التشهير به ، بل حاول جهده التخفيف عنه على الرغم من كثرة الناقمين عليه (٧١) .

(٦٥) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٧ .

(٦٦) ن . م ، ص ٤٧ .

(٦٧) عريب ، الصلة ، ص ٧٧ .

(٦٨) العيون ، ورقة ٩٦ ــ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٨٢) .

(٦٩) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٧٠) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٥١٨ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ؛ ورقة ٨ . مسكويه م . ق ، جـ ١ ، ص ٥٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٧٥ .

(٧١) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٩ . العيون ، م . ق ، جـ

ولم ينس يوسف بن ابي الساج الموقف السودي الذي وقفه مؤنس تجاهه ، ففي اثناء وجوده في الحبس حيث عبر (٧٢) عن امتنانه لمؤنس الخادم واعترافه بجميله حتى انه كان يتمنى ان تسمح له الظروف ليرد جميل مؤنس له في الوقت الوقت المناسب ، كما ان القائد الاسير لم يقر بعصيانه الذي اتهم فيه ، وانما هو لم يتوان عن التفاخر بذكر ما أسداه من جميل الصنع الى الدولة . وتتيجة لما لاقاه يوسف من التعسف والتشهير أصبح عازفا عن الحياة التي كان يحياها ، وكم تمنى لو انه تمكن من ترك خدمة الدولة والانصراف الى أمور الحياة الاخرى (٧٣)

ومهما يكن فقد أخمد التمرد الذي قام به يوسف بن ابي الساج منذ عام (٣٠٣ — ٣٠٧ هـ / ٩١٥ — ٩١٩ م) . وأدت الحروب التي اشعل أوارها ابن ابي الساج الى اشتداد الازمة المالية بسبب ما صرف من أموال طائلة لأخماد ذلك العصيان (٧٤) ، والذي اتهم الوزير ابن الفرات بتواطئه

٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٩٨ (تحقيق نبيلة ، ص ٢٨٤) .

(٧٢) نظم يوسف بن أبي الساج هذه الابيات وهو فى السجن :

أقول كما قال ابن حجر اخو الحجي ... وكان امرأ راضي الامور ودوسا
فلو أنها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط أنفسا
ولست بهياب المنية لو أتت ... ولم أبق رهنا للتأسف والاسى
أجازي على الاحسان فى ما فعلته ... وقدمته ذخراً جزاء الذي أسا
واني لارجو أن أؤوب مسلما ... كما سلم الرحمن فى اليم يونسا
فأجري امام الناس حق صنيعه ... وامنح شكري ذا العناية مؤنسا

(عريب ، الصلة ، ص ٧٨)

(٧٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٦ .

(٧٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٥٦ .

مع ابن ابي الساج وحثه على العصيان ، وكانت هذه التهمة من جملة الاسباب التي أدت الى اقصاء الوزير من منصبه (٧٥) .

وبالقبض على يوسف بن ابي الساج لا نكاد نسمع عن الساجية كفرقة عسكرية ، فقد اختفت خلال وجود قائدها في السجن كما انها فقدت كثيرا من أفرادها قتلا وأسرا ، فضلا عن جماعة اخرى استأمنوا أو لاذوا بالفرار قانعين بالسلامة . وهذا مما يؤيد الرأي الذي يؤكد على ان هذه الفرقة العسكرية وأمثالها انما تستمد قوتها وتماسكها من قوة قائدها ، وان ضعفه أو قتله انما هو ايذان بضعفها وتلاشيها .

ولكن سرعان ما التأم شمل الساجية ، واسترجعت قوتها وتأثيرها في الاحداث عندما اطلق سراح قائدها يوسف بن ابي الساج في سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م (٧٦) ، حيث عقد له المقتدر على « الخراج والضياع بالري وقزوين وأبهر وزنجان وأذربيجان » (٧٧) ، وتعهد ان يرسل الى العاصمة في كل سنة خمسمائة الف دينار علاوة على النفقات التي تتطلبها ادارة

---

(٧٥) عريب ، الصلة ، ص ٧٢ ، م . ق . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ؛ ص ٥٢ .

(٧٦) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٩ . العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٨ — آ (تحقيق ، نبيلة ص ٣٠٤) . ابن الجوزي، المنتظم ، جـ ٦ ؛ ص ١٦٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٨٠ .

(٧٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٨٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ؛ قسم ٤ ص ٧٨٠ .

المناطق اصبحت تحت امرته (٧٨) . وربما وقع زيدان(٧٩) في خطأ عندما اعتبر الساجية احدى الدويلات التي نشأت في شرق الأمبراطورية العباسية ما بين (٣٠٦ — ٣١٤هـ/ ٩١٨ — ٩٢٧ م). ومع عظم المكانة التي صار ابن أبي الساج يتمتع بها ، الا انه كان غير ميال الى الاشتغال في خدمة الدولة لكنه على ما يظهر غير قادر على تركها سواء أكانت الدوافع شخصية أم غيرها (٨٠) . وفي سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٤ م اصطدم ابن ابي الساج مع عامل الري أحمد بن علي صعلوك حيث تغلب الأول على الثاني وقتله وأرسل راسه وجثته الى العاصمة بغداد (٨١) .

وبناء على اقتراح الوزير احمد بن عبيد الله الخصيبي قلد يوسف ابن ابي الساج في سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٥ م المشرق ، وكاتبه بالمسير الى واسط ومن هناك الى هجر لمحاربة ابي طاهر القرمطي (٨٢) ، وانفذ اليه اللواء وكناه « فكان يوسف يكنى على جميع الناس الا على الوزير ومؤنس

---

(٧٨) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ؛ ص ١٦٥ ، جـ ٦ ، ص ١٦٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٤٤ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ قسم ٤ ، ص ٧٨٠ .

(٧٩) التمدن الاسلامي ، جـ ١ ، ص ١٠٨ .

(٨٠) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

(٨١) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١١٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ . ابن خلدون العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ص ٧٨٠ — ٧٨١ .

(٨٢) العيون ، ورقة ١١٣ — ب . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ص ١٤٨ . ابن الاثير ، جـ ٦ ، ص ١٨٢ .

المظفر » (٨٣) ، والتمس الحسن بن هرون ، مبعوث أبن ابي الساج الى العاصمة ، أن يجعل لابن ابي الساج مائدة مبلغها في الشهر خمسة آلاف دينار ، وبالاضافة الى ذلك أرسلت اليه خلعا سلطانية وسيفا ومنطقةذهب وخيلا بمراكب ذهب وفضة وطيبا وسلاحا (٨٤).

غير أن رواية عريب تخالف قليلا رواية مسكوية فهو يقول ان الخليفة المقتدر هو الذي أمر وزيره باستقدام ابن ابي الساج من الجبل لمحاربة القرمطي وبالفعل وصل يوسف الى واسط ، ونظرا لاشتداد الضائقة الاقتصادية ؛ تأخر ابن ابي الساج بواسطة « ولم يتم خروجه لشروط شرطها وأموال طلبها ، وكانت الاموال في غاية التعذر » (٨٥) . وقد اتهم الخصيبي بمحاباة يوسف بن ابي الساج وتسامحه معه عندما سلم اليه اعمال المشرق ، واعتبر تكليفه بمحاربة القرامطة عملية غير مجدية ، على اساس ان الساجية ممن الفوا البلاد الباردة الكثيرة المياه ، وبذلك يصعب عليهم سلوك الاراضي الصحراوية القفراء (٨٦) .

ورأى علي بن عيسى ان الاموال التي يطلبها ابن ابي الساج باهضة وتكلف بيت المال كثيرا وبذلك « أشار على المقتدر بأن يلزم خمسةآلاف فارس من بنياسد طريق مكة بعيالاتهم ، ويثبت لهم مال الموسم فانه

(٨٣) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٤٨ . اليافعي ، مرآة الجنان، جـ ٢ ؛ ص ٢٦٧ .

(٨٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٨٥) الصلة ، ص ١٢٨ .

(٨٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٥٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ؛ ص ١٨٤ .

يكفيهم ، ويترك ابن ابي الساج مكانه ، ويبعث لحرب القرمطي خمسة آلاف رجل من بني شيبان بأقل من ربع المال الذي كان ينفق على ابن ابي الساج » (٨٧) ، والذي يبلغ ثلاثة آلاف الف دينار (٨٨) . ومع وجاهة وواقعية رأي الوزير، الا انه لم يؤخذ به . ويكاد يصعب تشخيص الدافع الذي حدا بالوزير الى تقديم استشارته تلك ، أهو حرصه على المال الذي عرف به ؟ ام ان الوزير انساق وراء معتمده مؤنس وبقية القواد الذين عارضوا قدوم ابن ابي الساج (٨٩) على رأس فرقته العسكرية التي ربما استطاع بها ازاحة نفوذهم وتأثيرهم على سياسة الدولة التي كثيرا ما تحكموا فيها ؟ .

وعلى كل حال قدمت الساجية تحت امرة قائدها على الرغم من ان الوزير كتب الى ابن ابي الساج بأن يقيم بالجبل ، لكن الاخير لم يعر لرسائله اذنا صاغية ، بل توجه مسرعا حتى نزل واسط . فتذمر أهلها من أصحابه الذين عاثوا في المدينة حتى كثر ضجيج الناس منهم والدعاء عليهم وقالوا : « من أراد محاربة عدوه عمل بالانصاف والعدل ولم يفتتح امره بالجور والظلم »(٩٠) وازدادت مكانة ابن ابي الساج أثناء مكوثه بواسط وبخاصة « ان لابن ابي الساج خدما في الدار (٩١) لا يخفون عنه

(٨٧) عريب ، الصلة ، ص ١٣٠ .

(٨٨) ن . م ، ص ١٣١ . (ويقول مسكويه أن ابن أبي الساج طلب خمسة الآف دينار في الشهر ص ١٤٨) .

(٨٩) عريب ، الصلة ، ص ١٢٨ .
SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 441 :

(٩٠) عريب ، الصلة ، ص ١٣٢ .

(٩١) المقصود هنا دار الخلافه .

الانفاس » (٩٢) . والذي يوضح لنا منزلة ابن ابي الساج ان وزيره محمد ابن خلف النيرماني (٩٣) صار يسلك سلوك الوزراء ببغداد في ايام المواكب وان لم يلبس السواد على رسم الوزراء ، غير ان يوسف بن ابي الساج قبض عليه وأخذ منه ما قيمته مائة الف دينار ، وصادره على خمسمائة الف دينار (٩٤) .

واذا صدقنا الرواية التي أوردها مسكويه (٩٥) ، والتي يدعي فيها محمد بن خلف النيرماني ، بان يوسف بن ابي الساج كان على مذهب القرامطة ويؤمن بأحقية الفاطميين في الخلافة ، وان الغرض من مجيئه الى واسط ليس لمحاربة القرمطي ، وإنما كان ينوي أن يقبض رجاله أموال سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٧ م ليقووا بها ، وعندئذ يسيطر على واسط والكوفة وسقي الفرات ، وبعدها يخطب للامام الفاطمي ، ومن ثم يتقدم نحو بغداد ليخضعها لسيطرته ، وبذلك يسبق ابا طاهر القرمطي في تقديم هذه النواحي للخليفة الفاطمي .

لكن هذه الرواية تبدو واهية ولا تسندها الحوادث التاريخية السابقة (٩٦) ولا اللاحقة ، فلو صح ان يوسف بن ابي الساج كان على مذهب القرامطة لما وجد هناك مسوغا مقبولاً لمحاربة ابي طاهر القرمطي

---

(٩٢) الصولي ، أخبار الراضي ، ص ٢٧ .

(٩٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٨ .

(٩٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

(٩٥) تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(٩٦) انظر عريب ، الصلة ، ص ٦٧ .

الذي دعاه الى الطاعة (٩٧) . ولو صحت ادعاءات النيراني السابقة لما أقدم ابن ابي الساج الى دعوة القرمطي الى الطاعـــة ، كما ان يوسف كان متحمسا للقاء الجيش القرمطي (٩٨) وواثقا من النصر عليه حتى أنه كاد أن يكتب بالفتح قبل اللقاء استخفافا به (٩٩) .

غير أن توقعات ابن ابي الساج كانت خاطئة اذ سرعان ما انهزم جيشه أمام ضربات القرامطة (١٠٠) « واصطلم عسكره واتى على اكثر من ثلاثين الف فارس وراجل مع تفرق كثير من اصحابه عنه في الطريق وتأخرهم عنه وصاحب البحرين في نحـــو من الفين من المقاتلة اكثرهم رجـالة » (١) ، واخيرا وقع هو في اسرهم مضرجا بجروحه بعد أن خاض غمار الحـــرب بنفسه وأبلى بلاءً حسناً فيها (٢) ، ولم تثنه عن الحرب توسلات « غلمانه

(٩٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ؛ ص ٢٠٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٢.

(٩٨) الصولي ، أخبار الراضي ، ص ٢٧ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٨ . ابن الاثير ، الكامل ؛ جـ ٦ ، ص ١٨٦ .

(٩٩) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٤ . ابن الجوزي ، المنتظم، جـ ٦ ؛ ص ٢٠٨ . ابن الاثير ، الكامل ٦ / ١٨٦ .

(١٠٠) عريب ، الصلة ، ص ١٣٢ .

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٢ .

(٢) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ص ٥٢ — ٥٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ؛ جـ ٦ ، ص ٢٠٩ .

Encyclopaedia of Islm , New Editioon , III , P 719 :

الذين أجتهدوا به أن ينصرف » [٣] ، لكنه رفض ذلك باباء ، وبلا ريب فإن موقفه من أحمد بن علي أخي صعلوك مما ينفي عنه تهمة ميله الى القرامطة [٤] او التشيع .

وعلى الرغم من ان ابا طاهر عامل خصمه معاملة تليق به بأعتباره خصما شجاعا قديرا ، حيث هيأ له خيمة خاصة ، واحضر طبيبا لمعالجته إلا أنه لم يتوان عن قتله عندما أوجس منه خيفة [٥] .

ويتبين لنا من هذا الاستعراض السريع عن الساجية كفرقة عسكرية وعن قائدها يوسف بن ابي الساج ، انها لعبت دورا بارزا في أحداث العصر الذي نحن بصدد البحث عنه ، ليس في خلال حياة قائدها الآنف الذكر حسب ، بل وحتى بعد قتله ، ذلك انها انتقلت الى امرة مؤنس الذي أصبح اكثر اعتماده عليها ، وأصبحت هي عدته وعضده [٦] . ففي الوقت الذي سار مؤنس الى الموصل عام ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م كان معه من الساجية حوالي ٨٠٠ رجل ، ولما كان مؤنس لم يف بوعوده لهم بعد انتصاره على اعدائه تغيروا عليه وانصرفوا عنه [٧] .

وللساجية مواقف تذكر ، فقد ساروا الى نصرة الخليفة عندما أراد

---

(٣) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٤ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ . ابن خلدون ، العبر ؛ المجلد ٣ قسم ٤ ، ص ٧٨١ .

(٥) عريب ، الصلة ، ص ١٣٣ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٧) ن . م ، ص ٢١٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، / قسم ٤ ؛ ص ٨١٧ .

الحد من سلطة مؤنس قائد الجيش وغيره من القواد بعـــد ان استأثروا بالسلطة ، حيث شحن الخليفة قصره بمؤيديه من الساجية فقوى أمره (٨)، لكنهم تمادوا في غيهم اكثر ، واستغلوا حراجة موقف الخليفة ، فطلبوا من المقتدر ان يكون باستطاعتهم الوصول اليه كلما جلس للســلام دون ان يردهم عنه أحد ، وان يكونوا في حل من تابعيتهم ليلبق ، وقد أجابهم المقتدر الى مطاليبهم تلك (٩) .

وقد استمر دور الساجية الفعال في عصر الخليفة القاهر بالله (٣٢٠ ـ ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ ـ ٩٣٤ م) حيث بدأ الخليفة يتآمر معهم ضد مؤنس الى ان تمكن ان يتخلص منه بمعاونتهم (١٠) . وامتد نفوذهم حتى شمل خلافة الراضي ، الى أن قام ابن رائق بقتل جميع قواد الساجية (١١) . وعندئذ تلاشى دورهم وغاب عن مسرح الاحداث ، ولا يفوتنا ان نذكر ان افراد الفرقة الساجية كانوا يتقاضون رواتبهم كل ستين يوما (١٢) .

ب ـ الغلمان الحجرية :

هم ضرب من الحرس الخاص وجدوا في دار الخلافة وسموا بالغلمان

(٨) الاصفهاني ، سني ملوك ، ص ١٥٩ .

(٩) عريب ، الصلة ، ص ١٦٦ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

(١٠) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٨ .

(١١) ن . م ، ص ٢٥٤ .

(١٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٦١ .

الحجرية ، وظهر هؤلاء خلال عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ — ٩٠١ م) (١٣) ، عندما استخدم جماعة من الغلمان الاتراك لغرض القيام بخدمته في دار الخلافة، وكان قد وضعهم في حجرات خاصة، ومن هنا جاءت تسميتهم بالحجرية ، ذلك لأن الخليفة المعتضد « رتب أمرهم على المقام في القصر والحجر تحت مراعاة الخدم والاستاذين (١٤)، وسماهم الحجرية ومنعهم من الخروج والركوب الا مع خلفاء الاستاذين» (١٥). وقام هؤلاء بأعمال كثيرة في الدولة الاسلامية ، واشتركوا في الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية ، حتى وصل كثير منهم الى مراكز عالية ، وبخاصة في قيادة الجيوش وان ما ورد في هامش (الكامل) من ان الحجرية : « نسبة الى حجر (بالفتح) وهي قبيلة عربية مشهورة » (١٦) وهو خطأ واضح . وكانت العامة تكره غلمان المعتضد السود ، وتسخر منهم وتضايقهم اثناء مرورهم في المحلات العامة ، غير أن الخليفة كان يلتزم جانب غلمانه ويعاقب المتجاوزين عليهم (١٧) .

(١٣) الصابي ، الوزراء ، ص ١٧ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٠ .

(١٤) الاستاذين : لفظة معربة عن كلمة استاذ الفارسية وتعني السيد أو المشهور بعمله ، وجرت العادة ان تطلق على كل من اتقن مهنته . واطلق لقب استاذ في العصر العباسي الثاني على الخصيان من الغلمان حين كان يعظم امرهم وينالون حظوة خاصة عند الخلفاء أوالولاة ، وسند اليهم تربية ابنائهم الصغار وتأديبهم . (حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٥٩—٦٢).

(١٥) الصابي ، الوزراء ، ص ١٧ .

(١٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٥ .

(١٧) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ١٩٣ .

وكان للخليفة المقتدر مماليك يقيمون في القصر والحجر تحت مراعاة الخدم والاستاذين ، وسماهم الحجرية أيضا . وهم يختـارون من بين الفرسان الذين يحسنون الركوب والرمي ويسمون ايضا عسكر الخاصة[١٨]. وقسم منهم يأتي ضمن الهدايا التي كانت تقدم للخليفة المقتدر بالله من قبل ولاة الاقاليم [١٩] وكان هؤلاء تحت امرة شفيع المقتدري [٢٠] ، الذي كان فيما يبدو بمثابة قائد حرس الخليفة ، فقد أخذ جماعة منهم وسيطر على تركة الفضل بن يحيى بن فرخان شاه الديراني النصراني ، حيث وجـد له نقدا يقدر بـ ١٥٠ الف دينار عدا ما تركه من مخلفـات [٢١] . وكان الغلمان الحجرية يسيرون في المواكب بالمناسبات الرسمية على اعتبارهم جزء من حرس الخليفة الخاص [٢٢] .

ويذكر القلقشندى ان الصبيان الحجرية هم جماعـة من الشباب : « مقيمون في حجر منفردة لكل حجرة منها اسم يخصها ، وعدتهم كاملة ، وعللهم مزاحة ، ومتى طلبوا لمهم لم يجدوا عائقا . وللصبيان منهم حجرة منفردة يتسلمها بعض الاستاذين ، وكانت حجرتهم بمعزل عن القصر»[٢٣]، وبهذا تكون حالتهم قد تحسنت عما كانت عليه في عهد المعتضـد ، ولم نسمع أن حصلت عليهم تجاوزات.

---

(١٨) الصابي ، الوزراء ، ص ١٥ . متز ، م . ق ، جـ ١ ؛ ص ٢٧١.
(١٩) عريب ، الصلة ، ص ٣٥ .
(٢٠) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٦٥ .
(٢١) عريب ، الصلة ، ص ٥٩ .
(٢٢) عريب ، الصلة ، ص ٤٣ .
(٢٣) صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٧٧ .

وعلى الرغم من عدم وجود أرقام حقيقية تبين لنا عدد الغلمان الحجرية غير ان الصابي ذكر : « أنه كانت هناك ألوف من الغلمان الحجرية في دار الخلافة » (٢٤) وبحكم تواجدهم بهذا العدد الهائل ، لابد ان نلمس لهم دورا فعالا وتأثيرا واضحا على سياسة الدولة العامة كما سنرى .

ولابد من الاشارة الى أن اقتناء الغلمان الذين كانوا يوضعون في حجرات خاصة ، لم يقتصر على الخلفاء حسب ، بل كان للأمراء والوزراء (٢٥) أيضا عدد من الغلمان الحجرية « ليركبوا بركوبهم ويكونوا معهم في كل موضع يكونون فيه » (٢٦) .

لم تكن ارزاق الغلمان الحجرية ثابتة خلال عصر المقتدر ، بل كثيرا ما تعرضت للزيادة او النقصان ، بحسب موقف الخليفة منهم ورضاه عنهم، وبما أن أرزاقهم كانت تجري ضمن أرزاق الخدم فانه يصعب تحديد مقدار ما كان يتقاضاه كل فرد منهم (٢٧) ، ومع ذلك ترد اشارة في الصابي الى أن الغلمان الحجرية كان شهرهم ستين يوما (٢٨) ، وقد بلغت أرزاقهم

(٢٤) رسوم دار الخلافة ، ص ٨ .

(٢٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٤١ . عريب ، الصلة ، ص ١١٥ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ٧٣ — ٧٤ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٩ .

(٢٦) عريب ، الصلة ، ص ٦٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ؛ ص ١٦٠ .

(٢٧) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٥ .

(٢٨) الغلمان الذين أعتقهم الناصر وأضافهم فى الجريد (جمع جريدة وهي الصحيفة التي يكتب عليها) الى الاحرار الذين ايام شهرهم خمسون يوماً وكان ايام شهرهم فى القديم اربعين يوما فأساؤوا الادب فى بعض الاوقات

مع الحجاب وخلفاء الحجاب حوالي ستين الف دينـــار في الشهر [٢٩] .
لكن مسكويه يذكر بأن الغلمان الحجرية كانوا يتقاضون راتبهم كل خمسين يوما [٣٠] . ولعل الرواية الاخيرة أقرب الى الصواب وذلك لأن هناك فرقا أخرى تتقاضى رواتبها كل ستين يوما كما مرّ بنا سابقا ، وهي تتميز بهذه الميزة عن الغلمان الحجرية .

أخذ الغلمان الحجرية نصيبهم من العطاء الذي أوعز الخليفة بتقديمه الى الجند بعد فشل فتنته عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م [٣١] . وفي سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥ م حصلوا على زيادة يسيرة على أثر شغبهم لطلب الزيادة ، وكان عددهم وقتئذ سبعمائة رجـــل [٣٢] ، ويوضـــح مسكويه ذلك فيقول : « وشغب الرجالة الحجرية بعد حصول الحسين بن حمدان واحرقوا اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة في ارزاقهم فزيد لكل غلام ثلاثة دنانير في كل شهر من شهورهم » [٣٣] ، فاذا أخذنا من النص الأول عدد الغلمان ، ومن النص الثاني مقدار الزيادة الشهرية التي حصلوا عليها ، فتكون حينئـــذ مجموع الزيادة (٢١٠٠ دينار) وبذلك فهـــم يكلفون خزينة الدولـــة زيادة مقدارها (١٤٧٠٠ دينار) ســـنويا تقريبـــا ، بالاضافة الى ما كانوا

فحلف أن يجعل أيام شهرهم خمسين يوما . فلما جاء المعتضد نقلهم الى جملة الاحرار وجعل أيام شهرهم ستين يوماً) . (الصابي ، الوزراء ص١٦).

(٢٩) الوزراء ، ص ١٦ .

(٣٠) تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٢٦١ .

(٣١) عريب ، الصلة ، ص ٢٩ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٨ .

(٣٢) عريب ، الصلة ، ص ٥٨ .

(٣٣) تجـــارب الامم ، جـ ١ ، ص ٣٨ . متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٤ .

يحصلون عليه سابقا قبل الزيادة الاخيرة .

وعلى أثر احباط حركة عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م حصل هؤلاء على زيادة أخرى في ارزاقهم مع بقية الجند الذين شملهم كرم الخليفة ابتهاجا بعودته الى منصب الخلافة (٣٤) ، حيث قال لهم الخليفة : « لكـم عليّ أرزاق أربعة اشهر » (٣٥) ولا شك ان الزيادة الجديدة التي حصل عليها الغلمان زادت في اشتداد الأزمة المالية التي كانت تئن تحتها الدولة .

وفي الوقت الذي رأينا ان الغلمان الحجرية كانوا قد حصلوا عـلى عطاء وزيادات في رواتبهم خلال عصر المقتدر ، في مناسبات عدة متباعدة نراهم في مناسبات أخرى ان تعرضت أرزاقهم الى النقصان ، ففي سـنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م شملتهم تخفيضات الوزير آنذاك (٣٦) . وفي سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧ م أصابت أرزاق الحجرية التخفيضات التي أجراها الوزير علي بن عيسى ابان اشتداد الضائقة الاقتصادية التي تعرضت لها ميزانية الدولة من جراء الافراط بالنفقات العامة (٣٧) .

ازداد نفوذ الغلمان الحجرية وقوى أمرهم منذ ان اشتركوا في احباط فتنة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م (٣٨) ، وعندئذ لم يكن في ميسور المقتـدر التخلي عنهم بالكلية ، وبذلك ظهر دورهم في التأثير على أحـداث العصر

(٣٤) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٦٢ .

(٣٥) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ .

(٣٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

(٣٧) عريب ، الصلة ، ص ١٣٠ . مسكويه ، م . ق جـ ١ ، ص ١٥٢ — ١٥٧ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٨٥ .

(٣٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٦ . عريب ، الصلة ، ص ٢٧ .

بحيث تجاوزوا واجباتهم الاساسية ، وهي خدمة الخليفة في قصره ، واصبحوا قوة عسكرية يحسب لها الحساب في تغيير مجرى الاحداث . فعندما أراد سوسن الحاجب ان يغير الوزير بدأ يتآمر مع القوة الضاربة، وهم الغلمان الحجرية لتنفيذ مخططه هذا ، وكاد ينجح في مسعاه لولا ان أمره اكتشف[٣٩] ، وذهب ضحية تآمره [٤٠] ، في الوقت الذي لم يتجاسر أحد على التعرض بالغلمان الحجرية . كما تآمر المحسن بن علي بن الفرات معهم للفتك بنصر الحاجب وذلك في سنة ٣١١ هـ/ ٩٢٣ م على ان يدفع لكل واحد منهم الف دينار [٤١] ، الا ان الحاجب شعر بذلك وأخذ الحيطة .

لقد استخدم الغلمان الحجرية كفرقة عسكرية ، وانيطت بهم واجبات عديدة ، واشتركوا في اخماد كثير من الفتن والحروب ، ففي سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥ م أرسل الخليفة المقتدر أبا مسلم زائقا الكبير [٤٢] ، وكان أسن الغلمان ، ومعه وجوه القواد والغلمان الذين بلغ عددهم نحو من خمسة عشر الفا لاخماد تمرد الحسين بن حمدان في نواحي الموصل [٤٣] ،وكان المقتدر قد عهد بأدارة شرطته في سنة ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م الى ابراهيم ومحمد ولدي رائق [٤٤] . وبذلك يكون الغلمان الحجرية قد تمكنوا من ان يشغلوا

(٣٩) الصابي ، الوزراء ، ص ص ٣١ — ٣٢ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٤٠) عريب ، الصلة ، ص ٣٩ .

(٤١) ن . م ، ص ١١٣ .

(٤٢) رائق الكبير : هو أحد موالي المعتضد . (عريب ، الصلة ، ص ١٤٥) .

(٤٣) عريب ، ص ٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٥١ .

(٤٤) ن . م ، ص ١٤٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٠

مناصب حساسة في الدولة بالاضافة الى أعمالهم الاصلية الاخرى، ومع ان هذه الوظيفة أخذت من ولدي رائق ، الا انهما عوضا عنها بمنصب اداري حساس لا يقل اهمية عن سابقه ، اذ عهدت اليهما الحجابة بعد ان صرف عنها ياقوت عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م (٤٥) .

وفي سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م أمروا بمحاربة العامة واسكتوا شغبهم عندما عمدوا الى احراق الجسور وفتح السجون وكانوا تحت قيادة هارون ابن غريب الخال(٤٦) ، ولم تقتصر الاستفادة منهم على ما يجري في العاصمة بغداد حسب ، بل نراهم يستخدمون في مهمات خارج حاضرة البلاد ، فلما اشتد الخلاف بين والي واسط محمد علي البزوفري وبين ضامن المنطقة حامد بن العباس عام ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م ارسل الوزير مائة غلام من الحجرية لشد أزر الوالي كيما يتمكن من تحصيل أموال بيت المال المستحقة على الضامن (٤٧) . وعلى اثر تعرض القرامطة لقوافل الحجاج العائدة سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م أرسل ياقوت على رأس جماعة من الغلمان الحجرية للدفاع عن الكوفة ضد هجوم قرمطي متوقع (٤٨) .

وكان الغلمان الحجرية من جملة افراد الجيش الذين طالبوا بالتضييق

---

(٤٥) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢١١ ، عريب ، الصلة ، ص ١٦٠ .

(٤٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٤٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٤١ .

(٤٨) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ص ١٠٧ — ١٠٨ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

على ابن الفرات بعدعزله من وزارته الثالثة (٤٩) ،وذلك بتحريض من رجال السياسة المناوئين للوزير المسجون (٥٠) . ولم يتخلفوا عن الاشتراك فى الشغب الذي اسهمت فيه بقية الجند ضد الوزير الخاقاني عام ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م عندما تأخرت ارزاقهم (٥١) ، وعلى ابن مقلة في سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (٥٢) .

وفي سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م خرجوا مع نصر الحاجب لقتال القرامطة على أثر تهديدهم للعاصمة بغداد (٥٣) ، وقد بقي منهم في دار الخلافة للمحافظة عليها حوالي ألف غلام (٥٤) . ولما بادر الوزير علي بن عيسى الى تحويل المراكب من دجلة الى الفرات لمنع القرامطة من عبور نهر الفرات ، كان فيها جماعة من الغلمان الحجرية (٥٥) . ويظهر ان الحجرية قد تجاوزوا واجباتهم الاساسية وتدخلوا في امور الدولة فتضايق منهم قادة الجيش

---

(٤٩) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٩ . عريب ، الصلة ، ص ١٢١ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

BOWEN , op : cit , P : 242 :

(٥٠) عريب ، الصلة ، ص ١٢١ .

(٥١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٥٢) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦٣ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٥٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٧٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ؛ ص ١٨٧ . ابن خلدون ٤ / ٧٩٣ .

(٥٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٠٨ .

(٥٥) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

وعلى رأسهم مؤنس الـــذي طلب من الخليفة اخراجهم من القصر [٥٦] • ورأى هؤلاء ان مصلحتهم متفقة مع مصلحة الخليفـــة ، وبذلك لم يتوانوا عن حمل السلاح بجانبه ابان نزاعه مع مؤنس المظفر في سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م [٥٧] ، حيث قتلوا ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان [٥٨] ، كمـــا التزمت نفس الموقف عام ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م ، اذ خرجت مع المقتــــدر لملاقاة جيش مؤنس [٥٩] ، ولكننا لم نلمس لها دورا فعالا في ســاحة المعركة ولعلها لاذت بالفرار على أثر مصرع الخليفة على أرض المعركـــة في الجولة الاولى [٦٠] •

ولعل موقفهم السابق والمؤيد للخليفة المقتول ، جعل تأثيرهم محدودا في عهد الخليفة الجديد القاهر بالله (٣٢٠ — ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ — ٩٣٤ م وربما كان هـــذا العامل وغيره من العـــوامل الاخرى ، هي التي دفعتهم الى المشاركة في عزل القاهر [٦١] • بيد ان نجم الغلمان الحجرية أخذ بالافول

(٥٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٨٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٠ •

(٥٧) الهمـــداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٥٨ . ابن الاثير ، الكامـــل ص ٢٠٠ •

(٥٨) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٢ .

(٥٩) عريب ، الصلة ، ص ١٦٦ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ . الاصفهاني ، تاريخ سني ص ١٥٩ .

(٦٠) عريب ، الصلة ، ص ١٧٨ .

(٦١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٩٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ؛ ص ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

على أثر ظهـور محمد بن رائق واستئثاره في الامر ، حيث أقدم عـلى اسقاط الحجرية من الخدمة بعد ان اخذ اموالهم وأحرق دورهم فأضطروا الى الالتجاء الى البريدي عامل البصرة (٦٢) .

جـ ــ الرجالة المصافية :

وهم الجند الذين يقاتلون وهم راجلون ، وقد كان هؤلاء الرجال في صفوف حرس الخلافة ، وامتازوا بقابليتهم على القتال في الظروف الصعبة ، وبذلك وقع عليهم عبء محاربة الأعداء ، ولم يكن وجودهم مقتصرا على العاصمة ، فقط ، بل كان قسم منهم يقيم في الأقاليم الاخرى (٦٣). وعلى الرغم من ان غالبيتهم كانت من البيض ، الا أن هذا لم يمنع ان يكون قسم منهم من السودان (٦٤)، ولكن الذين كانوا ملازمين لدار الخلافة هم الذين غلبت شهرتهم ، وكانوا قد اسهموا بدور كبير في توجيه أحداث العصر مع من أسهم من اصناف (فرق) الجيش الاخرى . حيث بلغ تعدادهم في بداية عصر المقتدر خمسة آلاف رجل (٦٥) ، لكن هذا العـدد ما لبث أن ارتفع في سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨ م حتى بلغ عشرين الف رجل (٦٦) و« بلغت

(٦٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ٣٥٧ ــ ٣٥٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٥٨ .

(٦٣) عريب ، الصلة ، ص ١٤٩ .

(٦٤) عريب ، الصلة ، ص ١٤٩ .

(٦٥) الصابي ، رسوم دار الخدفة ، ص ٨ .

(٦٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٢٢ .

نوبتهم عشرين ومائة الف دينار في كل هلال » (٦٧) ، ويمكننا أن نستنتج من ذلك ان ما يتقاضاه الجنـدي من الرجالة المصافية هو ستة دنانير في الشهر ، وان أيام شهرهم ثلاثون يوماً .

وفي سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م حصل الرجالة المصافيـة على « ست نوائب » (٦٨) لانهم حملوا السلاح بجانب المقتدر ضد مناوئيه . وحصلوا على زيادة خمسة عشر قيراطا (٦٩) عندما تغلبوا على الحسين بن حمـدان في سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م (٧٠) غير ان مسكويه يذكر ان كـل فرد من

---

(٦٧) عريب ، الصـلة ، ص ١٣٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ؛ ج ٦ ؛ ص ٢٢٢ .

(٦٨) عريب ، الصلة ص ٢٩ (وهي تعني حصولهـم على الارزاق) (انظر ابن منظور لسان العرب ، ج١ ، ص ٧٧٤ — ٧٧٦) .

(٦٩) القيراط : من الوجهة الشرعية والعملية في العراق يساوي القيراط الواحد $\frac{1}{20}$ من المثقال ، وهو يتألف شرعا من خمس حبات ، ولكنه يتألف غالبا من ثلاث . فهو يزن بذلك $\frac{1}{14}$ من الدرهم الكيل . (هنتس، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص ٤٤) .

(وقيراط العملة الفضية (الدرهم) ٢٤٧٥و. من الغرام) ، السامر ملاحظات في الاوزان والمكاييل الأسلامية ، مستل من مجـلة كلية الآداب ، العدد الرابع عشر ، ص ٧١.) .

(٧٠) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ١٦ .

الرجالة المصافية حصل على زيادة دينار ونصف في كل شهر (٧١)، بعد ان قبض الحسين بن حمدان ، وبذا يبلغ مقدار الزيادة عشرة آلاف دينار في الشهر ، وحينئذ تصبح الزيادة السنوية مائة وعشرين الف دينار . وعلى أثر تغلب جيش الخليفة على يوسف بن ابي الساج في سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩م « زيد الرجالة المصافية نصف دينار لكل واحد في الشهر »(٧٢).

وتذمر هؤلاء الجند وتجاوبوا مع العامة في شغبهم لارتفاع الاسعار في سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م (٧٣) ، الامر الذي اضطر المقتدر ان يرضخ للأمر الواقع ويأمر بأزالة الاحتكار من قبل بعض المسؤولين ، ويحدد اسعار جديدة تتلاءم مع مطاليب هؤلاء ومستوى قابليتهم الشرائية (٧٤) . وقد تمكن نازوك صاحب الشرطة الحد من تطاولاتهم وذلك عندما تولى الشرطة في سنة ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م حيث أوقفهم عند حدهم ، وعندئذ صاروا ينالون حوائجهم منه بخضوع بعد ان كانوا قد قصدوا داره ليحرقوها على أثر ضربه غلامين منهم لاساءتهم للآداب العامة (٧٥) . وكان قد بلغ بهم التمادي أن تعرض أحد أولادهم لعروس زفت الى زوجها حيث فجر بتلك العروس قبل ان تصل إلى زوجها (٧٦) .

وقد اشترك الرجالة المصافية في الحملة التي قادها نصر الحاجب في

---

(٧١) تجارب الامم ، ج١ ص ٣٨ .
(٧٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٥٠ .
(٧٣) ن.م ، ص ٧٣ .
(٧٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧٥ .
(٧٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ .
(٧٦) عريب ، الصلة ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ضد القرامطة عندما هاجموا الانبار [٧٧] ، ولاحقت الرجالة المصافية القرامطة حتى عبروا الى غرب الفرات، وبذلك زال خطرهم عن العاصمة [٧٨] . وعند انسحاب القرامطة عن الانبار شغب هؤلاء الجند مطالبين بزيادة أرزاقهم فزيد كل واحد منهم دينارا [٧٩] ، وان هذه الزيادة كلفت خزينة الدولة مائة وأربعين الف دينـــار في السنة [٨٠] ، وبذلك تضاعفت نفقات الدولة ، الامر الذي دفع الوزير الى تقديم استقالته [٨١].

وازاء الازمة التي نشبت بين المقتدر وقائد الجيش (مؤنس) في سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م [٨٢] ، التزم الرجالة المصافية جانب الخليفـة ضد قائده [٨٣] ، ولم يكتف هؤلاء بموقفهم المدافع عن المقتدر ، بل قصدوا دار القائد (مؤنس) ، الامر الذي أدى الى حصول مناوشات بينهم وبين

---

(٧٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ؛ ص ١٨٧ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم٤ ، ص ٧٩٣ .

(٧٨) مسكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ١٨٣ . ابن الاثير ؛ الكامل ؛ ج٦ ص ١٩٢ .

(٧٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ؛ ص ١٨٢ . ابن الاثير الكامل ؛ ج ٦ ، ص ١٩٠ .

(٨٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٠ . (مائتـــين واربعين الف دينار فى السنة . مسكويه ١٨٤/١) .

(٨١) SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 447 :

(٨٢) عريب ، الصلة ، ص ١٣٩ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ؛ ص١٨٩. ابن الاثير ؛ الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٠ .

(٨٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٠ .

حرس دار القائد (٨٤) . ولكن لا ندري اين ذهب هؤلاء عندما دخل قائد الجيش مع بقية جنده ، وأخرجوا الخليفة المقتدر من دار الخلافة واقتاده الى دار مؤنس ؟(٨٥) وهل أنهم اكتفوا بموقف المتفرج حيال استبدال خليفة كانوا بالامس من أول المدافعين عنه بخليفة جديد (آخر) لا يدرون ما ستكون علاقتهم به ؟

وبعد ان تمت عملية استبدال الخليفة ، أمر نازوك ، الرجالة المصافية بقلع خيامهم من دار الخلافة ليحل محلهم رجاله المقربين (٨٦) ، عندئذ شعر الرجالة المصافية بأنهم فقدوا مركزهم الحساس في دار الخلافة فأضطربوا بعد يومين من ذلك التغيير ، وحضروا بالسلاح (٨٧) واخذوا يطالبون بمال البيعة ورزق سنة (٨٨) . ويضيف عريب ، أنه ما ان امتنع المقتدر عن التنازل من الخلافة حتى طالب « الرجالة المصافية بست نوب

(٨٤) العيون ، ورقة ١٢٢ — ب . عريب ، الصلة ، ص ١٣٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢١ .

(٨٥) العيون ، ورقة ١٢٣ — ب ، مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٣ . ابن الجوزي المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٢٢ . ابن الاثير، الكامل ، ج٦ ، ص٢٠٠ . السيوطي الخلفاء ، ص ٣٨٣ .

(٨٦) العيون ، ورقة ١٢٣ — أ . مسكويه ، م.ق ؛ ج١ ، ص ١٩٤ — ١٩٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٢٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٧ .

(٨٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص ٢٠١ .

(٨٨) الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ١٦٦ . مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

وزيادة دينار وكان يجب لهم في كل نوبة مائة وعشرون الف دينار عين اذ كانوا في عشرين الف راجل » (٨٩) ، وربما كان مطلبهم هذا فيه شيء من التعجيز، ذلك أنهم استغلوا حراجة الظروف التي كان يعانيها الانقلابيون. أو قد يكون موقفهم هذا متأتياً من أخلاصهم للخليفة المعزول والذي كان بالامس ولي نعمتهم . هذا بالاضافة الى العداء الذي كان قائما بين الرجالة المصافية ونازوك (٩٠)

ولما كانت مطاليبهم هذه لم تنفـذ من قبل (بطل الانقلاب) نازوك الذي لم يجمع له المال الكافي ، فحاول ان يقنعهم بأن ضمن لهم ثلث نوب دون جدوى (٩١) . فقد احتدم الصراع العنيف الدامي بينهم وبين اصحاب نازوك ، وارتفعت صرخاتهم ، وعلى الرغم من أن نازوك أمر غلمانه بعدم التعرض لهم ، الا ان شغبهم ازداد ، ولما حاول صاحب الشرطة (نازوك) تهدئتهم تقدموا نحوه وقتلوه (٩٢) . ولعلهم وجدوا الفرصة السانحـــة للانتقام من صاحب الشرطة الذي سبق ان قس عليهم ، وبعدئذ صاحوا : « مقتدر يا منصور فتهارب كل من في الدار » (٩٣) ومن ثم قصدوا دار

(٨٩) الصلة ، ص ١٤٢ .

(٩٠) عريب ، الصلة ، ص ١٤٣ . ابن الجوزي، المنتظم ج١ ، ص١٧٣ .

(٩١) عريب ، الصلة ، ص ١٤٣ .

(٩٢) ابن بطريق ، م.ق ، ج ٢ ، ٨٤ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٦ . عريب ، الصـــلة ، ص ١٤٤ .

(٩٣) مسكوية ، م.ق ، ص ١٩٦ . ابن الجوزي ، المنتظـم ، ج٦ ، ص ٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠١ — ٢٠٢ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

مؤنس حيث اخرجوا منها المقتدر وحملوه حملا بالرغم عنه (٩٤) ، وبذلك عاد المقتدر الى منصب الخلافة بفضل ما قام به الرجـــالة المصافية ، ولم يبخس الخليفة حق هؤلاء ، وانما اعترف بفضلهم بأن اعطى : « للرجالة ست نوائب وزيادة دينار لكل راجل » (٩٥) .

وهكذا يكون الرجالة المصافية قد جنوا ثمرة أتعابهم تلك . ولما كان المقتدر لا يملك من النقود ما يغطي هذه الزيادة التي وعد بها جنده فانه اضطر الى ان يبيع ثيابه وفرشه وبعض ضياعه ، وصرف أوانيه من الذهب والفضة حتى انه تمكن من أن يفي بما وعدهم به (٩٦) .

ومنذ ذلك اليوم اخذ قواد الرجالة المصافية يتدخلون في سياسة الدولة بشكل سافر ، حتى وصل بهم الامر الى اهانة الوزير ، ففي سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م ضرب المصافية دار الوزير وانتهبوا ما فيها من الاموال (٩٧) ، وهجموا على مجلسه واخذوا ادواته من بين يديه ، فانسل من بينهم وهرب بلا حذاء أو رداء ، وقد رجموا طياره (٩٨) .

لا شك ان الرجالة المصافية لعبوا دورا بارزا في اعادة المقتـــدر الى

---

(٩٤) عريب ، الصلة ، ١٤٤ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٨ . ابن الاثير ، الكامــل ، ج ٦ ، ٢٠٢ . ابن الوردي ، ص ٣٦٢ ، السيوطي الخلفاء ، ص ٣٨٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم٤ ، ص٧٩٩.

(٩٥) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٩. ابن خلدون ، العبر المجلد ٣/ قسم ٤ ، ص ٧٩٩ .

(٩٦) عريب الصلة ، ص ١٤٤ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠٠ .

(٩٧) الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥١ .

(٩٨) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٨١ .

الخلافة ، على الرغم من كثرة المناوئين له من الجند ، وتهيأ لهم انهم ملكوا امر الخلافة ، وصار لزاما عليهم المحافظة عليها من اعدائها المتربصين وبذلك ضربوا خيامهم حول دار الخلافة ، معتقدين انهم أولى بحفظ الخليفة من غيرهم . ونظرا لتعزز مركزهم ، انضم اليهم من ليس منهم ، وزاد عددهم على العشرين الفا [٩٩] « وبلغ مالهم في كل شهر من شهور الاهلة مائة وثلاثين الف دينار » [١٠٠] . وقد وصل بهم الامر ان تدخلوا في القضاء ، وطالبوا بفتح أبواب السجون واطلاق سراح المسجونين بغض النظر عن جناياتهم [١] ، وبعملهم هذا يكونون قد احتضنوا الجناة وعطلوا الاحكام ، ولم يطل الامر بهذا الحرس حتى اصبح مبعثا للاضطراب والفزع .

وقد امتدت تجاوزاتهم حتى شملت الخليفة والوزير الذي اصبح ليس بمقدوره الامتناع عن مقابلة أي واحد منهم في أي وقت كان من ليل او نهار . وما زالوا على هذه الحال حيث ثقلت وطأتهم على الجميع [٢]، وأغاضوا بقية فرق الجيش الاخرى . وقد تجلى ذلك بتآمر الفرسان مع الغلمان الحجرية على المصافيــة وبتحريض من محمد بن ياقوت صاحب الشرطة والوزير الذي كان قد علم بما في نفس الخليفة عليهم من الغيظ

---

(٩٩) عريب ، الصلة ، ص ١٤٨ .

(١٠٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠٢ . عريب ، الصلة ، ص١٤٨ . ابن الاثير ، الكامل، ج٦ ، صـ ٢٠٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ص ١٦٤ .

(١) عريب ، الصلة ، ص ١٤٨ .

(٢) ن . م ، ص ١٤٨ .

لسوء أعمالهم وتجاوزاتهم [٣] .

وهكذا نشب بينهم وبين بقية الجند قتال عنيف في المحرم ٣١٨ هـ/ ٩٣٠ م وانحازت عامة السكان المناوئين للرجالة المصافية ضدهم[٤]،حتى انه نودي فيهم الا يبقى ببغداد منهم أحد [٥] ، كما منعوا من اللجوء الى الكوفة او البصرة او الاهواز [٦] ، وقبضت أملاكهم وهدمت دورهم [٧]. وكان من أشد الناقمين عليهم سعيد بن حمدان [٨] ، ولعله اراد ان يأخذ بثأر أخيه ابي الهيجاء عبد الله بن حمدان الذي لاقى حتفه على أثر الردة التي قاموا بها . فهربوا الى واسط [٩] ، حيث سيطروا عليها وطردوا موظفي الخليفة .

وبذلك تشتت شمل الرجالة المصافية ، ولم يبق منهم الا السودان الذين لم ينجوا بدورهم من الاذى [١٠] والظاهر ان روح التمرد والعصيان

(٣) عريب ، الصلة ، ص ١٤٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص٢٠٨. الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٧ .

(٤) عريب ، الصلة ، ص ١٤٩ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٧ .

(٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠٣ . الأصفهاني ، تاريخ سني ملوك ص ١٥٧ .

(٦) عريب ، الصلة ، ص ١٤٩ .

(٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠٣ .

(٨) ن . م ، ص ٢٠٣ .

(٩) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص ٩٤ . ابن الوردي ، م.ق ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

(١٠) عريب ، الصلة ، ص ١٤٩ .

تأصلت في نفوس هؤلاء ، اذ ما لبثوا ان شغبوا مرة أخرى، وذلك في جمادى الآخرة من سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م وحملوا السلاح ، ولم تجد بهم توسلات محمد بن ياقوت صاحب الشرطة ، فتمادوا في غيهم ، وعندئذ تقدم اليهم سعيد بن حمدان وجماعته ، وضيق عليهم الخناق حتى أشعل النيران في منازلهم فهربوا الى النهروان بعد ان قتل منهم خلق كثير ، وبعدها التجأوا الى واسط حيث التحق بهم جماعة من الرجالة البيضان فتعزز مركزهم هناك (١١) ، فحفروا الآبار حول عسكرهم ، وأقاموا النخيل المقطوع في الطرق ليمنعوا الخيل من التقدم اليهم . وحينئذ انتدب مؤنس المظفر لقتالهم ، فوضع السيف فيهم فشتت شملهم وفرقهم في النواحي (١٢) . وهنا لابد ان نلمس دور مؤنس في ابعاد المصافية عن بغداد ، ثم ومطاردتهم الى واسط انتقاما منهم وخوفا على مركزه وحياته من تجاوزاتهم غير المحدودة .

ولم يكتف المسؤولون في دار الخلافة بالقضاء على الرجالة المصافية في العاصمة بل أن الوزير ارسل كتابا الى عماله في الامصار يخبرهم فيه بما تم من ردع الرجالة وكسر شوكتهم ، ويحث بكتابه هذا عما له على الاحتفاظ بالرجالة المطيعين والقانعين بأرزاقهم القديمة، واقصاء من يشم منه روح الشغب أو المطالبة بزيادة رزقه (١٣) .

ومن المناسب ان نذكر ان الفتك بالرجالة المصافية لايعني أن هذا الصنف من الجند استعيض عنه بالكلية ، اذ لابد ان أعيد تنظيم الجند

(١١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ . عريب ، الصلة، ص ١٥١ .

(١٢) عريب ، الصلة ، ص ١٥١ .

(١٣) ن.م ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

المصافية على أسس جديدة ، فما فتئنا نعثر على نصوص تؤكد بقاءهم على مسرح الأحداث . فعندما ظهر الخلاف بين المقتدر ومؤنس عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م انحاز مع مؤنس حوالي سبعة الآف شخص من الرجالة المصافية(١٤). ونلاحظ هنا ان المصافية أتخذوا موقفاً مغايراً عما كانوا عليه خلال الازمات التي تعرضت لها الخلافة . وربما كان مرد ذلك لأنهم وجدوا المقتدر قد تخلى عنهم خلال محنتهم السابقة .

وفي شعبان من عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م شغب الرجالة ببغداد فحاربهم يلبق وسائر الجيش . ولم تزل الحرب بينهم حتى قتل من الرجالة عدد كبير (١٥) وخلال الأزمات التي أشتدت بين الخليفة وقائد الجيش في سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م أصبح المقتدر بأمس الحاجة الى الجند فأمر « بشحن القصر بالرجالة ونودي في من سخط عليه من الرجالة بالرضا عنهم فظهروا ووعدوا بزيادة دينار على النوبة (١٦) » ، ومع ذلك فإن هذه الزيادة أقل مما حصلت عليه بقية فرق الجيش الأخرى . وفي الوقت الذي انهزمت أكثر أصناف الجيش خلال حرب ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م حمل « عبد الواحد بن المقتدر في جماعة من الرجالة عدة حملات (١٧) » فأسر عدداً من رجال مؤنس . غير ان الرجالة المصافية استأمنت الى مؤنس على أثر قتل الخليفة المقتدر .

---

(١٤) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ٢٢٢ . عريب ، الصلة، ص١٥٩ .

(١٥) عريب ، الصلة ، ص ١٦٤ .

(١٦) ن.م ، ص ١٦٦ .

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ٧١٨ .

د ــ الفرسان :

ان أعتماد العباسيين على العنصر التركي في القرن الثالث الهجري زاد من أهمية الفرسان في الجيش ، وذلك لأن الاتراك بحكم بيئتهم كانوا فرساناً ماهرين • ومن ثم أصبحت فرقــة الفرسان تشكل العمود الفقري لجيش الخليفة المقتدر بالله ، وأخذت الدولة تعتمد عليهم اعتماداً كبيراً • ويتبين من استعراض الحركات السياسية والعسكرية آنذاك ، الدور الرئيس الذي لعبه الفرسان (١٨) ومع ذلك فإن تشكيلاتهم وتنظيماتهم يكتنفها الغموض والابهام ، شأنها في ذلك شأن بقية فرق الجيش الأخرى ، وان معلوماتنا عنهم لاتتعدى اشارات عابرة وردت هنا وهناك •

وتبدو أهمية الفرسان في أيام الخليفة المعتضد من الوصف الدقيق المسهب الذي أورده الصابي للأختبار الذي كان يجري لهم ، حيث يقسمون الى مراتب ثلاث حسب اجادتهم لفن الفروسية ، وعلى ضوء ذلك تتقرر مرتبتهم ويتعين مقدار راتبهم (١٩) • وان سكوت المراجع في عصر المقتدر عن مثل هذه الأمور ليس معناه انعدام أهمية الفرسان ، فلابد أن يكون النظام مستمراً وربما أدخلت عليه بعض التعديلات •

ويرد ذكر الفرسان كثيراً عندما طالبوا بأرزاقهم وزيادة هذه الأرزاق كلما شعروا بتأزم موقف الخليفة واحتياجه الى خدماتهم ، وهذا الأمر آل في الاخير الى أن ظهر الخليفة بمظهر العاجز عن تلبية هذه الطلبات المتكررة ،

(١٨) السامر ، الحمــدانيون ، ج١ ، ص ٣٢ •

(١٩) الوزراء ، ص ١٧ •

الأمر الذي أدى الى تمرداتهم المستمرة . وما دام الخليفة لا يمتلك وسائل ردع هؤلاء فقد تمادوا في مطاليبهم ، مما اضطر الدولة أن تعد ميزانية ضخمة للصرف على أرزاقهم وتوفير سلاحهم وأقواتهم ودوابهم [٢٠] .

وفي مستهل خلافة المقتدر منح الفرسان أرزاق ثلاثة أشهر تيمناً بمجيء الخليفة الجديد [٢١] ، وأعترافاً بمالهم من دور في استقرار الأمور العامة . وفي سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م حصل الفرسان على صلة مقدارها راتب ثلاثة أشهر أخرى [٢٢] ، على الرغم من اننا لم نلمس أي دور لهؤلاء الجند في عملية ارجاع المقتدر الى كرسي الخلافة . وهذا بعكس الموقف المشهود الذي وقفه الغلمان الحجرية كما اسلفنا .

وعلى أثر مطالبة الجند بالزيادة عام ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م حصل كل فارس على زيادة مقدارها ثلاثة دنانير [٢٣] . وبعد ان آعيد المقتدر الى الخلافة في المرة الثانية عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م أطلق للفرسان زيادة ثلاثة دنانير في الشهر [٢٤] . غير أن مسكويه يضيف فيقول : « واما الفرسان فثلث رزق وزيادة ثلاثة دنانير لكل فارس [٢٥] » . ويذكر عريب انالمقتدر قال : « لسائر الجند لكم عليّ أرزاق أربعة أشهر وزيادة خمسة دنانيرلكل

---

(٢٠) السامر ، الحمدانيون ، ج١ ، ص ٢٥.

(٢١) عريب ، الصلة ، ص ٢٣ .

(٢٢) ن . م ، ص ٢٩ .

(٢٣) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ١٦ .

(٢٤) ن . م ، ص ٦٢ .

(٢٥) تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .

واحد منكم (٢٦) » ، واذا ما علمنا أن عدد « الفرسان اثنى عشر ألفاً ومبلغ مالهم في كل شهر خمس مائة الف دينار (٢٧) » فعندئذ تكون الزيادة فقط التي حصل عليها الفرسان (٠٠٠ر٠٦٠ر٢) ديناراً (٢٨) فاذا أضفنا هذه الزيادة الى المبلغ السنوي السابق الذي كانوا يتقاضونه (٢٩) قبل الزيادة فيكون مجمل ذلك (٠٠٠ر٠٦٠ر٨ دينارا) .

وعلى اساس المبلغ السابق يصبح ما يتقاضاه الفارس في الشهر ٤١ ٢/٣ ديناراً وهو مبلغ مرتفع بالقياس الى ما كانت تتقاضاه بقية فرق الجيش الأخرى . علماً بأن شهر هؤلاء الفرسان كان تسعين يوماً (٣٠) . وبما أن هؤلاء قد حصلوا على زيادة شهرية مقدارها خمسة دنانير ، فعندئذ أصبح راتبهم الشهري ٤٦ ٢/٣ دينار .

---

(٢٦) الصلة ، ص ١٤٤ .

(٢٧) عريب ، الصلة ، ص ١٤٢ . ابن الجوزي المنتظم ، جـ ١ ، ص ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(٢٨) ٥ دنانير × ١٢ ألف جندي = ٠٠٠ ٦٠ دينار
٤ اشهر × ٠٠٠ ٥٠٠ = ٠٠٠ ٠٠٠ ٢ دينار
فيكون المجموع ٠٠٠ر٠٦٠ر٢ دينار

(٢٩) المبلغ الذي كانوا يتقاضونه سنوياً ٠٠٠ ٥٠٠×١٢ = ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ دينار فيكون المجموع = ٠٠٠ر٠٦٠ر٨ دينار

(٣٠) الصابي ، الوزراء ، ص ١٧ . (كانت ايام شهرهم خمسين فجعلت تسعين . / الصابي ، ص ١٧) .

وقد شملتهم تخفيضات علي بن عيسى في وزارته الأولى حيث «اقتصر بالفرسان من مائة وخمسين الف دينار تطلق لهم في الشهر ، الى خمسين الف دينار [٣١] » وبذلك تكون مخصصاتهم قد قلصت الى الثلث بسبب هذا الاجراء . وفي سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م « شغب الفرسان لطلب أرزاقهم وخرجوا الى المصلى فوعدوا به وتأخر عنهم فعادوا وطمعوا في النهب وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة [٣٢] » ولم يسكن هؤلاء إلا بعد ان أستدعي مؤنس من واسط ، وبمجيئه تمكن من أخماد شغب الفرسان بعد أن تمكن من التأثير في عزل الوزير الخصي (٣١٢ هـ / ٩٢٤ م) الذي عزا اليه القائد سبب الأزمة [٣٣] .

وفي سنة ٣٠١ هـ/٩١٣ م توفي علي بن احمد الراسبي المتقلد لجند يسابور والسوس وكان يمتلك اموالا كثيرة [٣٤] ، لذلك أرسل المقتدر عبد الواحد بن الفضل بن وارث في جماعة من الفرسان (والرجالة) لحفظ مال هذا العامل المتوفي [٣٥] . ولما ركب شفيع المقتدري في سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤ م للقبض على أموال (ابن الجصاص) كان ضمن الجند المرافقين

(٣١) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٣ .

(٣٢) العيون ، ورقة ١١٢ — آ . مسكويه ، م ق ، جـ ١ ، ص١٤٢ .

(٣٣) SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 441 :

(٣٤) خلف من العين ألف الف دينار وآنية ذهب وفضة بقيمة مائة ألف دينار ومن الخيل والبغال والجمال الف رأس ومن الخز الف ثوب . وقيل انه كان له ثمانون طرازاً ينسج فيها الثياب .

(ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٢٦) .

(٣٥) عريب ، الصلة ، ص ص ٤٤ — ٤٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٢٦ .

لشفيع جماعة من الفرسان (٣٦) . وكان الفرسان ضمن الموكب الذيأرسلته السيدة مع القهرمانة لايصال هداياها الى بنات أخيها المتزوجات حديثاً (٣٧).

وبفضل ما كان يتمتع به الفرسان من سلطة ونفوذ ، وما حصلوا عليه من أموال ، أصبح بعض قادتهم يعتبرون موازين للوزراء وكبار موظفي الدولة من حيث الجاه والثراء ، ومن أولئك القادة يانس الموفقي الذي كان رفيع المكانة عند الخليفة ، وعظيم الثراء حتى كان ينزل عند سورداره من خيار الفرسان والغلمان حوالي الف مقاتل (٣٨) .

وقد اشترك الفرسان في انقلاب عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م اذ كانوا من جملة الذين غذوا الخلاف القائم بين الخليفة ومؤنس ، حتى اذا ما بلغ هذا الخلاف ذروته هجموا على دار الخلافة واحرقوا بعض أبوابها وأقتحموا قصر الخلافة على دوابهم يريدون المقتدر ، لكن القائد (مؤنس) سبقهم بحيث عرف مكان الخليفة وتمكن من انقاذه (٣٩) ، ولولا مبادرة القائد هذه لتعرض الخليفة لتجاوزات الفرسان . ومع ذلك فقد حصل هؤلاء على زيادة في مخصصاتهم على أثر اخفاق حركة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (٤٠)

---

(٣٦) عريب ، الصلة ، ص ٤٧ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص٣٥ .

(٣٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٦ . عريب ، الصلة ، ص ٧٨ .

(٣٨) عريب ، الصلة ، ص ١١٥ .

(٣٩) العيون ، ورقة ١٢٣ — آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤١) . عريب ، الصلة ، ص ١٤١ ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ص ٢٢١ — ٢٢٢ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٣ .

(٤٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

كما مر بنا . وفي الوقت الذي نجا المقتدر من قبضة الفرسان ، فان قصره تعرض للنهب من قبل الجند الذين محوا رسوم الخلافة وهتكوا حرمة الدار ونهبوا الجوهر والثياب والفرش والطيب ، ولم تتوقف تجاوزاتهم هذه الا بعد أن وكل مؤنس اصحابه بالقصر (٤١) .

وفي سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م شغب الفرسان وطلبوا أرزاقهم وعسكروا بالمصلى فأصطدموا بالرجالة المصافية واستطاع الفرسان من استمالة الغلمان الحجرية الى جانبهم ، الامر الذي أدى الى رجحان كفتهم (٤٢) ، فصاروا يطاردون الرجالة الى أن أجلوهم عن بغداد . ولعل الفرسان أرادوابشغبهم هذا أن يخلقوا مبررا كافيا للاصطدام بالرجالة المصافية الذين سبق لهمأن أحبطوا الحركة الانقلابية في عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م والتي اسهم فيها الفرسان بدور فعال ، لكن جهودهم تلك لم تات اكلها فأصيبوا بخيبة أمل، وربما كان شغبهم الاخير متنفسا لذلك الاخفاق .

وفي جمادى الآخرة من سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م شغب الفرسان مرة اخرى فساروا الى دار علي بن عيسى ونهبوا اصطبله وقتلوا حاجبه (٤٣) . وفي المحرم من عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م طالب قوم من الفرسان ببغداد الوزير سليمان بن الحسن بأرزاقهم واصطدموا مع غلمانه فأحرقوا باب

(٤١) عريب ، الصلة ، ص ص ١٤١ — ١٤٢ .

(٤٢) ن . م ، ص ١٤٨ . الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢١ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٧ .

(٤٣) عريب ، الصلة ، ص ١٥١ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

الدار وكادوا يقتلون الوزير لولا انه هرب من باب أخرى [٤٤] .

ولم يقتصر شغب هؤلاء الفرسان على المطالبة بأرزاقهم او زيادتها وانما امتد تأثيرهم فتدخلوا في الشؤون الادارية الاخرى ، ففي صفر سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م شغبوا مطالبين بعزل ياقوت عن الحجابة ، وابنه محمد عن الشرطة ، وقد استمر شغبهم هذا عشرة ايام [٤٥] واذا أمعنا النظر في هذه المطاليب نجدها تتفق ومطاليب مؤنس ، وهنا يظهر الانفاق بين الفرسان وقائد الجيش في هذا المجال ، ولعل ذلك يعود الى تاريخ اسبق يوم سار هؤلاء الفرسان وراء قائدهم في حركة عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ومن ثم نستطيع ان نضع مؤنسا وراء اصطدام الفرسان بالرجالة .

وخلال توتر علاقة الخليفة بقائد جيشه سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م شعر الخليفة بحاجته الى مساندة الجند وتأييدهم له ، فبدأ يتودد الى الفرسان ووعدهم « بزيادة خمسة دنانير على الرزق » [٥٦] ، الا ان محاولاته هذه باءت بالفشل ولاقى الخليفة مصيره المحتوم ، واستأمن الفرسان مع بقية الجند الى الجيش المنتصر .

٣ ـ تدخل الجند في الادارة :

يكاد الجيش ان يكون عاملا مؤثرا في اكثر ـ ان لم نقل في جميع ـ

(٤٤) عريب ، الصلة ، ص ١٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٨ .

(٤٥) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٨ .

(٤٦) عريب ، الصلة ، ص ١٦٦ .

أحداث عصر الخليفة المقتدر بالله ، فقد كان قواده وجنوده يتدخلون في رسم السياسة العامة للدولة ، وفي الشؤون الادارية على وجه الخصوص (٤٧)، وان تدخلهم السافر والصريح لا يمكن ان يفسر الا بأن هؤلاء القادة صاروا يتحكمون في أمور الدولة .

فبعد عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م زاد تدخل الجيش في شؤون الدولة ، ولم يكن هنالك امام الخليفة من حيلة للتخلص منهم ، لما كان يخشاه من شرهم وتجاوزاتهم ، ولذلك عمل المقتدر منذ بداية عهده الى رعاية جانبهم والاستماع الى مشورتهم فوقع تحت أهوائهم (٤٨) . فهم حين يحتاجون الى المال ارضاء لجشعهم ، لا يتورعون عن سلوك شتى السبل للحصول عليه بغض النظر فيما اذا كان سلوكهم هذا أخلاقيا وشرعيا أم هو على النقيض من ذلك . وبذا يكون مسلكهم مدعاة للتساؤل والغرابة ، كما أنه يدل على تجردهم من روح الجندية والمثل الى حد بعيد (٤٩).

وبحكم كونهم ليسوا على وفاق تام بعضهم مع البعض الآخر فنحن نرى أنهم كثيرا ما كانت مصالحهم تصطدم فتختلف آراؤهم ، الامر الذي يحرم الدولة نعمة الهدؤ والاستقرار ، وحينئذ لم يكن للخليفة وجه حيلة الا مراعاة جانبهم حينا ، وتدبير المؤامرات والدسائس حينا آخر (٥٠). وقد حاول قادة الجيش تخطي واجباتهم الاساسية في كثير من المواقف ، وبذلك لم يقتصر عملهم على الجندية التي احترفوها ، بل امتد تأثيرهم الى الشؤون

(٤٧) BOWEN , op : cit , P : 113 :

(٤٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

(٤٩) الكبيسي ، م . ق ، ص ٦٠ .

(٥٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٦ .

الادارية فصاروا يتقلدون المناصب الادارية بأنفسهم [٥١] . وان هذه الظاهرة التي تميز بها العصر العباسي الثاني ، تعتبر جانبا من جوانب سوء الادارة. ولعل ضعف مركز الخلافة ، وطغيان القوة العسكرية على السلطة المدنية ، جعلا من الصعب على الخليفة السيطرة على أقاليم الدولة ، ان لم يعهد بأدارتها الى افراد عسكريين . وربما أقدم احد قادة الجيش على السيطرة على بعض الاقاليم ، وهنا يصبح الخليفة أمام الامر الواقع ويضطر الى المبادرة بتعيين ذلك القائد المتغلب على المنطقة التي استطاع السيطرة عليها [٥٢] .

فلما تمكن احد قادة الجيش السيطرة على أرمينية وأذربيجان في سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م أقدم الخليفة على تقليده هذه المناطق ، وان عمله هذا لم يتعد أكثر من الاعتراف بالحقيقة والامر الواقع [٥٣] . وفي السنة نفسها كان المقتدر قد قلد الشرطة ببغداد لاحد رجال جيشه الذين اسهموا في احباط حركة عبد الله بن المعتز [٥٤] .

---

(٥١) عريب ، الصلة ، ص ٢٩ و ٣٢ . العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦٤ ـ آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢١٧) .

(٥٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٤ و ١٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٢٧ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٧٢ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤١ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ١٨٤ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٤٤٧ .

(٥٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٥ .

(٥٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨ .

وفي جمادى الاولى سنة ٣٠٩ هـ/٩٢١ م اسند الخليفة ادارة بلاد الشام ومصر الى قائد جيشه الاعلى [٥٥] اعترافا من المقتدر بما أسداه هذا القائد للدولة من خدمات جلى . وبحكم مركز القائد ، ولضرورة وجـوده في في العاصمة ، لم يستطع الاقامة في النواحي التي عين واليا عليها، وحينئذ عهد بأدارتها ، نيابة عنه ، الى احد خواصه ممن يثق به ويعتمد عليــه، وهنا يكمن سوء الادارة بأجلى معانيه ، وذلك ان الشخص الموكل اليه كثيراً ما كان يسيء التصرف ويتجاوز مهماته ، اما لجشعة وحبه للمال ، وعندئذ يجعل همه الوحيد التمادي في القسوة والتعسف لجمع الضرائب والخراج، وأما ان يكون قليل الخبرة في الامور الادارية والمالية ، فيكون وجوده مصدر ضعف واضطراب بدل ان يكون مصدر قوة واستقرار.

وكان المقتدر قد قلد الحسبة لمحمد بن ياقوت صاحب الشرطة، لكن قائد الجيش اعترض على هذا التعيين على اساس : « ان الحسبة لا يتولاها الا القضاة والعدول » [٥٦] ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة ، وبناء على اقتراح قائد الجيش اسند ادارة مصر والشام إلى علي بن عيسى في سنة ٣١٢ هـ/ ٩٢٤ م [٥٧] . واجرى له الفي دينار في

---

(٥٥) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٧٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٩ . ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣٢ .

(٥٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٦ .

(٥٧) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٤١ .

الشهر(٥٨)،وقلد ابراهيم ومحمد ولدي رائق الشرطة بمشورة قائد الجيش (٥٩) .

وعندما قدم ابو الفتح الفضل من الشام الى بغداد أشار مؤنس بتقليده ديوان السواد ، واستجاب الوزير لهذا الطلب مكرهـــا ، وقد انقطعت بتقليده موارد كانت تصل الى بيت المال (٦٠)، ولم يجرء أحد على الاعتراض على هذه الخسارة رغم الضرر الكبير الذي كانت تتعرض له مالية الدولة .

ومن هنا يظهر للباحث ان منح الوظائف الادارية لقـــادة الجيش لم يكن يجري على أساس الكفاءة أو المقدرة الادارية والنزاهة والاخلاص ، وانما كان الدافع الى ذلك كسب رضاهم والحد من تمردهم على الدولة ، وهذا أدى بطبيعة الحال الى فقدان السيطرة على اطراف الدولة ، وبالتالي الى تمادي حكامها في الحركات الاستقلالية .

٤ ــ القائد مؤنس المظفر :

كان من الغلمان الاتراك ، عاصر كثيرا من الاحـــداث حتى اكسبته خبرة وتجربة ، فأصبح المسير الحقيقي لأمور الدولة بدون منازع . ويبدو للباحث أنه لم يبلغ أحد من الخدم ما بلغه مؤنس الخادم من مكانة مرموقة وكلمة نافذة مسموعة ، وسطوة واسعة مهابة . وربما كان لطـــول الفترة

(٥٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٣٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٨٤ .

(٥٩) عريب ، الصلة ، ص ١٤٥ . ابن الاثـــير ، الكامـــل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٧ .

(٦٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢١٢ .

الفترة التي قضاها في خدمة الخلافة العباسية (٦١) ، أثر ملموس فيما وصل اليه هـــذا القائد القدير من مكانة عالية . ولقد كان في خدمة مؤنس سبعون أميرا ، وقد وصل به الامر ان صار يذكر اسمه في خطبة الجمعــة بعد اسم الخليفة (٦٢) .

كان مؤنس في بداية حياته من الخدم الخصيان في دار الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ — ٨٦١ م) . وبعد قتل سيده انتقل الى خدمة الموفق واسهم معه في حرب الزنج (٦٣) . وفي خلافة المعتضــد بالله (٢٧٩ — ٢٨٩هـ/٨٩٢ — ٩٠١ م) تقلد منصب صاحب الشرطة(٦٤) وذهب مع المعتضد لمحاربة وصيف الخادم (٦٥). وعلى الرغم من خــدماته الكثيرة للدولة الا ان الخليفة وبخه وهدده (٦٦) عندما اتهم باستغلال منصبه حيث قال له : « يا مؤنس جسرت على قصـــد دكان رجل تاجر وفتحت صندوقه وأخذت منه عقد جواهر وأنا في الدنيا والله لولا انها أول غلطــة ما جرى في ذلك مناظرة ، اركب بنفسك الى مكان الرجل حتى ترد العقد

---

(٦١) قضى ستين سنة أميرا . (الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١٠ ، ص ٢٨٥) .

(٦٢) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٩٩ . زامباور ، م . ق ، ج ١ ، ص ١١ .

(٦٣) الطبري ، م . ق ، مجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ١٩٥٣ .

(٦٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٢٧ .

(٦٥) الطبري ، ٣ / ٢٩١٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص١٢٧ .

(٦٦) محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٧٣٠ . ابن الجوزي ، المنتظم جـ ٥ ، ص ١٢٨ .

بيدك » (٦٧) وقد ارتاع مؤنس من تهديدات الخليفة ونفذ طلبه مسرعا . ومع ذلك فان الخليفة ابعده الى مكة (٦٨) .

وكان الخصيان بصورة عامة يلقون من الناس كثــــيرا من الازدراء والسخرية وحوالي عام ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م أطلقت على هؤلاء التعساء القاب أقرب الى الاحترام فسمي الواحد منهم بالخادم ، كذلك سمي المعلم ، أو الأستاذ (٦٩) ، وذلك للتخفيف من ثقـــل التسمية الأولى . والظاهر أن مؤنسا اشغل نفسه بالامور العسكرية وكرس كل امكاناته لها ، ولم يلتفت الى النواحي العمرانية والحضارية ، ففي خلال فترة نفوذه الطويلة لم تزد الا اشارة عابرة هي ان مؤنسا كان قد استحدث منبرا في مدينة كنكوار (٧٠) الجليلة القدر (٧١) .

كان مؤنس من اكثر انصار المقتدر تحمسا لمقاومة حركة ابن المعتز على الرغم من أن بعض الباحثين يروي ان مؤنسا كان مع المتآمرين ضد المقتدر (٧٢) ، ويدعون بان مؤنسا كان قد اتفق مع الحسين بن حمدان على الفرار بمجرد ظهور مقاومة من دار الخلافة (٧٣) . ولعـــل موقف ابن

(٦٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٢٨ .

(٦٨) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١٠ ، ص ٢٨٥ .

(٦٩) متز ، م . ق ، ج ٢ ، ص ١٦ .

(٧٠) كنكوار : بلدة بين همذان وقرميسين ، وفيها قصر عجيب يقال له قصر اللصوص ، وهي الآن خراب . (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٨٤) (أنظر كذلك القزويني ، آثار البلاد ، ص ٤٤٨) .

(٧١) لسترانج ، بلدان الخلافة ، ص ٢٢٤ .

(٧٢) احمد كمال زكي ، م . ق ، ص ٢٠٢ .

(٧٣) ن . م ، ص ٢٢٠ .

حمدان من المدافعين عن قصر الخلافة وانسحابه الى الموصل مما يعزز الاستنتاج السابق .

تعزز مركز مؤنس بعد عام ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م واصبح يتمتع بثقة الخليفة لما أبداه من الشجاعة والاقدام في احباط حركة ابن المعتز (٧٤) ، واعادة المقتدر الى الخلافة ، وبذلك قلده شرطة جانبي بغداد (٧٥) . وفي نفس السنة خلع عليه المقتدر وارسله على رأس حملة الى طرطوس (٧٦) لغزو الروم (٧٧) . وفي العام التالي رجع مؤنس الى عاصمة الخلافة بعد ان كللت حملته بالنجاح فخلع عليه المقتدر حيث « طوق بطوق ذهب وسور بأربعة سور » (٧٨) وعندئذ صعد نجمه وقبض على ناصية الحكم في معظم عهد الخليفة المقتدر بالله (٧٩) .

ولما توفي قائد الجيش صافي الحرمي في سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م انفسح

(٧٤) عريب ، الصلة ، ص ٢٨ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٦.

(٧٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨ . عريب ، الصلة ، ص ٢٩ . (وفي مسكويه ان الذي قلد الشرطة هو مؤنس الخازن وليس مؤنس الخادم ص٦) . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

(٧٦) طرطوس : بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا ، نسبو اليها أبا عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين الخواص المقريء الطرطوسي (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠) .

(٧٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٥٨٢ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٨ .

(٧٨) العيون ، م . ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦٨ — آ . (التحقيق، نبيلة ، ص ٢٢٦) .

(٧٩) لسترانج ، بغداد ، ص ١٩٨ .

المجال أمام مؤنس حيث قلده المقتدر قيادة الجيش [٨٠] وعندئذ تهيأت أمامه الظروف فأخذ يعمل بذكاء لتوطيد سلطته التي امتدت فشملت كل مؤسسات الدولة . وهنا نلمس ان الامر لم يستقر للمقتدر ، بل ان الجيش استبد وكثرت تجاوزاته ، وتغلب قائده مؤنس على الامور . والحق أن توليه مؤنس قيادة الجيش اعتبرت أخطر عمل قام به المقتدر ، وكانت له أبعد النتائج السياسية والاقتصادية التي انعكست على عصر هذا الخليفة كما سنرى .

وقد حصل مؤنس بالاضافة الى رياسته للجيش ، على مناصب ادارية مهمة منها نيابته عن الامير ابي العباس محمد بن المقتدر في ولايته مصر في سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م [٨١] . وانتدب في عام ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م لمحاربة جيش عبيد الله الفاطمي عندما هاجم مصر في نيف واربعين الفا [٨٢] ، وما أن فرغ من ازاحة الخطر الفاطمي عن البلاد المصرية حتى طلب اليه التوجه الى نواحي الموصل لاخماد تمرد الحسين بن حمدان [٨٣] . وعلى الرغم من أن مؤنسا لاقى مصاعب كثيرة لصعوبة طبيعة المنطقة التي جرت فيها المعارك ومع ذلك فانه تمكن في النهاية من أن يأسر الحسين بن حمدان ويأتي به

(٨٠) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٩ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ١٧٤ .

(٨١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٤ .

(٨٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٩ .

(٨٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٦ .

الى بغداد (٨٤) . وعلى الرغم من ان أعداء ابن حمدان كانوا يلحون في ضرورة القسوة على هذا الأسير والتشهير به ، غير ان مؤنسا رفض ان يقسو على رفيق السلاح بالامس ، وهنا لا يسع المتتبع الا أن يكبر فيه روح الجندية العالية التي دفعته لاتخاذ هذا الموقف فضلا عن الروابط والمصالح التي تربط بينهما .

ولما كان عامل ارمينية وآذربيجان قد سيطر على الري في سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦ م بدون رضا الخليفة ، انتدب مؤنسا لمحاربته (٨٥) ، مني جيش الخليفة بهزيمة شنعاء ، وكاد مؤنس ان يقع في الاسر لولا ان (ابن ابي الساج) المتمرد كان لا يرغب بذلك (٨٦) ، ومع ذلك رفض مؤنس عروض المتمردين بالصلح ولم يقبل الا بالنصر الحاسم على العصاة وسوقهم الى العاصمة بغداد ، وهو بموقفه هذا يمثل رغبة الخليفة الذي أصر على ذلك (٨٧) . وتمكن مؤنس في النهاية من اخماد هذا التمرد وأسر قائده وجلبه الى بغداد عام ٣٠٧ هـ/٩١٩ م (٨٨) . وهنا يسجل مؤنس موقفا نبيلا جديدا حيث يرفض التضييق على القائد الاسير (٨٩) .

(٨٤) عريب ، الصلة ، ص ٥٧ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٧ . ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ، ص ١٤٩ .

(٨٥) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٨ .

(٨٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٧ .
SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 410 :

(٨٧) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٨٨) الهمداني ، التكملة ج ١ ، ص ١٨ . عريب الصلة ، ص ٧٧ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٨٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٥٠ .

ولم يستقر بمؤنس المقام في بغداد طويلا حيث اتندب في سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠ م لمحاربة الفاطميين الذين أعادوا الكرة في مهاجمة مصر ، وتكللت مساعي مؤنس بالنصر المؤزر على الفاطميين كما هو متوقع اذ فتك بهم فتكا ذريعا [٩٠] . وعلى أثر هذه الانتصارات المتوالية التي حققها القائد مؤنس أنعم عليه الخليفة المقتدر بالله ولقب بالمظفر في سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م [٩١] وخلع عليه خلع منادمة « وطوق وسور على مائة واثني عشر قائدا من قواده » [٩٢] واعترافا بتلك الجهود الكبيرة عقد له المقتدر على مصر والشام [٩٣] .

ان الانتصارات التي حققها مؤنس شدت أغلبية الجند اليه ، وأصبح قائد الجيش بلا منازع . وبطبيعة الحال فان السلطة المدنية لم يرق لها تعاظم مكانة الجيش المتمثلة بقائده ، لذلك أشار الوزير ابن الفرات بضرورة ابعاد مؤنس عن العاصمة على أثر عودته من غزو الصائفة في بلاد الروم عام ٣١١ هـ / ٩٢٤ م [٩٤] ، موهما الخليفة بأن مؤنسا بات يشكل

(٩٠) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١٢ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ . مسكويه ، م . ق ١ / ٧٥ .

(٩١) العيون ، ورقة ١٠٣ — ب (تحقيق ، نبيلة ص ٢٩٤) . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥٩ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧، ورقة ١٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٣٢ . أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ .

(٩٢) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

(٩٣) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٧٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥٩ .

(٩٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٦٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ،

خطرا على الخليفة نفسه ، فانه اذا ما انظم اليه الفرسان صار أمير الأمراء وتغلب على الامور وتحكم بها (٩٥) .

وعندئذ اخذ الخليفة برأي الوزير وارسل مؤنسا الى الرقة مدعيـــا ان ذلك يسهل جمع الضرائب من الولايات الغربية ، وتتخلص الخزينــة المركزية من نفقات بعض الجند (٩٦) . وقد امتثل القائد لامر الخليفــة وخرج في يوم شديد المطر (٩٧) ، وان خروجه يعتبر بلا ريب ضربة قوية وجهت الى السلطة العسكرية ، كما ان انصياعه لهذا الامر يمدنا بصورة صادقة للروح العسكرية المتمثلة بقائد الجيش الاعلى .

لكن الخليفة وحاشيته سرعان ما شعروا بحاجتهم الملحة الى وجـود مؤنس ليخمد الفتنة والشغب الذي ازداد في العاصمة (٩٨) ، والذي أدى الى زعزعة اركان الدولة على أثر تعرض القرامطة لقوافل الحجاج عام ٣١٢هـ

ص ١٧٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٨٣ .

(٩٥) مسكويه ، م . ق ج ١ ، ص ١١٥ . الصابي ، الوزراء ، ص ص ٥٢ — ٥٣ .

(٩٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٣ .

(٩٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٤ . الصابي ، الوزراء ، ص ٦١ .

(٩٨) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢١ .
SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 431 :

(٩٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٠ . عريب ، الصلة ، ص ١١٨ .

/ ٩٢٤ م [٩٩] ، فكتبوا اليه بالعودة [١٠٠] ، حيث خرج الوزير لاستقباله متذللا وخاطبه بالاستاذية فقال له : « الآن تخاطبني بالاستاذية وبالامس تخرجني الى الرقة على النقي » [١] . وبعـودته قبض قادة الجيش على ناصية الامور وتجرأ احدهم فعنف الوزير بلهجة قاسية بحضور المقتدر [٢]. ولم تهدأ ثائرة الجيش الا بعد ان نجح في الضغط على الخليفة واستحصل منه الموافقة على قتل الوزير [٣] . وهنا يسجل الجانب العسكري انتصارا جديدا على السلطة المدنية ، وتمكن من انهاء حياة ابن الفرات الذي كان وجوده يقلق قائد الجيش مؤنس المظفر .

وقد استدعي مؤنس في سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م من واسط عندمـا شغب الفرسان في بغداد ضد الوزير الخاقاني ، ولم تهدأ ثائرتهم الا بعد أن وعدهم بصرف ارزاقهم [٤] . وفي سنة ٣١٥ هـ/٩٢٧ م شغب الفرسان « برسم التفاريق وخرجوا الى المصلى ونهبوا القصر المعـروف بالثريا [٥] وذبحوا الوحش الذي في الحاير وذبحوا البقر التي لأهل القرى التي حوله

(١٠٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٧ . عريب ، الصلة ، ص ١٢٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ج ٦ ، ص ١٨٨ .

(١) الصابي ، الوزراء ، ص ٦١ .

(٢) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢١ . الصابي ، الوزراء ص٥٧ .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨٨ . الصابي ، الوزراء ، ص ٧٠ . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٩ .

(٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٥) الثريا : احد قصور الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد (انظر الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج١ ، ص ٩٩) . وكذلك (انظر ياقوت، معجم البلدان ، ج٢ ص ٧٧) .

وخرج اليهم مؤنس وضمن لهم ارزاقهم فرجعوا الى منازلهم » (٦) .

وحين تضاءلت هيبة الوزارة وانحطت السلطة الادارية ، اصبح مؤنس صاحب الكلمة النافذة ، اذ لم تعد هناك شخصية تجابهه ، فصار يتصرف بالامور كما يشاء (٧) . وقد استخدم نفوذه على الخليفة وجميع مؤسسات الدولة وتمكن من تقليد علي بن عيسى مصر والشام بعد ان كان منفيا الى اليمن (٨) غير أن مؤنسا لم يستطع أن يقلد عليا بن عيسى الوزارة بعد الخاقاني سنة ٣١٢ هـ/٩٢٤ م اذ ان الخليفة أخذ برأي والدته والقهرمانة وقلد الخصيبي كاتب السيدة (٩) ، وقد يكون في مقدورنا ان ترجع أسباب الضائقة المالية الشديدة التي واجهها الوزير الى العراقيل والمعوقات التي تعمد مؤنس ان يضعها امام الوزير ليثبت فشله (١٠)، وهذا ما تم فعلا بحيث تمكن مؤنس من السعي في اسناد منصب الوزارة الى علي بن عيسى (١١) . وكان مؤنس قد شارك بقية القواد في درء خطر القرامطة عن بغداد في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م (١٢) .

(٦) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٩ . العيون ، ورقة ١١٤ ـ ب. الاصفهاني، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٤ .

(٧) الدوري ، دراسات ، ص ٢٠٨ .

(٨) عريب ، الصلة ، ص ١٢٤ .

(٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٤٣ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٤٧ .

(١٠) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٤٤ ـ أ . (تحقيق، نبيلة ، ص ٣٢١) .

(١١) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٤٩ .

(١٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ . التنوخي ، نشوار

ان عدم قدرة الخليفة على مواجهة ازمات الجيش الخطيرة جعلته غير قادر على الاستغناء عن مؤنس الذي احتل مركزا مهيبا في اوساط الجند وبخاصة بعد ان تمكن ، في كثير من الاحيان ، من اخماد تمرد الجيش المتكرر وفي الوقت الذي كانت أعماله هذه تؤدي الى اسكات الاصوات المعارضة ، فقد آلت من جهة اخرى الى تثبيت مركزه وجعلت القوة الحقيقية بيده . والظاهر ان المنزلة التي اصبح مؤنس يتمتع بها أغاضت الخليفة وحركت كوامن الخلاف العميق الجذور بين المقتدر ومؤنس ، ولعله انعكاس للخلاف القائم بين الجيش وسلطة الخليفة . واستمر هذا الخلاف رغم رضوخ المقتدر لكثير من مطاليب الجيش الذي كان مؤنس يمثله . وقد بدأت وجهات النظر تتضارب — وهذا امر طبيعي — بين الخليفة الشاب الذي تجاوز الثلاثين من عمره ، وبين قائده العجوز الذي تخطى الثمانين وقارب التسعين [١٣] حيث اراد الاول ان يمارس سلطاته كاملة وان يقبض على زمام الامور ويديرها بنفسه ، لانه سئم من تدخل الجيش السافر في امور الدولة ، في الوقت الذي تمسك مؤنس بما حصل عليه من نفوذ واسع بحيث صار من الصعب عليه التفريط به .

وقد شعر القائد بنوايا الخليفة ومحاولاته ، اذ تبين ان مؤنسا أصبح لا يستطيع ان يثق بالخليفة الثقة كلها . وقد تأكد له ذلك بعد محاكمة ابن الفرات حيث ظهر ان ابعاد مؤنس الى الرقة تم بناء على اقتراح وإمضاء

المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٠٧ — ١٠٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/ قسم ٤ ، ص ٧٩٢ .

(١٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١٠ ، ص ٢٨٥ .

الخليفة ، وان دور الوزير لم يتعد كونه منفذا ليس الا (١٤) او ربما صاحب الفكرة على أبعد تقدير . وبناء على ذلك أوجس مؤنس خيفة من المقتدر ولم يذهب لوداع الخليفة قبل سفره لملاقاة الروم الذين دخلوا سميساط (١٥) في سنة ٣١٥ هـ/٩٢٧ م (١٦) .

ومما زاد في يقين مؤنس ان أحد خدم الخليفة أخبره بأن هنالك مؤامرة للقبض عليه حيث حفرت حفرة في دار الشجرة (١٧) وغطت ، حتى

(١٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٦٨ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ورقة ١١٠ – أ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣١١) .

(١٥) سميساط : تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، وقد فتحها المسلمون فى سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م . ووقوعها على الحدود بين بلاد العرب المسلمين وبلاد بوزنطة عرضها فى كثير من الاحيان للنهب من كلا الطرفين (انظر دائرة المعارف الاسلامية ، ج١٢ ، التي اصدرها بالعربية احمد الشنتناوي وآخرون ، ص ٢١٤ – ٢١٥) . انظر كذلك ياقوت معجم البلدان ، ح٣ ، ص ٢٥٨) . انظر ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٤٢١.

(١٦) العيون ، ورقة ١١٤ – ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٢٢) . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٥١ . ابن العبري ، م.ق ، ص ١٥٧ .

(١٧) دار الشجرة : هي الدار التي بناها الخليفة المقتدر ، وكانت فيها « شجرة من الفضة وزنها ٥٠٠ ألف درهم ، عليها اطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات الريح » (الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص ١٠٢) . «شجرة وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صافى وللشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وهي تتمايل فى اوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر وكل هذه الطيور يصفر ويهدر . وفى جانب يمنة البركة

اذا ما دخل مؤنس لوداع المقتدر أوقعه الخدم فيها وقتلوه ولهذا امتنع عن الحضور لوداع الخليفة (١٨) ، وكاد الامر يتطور بينهما الى مواجهة سافرة ، خاصة بعد ان انحازت اكثر القوات الى جانب مؤنس وتفانوا في مؤازرته والدفاع عنه (١٩) ، وقالوا له : « نقاتل بين يديك ايها الاستاذ حتى تنبت لحيتك » (٢٠) . وتلافى المقتدر الازمة فكتب الى مؤنس بخطه يعتذر ويؤكد بطلان ما بلغه ، فهدأ روعه وخرج في حملته تلك بعد ان قام بمراسيم توديع الخليفة ، وخرج لوداعه الامير ابو العباس محمد بن المقتدر

وبناء على طلب المقتدر عاد مؤنس مسرعا الى العاصمة على أثر احتلال القرامطة الكوفة وتهديدهم بغداد ، وقد استطاع مؤنس مع غيره من القواد ايقاف زحف القرامطة الى حاضرة البلاد (٢٢) وتمكنوا من ازاحتهم عن

تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فرسا قد لبسوا الديباج وغيره» . (الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠٣) .

(١٨) العيون ، ورقة ١١٤ — ب ، الهمداني ، التكملة ، ج١، ص ٥١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥٥ . ابن العبري ، م.ق ، ص ١٥٧ .

(١٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٦٠ . الهمداني ، التكملة ، ج ١، ص ٥١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٦ .

(٢٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٦٠ .

(٢١) العيون ، ورقة ١١٥ — أ — ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٢٢ — ٣٢٤) . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٥١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية . ج ١١، ص ١٥٥ . ابن العبري ، م.ق ، ص ١٥٧ .

(٢٢) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٤ — ١٥٥ .

الانبـار وملاحقتهم (٢٣) .

وعلى الرغم من المحاولات السابقة التي استهدفت تصفية الخـلاف بين المقتدر ومؤنس ، فالظاهر أن ذلك الخلاف لم تتم تصفيته بصورة نهائية ، كما أن هنالك عناصر وجدت من مصلحتها تغذية هذا الخلاف لعلها تنفـذ من خلاله لتحقيق مطامعها الذاتية ، ففي الوقت الذي كان مؤنس على رأس جيش لحماية الحدود الاسلامية ـ الرومية، أشاع الناس بأن هارون بن غريب الخال صار أمير الامراء (٢٤) ، فكتب مؤيد ومؤنس اليه بهذا الصدد (٢٥)، فأسرع بالعودة الى بغداد منكرا ما بلغه . وقد تعزز مركز قائـد الجيش بعد أن انضم اليه عدد كبير من القادة والجند واظهروا اخلاصهم وتفانيهم في رفع شأنه (٢٦) .

واظهر مؤنس المظفر تذمره واحتجاجه الشديد لتدخل الحرم والخدم في أمور الدولة ، ولم يكتف بأخراجهم من دار الخلافة ، بل طالب المقتدر بأبعادهم عن العاصمة بغـداد وأخذ ما كان في ايـديهم من الاموال والضياع (٢٧) . ولم تهدأ ثائرة القائد الا بعد ان نفذت مطاليبه فحينئـذ

(٢٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

(٢٤) العيون ، ورقة ١٢١ ــ أ . حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام، ج ٣ ، ص ٢٢ .

(٢٥) العيون ، ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢١ ــ أ . (تحقيق، نبيلة ، ص ٣٣٧) .

(٢٦) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٨٨ . العيون ؛ ورقة ١٢١ ــ أ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٣٧) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٢١. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٨ .

(٢٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٩ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ؛

شعر مؤنس بقوة مركزه (٢٨) ، وبخاصة بعد أن بدأ أمامه المقتدر متخاذلا بقوله : « امتعني الله بك ، ولا أخلاني منك ولا اراني سوءا فيك ... وأما أنت يا أبا الحسن المظفر ، ولا خلونا منـك ، فشيخي وكبيري ومن لا أزول ولا أحول عن الميل اليه والتوفر عليه والتحقق به »(٢٩). غير ان أن ابا المحاسن يضيف عاملا آخر ، ذلك ان نازوك صاحب الشرطة الذي كان شجاعا « غلب على الامر وتصرف في الدولة وعلم مؤنس الخادم انـه متى وافقه على خلع المقتدر لم يبق له في الدولة امر والا نهي فوافقه ظاهرا وواطيء [كذا] الرجالة على قتله حتى تم له ذلك » (٣٠) .

وتتمثل انتهازية مؤنس بالموقف الذي اتخذه حيال حركة عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩ م ففي الوقت الذي اشترك في اقتحام دار الخلافة مع بقية القـوات الغاضبة (٣١) ، نراه يأخذه مع افراد عائلته الى داره (٣٢) ، وينقـذه من

ص ٥٨ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٥ — ١٥٦ . الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ . ودول ، ج١ ، ص ١٤٠ .

(٢٨) العيون ، ورقة ١٢١ — ب . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٢. ابن الاثير ، الكامل ج٦ ، ص ٢٠٠ . الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(٢٩) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٥٨ .

(٣٠) النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢٢٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٤٤ .

(٣١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٠ . العيون ، م.ق، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٣ — أ . (تحقيق ، نبيلة ص ٣٤١) .

(٣٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ١٩٣ . العيون ، ورقة ١٢٣ — ب . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٥٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦، ص٢٢٢.

غضب الجند المتمردين ويحاول صاحب المنتظم ان يجد لقائد الجيش (مؤنس) مبررا حين يقول : «عاود اصحاب نازوك وسائر الفرسان الركوب في السلاح وأخرجوا المظفر على كره منه وغلبه نازوك على التدبير » (٣٣) . لكن الذهبي يضيف قوله : « وعلم مؤنس الخادم انه متى وافقه (٣٤) على خلع المقتدر زاد تحكمه فأجابه ظاهرا وأوصى فيما قيل البردارية على قتله ، وكان له اكثر من ثلثمائة مملوك » (٣٥) . وهذا النص يشير بوضوح الى تآمر مؤنس ضد نازوك صاحب الشرطة. وربما كان موقف الخليفة التالي من مؤنس مما يعزز هذا الرأي ، اذ ما ان استقر المقتدر بمنصبه حتى انحدر اليه مؤنس فخلع عليه ونادمه ولبى جميع مطالبيه التي عرضها على الخليفة (٣٦) . ومما يؤكد ذلك قول عريب : « وقد قيل أن مؤنسا المظفر لما رأى غلبة نازوك على الامر وجه ليلة الاثنين الى نقباء الرجالة فواطأهم على ما فعلوه وكان لا يريد تمام خلع المقتدر ولذلك ما ستره ولم يبت عنه منذ ادخله داره » (٣٣) .

وبذلك تشير الدلائل الى ان مؤنسا هو المحرك الاساسي للرجالة المصافية عندما قاموا بحركة مضادة أعادت الخليفة المقتدر الى كرسي

ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٠ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٠٤ . والعبر ، ج٢ ص ١٦٦ .

(٣٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ . ص ٢٢١ .

(٣٤) المقصود هنا نازوك صاحب الشرطة .

(٣٥) تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٤٤ .

(٣٦) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٣٧) الصلة ، ص ١٤٣ .

الخلافة فقد تعمد مؤنس ان لا يحضر الموكب يوم الاثنين السابع عشر من المحرم سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م [٣٨] . ولعله اتخذ هذا الموقف نتيجة لما يأتي : —

١ — ان مؤنسا لم يكن كثير الاندفاع مثل صاحب الشرطة نازوك ، وعبد الله بن حمدان في قضية خلع المقتدر وتولي محمد بن المعتضد ، وبذلك لم ينحدر الى دار الخلافة لحضور الموكب [٣٩] .

٢ — ان خروج هارون بن غريب الخال من بغداد حسب طلب مؤنس ربما جعل قائد الجيش مطمئنا الى بقائه بمنصب امير الامراء الذي كان يشغله منذ مدة وهو متشبث بالبقاء فيه بأي ثمن [٤٠] .

٣ — لم يكن مؤنس مطمئنا الى الرجالة المصافية الذين كانوا هم عدة المقتدر ومريديه والذين كانوا السبب المباشر في رجوعه الى الخلافة [٤١].

(٣٨) العيون ، ورقة ١٢٤ — آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤٤) . الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦٠ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤٠ . والعبر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٣٩) العيون ، ورقة ١٢٤ — آ (تحقيق ، نبيلة ص ٣٤٤) . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٢ .

(٤٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٠ . العيون م . ق ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢١ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٣٨) .

(٤١) العيون ، ورقة ١٢٤ — آ (تحقيق نبيلة ، ص ٣٤٤) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٢ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٣ .

اذ سلم اليهم المقتدر بمجرد مطالبتهم به (٤٢) .

٤ ـ ان كلا من عبد الله بن حمدان ونازوك كانت لهما اطماع خاصة في اقصاء الخليفة المقتدر ، لعلهما يحصلان على بعض الامتيازات والمكاسب بتقليد خليفة جديد يكون لهما الدور الفعال في مجيئه ، وبالفعل رأيناهما يحصلان على مناصب واعمال اخرى اضافة الى أعمالهما السابقة خلال حركة عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (٤٣) .

٥ ـ وبما أراد مؤنس ان يظهر للمقتدر ان باستطاعته ان يفعل كل شيء بما في ذلك خلع الخليفة نفسه ، وهكذا فعل ، وحاول أن يضفي على عمله هذا شيئا من الشرعية وذلك عندما أحضر الشهود والقضاة ليشهدوا خلع المقتدر نفسه عن الخلافة (٤٤) .

٦ ـ قام مؤنس المظفر بنقل المقتدر والسيدة والحريم الى داره أبان وقوع الفتنة ، وربما عمل ذلك كخط رجعة لتكون بيده ذريعة يتمسك بها علها تشفع لـه فيما اذا انعكست الأمور . كما ان وضعه ثلة من جيشه

---

(٤٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٩ .

(٤٣) العيون ، ورقة ١٢٣ ـ آ . الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٥٩ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٧ .

(٤٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٤ . العيون ، ورقة ١٢٣ ـ آ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٢٥ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ص ٧٩٦ .

للمحافظة على دار الخلافة مما يدعم هذا الرأي [٤٥] .

٧ ـ كان قد ضعف مركز المقتدر بعد وفاة خاله غريب في سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م [٤٦] ، ثم اعدام ابن الفرات في ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م [٤٧]، وقتل يوسف بن أبي الساج عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م [٤٨] ، وأخيراً وفاة نصر الحاجب سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ [٤٩] . وان هؤلاء جميعاً كانوا ذوي قابليات كبيرة ، الأمر الذي جعل في مقدور الخليفة أن يوجد توازناً بين رجاله المتنفذين ، لكن اختفاء هؤلاء عن مسرح الأحداث جعل مؤنساً وحده في الميدان بدون منازع ، وأعطاه الفرصة المناسبة لأن يستأثر بالأمور وحده وبذلك أخذت تدخلات مؤنس شكلاً جديداً سافراً بحيث أصبح سيدالموقف بدون منازع .

وأخيراً عظم بأس مؤنس ، وكثيراً ما أعترض على الخليفة في تولية الوزراء وعزلهم ، فقد عزل محمد بن ياقوت عن الشرطة والحسبة على أثر اعتراض مؤنس على هذا الرجل على أساس : « ان الحسبة لايتولاها إلا القضاة والعدول [٥٠] » . وأمام اصرار مؤنس عدل الخليفة عن استيزار

(٤٥) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٠ .

(٤٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٩ .

(٤٧) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٤٨) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٧٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٨ .

(٤٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٨٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩٢ .

(٥٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٦ .

الحسين بن القاسم (٥١) ، واضطر الى تقليد سليمان بن الحسن ارضاء له (٥٢) ، كما انه أضطر الى أبعاد حاجبه وصاحب شرطته نزولاً عند رغبة مؤنس والخاصه (٥٣) .

وعندما تجاسر المقتدر وقلد الوزارة الحسين بن القاسم في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م (٥٤) فسر مؤنس هذا الاجراء بأنه نكاية به ، فتوترت العلاقة بين الخليفة ومؤنس ، وقد عمل الوزير على تغذية هذا الخلاف ، حيث بدأ بالحد من نفوذ قائد الجيش ، وتوهم ان الوزير سعى مع جماعة من الجند على كبس داره (٥٥) ، خاصة بعد ان تقرب الوزير الى الغلمان الحجرية والرجالة وجمع في دار الخلافة من آزره منهم ، (٥٦) فغضب مؤنس وقرر الرحيل الى الموصل (٥٧) ، وكان في جيشه حوالي (٨٠٠) رجل من

(٥١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٥٢) العيون ، ورقة ١٢٧ ـ ب . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٩

(٥٣) عريب ، الصلة ، ص ١٦٠ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٦ .

(٥٤) مسكويه ، م ق ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

(٥٥) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٦ .

(٥٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

(٥٧) عريب ، الصلة ، ص ١٦٥ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٨ ـ ب (تحقيق ، نبيلة ص ٣٥٣) . الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤١ . والعبر ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

الساجية (٥٨) ، كما كان معه من وجوه القرامطة « نحو سبعين رجلا منهم خطا أخو هند وزيد بن صدام وأسد بن جهور وكلهم أجناد مبرزون في البأس لا يرد أحدهم وجهاً عن عدو (٥٩) » ، وحينئذ نشط اعداؤه وقبضت املاكه وضياعه في بغداد ، ومنها قصره الذي ابتناه في اوائل القرن الرابع الهجري خارج باب الشماسية (٦٠) وأفرد الوزير لذلك ديوانا جديدا سماه « ديوان المخالفين (٦١) » ، ولعل الوزير أراد بهذه التسمية أن يوضح لنا موقف قائد الجيش من خليفة المسلمين . ولهذا كتب الى القواد والغلمان الذين مع مؤنس يحثهم على الانصراف عنه والعودة الى بغداد ، وقد عاد بعضهم فعلاً ، ومع ذلك بقي مع القائد عدد كبير من الجند (٦٢) . وكان مؤنس قد أجتمع بجنده في الطريق وقال لهم : « ما أنا بعاص لمولاي ولا هارب عنه وانما هذه طبقة عادتني وغلبت على مولاي فآثرت التباعد الى أن يفيقوا من سكرتهم وأتأمل أمري معهم (٦٣) » ، وقد خير جنده في المسير معه أو الرجوع الى بغداد والانضمام الى حضيرة الخليفة ، إلا أنهم فضلوا المسير

---

(٥٨) الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٧٤ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٥٩) عريب ، الصلة ، ص ١٦٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٩ .

(٦٠) لسترانج ، بغداد ، ص ١٩٨ .

(٦١) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٦٢) مسكويه ، م ق ، ج ١ ، ص ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٦٣) عريب ، الصلة ، ص ١٦٨ .

معه والبقاء تحت أمرته (٦٤) .

لم يكتف الوزير بالأجراءات التي أتخذت ضد مؤنس داخل العاصمة ، وإنما كتب إلى أمراء بني حمدان في الموصل يأمرهم بمحاربة مؤنس (٦٥)، ولم يكن مؤنس يتوقع ان يحاربه بنو حمدان ، وذلك لسابق فضله عليهم جميعاً (٦٦) ، لكنهم وجدوا أنفسهم محرجين أمام أصرار الخليفة على محاربة القائد الذي داهم مدينتهم . وكان مؤنس قد كتب الى رؤساء العرب في ديار ربيعة يخبرهم بأن الخليفة أرسله لمحاربة بني حمدان (٦٧) ، وهو يريد بذلك أن يخدعهم ليسهل عليه السيطرة على الموصل .

وعلى الرغم من أن جيش مؤنس لم يكن متكافئاً مع جيش الحمدانيين من حيث العدد (٦٨) ، الا انه تمكن من ان يهزمهم ويستولي على أموالهم وضياعهم (٦٩) ويحتل الموصل ، وعندئذ تراءى لبعض القواد أن الغلبة النهائية

(٦٤) نفس المصدر والمكان .

(٦٥) عريب ، الصلة ، ص ١٦٩ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٣٣ . الهمداني ، التكملة ١ / ٦٤ .

(٦٦) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٦٩ . عريب ، الصلة ، ص ١٦٩

(٦٧) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

(٦٨) كان جيش بني حمدان ٣٠ ألف جندي في الوقت الذي لم يتجاوز جيش مؤنس الالف شخص . (مسكويه ١ / ٢٣٣ . التكملة ١ / ٦٩ . الذهبي ، العبر م / ١٧٤ . ابن العماد ٢ / ٢٨٠) .

(٦٩) مسكويه ١/٢٣٤ . عريب ، ص ١٧١ . الذهبي ، العبر ٢/١٧٤ . التكملة ١ / ٦٩ . ابن الاثير ، الكامل ٦ / ٢٢ . ابن خلدون ، العبر ، ٤ / ٨١٩ .

ستكون بجانب مؤنس لا محال وبذلك انضموا اليه وكثر عدد مؤيديه (٧٠)، فألتحق به بني بن نفيس (٧١) مع جماعة من جنده ، ووافاه بدر الخرشني في نحو ثلاثمائة رجل فسر به مؤنس ، وقدم عليهم طريف السبكري من حلب في نحو أربعمائة فارس فسر به أيضا ، وحتى ان بعض جند الخليفة هربوا الى مؤنس ، وأخيراً التحق به (بالدوا) غلام ابن أبي الساج وكان مقاتلاً شجاعاً ، في نحو مائتي فارس ، كما استأمن اليه الحسين بن عبدالله ابن حمدان (٧٢) . وبذلك تعزز مركزه واستطاع ان يحرج مركز السلطة في بغداد خاصة بعد أن منع ارسال القمح من ولاية الموصل الى العاصمة ، وكان لعمله هذا الأثر الكبير في حصول الضائقة المعاشية في العاصمة ، والتي كان لها التأثير الواضح على تضعضع موقف المناوئين له في بغداد ، الأمر الذي سهل عليه التغلب عليهم (٧٣) .

اقام مؤنس في الموصل تسعة اشهر وبعدها انحدر الى بغداد (٧٤) ،

---

(٧٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ص ٢٣٤ . الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٦٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٩ .

(٧١) هو أحد قواد المقتدر لكنه هرب الى بلاد الروم على أثر أحباط حركة ٣١٧ هـ . (عريب ص ١٤٣) . (ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢١٧) .

(٧٢) عريب ، الصلة ، ص ١٧٢ .

(٧٣) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

(٧٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ . الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٦٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٠ .

نتيجة للمراسلات التي دارت بينه وبين الوزير ، على أثر حصول شغب في العاصمة ، فقدّر الوزير ان وجود مؤنس في بغداد من شأنه أن يقضي عن الشغب الذي اشتد فيها ، وفي رجوعه كتب الى الخليفة يقـول:

« لست بعاص لأمير المؤمنين ولا شققت عصاه وإنما تنحيت عنه لمطالبة أعدائي لي عنده ، وقد جئت الى بابه برجاله وليس مذهبي الفتن ولا اراقة الدماء »[٧٥] . هذا بالأضافة الى ان جنـده حملوه على الخروج الى بغداد [٧٦] . وهنا لم يجد الخليفة بدا من أن يتقدم بنفسه على رأس جنده لقتال قائد جيشه الأعلى الشاق عصا الطاعة على الرغم من أن المقتدر كان يدرك جيداً أنه سيقضي في الميدان [٧٧] .

وكان قسم كبير من جند المقتدر قد تسلل الى جيش مؤنس [٧٨] ، وفي بداية المعركة قتل الخليفة [٧٩] ، فأنهزم جيشه ، وبذلك تمت الغلبة لمؤنس ، ولما حمل رأس المقتدر اليه بكى وقال : « قتلتموه والله لنقتلن كلنا ، فأقـل ما يكون ان تظهروا بأن ذلك جرى بغير قصد منكم وان

(٧٥) عريب ، الصلة ، ص ١٧٥ .

(٧٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٠ .

(٧٧) عريب ، الصلة ، ص ١٧٦ .

(٧٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٤٣ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

(٧٩) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٤ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢١ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٨ .
BOWEN , op : cit , P : 319 — 320 :

تنصبوا في الخلافة ابنه ابا العباس فأنه تربيتي واذا جلس في الخلافة سمحت نفس جدته والدة المقتدر وأخوته وغلمان أبيه بأخراج المال [٨٠] » .

وهكذا يتجلى لنا موقف مؤنس من قتل المقتدر بأنه لم يكن يقدر بأن الخليفة سيقتل في ساحة المعركة ظناً منه أن المقتدر سوف لايحضر بنفسه الحرب ، وبذلك تأثر كثيرا وشعر بعظم الجرم الذي ارتكبه فبكى، وحاول أن يخفف من شدة الصدمة فأقترح تقليد ابن الخليفة المقتول لكي يخفف من هول الحادث الذي كان يعتبر هو المسؤول الفعلي عن وقوعه . ولكن قواده رفضوا اقتراحه هذا وأصروا على مبايعة محمد بن المعتضد [٨١] ، وما زالوا به حتى إنصاع لمشيئتهم وتمت مبايعة محمد بن المعتضد في ٢٨ شوال ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م ولقب القاهر بالله [٨٢]. وقد اشار مؤنس على الخليفة الجديد استيزار علي بن عيسى ، لكن قواد مؤنس رفضوا اقتراحه الثاني مدعين بأن شحة علي بن عيسى لا تتلاءم مع الوضع الجديد الذي بات يتطلب البذل والعطاء بسخاء لأسكات الاصوات المعارضة [٨٣] .

ولعل هاتين الحادثتين اللتين لم يتسن لمؤنس ان يحقق ما كان يراه، توضحان لنا أن مركز القائد بين جنده صار يختلف عما كان عليه سابقا .

---

(٨٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٤١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٢ .

(٨١) عريب ، الصلة ، ص ١٨١ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٤١ .

(٨٢) العيون ، ورقة ١٣٢ ـ ب (تحقيق ، نبيلة ص ٣٦٢) . مسكويه، م ق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٨٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

ويخال الباحث أن مؤنسا اصبح مجرد واجهة يختفي وراءها بعض القـواد لتحقيق مآربهم واطماعهم . وربما كان للشيخوخة (٨٤) والمرض (٨٥) اللذين بات القائد يئن من ثقلهما تأثير كبير عليه .

وفي بداية الامر بدت العلاقة بين الخليفة القاهر ومؤنس طبيعة ، وقد يكون ذلك متأتيا من شعور الخليفة الجديد بعظم الفضل الذي اسـداه قائد الجيش له . ولكن العلاقة بينهما ما لبثت ان ساءت نتيجة لتجاوزات الجيش الكثيرة ، فظهرت الوحشة بين الخليفة وقادة الجيش وعلى رأسـهم مؤنس ، وصاروا يضيقون على القاهر ويفتشون كل من يدخل دار الخلافة أو يخرج منها ، لذلك صار الخليفة يتآمر مع الساجية (٨٦) حتى تمكـن من القبض على مؤنس وسجنه (٨٧) ، ومن ثم قبض على يلبق وابنه علي، وقتلهم جميعا حيث ذبحوا ذبح الشاة (٨٨) . وهكذا طويت صفحة هـذا

---

(٨٤) عاش مؤنس تسعين سنة منها ستون سنة أميراً . (الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٥) .

(٨٥) عريب ، الصلة ، ص ص ١٦٥ — ١٦٦ .

(٨٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٦١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٨٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٧ .

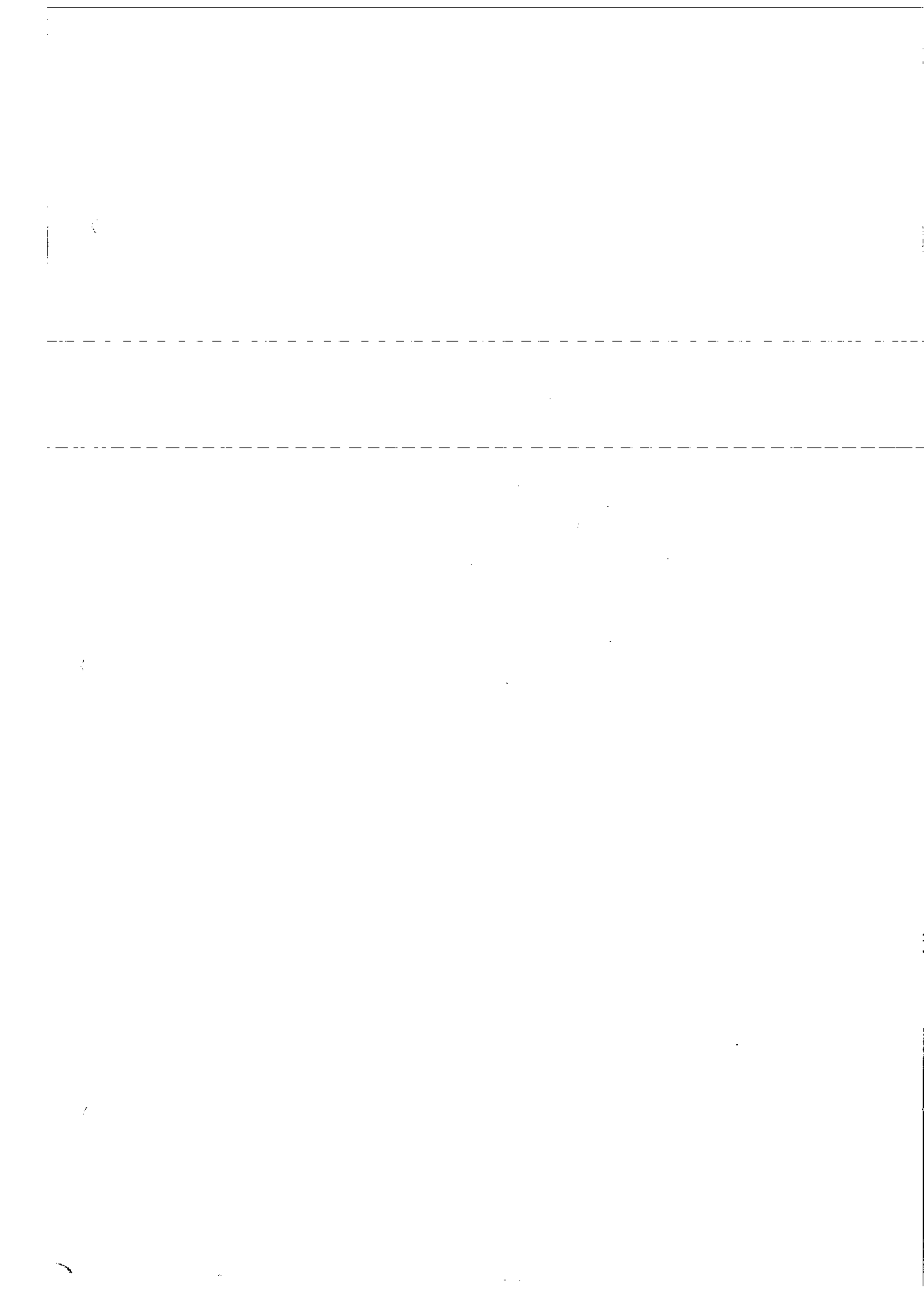
(٨٨) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٩ . زامباور، م . ق ، جـ ١ ، ص ١١ .

القائد الذي قبض على ناصية الحكم في معظم عهد الخليفة المقتدر بالله .
وخلاصة القول ، أن مؤنسا يمكن ان يعتبر ، من وجهة نظر مؤرخ العصر انموذجا جيدا لتدخل الجند في السياسة وتوجيه مقدرات الدولة .

الفصل الخامس

الاحوال الداخلية

١ ــ حالة الامن الداخلي .
٢ ــ فتنة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م .
٣ ــ أزمـات الغـلاء .
٤ ــ الخدمات العـامة .
٥ ــ أحداث سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م .
٦ ــ الاضطرابات خارج العاصمة .



الاحوال الداخلية

١ — حالة الامن الداخلي :

ترتبط حالة الامن الداخلي ارتباطا وثيقا بقوة أو ضعف السلطةالمركزية ففي خلافة المعتضد بالله سكنت الفتن ، ورخصت الاسعار ، وهدأ الهرج ، فدانت الامور ، وخضع له اكثر المخالفين عليه والمنابذين له (١) . ذلك لان الخليفة لم يتوان عن انزال أقسى العقاب بالمعارضين لسياسته .

ومع أن المكتفي بالله استهل عهده باطلاق المسجونين ورد الممتلكات التي سبق لوالده ان صادرها (٢) ، الا ان خلافته تعتبر من حيث الاتجاه العام استمرارا لما كان سائدا في عهد المعتضد . وقد يكون مرد ذلكالى ان المكتفي كان قد شارك في المسؤولية في عهد أبيه من جهة ، والىبقاء اكثر الرجال الذين استعان بهم والده بمناصبهم من جهة أخرى ، هذا بالاضافة الى قصر عهد المكتفي نسبيا الامر الذي جعل مؤسسات الدولة تسير على الاسس نفسها ، التي كانت في خلافة ابيه المعتضد .

ومع بداية عصر المقتدر بالله ، ظهر بوضوح ان الخلافة العباسية قد تطرق اليها الضعف والانحلال والاضطراب ، فكثر الخارجون عليها (٣) .

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ١٦٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ و ١٢٨ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

(٣) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ١ ٢٢٨ .

فضلا عن فساد الادارة وانتشار الرشوة بين كثير من عمال النواحي [٤].
وعندئذ استغل اعداء العباسيين واصحاب المطامع وضع الخلافة الحرج والمرتبك فأثاروا الفتن والاضطرابات ، بحيث اعتدنا ان نرى تلك الحوادث ، وقد اصبحت عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات . ومما لا ريب فيه أن مجيء المقتدر الى الخلافة ، كان قد تم على اساس اختيار الشخص الاضعف [٥]، لأنه اسلس قيادا من غيره ، ولانه لم تكن لديه التجربة السياسية والادارية التي يمكن ان تؤهله لمعالجة امور الدولة ، وحسن تدبيرها ، كيما يقطع دابر الفتن والشغب والاضطرابات التي أعطت عصر المقتدر ميزة جديرة بالاهتمام .

والظاهر ان العناصر المعارضة كانت تتحين الفرص المناسبة للتنفيس عن نواياها الدفينة . ففي سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م وجد جماعة من الجند يلقون النار ليلة النحر في عدة مواضع من بغداد ليخلقوا مناخا مناسبا للعابثين والغوغاء في النهب وفتح السجون [٦] . وفي السنة نفسها وقع حريق عظيم في اسواق الكرخ ودام حتى اتى على اموال التجار ، وقد تبين ان هذه العملية كانت متعمدة ، ولكن السلطة عجزت عن معرفة المسببين ، واقتصرت اجراءاتها على منع طرح الادوات التي فيها مواد قابلة للاشتعال السريع [٧] .

---

(٤) عريب ، الصلة ، ص ٤١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٣٩ .
(٥) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣ .
(٦) العيون ، م . ق ، ورقة ٦٩ – ب و ٧٠ – آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٢٩) .
(٧) ن . م ، ورقة ٦٩ – ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٢٩) .

وفي الوقت الذي قبض فيه على الوزير ابن الفرات، سارعت العناصر المعارضة والمحبة للنهب الى : « نهب داره ودور كتابه واسبابه وافتتنت بغداد ونهب الناس » (٨) . ويكاد حبل الامن ينفرط بازدياد النهب، لولا ان صاحب الشرطة ، مع افراد قواته البالغ عددهم تسعة آلاف فارس وراجل يتجولون في مناطق العاصمة المختلفة للحد من انتشار الفتنة التي شملت أكثر محلات بغداد ، فلقي الناس من جراء ذلك شدة عظيمة استمرت ثلاثة أيام بلياليها (٩) ، ولم يتم القضاء على هذه الفتنة ، إلا بعد أن ذهبت ضحايا كثيرة .

وقد سلك المشغبون شتى السبل في الحصول على الأموال والمناصب خلال وزارة محمد بن عبيد الله الخاقاني ، مستغلين ضعف الوزير ، فكتبوا الرقاع على يد أم موسى القهرمانة لتوصلها الى المقتدر ، يرومون المناصب ويتضمنون المناطق ، وهكذا شارك الأشرار في المسؤولية ، فأستخرجوا الأموال من كل جهة بكل تعسف (١٠) ، ومن جراء أهمال السلطة وتقاعسها

---

(٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٠ العيون ، م . ق ، ورقة ٧٣ — آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٣٥) . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٣٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١١٦ .

(٩) عريب ، الصلة ، ص ٣٦ . العيون ، م . ق ، ورقة ٧٣ — آ. مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٠ ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ،ص ١٠٩ . ابن الاثير ، الكامل جـ ٦ ، ص ١٣٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١١٦ .

(١٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٥ . العيون ، م . ق ، ورقة ٧٤ — ب .(تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٤٠) .

احترق سوق النجارين ببغداد سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م (١١) .

وفي سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ازداد الشغب في بغداد ، فأنحدرت هيبة السلطة ، الأمر الذي دعا الوزير الى أن يطلب من الخليفة اعفاءه من منصبه لأنه شعر بأن زمام الامور أفلت من يده ، وأصبح من المتعذر عليه اعادة الأمن الى نصابه (١٢) . وتعرضت بغداد لعاصفة أخرى من الشغب عام ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م ، حتى ان المشغبين خرجوا الى المصلي (١٣) ، ومما عزز مركزهم ، وزاد في خطرهم ان قد شارك الجند في هذا الشغب (١٤) ، وبعملهم هذا عرضوا أمن الدولة وسكينتها لأكبر الاخطار ، وكاد الأمر يتطور الى الأسوء لولا ان عمد الوزير الى اسكات الأصوات المعارضة بتوزيع الأموال عليهم (١٥) . وقد امتدت ررح الشغب الى داخل السجون حيث « شغب أهل السجن الجديد وصعدوا السور ، فركب اليهم صاحب الشرطة ، نزار بن محمد ، وقتل منهم رجلاً واحد فسكنوا (١٦) » . وفي السنة نفسها وثب جماعة من الهاشميين على الوزير المصلح علي بن عيسى لتأخر أرزاقهم فشتموه وأهانوه ، وقد اكتفى المقتدر بأن نفاهم الى البصرة (١٧) ،

(١١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٣ .

(١٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٧ . العيون ، م . ق ، ورقة ٨٥ ــ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٦٢) . متز ، م . ق ، جـ١ ، ص١٧٤ .
BOWEN , op : cit , P : 150 :

(١٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ .

(١٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٥٦ .

(١٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ .

(١٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٤٦ .

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ٧٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ،

لكن سبك الطولوني أمير البصرة أكرم مثواهم (١٨) .

ونظراً لعدم استقرار الاحوال الداخلية ، فقد تقرر عزل صاحب الشرطة ببغداد ، نزار بن محمد . وقلد نجح الطولوني هذا المنصب (١٩) . فحاول نجح اقرار الأمن ، والحد من عبث الجناة ، فأمر أن يجلس في كل ربع من الأرباع فقيه يسمع من النـــاس ظلاماتهم على أن لايكلف الناس ثمن الكاغد (٢٠) الذي تكتب فيه القصص (والظلامات) ، وان يعمل الشرطة بأرشاد هؤلاء الفقهاء (٢١) . وبذلك أمن اللصوص والعيارون جانب نجح الطولوني ، فكثرت الجرحات والفتن ، وتفاقم أمر اللصوص ، حتى صار العيارون يقولون : « أخرج ولا تبالي ما دام نجح والي (٢٢) » . ويضيف ابن خلدون فيقول : « وكثر اللصوص وكبست دور التجار واختطفت ثياب

ص ١٤٧ .

(١٨) عريب ، الصلة ، ص ٧٦ . متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٥٥ .

(١٩) في الصلة ، أن الذي تولى الشرطة هو يمن الطولوني . عريب ، ص ٧١ .

(٢٠) ويبدو للباحث أن ثمن الكاغد مرتفع في تلك الفترة بحيث أصبح اعفاء الناس من استعماله في شكواهم ، خطوة اصلاحية فيها تخفيف عن كاهل السكان . وبدون ريب فأن قلة القرطاس وارتفاع ثمنه يحد حتما من ازدهار الثقافـــة .

(٢١) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٦٩ . عريب ، الصلة ، ص ٧١ . ابن الوردي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ .

(٢٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٦٩ . ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٨٧ ..

الناس (٢٣) » .

ويتضح من النص السابق عجز جهاز الشرطة وتقاعسه ، حتى أن اللصوص كانوا يستخفون بصاحب الشرطة نفسه ، في الوقت الذي يجب أن تكون له هيبة في نفوس أولئك الجناة علهم يرتدعون عن أعمالهم الشريرة التي كانت تقلق السكان وتزيد في فزعهم وعدم اطمئنانهم على أموالهم وأنفسهم . ولعل ما يؤكد لنا ضعف جهاز الامن وجهله بواجباته الاساسية ، وعدم الثقة بنزاهته ، هو ان رئيسهم استعان ببعض الفقهاء ليساعدوا أفراد قواته ، ويراقبوا معاملتهم للناس ولتكتسب الاحكام صبغة أكثر شرعية . ومع ذلك بقي رجال الشرطة عاجزين عن كبح جماح الجناة واللصوص ، ومثيري الفتن والاضطرابات وربما يكون مرد ذلك الى أن هؤلاء أمنوا العقاب فتمادوا في غيهم .

وفي سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين العامة والحنابلة زعزعت أركان الدولة ، ومع ذلك أكتفى الخليفة بأن أمر بنفي بعض هؤلاء المشاغبين الى البصرة (٢٤) . ولعل تهاون السلطة مع العامة جعلها ترتكب جنايات أخرى . ففي سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م « كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور فأفلت من كان فيها ، وكانت ابواب المدينة الحديد (يـة) باقية فغلقت وتتبع أصحاب الشرطة من أفلت فلم يفتهم منهم أحد (٢٥) » . وفي السنة التالية هاجمت العامة القصور والمساجد وعطلوا

(٢٣) العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٣ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٨٧ .

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ص ١٦١ — ١٦٢ .

(٢٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥٣ . ابن كثير ، البداية

الصلاة فيها ، وحصلت نتائج وخيمة ، وشبت حرائق من جراء الاصطدامات التي نشبت بين الجند والعامة حيث أسفر الحادث عن وقوع قتلى بين الطرفين (٢٦) .

ويبدو أن السكان وصلوا الى درجة من الوعي والتيقظ ، اذ انهم أصبحوا لايطيقون ظلم السلطة وتعسفها ، عندما يسلط عليهم مثل هذا الظلم ، وخاصة في الوقت الذي تستشعر العامة فيه ضعف السلطة وارتباكها ، وعندئذ تبدأ تلتمس متنفسا لها لتهاجم المسؤولين في قصورهم ، عامدة الى الفتك بهم ، وقد ينشب من جراء ذلك أصطدام محقق بين العامة ورجال الدولة المسخرين لها ، الأمر الذي يؤدي الى اضطراب حبل الأمن ووقوع النهب والقتل من كلا الطرفين (٢٧) .

وعندما وقع حريق كبير عام ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م في جانب الكرخ ، واحترق بشر كثير بسببه (٢٨) فأننا لانجد نصاً يؤكد ان السلطة اهتمت بالموضوع وتحرت أسبابه ، ومعاقبة مسببيه ، أو المقصرين ازاءه وربما مر هذا الحادث المروع وأمثاله دون أن ينال مرتكبوه العقاب الرادع .

والنهاية ، جـ ١١ ص ١٣٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٧٩ . لسترانج ، بغداد ص ٤٨ .

(٢٦) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٣ .

(٢٧) الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٦ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٦ . اليافعي ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٤٩ . ابن العماد ، شذرات الذهب ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٢٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ج٦ ، ص ١٦٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٣٢ .

والحق ان اللصوص ومسببي الفتن والاضطراب ، لم يتمكنوا من الافلات من طائلة العقاب في كل الاحوال ، فقد تستطيع سلطات الأمن القبض على أولئك المتهمين ، وقد يكون عملها هذا شيئاً لا مفر منه ، ذلك أن هؤلاء اللصوص كانوا مكشوفين أمام الرأي العام ، وحينئذ يصبح في غير مقدور السلطات غض الطرف عنهم . وهذا ما حدث فعلاً في سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م عندما سطا سبعة لصوص على منزل أبي عيسى الناقد الصيرفي ، وسرقوا منه عيناً وورقا وأثاثا ما قيمته ثلاثون الف دينار ، ومع أن سلطات الأمن استطاعت ان تقبض على اللصوص وتفتك بهم ، إلا أنها لم تتمكن ان ترجع من الأموال المسروقة ، غير حوالي اثنين وعشرين الف دينار فقط (٢٩) .

ومما يدل على التعصب الذي تميزت به بعض طوائف العامة ، انها اجتمعت يوماً ومنعت من أن يدفن العالم الجليل أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، لأنه كان قد ترك في نفوسهم غضاضة عليه ، وفي قلوبهم غيظاً لايفثأه حتى موت الرجل نفسه ، تلك الغضاضة ، وهذا الغيظ كان مبعثهما ما اتهم به من « الرفض والالحاد (٣٠) » ، فكان أن ترك جثمانه ولم يستطع مشيعوه إلا أن يتستروا ، فكان الليل غطاءهم ، فدفنوه ليلاً بعد

---

(٢٩) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٢٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٩ .

(٣٠) العيون ، م.ق ، ورقة ١٠٨ – أ . (تحقيق ، نبيلة ، ص٣٠٦) . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٤٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٢ .

أن تعذر عليهم دفنه بيسر نهاراً (٣١) .

وكانت الخلافة العباسية قد تطرق اليها الوهن ، وانحطت هيبة موظفي الدولة ، ففي عام ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م « وثبت العامة على ابن الفرات ورجمت طيارة بالآجر وركب المحسن من داره يريد طياره فرجموه ، وضجت العامة في الطرقات (٣٢) » ، وحصلت مضاعفات من تحرك العامة هذا ، وارتجت بغداد بأسرها من الجانبين ، الأمر الذي تعذر فيه على المصلين اداء الصلاة في المساجد الجامعة (٣٣) .

وفي الوقت الذي لـم يأمن رجال الدولة المسؤولون ، على أموالهم وأنفسهم ، فأن السكان بصورة عامة كانوا كذلك غير مطمئنين على حياتهم وممتلكاتهم فعندما دخل أبو طاهر القرمطي الكوفة سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م « اضطرب أهل بغداد اضطراباً شديداً وانتقل اكثر أهل الجانب الغربي الى الجانب الشرقي (٣٤) » وقد اكترى كثير من أهل بغداد سفناً ونقلوا عليها

(٣١) العيون ، م.ق ، ورقة ١٠٨ ــ أ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧١ . ابن كثير ، م.ق ، ج١١ ، ص ١٤٦ .

(٣٢) الصابي ، رسائل الصابي ، ص ٥٧ . العيون ، م.ق ، ورقة ١١٠ ــ أ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣١١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/ قسم ٤ ، ص ٧٩١ .

(٣٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص ١٨٨ ــ ١٨٩ . اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٤ ، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ .

(٣٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٤٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٢٦ ــ ٢٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٠ .

أموالهم وربطوها لينحدروا الى واسط . وفيهم من نقل متاعه فعلاً الى واسط والى حلوان [٣٥] من شدة الفزع الذي أصابهم [٣٦] . ويخال للمتتبع ان السكان كانوا واثقين من عجز السلطة ، وعدم قدرتها على حمايتهم من أي خطر قد يداهم مدينتهم . وقد تأكد لهم ذلك عندما لمسوا أن قصور الخلافة نفسها كانت تتعرض للتجاوزات في كثير من الاحيان [٣٧] . وفي الأعم الأغلب كان الجناة يفلتون من طائلة العقاب ، الأمر الذي دفعهم الى التمادي في تجاوزاتهم ، بعد أن أمنوا العقاب . والذي يؤكد لنا اهمال السلطة وتقاعسها ، ان العاصمة كثيراً ما كانت تتعرض لحرائق مدمرة اذ انهـا كانت تلتهم بألسنة نيرانها كثيراً من البيوتات وتحيلها رماداً ، ففي

ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩١ .

(٣٥) حلوان : وحلوان فى عدة مواضع : منها حلوان العـراق ، وهي آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد . (ياقوت ، معجم البلدان ٢٩٠/٢) وتأتي حلوان بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى من حيث الاتساع . واكثر ثمارها التين . وهي بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبـل غيرها . وربما يسقط بهـا الثلج ، وهي ردية المـاء وكبريتية ، وحولها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عـدة ادواء (ياقوت ٢٩١/٢) .

وحلوان : قصبة صغيرة سهلية جبلية يحيط بها بساتين وأعناب وتين وقريبة من الجبال ولها سوق طويلة وحصن عتيق ، ونهر صغير (المقدسي أحسن التقـاسيم ، ص ١٢٣) .

(٣٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٨ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص٢١٧ . ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص ٧٩٢ — ٧٩٣).

(٣٧) العيون ، م.ق ، ورقة ١٤٤ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص٣٢).

جمادي الأولى من سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م « وقع حريق في نهر طابق فأحترق فيه الف دار والف دكان [٣٨] » . وفي شهر رجب من السنة نفسها وقع حريق آخر في دار الخلافة فأحترقت بعض دور الأمراء [٣٩] .

وساد بغداد الفزع على أثر الهزيمة التي لحقت بجيش الخليفة في الكوفة امام ضربات القرامطة عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، فوصلت فلول هذا الجيش الى العاصمة مضرجة الدماء ومتقهقرة ، فتحرج مركز الحكومة ، وفكر العيارون والمتشبهة بالجند وبان تشوقهم الى النهب [٤٠] ، فأضطر أصحاب المحلات التجارية الى غلق حوانيتهم ، ولم يكتف هؤلاء بهذه الاحتياطات ، بل ان قسماً منهم نقلوا بضائعهم الى منازلهم حماية لها من النهب او السرقة ، وبات في حكم المحقق ان بغداد مقبلة على فتنة خطيرة [٤١] . خاصة بعد أن عاث العيارون فساداً في العاصمة ، ثم صار أمرهم يتفاقم كلما ضعفت السلطة ، وعندئذ طلب من نازوك صاحب الشرطة مواصلة التطواف مع جميع أعوانه كل يوم صباحاً ومساءً في جانبي بغداد ، ممتطين دوابهم ، لاينزلون منها ألا لأداء الصلاة . ولم تهدأ هذه الحالة

مسكويه م.ق ، ج١ ، ص ١٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ٦/١٩٠ .

(٣٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠١ . (ويقول ابن كثير ان هذا الحريق حصل في سنة ٣١٣ هـ وليس في ٣١٤ هـ . (البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥٣) .

(٣٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٣ .

(٤٠) مسكويه ، م .ق ، ج١ ، ص ١٧٩ .

(٤١) ن.م ، ص ١٨٠ .

إلا بعد أن نادى المنادي في الجانبين انه : « من ظهر من العيارين والمتشبهة بالجند ومن وجد معه حديد ضرب عنقه فأنحجر العيارون (٤٢) » .

لقد تنكرت الأيام لبغداد ، وعاث العيارون فساداً فيها ، وأعملوا فيها النهب والتقتيل ، ثم صار أمرهم يتفاقم ، كلما ضعفت السلطة ، وكانت العاصمة تعيش أسوأ أيامها خلال السنوات التي أفلت فيها زمام السلطة . ونظراً لكثرة النكبات التي تعرضت لها بغداد خشي الناس ان تعود مثل سامراء فيكتنفها الخراب .

وكان من سوء طالع حاضرة الخلافة ، أن تتوالى عليها النكبات ، والفتن ففي جمادي الأخرى من سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م شب فيها حريق هائل حتى أتى على عدد كثير من المنازل في جانب الرصافة (٤٣) . وفي سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي ، وبين غيرهم من العامة (٤٤) ، وقد ذهب ضحيتها عدد كثير منهم ، ومما زاد في أشتداد الأزمة ان بعض الجند التزم جانب العامة (٤٥) . ويبدو

(٤٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ؛ ص ١٨٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٣ .

(٤٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٧ . ابن الاثير ، الكامل ج٦ ، ص ١٩٠ .

(٤٤) اذ اختلفوا حول تفسير قوله تعالى : « عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » سورة : (الاسراء ، آية ٧٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٢٠٦/٦ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٤ . ابن كثير ج ١١ ، ص ١٦٢ . ابن الوردي ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٦١ .

(٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٦ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٦٢ . ابن الوردي

من تفاصيل هذه الاحداث أن هناك مساجلات كلامية كانت تدور في المجتمع البغدادي ، حول المسائل الدينية ، بحيث يعزز كل فريق وجهة نظره بالرجوع الى التراث الديني • كما تظهر أمام الباحث حقيقة أخرى ، هي ان مجتمع العامة ، لم يعد خاضعاً للآراء المغالية في التزمت ، مما يدل على وجود حرية الرأي يومذاك •

لكن طابع الشغب والتعسف والحقد ظل مسيطراً على العقول • ولعل مرد ذلك يعود الى ضعف السلطة من جهة ، وقلة النضج والتسامح المذهبي من جهة أخرى ، ومما يؤكد ذلك أن العابثين والمعارضين ، استغلوا عزل الوزير ابن مقلة عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م [٤٦] ، فأحرقوا داره التي أنفق عليها مائة الف دينار ، وانتهب الناس أخشابها وما وجدوه فيها من حديد ورصاص وغيره [٤٧] •

ويبدو أن سلطات الامن ، وصلت الى درجة من الضعف بحيث اصبحت عاجزة ، حتى عن حماية سكان بغداد نفسها ، ففي شهر رجب عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م دخلت جماعة من الاعراب العاصمة ، وتوسطوا الشوارع ، فأخذوا

م.ق ، ج١ ، ص ٣٦١ • (ولما رجع الى صحيح البخاري وجد ان وجهة نظر العامة هي الاصح) ابن كثير ١١/١٦٢) •

(٤٦) عريب ، الصلة ، ص ١٥٠ •
SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 456 :

(٤٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٣١ • ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٤ •

(يقول عريب ان ابن مقلة انفق على داره هذه مائتي الف دينار • الصلة ، ص ١٥٤) •

ثياب الناس ، وامتعة التجار ، ومضوا على وجوههم ، فلم يجرأ أحد ان يلحق بهم • واقصى ما قامت به السلطة : ان أمرت محمد بن ياقوت صاحب الشرطة ، بعدم فتح أبواب سور العاصمة الا بعد طلوع الشمس ، خوفا من وقوع حوادث مماثلة ليس في مقدور رجاله التصدي لها وقمعها [٥٠].

وفي اواخر سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م تعرض الوزير للاهانة والشتم واغاظ الجند له القول ، ومن ثم هجموا على داره واحرقوا بابها الرئيسي وكانوا أن يفتكوا بالوزير لولا انه خرج من باب ثانية [٥١] وقصد الشطار [٥٢] واهل الدعارة من العامة دار الخليفة ، فأحرقوا باب الميدان ، وقصدوا السجن واخرجوا من كان فيه ، ولم يهدأوا الا بعد أن ضمن لهم يلبق تنفيذ مطاليبهم [٥٣] والظاهر ان انصياع السلطة لمطاليب هؤلاء المشغبين دفعهم الى التمادي في مطالبهم ، الامر الذي جعل تجاوزاتهم تمتد لتشمل بعض رجالات الدولة الاخرين • فبعد ان حصلوا على مطاليبهم الآنفة الذكر ، قصدوا دار أبي العلاء سعيد بن حمدان، وحاصروه فيها ، فأضطر الى حمل افراد عائلته وجميع ما يملك في زوارق ويترك لهم داره

---

(٥٠) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٧ .

(٥١) عريب ، الصلة ، ص ١٥٦ — ١٥٧ • ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ٢١٨ •

(٥٢) الشطار : الشطار والعيارون ، تكتل نتج عن شعور تكون لدى الطبقة العامة لزيادة نسبة التباين الطبقي وسوء الوضع المعاشي للطبقة العامة وانتشار الفوضى السياسية . (التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٠٧) •

(٥٣) عريب ، الصلة ، ص ١٥٧ .

يعيشون فيها (٥٤) ، وهنا نجد ان المراجع تسكت عن موقف سلطات الامن حيال تجاوزات هؤلاء المهاجمين الذين كانوا قد عاودوا مهاجمة دار أحد رجال الدولة يومين متتاليين الى ان اضطر ان يتخلى عنها مرغما .

والذي زاد الطين بلة ان سكان العاصمة لم تكفهم الحياة المروعة التي كانوا يحيونها على الدوام من جراء الفتن والاضطرابات التي كانت تنتاب مدينتهم ، بل وحتى ما كان يحدث في خارجها من الاضطراب ، تنعكس آثاره المروعة على سكان بغداد . ففي عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م اشتدت هجمات القرامطة على مدينة الكوفة ، فجلا الناس عن قصر ابن هبيرة (٥٥) ، ودخلوا بغداد مستغيثين ففزع أهل العاصمة وتركوا التسوق واعتصموا بالمساجد (٥٦) متيقنين من عجز السلطة عن حمايتهم من أي خطر قد يداهمهم ، فأغلق التجار ، بباب الكرخ حوانيتهم، وامتنع السكان عن دفع الضرائب ، وقتلوا بعض موظفي الجباية ، واطلقوا المسجونين (٥٧) .

والظاهر ان العناصر العابثة استغلت ضعف السلطة ، وأمنت عقابها فتمادت في تجاوزاتها ؛ حيث هجمت جماعة في سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م على حمزة بن ابي القاسم ، خطيب الجامع الغربي ، وقد وثبوا عليه واخذوا قلنسوته ومنعوه من القاء خطبة الجمعة وأبطلوا الصلاة ، تعبيرا عن

(٥٤) نفس المصدر والمكان .

(٥٥) قصر ابن هبيرة : « وأما قصر هبيرة فمدينة كبيرة جيدة الاسواق تجيئهم الماء من الفرات كثيرة الحاكة واليهود ، والجامع في السوق » . (المقدسي أحسن التقاسيم ، ص ١٢١) .

(٥٦) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٨ .

(٥٧) نفس المصدر والمكان .

احتجاجهم على موقف الخلافة من الجهاد ، ولم تسكن اعتداءاتهم الا بعد ان تصدت لهم جماعة من الجند وشتتت شملهم [٥٨] . وهكذا يتضح ان الفتن والاضطرابات استمرت خلال عصر الخليفة المقتدر بالله ، وهذا بدوره أقلق السكان وشل الانتاج الزراعي ، وحد من توسع التجارة ، وعطل كثيرا من مرافق الحياة الاخرى ، حتى انه « لم يحج أحد منذ سنة سبع وعشرة وثلثمائة الى سنة ست وعشرين وثلثمائة خوفا من القرامطة »[٥٩].

٢ — فتنـة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م :

ما أن وافت سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ، حتى اخذت حركـة التذمر تشتد احتجاجا على سوء الاحوال العامة ، في الوقت الذي لم تكد تمضي على خلافة المقتدر بالله اكثر من أربعة اشهر [٦٠] ، حيث صار رجال الدولة يستصغرون الخليفة الجديد . « ويتكلمون في خلافتـه » [٦١]، واتفقت

(٥٨) ن . م ، ص ١٥٩ .

(٥٩) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢٢٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢١٢ . العيون ، م.ق ، ورقة ١٣١ — أ . (تحقيق نبيلة ، ص ٣٥٨) . المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، قسم ١ ص ١٨ .

(٦٠) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٦ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٧ ، ص ٢١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٦٩ . المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، قسم ١ ، ص ١٨ . ابن العمـاد ، م.ق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .

(٦١) الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣١ . السيوطي ، الخلفاء

طائفة منهم على عزله فاتجهت الانظار الى عبد الله بن المعتز ، لما كان له من حق الوراثة ، وربما كان معروفا عنه في مجال العلم والادب . حيث كان ابن المعتز أديبا بليغا وشاعرا مطبوعا جيد القريحة ، وقد اظهر اصالة في المؤلفات التي انتجها [٦٢] .

وقد يكون لصغر سن المقتدر وعدم خبرته في شؤون الخلافة ، أهم الحوافز التي حركت اولئك المتآمرين ، ومنهم الوزير العباس بن الحسن ومحمد بن داود بن الجراح ، وأحمد بن يعقوب القاضي، والحسين بن حمدان وغيرهم [٦٣] ، حتى ان مؤنسا الخادم كان قد اشترك مع هؤلاء حيث يروي بعض الباحثين [٦٤] ، ان مؤنسا تعاون مع المتآمرين ، ولكنه من جهة اخرى كان قد اتفق مع الحسين بن حمدان على ان يتظاهر بانه مع هؤلاء واوصاه بالفرار مع فرسانه اذا ما خرج غلمان المقتدر للدفاع عنه .

ويؤكد الطبري ان الوزير العباس بن الحسن كان متفقا مع المتآمرين ضد المقتدر ، غير انه لما رأى ان الخليفة قد اوكل اليه تسيير الأمور كلها

ص ٣٧٨ . السامرائي ، المؤسسات ، ص ٥٢ .

(٦٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ . نكلسن، م.ق ، ص ١٠٧ .

(٦٣) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٨٢ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ . ابن حمدون التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٢٨ — أ . ابن بطريق ، التاريخ المجموع ، ج٢ ، ص ٧٨ . الذهبي، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٩ .

(٦٤) احمد كمال زكي ، ابن المعتز ، ص ٢٢٠ .

انسحب من المتآمرين وصار يؤيد بقاء المقتدر في دست الخلافة [٦٥]. ولم يكتف بذلك بل أخذ يستخف بالجماعة التي كان متفقا معها بالامس ، ويتعالى عليها ويستهين بها [٦٦] . ويضيف مسكويه ، ان العباس بن الحسن: « بعد اتمامه امر المقتدر استصباه وكثر كلام الناس فعمل على ان يحصل امره » [٦٧] ، ولكنه لم يذكر ان الوزير كان متفقا مع المتآمرين على تقليد عبد الله بن المعتز . والحق ان ابن المعتز اشترط على المتآمرين عندما فاتحوه بهذا الامر ، أن لا يكون في ذلك سفك دم ولا حرب [٦٨].

وتجمع المصادر [٦٩] على قوة حزب عبد الله بن المعتز ، واتفاقهم على عزل المقتدر ، على اساس ان ابن المعتز امير حرم من عرش أبيه ، رغم مكانته الفكرية . وكان يتمنى ان يصبح اميرا للمؤمنين ، ايمانا منه بحقه في ذلك لكن الظروف كانت تبعده عن هذه المهمة ، بالاضافة الى سلبيته التي دفعته الى التماس السلوى في الشراب والتهتك . ويحاول بعض الباحثين ان يلتمس لابن المعتز مبررا لقبوله التآمر على خليفة بايعه الجميع ، وكان هو أحد المبايعين له ، ويقول

(٦٥) تاريخ الرسل والملوك ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٨٢ .

(٦٦) عريب ، الصلة ، ص ٢٥ .

(٦٧) تجارب الامم ، ج١ ، ص ٤ .

(٦٨) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٨١ . عريب ، الصلة ، ص ٢٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

(٦٩) القلقشندي ، مآثر الاناقة ، ج١ ، ص ٢٧٦ . مسكويه م . ق ، ج ١ ، ص ٤ . عريب ، الصلة ، ص ٢٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

مستطردا « وحسبه أنه أشعل نار ثورة سياسية كادت تنجح لتجعل منه خليفة للمسلمين لولا سوء طالعه فلم يتمكن من الامر سوى يوم وليلة »[٧٠] ، ناسيا فضل أبيه عليه ، ومتناسيا صلة العمومة التي تربطه مع الخليفة الصبي .

وكان على رأس هؤلاء المتآمرين محمد بن داود بن الجراح ، والحسين بن حمدان الشيعي المذهب والذي لا نعلم كيف يستطيع التوفيق بين معتقداته المذهبية ، وبين اندفاعه الشديد في تأييد عبد الله بن المعتز ، والذي ينسب اليه أبو الفداء قوله : « ان ولاني الله لافنين جميع بني طالب » [٧١] . ومع ذلك فقد تواطأ مع المتآمرين جماعة من القواد والكتاب والقضاة [٧٢] ، وحينئذ اصبح الموقف يتصف بالقلق والترقب ، وشعر المتآمرون بقوة حزبهم ، واعتقدوا خطأ ان أهل بغداد يؤيدونهم ، فأقدم الحسين بن حمدان على قتل الوزير وفاتك المعتضدي [٧٣] . فاضطرب

(٧٠) احمد كمال زكي ، ابن المعتز ، ص ١٩٢ .

(٧١) المختصر في اخبار البشر ، ج٣ ، ص ٧٩ .

(٧٢) الطبري ، م.ق ، ج١ ، المجلد ٤ ، ص ٢٢٨١ . ابن حمدون التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٨ — أ ٤ الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ٧ ص ٢١٤ . العيون م.ق ، ورقة ٦١ — ب . و ٦٢ — أ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٠٩) . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٦ . ومروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٨٠ — ٨١ . الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ١٠٤ . الديار بكرى ، م .ق ، ج٢؛ ص٣٤٥ .

(٧٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٢٢٢ . عريب ، الصلة ص ٢٦ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٥ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ورقة ١٢٨ — أ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج٧ ، ص ٢١٤ . الذهبي،

الناس ، وركض ابن حمدان الى الحلبة مقدرا أن الخليفة هناك ليقتله(٧٤).
غير ان الضجة التي احدثتها عملية ابن حمدان هذه ، هي التي انقـــذت المقتدر من قتل محقق ، وذلك لان الخليفة الصغير السن ، لما سمع الهرج الذي أعقب الفتك بالوزير ، بادر بالدخول الى دار الخـــلافة ، وأغلقت الأبواب دون المهاجمين (٧٥) ، الذين انصـــرفوا الى دار سليمان بن وهب بالمخرم حيث أحضروا عبد الله بن المعتز الى هناك ، وجلس على أريكـــة وثيرة ، ووقف محمد بن سعيد الازرق كاتب ديوان الجيش ، يأخذ البيعة بأسم الخليفة المرتضي بالله (٧٦) أبي العباس عبد الله بن المعتز . فتقـــدم

دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣١ . ابو المحاسن ؛ النجوم الزاهرة ؛ ج ٣ ص ١٦٤ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٨١ . الصابي ، الوزراء ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٧٤) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٥ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقـــة ١٢٨ — ب . أبو المحاسن ، النجوم الزاهـــرة ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

(٧٥) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٨١ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٨ — ب . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢١ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ؛ ص ١٣٢ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٠٤ . الديار بكرى ، م . ق ، ج٣، ص ٣٤٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٧ . اليافعي ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ . ابن العماد ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٢١.

(٧٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٥ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٨ — ب . ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٠٦ . المنتظم ٦ / ٨١ . الكامل ٦ / ١٢١ . « ويقول أبو المحاسن ،

محمد بن داود الجراح مبايعاً فولاه الوزارة ، وتلاه محمد بن عبدون ففوض اليه الأمر في دواوين الأزمة واعقبهما علي بن عيسى ، فقلده عامة الدواوين، ثم تبعهم الحسين بن حمدان فجعل أميراً على الجيش ، وتقدم بعد ذلك القاضي أبو المثنى (٧٧) أحمد بن يعقوب ، فتقلد ديوان القضاء ، في حين

ولقبوه المرتضي بالله . وقيل : المنتصف بالله . وقيل : الغالب بالله . وقيل : الراضي بالله . النجوم الزاهرة جـ ٣ ، ص ١٦٤) . ويقول الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢ ٢٢٨ : (ولقبوه الراضي بالله) . وكذلك يقول الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٧ ، ص ٢١٤ . (ولقبوه الراضي بالله) .

ويذكر السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧ . (ولقبوه الغالب بالله) .

ويذكر عريب ، ص ٢٧ . (ولقبوه المنتصف بالله) .

ويقول الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣١ ، (ولقبوه الغالب بالله) . وكذلك العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٣٥٤ ، يقول : (ولقبوه الغالب بالله . وقيل : المنتصف لله) .

ويذكر القلقشندي ، مآثر الاناقة ، ج ١ ، ص ٢٧٦ (ولقبوه الراضي بالله) .

ويذكر الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٩١ : (ولقبوه المنتصر بالله) .

ويقول الديار بكري ، تاريخ الخميس ، جـ ٣ ، ص ٣٤٥ . (ولقبوه الغالب بالله . وقيل : المنتصف بالله . وقيل الراضي) .

أما ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٩ . فيقول : ولقبوه الراضي بالله . (ثم ينقل لنا ابن الجوزي عن تاريخ ثابت بن سنان بأن ابن المعتز لقب بالمرتضى بالله . وقال الصولي : المنتصف بالله . المنتظم ٦/٨١) .

(٧٧) ورد خطأ في الصلة ص ٢٧ ، بأن أبا المثنى امتنع عن البيعة لابن المعتز ، وهذا خطأ ذلك أن هذا الرجل كان من المندفعين لمبايعة ابن المعتز .

جعل يمن بعد المبايعة حاجباً (٧٨) .

ولما تمت مبايعة عبد الله بن المعتز قال : « قد آن للحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح (٧٩) » ، ولم يشك الناس أن الأمر تام له ، اذ اجتمع أهل الدولة عليه (٨٠) . وتلمس الناس ابن الفرات ومؤنساً وسوسنا ، فلم يقع لهم أحد على أثر . وتفقد الخليفة الجديد أبا بكر محمد بن يحيى الصولي ، ومحمد بن جرير الطبري ، اذ لم يحضرا المبايعة (٨١) ، ونفذت الكتب الى الأمصار كلها عن ابن المعتز (٨٢) .

ويبدو ان الطبري كان متشائماً من تولية ابن المعتز ، فتنبأ لخلافته قصر الأجل فقال متسائلاً : « ما الخبر ؟ قيل بويع ابن المعتز . قال : فيمن رشح للوزارة ؟ قيل محمد بن داود . وقال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل أبو المثنى . فأطرق ثم قال : هذا الأمر لايتم . قيل له وكيف ؟ وقال : كل واحد ممن سميهم متقدم في معناه عالي الرتبة والزمان مدبر والدنيا مولية وما أرى هذا إلا الى اضمحلال وما أرى لمدته طولاً (٨٣) » .

---

(٧٨) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٦ . ابن حمدون ، التذكرة ، جـ ١٢ ، ورقة ١٢٨ ـ ب . الذهبي ، دول الاسلام جـ ١ ، ص ١٣٢ .

(٧٩) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٩١ . القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ .

(٨٠) عريب ، الصلة ، ص ٢٧ .

(٨١) احمد كمال زكي ، ابن المعتز ، ص ٢٢١ .

(٨٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٨١ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٨ .

(٨٣) السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٩ .

وأعلن الخليفة الجديد انه لاصلاة للناس مع المقتدر ولا حج ولا غزو وأصدر اليه أمراً بالتحول عن قصر الحسنى الى دار محمد بن طاهر ، فأتاه الجواب بالسمع والطاعة (٨٤). وينفرد صاحب (سمط النجوم العوالي) بالقول : أن المقتدر لما أتته رسالة ابن المعتز لبس السلاح وركب وقال لحامل الرسالة : « ليس عندي جواب إلا السيف ، ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل في غاية الخوف والوجل (٨٥) » فهجموا على ابن المعتز وحزبه وتغلبوا عليهم . وتبدو هذه الرواية ضعيفة لأنها لم ترد في المصادر المعاصرة من جهة ، ومن جهة أخرى فان عمر المقتدر وخبراته السابقة ، لم تؤهله لأن يقود جماعة من خدمه في عملية جريئة كهذه.

وكان على قائد الجيش الجديد الحسين بن حمدان ، وصاحب الشرطة ابن عمرويه أن يذهبا لتسلم دار الخلافة من المقتدر وحاشيته . وقد ظنا خطأ ، ان كل شيء قد آل للخليفة الجديد ، غير انهما فوجئا ، عندما وجدا أن حرس قصر الخلافة كانوا مستعدين بالسلاح للدفاع عن الخليفة المعزول . وبذلك حدثت مناوشات لم يتأهب لها الخليفة الشاعر ، الـذي لم يتوقع تلك المقاومة ، حيث صمد المدافعون عن قصر الحسنى ، وحينئذ انسحب المهاجمون بعيداً عن القصر . ولم يكتف ابن حمدان بالانسحاب بل قاد جيشه واتجه نحو الموصل (٨٦) .

---

(٨٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٦ . ابن حمدون ، التذكرة ، جـ ١٢ ، ورقة ١٢٨ ـ ب ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٢١ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٩ . الديار بكري ، م . ق ، جـ ٣ ، ص ٣٤٦ . ابن العماد ، م . ق ، جـ٢، ص٢٢١.

(٨٥) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٣٥٤ .

(٨٦) عريب ، الصلة ، ص ٢٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص

وازاء هذا الموقف تعزز مركز جماعة المقتدر ، وارتفعت معنوياتهم وأجمع رأيهم على مهاجمة حزب ابن المعتز في عقر دارهم • فركبوا في شذاءات قاصدين المخرم حيث كان المتآمرون موجودين ، فلما رأوها وقع الرعب في قلوبهم ، ودب الهلع في نفوسهم ، ظناً منهم ان خلف هؤلاء ، أعوانا وأنصاراً ، فهربوا على وجوههم ، وتبدد الاعوان مع ان سهما واحدا لم يطلق (٨٧) •

ومع ذلك فأن ابن المعتز رأى ان يخرج من العاصمة قبل وقوع اشتباك لا يضمن هو نتائجه • وكان حاجبه قد شهر سيفه وأخذ ينادي « يامعشر العامة أدعو الله لخليفتكم (٨٨) » • ولعل هذا الموقف يفسر لنا عجز هؤلاء وتخاذلهم ، واتجه ابن المعتز مع وزيره وحاجبه قاصدين سامراء ، تقديراً منهم أن يتبعهم الجيش فيثبت أمرهم هناك • غير ان تقديرهم هذا كان قد جانبه الصواب ، مما اضطرهم الى الرجوع الى بغداد والاستتار بها ، فنادى المنادي بتقديم مكافأة قدرها عشرة الآف دينار لمن يساهم بالقبض على محمد ابن داود الجراح (٨٩) ، وازاء هـذا العرض المغري ، ما لبث أن كشف

---

٦ • ابن حمدون ، التذكرة ، جـ ١٢ ، ورقة ١٢٨ — ب • ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٢١ • الديار بكري ، م • ق ، جـ ٣ ، ص ٣٤٦ • ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٧ •

(٨٧) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٦ • عريب ، الصلة ، ص ٢٨ • مسكويه ، م • ق ، جـ ٦ • ابن حمدون ، التذكرة ، جـ ١٢ ، ورقة ١٢٨ — ب • الديار بكري ، م • ق ، جـ ٣ ، ص ٣٤٦ • العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٣٥٤ • السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٩ •

(٨٨) مسكويه ، م • ق ، جـ ١ ، ص ٦ •

(٨٩) عريب ، الصلة ، ص ٢٩ •

أمرهم ، فالقي القبض عليهم جميعاً وقتلوا شر قتله [٩٠] حيث ذبح قسم منهم ذبح الأغنام [٩١] .

ويقول العصامي انه : « لما أدخل ابن المعتز على المقتدر أمر به فطرح على الثلج عرياناً وحشي سراويله ثلجا ، فلم يزل كذلك والمقتدر يشرب الى ان مات في ربيع الآخر سنة ٢٩٦ هـ [٩٢] » ، في الوقت الذي تؤكد أكثر المصادر ، أن ابن المعتز كان قد اختفى في دار صديقه الحسين بن الجصاص الجوهري ، ولما قبض عليه سلم الى مؤنس الخادم فقتله وسلمه الى أهله ملفوفاً في كساء بعد ان خنقه [٩٣] ، ولم يقدم أحد على رثائه سوى الشاعر ابن بسام [٩٤] .

ويعزو الثعالبي احباط حركة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م الى الدور الذي قام به مؤنس الخادم الذي كان متفقاً مع المتآمرين على عزل المقتدر أملاً في أن يصبح حاجباً للخليفة الجديد ، فلما رأى يمنا غلام المكتفي قد عين

(٩٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ٧ — ٨ . الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٣ . ابن الاثير ، الكامل ١٢٢/٦ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ج ٦ ، ص ٨١ .

(٩١) أنظر التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(٩٢) سمط النجوم العوالي ، ج ٣ ، ص ٣٥٤ .

(٩٣) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج١،ص ٥٠٦ . القلقشندي، مآثر الاناقة ، ج ١ ، ص ٢٧٦ . الانباري ، نزهة الالباب فى طبقات الابناء ، ص ١٦١ . السندوبي أدب الجاحظ ، ص ١٥٧ .

(٩٤) حيث قال : لله درك من ميت بمضيعة

ناهيك فى العلم والآداب والحسب .

(الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٩٢) .

حاجبا لابن المعتز ، رجع عن رأيه وانحاز ضد حزب عبدالله بن المعتز [٩٥] .
ولعل الثعالبي ، وقع في التباس واضح ، اذ انه خلط بين مؤنس الخادم وسوسن الحاجب ، ذلك ان الاخير هو الذي كان يطمع كي يكون حاجبا للخليفة الجديد [٩٦] .

وازاء هذا الوضع المضطرب فرّ الناس على وجوههم من الخوف والهلع « ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد [٩٧] » ، حيث انتهبت العامة دور محمد بن داود بن الجراح والعباس بن الحسن [٩٨] . وكان محمد بن عمرويه صاحب الشرطة ، قد ركب ليهدىء الوضع المضطرب ، لكن العامة قاتلته لكونه من أعوان ابن المعتز فهزموه [٩٩] .

ويلوح للباحث أن ليس هناك مدعاة للتعجب ، حسب الرواية التي نقلها عريب عن الطبري [١٠٠] قوله : « وقال الطبري ولم ير الناس أعجب من أبن المعتز والمقتدر لأن الخاصة والعامة اجتمعت على الرضي بأبن المعتز وتقديمه وخلع المقتدر لصغر سنه فكان أمر الله قـدراً مقدوراً [١] » .

(٩٥) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٩٢ .

(٩٦) عريب ، الصلة ، ص ص ٢٨ — ٩٢ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٢ . الديار بكري ، م . ق ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .

(٩٧) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٢ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٩ .

(٩٨) عريب ، الصلة ، ص ٢٨ .

(٩٩) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧ .

(١٠٠) لم يرد هذا النص فى (تاريخ الرسل والملوك) ، للطبري .

(١) الصلة ، ص ٢٨ .

فالمتتبع لايرى مبرراً للعجب ، وذلك لأن العامة لم تقف موقف المتفرج ازاء هذا الحادث ، بل أنها التزمت جانب الخليفة الشرعي المقتدر بالله ، وقاتلت اعداءه في الشوارع الى أن هزمتهم ، وشتتت شملهم ، فالثعالبي يقول : « وانكبت العامة عليهم بالرجم فلم يجدوا مخلصاً ولا مسلكا (٢) » .

وهكذا تكون العامة قد اسهمت في احباط فتنة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨م، التي أثارها ابن المعتز وبعض مناصريه من قادة الجيش والساسة المغامرين وعندما استتر علي بن عيسى ومحمد بن عبدون ، بعد فشل المؤامرة ، جدت العامـــة لمعرفة مكانهما حتى كبسوهما وأخرجوهما ثم سلموهما الى بعض أعوان المقتـــدر المجتازين في الطريق بعد أن لحق بهما من العامـــة اذى شديد (٣) .

أما موقف حزب ابن المعتز فكان عكس ذلك فقد بدا لأول وهـــلة قوياً ، لكنه سرعان ما بان ضعفه وتفككت أوصاله ، لأنه أخطأ التقدير . وبهذا باءت هذه الحركة بالفشل الذريع ، ولم يتجاوز عمرها اليومين ، وانتهى ابن المعتز الى نهاية لم تقنع أحداً من المؤرخين بجعله واحداً من الخلفاء ، بل جعلوه كالجملة المعترضة (٤) . ومع ذلك ، فأن هذه الحركة تركت آثاراً دامية ، ونتائج بعيدة المدى كان لها أكبر الأثر في تردي أمور الدولة (٥).

(٢) ثمار القلوب ، ص ١٩٢ .

(٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧ .

(٤) القلقشندي ، مآثر الانافة ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(٥) العيون ، م . ق ، ورقة ٦٤ — آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢١٥)

أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٦٤ .

SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 387 :

وذلك لانها أدت الى اخفـاق المرشح المتمتع بالمزايا الصحيحةالتي تؤهـله لأن يقوم بمهام منصبه بكفاءة وجدارة واقدام .

٣ ــ أزمات الغلاء :

كان الوضع المالي للدولة العباسية قد تحسن كثيراً في أواخر خلافة المعتضد بالله ، وخلال عهد المكتفي بالله ، وبذلك وجد المقتدر بيت المال مترعاً بالذهب والفضة والمجوهرات ، حتى كان في بيت المال يوم بويـع خمسةعشر الف الف دينار[٦]. لكن الوضع المالي ما لبث أن اربكته أنانية الوزراء ومنافساتهم ، وطمع القادة وشغب جنودهم ، اضافة الى أسراف الخليفة المقتدر بالله ، الذي كان متلافاً مبذراً [٧] ، بدد كل ما جمعه أبوه وأخوه ، فضلاً عما جمع في أيامه . وكان مجمل ذلك سبعة وثمانين مليوناً وثمانمائة وثلاثين الف دينار [٨] .

وقد أضر بخزينة الدولة سوء طرق الجباية ، وزيادة النفقات الباهضة، وكثرة الثورات المتتابعة ، وحروب القرامطة المستمرة ، وانفصال بعض الولايات عن مركز الخلافة . وأبان اشتداد الأزمات السياسية ، ازدادت أزمة بيت

(٦) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص . ٢٢٨ . عريب ، الصلة ، ص ٦٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١١٩ .

(٧) لسترانج ، بغداد ، ص ٢١٧ ــ ٢١٩ . ابن الاثير ، الكامـل ، ج ٦، ص ٢٢٢ . التنوخي ، نشوار ١/٢٤ « دار الصياد » .

(٨) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٤١ . (يقول ابن الاثير: أن المقتدر بدد نيفا وسبعين الف الف دينار سوى ما انفقه فى الوجوه الواجبة. الكامل ج٦ ، ص ٢٢٢) .

المال شدة وتعقيداً ، وتعسر الأحتفاظ بالتوازن بين الدخل والمصروف [٩] .
وكان الخليفة يشكو دائماً قلة المال . والظاهر أن خزينة الدولة لم تتحمل بذخ الخليفة واسرافه ، وجشع الوزراء وكبار موظفي الدولة الذين كثيراً ما استغلوا مراكزهم لجمع المال لأنفسهم على حساب الدولة والمصلحة العامة . فلا غرو أن أفلست الخزينة حتى انه لم يتوفر المال الكافي لدفع أرزاق الجند المتراكمة بذمة الدولة .

ومما زاد في اشتداد الضائقة الاقتصادية ، أن بعض الوزراء أفرطوا في قبول الرشاوى وبيع الوظائف لجمع الأموال لأنفسهم [١٠] . الأمر الذي أثر كثيراً في أفساد الوضع المالي ، وتدهور طرق الجباية ، واستعمال سبل التعسف فيها ، وبخاصة بعد ان استشرى نظام الضمان في جمع الضرائب [١١] الذي أفسح المجال للعسف والظلم ، ولا سيما في أوقات الحروب والفتن ، حين ضعفت الرقابة على العمال والموظفين [١٢] . وكنتيجة لذلك ، فأن توالي الاضطرابات وعسف الضمان ثبطا عزم الفلاحين ، وأديا الى ترك كثير من الأراضي بوراً . أو ربما أضطر عدد كبير من الفلاحين الى الهجرة عن

---

(٩) قمي ، تاريخ قم ، ص ١٣١ .

(١٠) عريب ، الصلة ، ص ٤١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٣٩ .

(١١) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٥ و ٣٧٢ . مسكويه ، م.ق ، ج ١ ص ٧٩ .

(١٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٢١٣ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٠.
EL -- SAMRRAIE , AGRICUIR) IN IRAQ DURING THE 3rd CENTURY , A : H : P : 255 — 256 :

أراضيهم وترك حرفة الزراعة . وكان لهذه الظاهرة اضرار مزدوجة ، ففي الوقت الذي قلت الأيادي العاملة في الزراعة ، مما أدى الى قلة انتاج الغلات الزراعية ، نجد من جهة اخرى ان الضرائب المترتبة على اولئك الفلاحين النازحين قد أضيفت على الفلاحين الباقين بأسم (التكملة) فأرهقهم ذلك [١٣]. وقد الغيت هذه الضريبة على أثر شكوى الفلاحين المتكررة مطالبين بألغائها [١٤] لكن السلطة ما لبثت ان سنت ضريبة جديدة على الاشجار المثمرة ، متوخية ايجاد مورد جديد للخزينة [١٥] ، علماً بأن الاشجار المثمرة كانت قد أعفيت من الضرائب في زمن المهدي [١٦] (١٥٨ — ١٦٩ هـ / ٧٧٤ — ٧٨٥ م) .

والحق ان السلطة كثيراً ما كانت ، تكتب الى العمال وتحثهم على ضرورة النظر في شكاوي المتظلمين من دافعي الضرائب ضد الجباة اوالموظفين الآخرين [١٧] ، متوخية كسب ثقة الناس وشعورهم بعدل الحكومة، وهذا بدوره يؤول حتما الى أن يسود العدل ، ويرفع الحيف والظلم ، فيزداد

(١٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦٦ — ٣٦٨ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص ٦٨ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١١٥ . متز ، م.ق ، ج١ ص ٢١٤ .

(١٤) الصابي ، رسوم دار الخلافة ص ٦٧ — ٦٨ . الوزراء ، ص ٣٦٧ — ٣٦٨ . العلوجي ، م.ق ، ص ٦ — ٧ . متز ، م.ق ، ج١ ، ص ٢١٤ .

(١٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦٨ و ٣٧١ . ترتون ، م.ق، ص٢٥٥ .

(١٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .

(١٧) مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٢٨ . العلوجي ، م . ن ، ص ٦ — ٨ .

النشاط الزراعي والتجاري . ولكن يجب ان نعلم ان مثل هذه الاجراءات، كانت دائماً تتسم بقصر الأمد ، اذ سرعان ما تعود الأوضاع السيئة الى حالتها السابقة ، فتسود السنن الجائرة ، رغم شعور المسؤولين بشدة وطأتها، الأمر الذي يؤدي الى كثرة الاضطرابات الداخلية ، فعندئذ ينفسح المجال امام الجند والكتاب وخدم القصر والحاشية للمطالبة بزيادة مخصصاتهم (١٨) وأرزاقهم مما يؤدي الى اختلال التوازن بين الدخل والخرج . ويعزو (كريمر) ذلك الى زيادة صرف الدولة من قبل الخدم الفاسدين ، واستيلاء بعض كبار الموظفين على أراضي واسعة وتحويلها الى محلات يقضون فيها أوقات لهوهم (١٩) .

وامام اشتداد الأزمات المالية الخانقة ، كثيراً ما كانت الدولة تضطر الى جباية الضرائب قبل موعدها المحدد لتخليصها من صعوبة الاستدانة ، عند الحاجة الى الاموال (٢٠) ، ومما دفع بعض المسؤولين الى التفكير بضرورة تثبيت النظام المالي على اسس متينة وثابتة ، فأسس أول مصرف رسمي عرفته الدولة الاسلامية ، بالاتفاق مع جهبذين يهوديين على تسليف الدولة ما تحتاج اليه من المال لقاء فائض معين ، حيث سلمت لهما جباية الاهواز كضمان (٢١) . وبهذا الاجراء كاد الوضع الاقتصادي ان يتحسن،

---

(١٨) عريب ، الصلة ، ص ٤١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص٢٩ .

(١٩) EL -- SAMARRAIE , op , cit , P : 292 :

(٢٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٢٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٢١) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٦٤ . دراسات ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

ويحصل توافق في موازنة الدخل والصرف ، الا أن هذا المشروع لم يكتب له النجاح وذلك لعدم استمرار الاخذ به . فأضطربت الامور ، وعادت الخزينة تشكو من عجزها المزمن ، حتى اصبحت غير قابلة لاي اصلاح (٢٢) .

وهكذا أثر سوء الاحوال المالية ، وضمان حامد بن العباس للأهواز واصفهان ، وما تبعه من مشاكل أقتصادية ، بحيث لم تستطع الدولة من الحصول على المبالغ اللازمة لدفع نفقات الجيش . ومما زاد في حراجة الموقف ان الاسعار ارتفعت الى حد كبير (٢٣) . واعتبر السكان تحرك الاسعار متأتيا من جشع الوزير وضماناته التي أضرت بمصلحة الدولة والطبقة الفقيرة ، وبذلك لم يكن ارتفاع الاسعار ليمر دون ان يجد صدى في نفوس العامة ، فقد كان له فعل النار في الهشيم ، حتى انهم لم يجدوا غير طريق الشغب ومهاجمة دار الوزير (٢٤) في محاولة لأظهار السخط ، ان لم يكن ذلك ليجدي في خفض الاسعار ، وانتشالهم مما أحاق بحياتهم المعاشية من عسر شديد (٢٥) .

وقد توسعت دائرة شغب العامة ، حتى انهم منعوا الامام من تأدية شعائر صلاة الجمعة ، وهدموا المنابر، واحرقوا الجسور، ونهبوا الغلال (٢٦) .

---

(٢٢) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢١ — ٢٢ .

(٢٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ج٧ ، ورقة ١١ . ابو المحاسن ، النجوم ١٩٨/٣ .

(٢٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٦ .

(٢٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص ١٥٦ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ص ٧٧٩ .

(٢٦) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ١٠١ . ابن خلدون ، العبر

وهكذا وجد الناس الطريق لاثبات وجودهم ، وفرض رأي الجماعة بعد أن ساد رأي الفرد المتسلط احقابا طويلة . وقد فسر متز موقف العامة هذا ، على أساس انه كان للعامة عقائد بسيطة ، وكان عند بعضهم استعداد شديد لتقبل الاراجيف والخوض في الفتن الدينية والتنازع فيها (٢٧) ، على الرغم من ان السلطة كانت قد استعملت معهم القسوة المتناهية فأخذوا وضربوا وبذلك سكن شغبهم (٢٨) .

ومع ذلك فان تحرك العامة هذا كان قد اثمر ، فأجبرت السلطة على التدخل ، فخفضت الاسعار حيث بيع الكر بنقصان خمسة دنانير (٢٩) . وبهذا تكون العامة قد نجحت في مسعاها ، وتمكنت من كسر احتكار المحتكرين وعلى رأسهم الوزير حامد بن العباس والسيدة وبعض الامراء (٣٠) . كما اضطر الخليفة الى صرف عمال الوزير عن السواد نزولا عند رغبة العامة (٣١) . وأصدر أمرا آخر يقضي بمنع الضمان لرجال السياسية وضباط الجيش ، لانهم أقدر من غيرهم على اتباع سياسة القوة والتعسف والظلم (٣٢) .

المجلد ٣ ، قسم ٤ ؛ ص ٧٧٩ .

(٢٧) الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص ١٤٢ .

(٢٨) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص ٥٦ . الذهبي تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ١١ .

(٢٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٥٦ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٩ .

(٣٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٥ .

(٣١) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٩ .

(٣٢) عريب ، الصلة ، ص ٧٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص٧٥ .

وتعرض سكان العاصمة في سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م لازمة معاشية خانقة ، اضطرتهم ان يسخموا وجوههم ويصيحوا : « الجوع الجوع ! للغلاء ، لان القرمطي ومؤنسا منعوا الجلب »[٣٣] . وهكذا ذاق الناس ببغداد نكد العيش مرات عديدة خلال عصر المقتدر ، وكأن هذا العصر ، لايريد أن ينتهي الا بخاتمة مؤلمة ، لتترك أثرها العميق في نفوس السكان ومجرى الاحداث القادمة .

والظاهر ان العوامل الطبيعية اسهمت من جانبها في تردي الاوضاع العامة ، ذلك ان الامطار تأخر هطولها ببغداد في سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م فشحت الغلات الزراعية ، الامر الذي أدى الى ارتفاع الاسعار [٣٤] ، فتعذر على الطبقة الفقيرة ان تجد ما يسد رمقها بسهولة . وقد تعرضت بغداد في سنتي ٢٩٩ هـ و ٣٠٥ هـ لموجتين من البرد الشديد رافقهما سقوط ثلج كثير ، فقتل عدد كثير من الحيوانات بالبرية [٣٥] . وفي سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م شحت الامطار حتى سميت هذه السنة بسنة الحبس [٣٦].

ونلمس سوء الاحوال العامة في سنة ٣١٤ هـ/٩٢٦ م ، بحيث ان السكان لا يكادون ان يتخلصوا من كارثة حتى يقعوا في اخرى ، قد تكون أشد من سابقتها ففي الوقت الذي وجدنا مكة المكرمة وبغداد تهددان من جانب القرامطة [٣٧] ، وان العاصمة تعرضت لكارثتي حريق

(٣٣) الذهبي ، العبر ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ . .
(٣٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٨ .
(٣٥) الحموي ، التاريخ المنصوري ، ورقة ١٢٣ ـ آ .
(٣٦) ابن الوردي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .
(٣٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٤٧ . ابن الاثير ، الكامل ،

ذهب ضحيتها كثير من الانفس والممتلكات (٣٨) ، وان سكان الحدود الشمالية تعرضوا لاعتداءات الروم المتكررة (٣٩) ، الامر الذي اضطرهم الى دفع الجزية لهم (٤٠) ، نجد ان هذه الكوارث تمتد الى انحاء أخرى من أراضي الدولة العباسية ، اذهبت ريح شديدة شملت نواحي نصيبين واقتلعت الشجر وهدمت المنازل (٤١) . وفي شوال من نفس السنة تعرضت بغداد لموجة شديدة من البرد اعقبها سقوط ثلج بكميات كبيرة ، الامر الذي ادى الى تلف اكثر نخل بغداد وسوادها ، كما اصيبت الاشجار المثمرة بأضرار بالغة (٤٢) . وان سقوط الثلج بتلك الكميات الهائلة أدى بدوره الى ارتفاع مناسيب نهر دجلة فحدثت فياضانات مدمرة (٤٣) ، نتيجة لاهمال صيانة السدود ومشاريع الري من جراء الفتن والاضطرابات الداخلية وفساد الادارة بصورة عامة . وتتوالى فيضانات الرافدين ، وتجر وراءها على المزارع وسكان القرى الكثير من الكوارث والنكبات المتلاحقة ، ذلك ان مياه نهري دجلة والفرات تزداد بغتة زيادة مفرطة في سنة ٣١٦هـ

ج ٦ ، ص ١٨٢ .

(٣٨) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .

(٣٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٤٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .

(٤٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥٣ .

(٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .

(٤٢) ن . م ، ص ٢٠٢ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٢٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥٤ .

(٤٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢١٠ .

/٩٢٨ م ، فتطغى على المزارع والقرى وتقطع الجسور ببغداد ، وتؤدي الى غرق كثير من الناس اضافة الى الاضرار المادية الاخرى [٤٤] . وبلغت زيادة نهر الفرات اثنى عشر ذراعاً وثلثين [٤٥] ، وهذه هي المرة الأولى التي نجد فيها تسجيلاً لمنسوب مياه فيضان الفرات على المقياس الذي نصب في الانبار على الارجح [٤٦] . وفي سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رملاً أحمر يشبه رمل أرض الحجاز فأمتلأت منه الدور [٤٧] .

ومن الغريب أن نجد الظواهر الطبيعية المتناقضة تتوالى في هذه السنة ففي الوقت الذي يزداد سقوط الثلج شتاء ويؤدي الى أضراراً كثيرة ، نجد مياه دجلة تنخفض في الصيف ويحدث صيهود شديد وخصوصاً قرب الموصل ، لم تعهد المدينة مثله ، بحيث تستطيع الدواب ان تعبر النهر [٤٨] . وهذا بدوره أثر تأثيراً بيناً على الحاصلات الصيفية ، مما زاد في سوء الحالة الأجتماعية والمعاشية بالنسبة للفلاحين خاصة .

ولم تقل الأضرار التي لقيها الناس نتيجة تفشي الأمراض والأوبئة ، عن تلك الاضرار التي أصابتهم من جراء تلاحق الكوارث الطبيعية الأخرى ،

---

(٤٤) ن . م ، ص ٢١٦ .

(٤٥) ن ، م ، ص ٢١٦ . سوسة ، فيضانات بغداد : القسم ١ ، ص ٢٩١ . (ولتحويل الاذرع الى أمتار انظر : الخراج لضياء الدين الريس ص ٢٩٢) .

(٤٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢١٦ . سوسة ، فيضانات بغداد ، القسم ١ ص ٢٩١ .

(٤٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ، جـ ١١ ، ص ١٦٣ .

(٤٨) القرماني ، اخبار الدول ، ص ٩٠ .

بحيث قال الطبري : « وفي هذه السنة كثرت الأمراض والعلل ببغداد في الناس وذكر أن الكلاب والذئاب كلبت فيها بالبادية ، فكانت تطلب الناس والدواب والبهائم فاذا عضت انساناً أهلكته [٤٩] » • وفي السنة التالية كثر الوباء ببغداد [٥٠] • وفي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م « كثرت الأمراض والعلل ببغداد وفشا الموت في أهلها وكان أكثر ذلك فيما قيل في الحربية وأهل الارباض [٥١] » • ومن هذا نرى أن عاصمة البلاد تتعرض في ثلاث سنين متتالية لأنتشار الأوبئة الفتاكة ، وهذا بلا ريب يشير الى ضعف الرقابة الصحية ، والتأخر الأجتماعي • واذا كانت هذه حالة حاضرة البلاد فما بال المدن والقصبات الأخرى ؟ فضلاً عن أن هذه النصوص تؤكد تناقض سكان العاصمة المطرد •

وفي سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م « هبت ريح صفراء وأتبعها الوباء والطاعون ، فمات من الخلائق مالا يحصى عددهم إلا الله تعالى [٥٢] » • ويذكر أنه في عام ٣١٩ هـ / ٩٣١م اجتاح مدينة تكريت سيل شديد فغرق

(٤٩) حوادث سنة ٣٠٠ هـ . تاريخ الرسل والملوك ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١١٨ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ . ابن العماد ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ •

(٥٠) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٠ . الشهابي ، م.ق ، جـ ١ ، ص٢٣٥ .

(٥١) الطبري ، م . ق المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢١ .

(٥٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١١٨ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ .

فيها أربعمائة دار ودكان وارتفع الماء في أسواقها أربعة عشر شبرا ، الامر الذي أدى الى غرق خلق كثير من الناس ، بحيث تعذر على أهل المدينة دفن المسلمين بمعزل عن النصارى لعدم استطاعتهم تشخيص المسلم عن الذمي (٥٣) . وفي نفس هذه السنة شب حريق في اسواق بغداد وأحدث أضراراً بليغة (٥٤) ، وأعقبها ان فتك بالسكان « الوباء المفرط ببغداد حتى كان يدفن في القبر الواحد جماعة (٥٥) » . وفي ربيع عام ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م كثرت الأمراض الحادة التي فتكت بالسكان . وأودت بحياة الكثير منهم (٥٦) ، على ان هذه النكبات كانت في بعض الاحيان ، تخفف من الفوارق الاجتماعية الحادة بين السكان .

والحق ان الازمات المالية وارتفاع الأسعار ، لم تكن السمة الوحيدة التي ميزت هذا العصر ، بل أن من الأنصاف أن نذكر ، أن فترات قصيرة من الرخاء الاقتصادي تخللت هذا العصر ، ولمس السكان منافعها ، ففي سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م « كثرت الأمطار والريح ببغداد وانقطعت الجسور وكثرت الكماة والجراد حتى بيعت عشرين رطلاً بدرهم ، وبيع الجراد ثمانية

(٥٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢١٧ . ترثون ، م . ق ، ص ١١٧ .

(٥٤) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٢ .

(٥٥) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ .

(٥٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٤٠ .

أرطال [٥٧] بدانق [٥٨] » [٥٩] . ومن هذا النص نستدل على أن العامة ، كانوا يأكلون الكمأة والجراد ، وان سعر الكماة كان أعلى من سعر الجراد، وهذا بلا ريب ، يلقي الضوء على مستوى المعيشة والأسعار ، وأنواع الطعام الذي تتناوله العامة حينذاك [٦٠] . وفي سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٣ م : « كثر الرطب ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة ، وعمل منه تمر وحمل الى البصرة [٦١] » .

---

(٥٧) الرطل : هو أكثر وحدات الوزن استعمالا فى الشرق العربي . وكان الرطل البغدادي يساوي الرطل الشرعي . وفى قول احدى المدارس الفقهية ١٢٨ ٤/٧ درهم . وفى قول مدرسة أخرى ١٣٠ درهما . ويبدو أن القيمة الثانية ١٣٠ درهما = ٤٠٦ر٢٥ غم ، كانت هي الراجحة من الوجهة العملية، وبناء على ذلك فقد اعتمدناها (هنتس ، م . ق ، ص ٣٠ و ٣٥) .

والرطل : هو اثنتا عشرة أوقية . (المقريزي ، النقود الاسلاميـــة ، ص ٩٤) .

(٥٨) الدانق : الدرهم = ثمانية دوانق . والدانق = قيراطا . (المقريزي، النقود الاسلامية ، ص ٩٤) . والدانق = ثمانية حبات من أواسط حب الشعير (المقريزي ، النقود الاسلامية ، ص ٩٤) .

(٥٩) العيون ، م . ق ، ورقــة ٧٥ ـ ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٤٢) . الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٦٠) أنظر العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ص ٢٤٢ .

(٦١) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٩٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٢٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٥٢ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢١٣ .

ومن السمات العامة التي ميزت هذا العصر ، حدة التمايز الاجتماعي وسوء أحوال الطبقة العامة ، الناتج من تكدس الثروة بأيدي طبقة اجتماعية محدودة العدد . ففي الوقت الذي نجد أن دخل العامل الذي يشتغل بخرط الزجاج لايتجاوز الدرهم والنصف [٦٢] . ونسمع في الوقت نفسه عن مقدار البذخ والاسراف على موائد ابن الفرات [٦٣] ، الذي كان يملك أموالاً كثيرة تزيد عن عشرة آلاف الف دينار [٦٤] . وقد وجد له من الطيب في ودائعه : « من العود ثمان مائة منّ ومن المسك أربع ماية وعشرون منّاً ومن الكافور نيف وستون منّاً ومن العنبر خمسة وأربعون الف منّ [٦٥] » .

ناهيك عن ثراء حامد بن العباس ، الذي كان يمتلك اربعمائة مملوك يحملون السلاح ، وكان بخدمته الف وسبعمائة حاجب ، وينفق على مائدته مائتي دينار ، وفي داره نيف وثلاثون مائدة منصوبة على كل واحـــدة ثلاثون شخصا ، وكان قد باع دارا له باثني عشر الف دينار ، وباع خادماً

(٦٢) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٣٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٧٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٤٨ . (ويقول اليافعي أن اجرة هذا العامل أربعة دراهم . مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ٢٢٤) .

(٦٣) العيون ، م . ق ، ورقة ١٠٩ ــ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٠٩) . متز ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ . الزهيري ، الادب في ظل بني بوية ، ص ١٩١ .

(٦٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٩٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥١ .

(٦٥) العيون ، م . ق ، ورقـة ٧٩ ــ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٤٧) .

له بثلاثة آلاف دينار (٦٦) وعندما عزل من الوزارة في سنة ٣١١هـ/٩٢٣م أقر بأنه يملك مليونا ومائتي الف دينار (٦٧) واذا نظرنا الى ما خلفه أمير جنديسابور من الاموال والمتاع قد نصل الى صورة صادقة عن اثراء هؤلاء الموسرين (٦٨) .

وعلى أثر اتساع ثروة هؤلاء ، بدأت حقبة الترف ، وظهرت روعة الافراح ، حتى ان بعضهم صرف على ختان اولاده ستمائة الف دينار كما قيل (٦٩) . وكانت هذه الطبقة التي لا تحفل بالمال الذي جاءها بدون كد وعناء ، ميالة للبذخ والطرب واقتناص اللذات ، فتلذذت بما شاءت ، وترفت بما أرادت ، ولهت بما أحبت . وهكذا فان هذه الفئة تميزت بشدة حرصها على اقتناء ما لذ وطاب من الطعام (٧٠) فكانوا يتخيرون الملذ من كل شيء ، وما ضرهم ان اتعبوا غيرهم وان انفقوا الاموال الطائلة في سبيل ذلك . ولعل من أبرز مظاهر الحضارة في هذا العصر تعدد الالوان التي كانت تهيأ من الطعام ، حتى يلغ عدد هذه الاصناف ، في بعض الاحيان ، مبلغا ما عرف ولا سمع بمثله (٧١) .

(٦٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٨٠ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ ١ ، (دار الصياد) ، ص ٢٤ .

(٦٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٨٤ .

(٦٨) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٥ . انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٠٨ .

(٦٩) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٢ .

(٧٠) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٨ .

(٧١) المنجد ، بين الخلفاء والخلفاء ، ص ٧٤ .

ولم يكن الثراء الفاحش مقصورا على رجال الدولةوالوزراء فحسب بل وجدت الى جانبهم فئة من التجار الاثرياء الذين يمتلكون أموالا طائلة تفوق حد التصور . ولعل أبرز مثل لهم الحسين بن عبد الله بن الجصاص الذي بلغت قيمة عقد واحد من عقود الجوهر التي كان يمتلكها مائتي الف دينار (٧٢) . وكان قد صودر فأخذ منه ستة عشر الف الف دينار(٧٣)، ومع ذلك بقي معه من الاموال شيء كثير جدا (٧٤) ، عدا ما كان بحوزته من البساتين والضياع التي قدرت قيمتها بحوالي سبعمائة الف دينار، ومن الجواهر والمتاع ما يساوي ثلثمائة الف دينار من غير الذهب والفضة المسكوكة (٧٥) . وكان لبعض تجار البصرة الذين كانت مراكبهم تنقل البضائع الى كثير من الاصقاع ، دخل ينيف على مليون درهم (٧٦) .

ولكي نعطي هذه الطبقة المكانة التي كانت تحتلها ، يحسن بنا أن نطلع على جانب آخر من حياتها المترفة اللاهية ، اذ اتفق ان جارية لعبيد الله بن

---

(٧٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٥٦ .

(٧٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٥٦ .

(٧٤) عريب ، الصلة ، ص ٤٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ .

(٧٥) أنظر ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ — ٢١٤ . أنظر كذلك المسعودي مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ص ٢٣١ — ٢٣٢ . أنظر مسكويه ١ / ٣٥ .

(٧٦) حتى ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٤٢٢ .

عبد الله بن طاهر الخزاعي (٧٧) ، اشتهت ثلجا في وقت شح فيه الثلج ، وكانت حظية عنده فأشترى لها رطلا بعشرة آلاف درهم ، ولموافقته لها ابتاع لها رطلا آخر بعشرة الاف ، ثم آخر بعشرة الاف ، ثم اشترى رطلا آخر بثلاثين الف درهم (٧٨) . اما بدعة جارية غريب خال المقتدر فقد دفع فيها مائة وعشرون الف دينار ، ولما توفيت عام ٣٠٢ هـ/٩١٤ م تركت من المال والذهب والاملاك ما لم يملكه رجل (٧٩) . وبدون ريب ، فان الطبقة المترفة اثرت الى حد بعيد في المجتمع ووجهته الوجهة التي ترتضيها، وبذلك أصبحت مثالا ، تحذو حذوها الطبقات الاجتماعية المختلفة، وتقلدها في سيرتها وملابسها وطعامها ومجونها ومباذلها ، وربما سخرت الطبقة العامة لتطمين نزوات الطبقة العليا .

وبحكم الوضع الاجتماعي الذي كانت تتمتع به الطبقة الخاصة ، راح افرادها يلتمسون شتى نعم الحياة ، ويتلهون بكل شيء حتى ولو كان مخالفا للذوق والآداب العامة ، ولقد شاع بين هؤلاء الوان المطرب والغناء . ونتيجة لذلك وجد ببغداد في سنة ٣٠٦ هـ/٩١٨م اربعمائة وستون جارية في الجانبين يمتهن الغناء ، وعشر حرائر ، وخمسة وسبعون من الصبيان البدور يجمعون من الحسن والحذق والظرف ما يفوق حدود الوصف ، هذا سوى من كن يمتهن هذه المهن بالخفاء ويتظاهرن بالابتعاد

---

(٧٧) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب أبو أحمد الخزاعي ، ولي أمرة بغداد وحدث عن الزبير بن بكار ، وكان أديبا فاضلا ، توفي في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م . (ابن كثير ١١ / ١١٩) .

(٧٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١١٩ .

(٧٩) ن . م ، ص ١٢٢ .

عنها [٨٠] .

ان طبيعة الموضوع لاتسمح لنا بالأسهاب في ذكر التناقض الواسع بين فئات المجتمع ، ذلك أن الذي ينظر الى تصرفات وسلوك الطبقة المترفة ، ويلمس جوانب حياة الطبقة المعدمة ، يعجب من كيفية وجود وفاق وتعايش بينهما . فالتنافس والاصطدام بينهما ، في هذه الحالات ، شيء محتم ، ولهذا صرنا نسمع بين حين وآخر أنات عميقة تعبر عن شدة الألم . لأن هؤلاء كان يؤلمهم ما وصلت اليه حالتهم المزرية ، وما وصلت اليه الاختلافات والتناقضات والبون الشاسع . ولكن صرخاتهم في الأغلب ، لاتتعدى أسماع أصحابها ، وحينئذ يكون تأثيرها محدوداً ودائرة عملها ضيقة لاتلبث ان تخمد بدون أن تكون قد حققت ما كانت تصبو اليه .

ويبدو من دراستنا لهذا العصر ، شيوع بعض الخرافات التي لايمكن أغفال أثرها المجتمع ، والتي تعطينا ، في الوقت نفسه ،صورةواضحة عن طبيعة ذلك المجتمع . ففي سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م زعم العامة أنه قد ظهر حيوان اسمه (الزبزب) ، وذكروا انهم يرونه بالليل على سطوحهم ، وانه سوف يأكل أطفالهم ، وربما يقطع يد الأنسان ان كان نائماً ، اوثدي المرأة فيأكله . ومن شدة فزعهم كانوا يتناوبون طول الليل ويضربون بالطوس والصواني والهواوين ليفزعوه علّه يهرب ، وارتجت بغداد من هول هذه الأقوال [٨١] . ولم يهدأ روع الناس إلا بعد أن عمدت السلطة الى احضار

(٨٠) الازدي ، محمد بن أحمد المطهر ، حكاية ابي القاسم البغدادي ص ٨٧ . أنظر ياقوب ، معجم الادباء ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .

(٨١) العيون ، م . ق ، ورقة ٨٦ ـ آ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٧ ـ ٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٦ .

حيوان غريب ، وأدعت انه هو الذي أفزع الناس وقتلته امام الملأ (٨٢) .
ولكن الذهبي يقول : أن سكان بغداد كانوا يعيشون ليالي مروعةمملوءة بالفزع والتوتر الىأن انبسط القمر وبان للناس ان لا حقيقةلما توهموه (٨٣).

٤ ـ الخدمات العامة :

والحق ان الدولة وبعض المسؤولين بذلوا أحياناً جهداً طيبا في الحد من تفشي الأمراض والأوبئة ، والعمل على تضييق دائرة انتشارها . ففي عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ، اتخذ الوزير علي بن عيسى المارستان بالحربية وانفق عليه من ماله الخاص (٨٤) . وبلغت عدد المستشفيات في بغداد سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م خمساً ، وكان المسؤول عن ادارتها الطبيب المشهور سنان ابن ثابت (٨٥) . وافتتح سنان بن ثابت عام ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م مارستان

السيوطي ، الخلفاء ، ص ٢٨١ . القرماني ، اخبار الدول ص ص ٨٩ــ٩٠ .

(٨٢) العيون ، م . ق ، ورقة ٨٦ ــ آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣) .

(٨٣) تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٨ .

(٨٤) العيون ، م . ق ، ورقة ٨٢ ــ آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٥٣). ابن أبي الصيبعة ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ص ١٢٨ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٢ .
SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 402 :

(٨٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٣٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٦ . متز ، ٢ / ٢٠٦ .

السيدة أم المقتدر بسوق يحيى على شاطيء دجلة الشرقي (٨٦) ، والذي بلغت نفقاته في العام سبعة الآف دينار (٨٧) وبناء على اقتراح الطبيب سنان أمر الخليفة المقتدر بأنشاء مستشفى في بغداد في سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م وسماه البيمارستان المقتدري ، وانفق عليه من ماله الخاص في كل شهرمائتي دينار (٨٨) . وابتنى الوزير ابن الفرات مارستانا في درب الفضل وانفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار (٨٩) .

ويحدثنا القفطي عن تعيين أطباء مختصين لمعالجة المرضى المسجونين فكانوا يدخلون اليهم ويحملون الأدوية والأشربة ويطوفون على سائر الحبوس ويعالجونهم (٩٠) . وهذه ظاهرة تستحق الألتفات ، فأن هذا النص يشير

---

(٨٦) ابن أبي أصيبعة ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٤٦ . السيوطي ص ٣٨١ القفطي ، الحكماء ، ص ١٩٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٨ . متز ، ٢٠٦/٢ .

(٨٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٣ . ابن أبي أصيبعة ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٩ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٩٣ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٣٨١ .

(٨٨) ابن أبي أصيبعة ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٨ . احمد عيسى ، م . ق ، ص ١٨٣ . متز ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٨٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٧٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٤٨ . متز ٢/ ٢٠٧ .

(٩٠) تاريخ الحكماء ، ص ١٩١ . ابن أبي أصيبعة ، م . ق ، جـ ٢، ص ٢٠٢ .
BOWEN , op : cit , P : 183 :

بدون ريب الى أن عدد المسجونين كان كبيراً جداً ، وان حالتهم الصحية متردية لدرجة قد أصبحت تستدعي الرأفة ، وان الاماكن التي حجزوا فيها كانت من الرداءة بحيث ساعدت على تفشي الأمراض بينهم . ولم يقتصر اهتمام السلطة على معالجة المرضى داخل العاصمة فحسب ، بل تعداها الى المدن والقرى الأخرى حيث أرسلت بعثة طبية الى السواد ، محملة بالأدوية والاشربة ، تطوف في القرى والأرياف ، لغرض معالجة المرضى هناك . وفي الوقت الذي أوصيت البعثة بمعالجة جميع المرضى ، فأنها أفهمت بضرورة تقديم معالجة المسلم على الذمي (٩١) . وثمة بادرة أخرى اقدمت عليها السلطة تؤكد لنا أهتمامها بالصحة العامة ، هي ان الخليفة المقتدر يعتبر أول من نظم صناعة التطبيب ، واخضعها لنظام خاص حرصا منه الى المصلحة العامة ، حيث فرض على من يريد مزاولة التطبيب تأدية امتحان خاص للحصول على اجازة تخوله هـذا الحق بين الناس (٩٢) . ولعل السبب الذي حدا بالخليفة المقتدر ، الى هذا التقييد ، هو أن أحد الاطباء أرتكب خطأً أدى الى وفاة رجل من العامة ، ومن ثم تحتم على من يريد امتهان صناعة الطب ان يؤدي الأمتحان الخاص أمام رئيس الأطباء وطبيب الخليفة الخاص سنان بن ثابت . وقد بلغ عدد الذين أجازهم سنان في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيف وستين رجلاً عدا من أعفي من الامتحان لأشتهاره في صناعة الطب أو خدمة الخليفة (٩٣) .

---

(٩١) ابن أبي أصيبعة ، م . ق ز ، ج ٢ ، ص ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .
BOWEN , op : cit , P : 183 :

(٩٢) ابن أبي أصيبعة ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .

(٩٣) ابن أبي أصيبعة ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ . القفطي ، تاريخ

وتشير المصادر الى أن عدد الحمامات ببغداد بلغ أبان عصر المقتدر سبعة وعشرين الف حمام (٩٤) ، وفي الوقت الذي يجب ان تأخذ هذا الرقم بتحفظ ، فأنه في الوقت نفسه يلقي الضوء الكافي على مدى الاهتمام بالنظافة والصحة العامة . وربما أدى وجود هذا العدد الهائل من الحمامات الى الحد من انتشار الأمراض في العاصمة ، وتقدم طرق الوقاية من الأمراض . ومن الجدير بالذكر ان عدد الحمامات انخفض في زمن علي بن بويه حتى وصل الى بضعة عشر الف حمام (٩٥) ، وهذا يؤكد لنا على أن عصر المقتدر بلغ القمة في هذا المجال .

٥ ــ أحداث سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م :

تضاءلت هيبة السلطة المدنية منذ سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤م . ولم تبق شخصية مدنية تجابه مؤنساً ، فأخذ هذا يتصرف في الأمور كما يشاء ، وصار رؤساء الجيش يتطاولون على الخليفة ويهددونه اذا ما تقاعس في تنفيذ أغراضهم بأثارة الفتنة في الجيش ، ولنا على ذلك أمثلة كثيرة (٩٦) . ولما طأطأ الجانب المدني رأسه ورضي ان يكون منفذاً لطلبات ورغبات الجانب

الحكماء ، ص ١٩١ . متز ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٩٤) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٠ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١١٨ .

(٩٥) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٤ .

(٩٦) أنظر مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٨٢ و ١٨٤ . BOWEN , op : cit , P : 248 :

العسكري ، أصبح الجيش القوة الفعالة الوحيــدة المؤثرة في الاحداث ، وعندئذ أخذ الصراع يشتد بين صفوف هذا الجيش ، في بعض الاحيان ، وبينه وبين بعض أفراد الحاشية احياناً أخرى ، وساعد هذا بدوره على قيام فترة اضطراب أدت بالقادة العسكريين الى التناحر فيما بينهم . وتمثل الخصام الاساسي بين المتنافسين ، نصر الحاجب وهارون بن غريب الخال من جهة ، والقائد مؤنس وصاحب الشرطة نازوك والامير الحمداني ابي الهيجاء عبدالله ابن حمدان من جهة أخرى . وقد أثر تنافسهم هذا في مؤسسات الدولــة المختلفة ، وشل من فاعليتها في جميع المجالات ، الأمر الذي أدى الى حدوث حركة عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م .

ولا ريب أن أحداث عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ترجع في جذورها التاريخية الى أزمة عدم الثقة التي نشبت بين الخليفة وقائد الجيش ، حيث دس الى مؤنس ان هناك مؤامرة في قصر الخلافة تستهدف حياته (٩٧) . ولم تحل عقدة الثقة بين الخليفة والقائد بالرغم من تأكيد المقتدر له بكذب المخبر(٩٨)، حيث توترت علاقة الخليفة بمؤنس ، تلك العلاقة التي كانت تزداد سوء يوماً بعد يوم مما حدا بقائد الجيش ان يراقب الخليفة على الدوام ، وفي

(٩٧) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٦٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ص ٢٠٥ — ٢٠٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٦ . ابن العبري ، م . ق ، ص ١٥٧ .
BOWEN , op : cit , P : 265 :

(٩٨) عريب ، الصلة ، ص ١٣٣ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٦٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٦ . ابن العبري م . ق ، ص ١٥٧ .

الوقت فسه شعر المقتدر أنه أصبح من الضروري ان يبحث له عن حليف ضد مؤنس فوجد بغيته في ياقوت الذي عينه حاجباً له • وربما كان هذا الخلاف الشرارة الأولى للأحداث اللاحقة خاصة بعد أن أظهر الجند انهم سيقاتلون بجانب القائد ضد الخليفة (٩٩) •

وثمة نزاع آخر وقع بين حاشية المقتدر ، أدى الى انقسام رجال القصر على أنفسهم ذلك أن سواس هارون بن غريب الخال وسواس نازوك صاحب الشرطة ، تنافسوا على غلام أمرد ، فكان كل منهم يريد أن يستأثر به دون الآخرين ، مما أدى الى اصطدام بعضهم ببعض ، فوقعت القتلى بين الطرفين (١٠٠) ، خاصة بعد أن وثب رجال هارون الى (مجلس الشرطة) وانتزعوا أصحابهم المحبوسين من بين أيدي رجال الشرطة • ولما لم يشجب الخليفة هذا الاعتداء المخل بالأمن ، بادر رجال الشرطة في الغد إلى دار هارون بن غريب وأصطدموا مع الحرس الموكل اليهم مهمة الدفاع عنها ، فقتل عدد كبير من الجانبين (١) ، وانفرط حبل الأمن ، ونهبت دور الناس، وشارفت بغداد على فتنة عظيمة ، لولا ان الوزير ابن مقلة ومفلح الأسود،

---

(٩٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٦ . العيون ، م . ق ، ورقة ١١٥ ــ آ . مسكويه . م ق ، جـ ١ ، ص ١٦٠ .
BOWEN , op : cit , P : 265 :

(١٠٠) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٤ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٥ .

(١) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٨ . العيون ، م . ق ، ورقة ١٢١ ــ آ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ .

تدخلاً في الأمر بأسم الخليفة وفضا النزاع (٢) • وشعر صاحب الشرطة أن هارون بن غريب حظي بتأييد الخليفة (٣) ، على الرغم من ان المقتدر وقف من هذا النزاع موقف المتفرج ، فأمر نازوك رجاله بمهاجمة منزل هارون ابن غريب ، ومع أنهم لم ينجحوا في اقتحام الدار ، إلا أنه قتل عدد من الرجال المدافعين عنها (٤) ، وكان لهذا الاصطدام أثره البعيد في الاحداث المقبـلة •

وتحرجت العلاقة بين الخليفة وقائد الجيش مرة أخرى بتأثير دسائس عبد الله بن حمدان ونازوك صاحب الشرطة ، ذلك ان عامل العداء المشترك لهارون بن غريب ، شكل اتفاقاً بين الأمير الحمداني وصاحب الشرطة ، لمحاولة ايجاد الوسيلة الملائمة للتخلص منه بأية وسيلة كانت ، فملأ أذني القائد بالنكاية والحقد على هارون (٥) ، اذ أخبر نازوك مؤنساً بأن الخليفة يريد أسناد قيادة الجيش الى هارون بن غريب الخال ، وظهرت الشائعات

---

(٢) العيون ، م . ق ، ورقة ١٢١ — آ . الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ص ٥٧ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٤ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٥ .

(٣) SOURDEL , op : cit , TOME II , P : 450 :

(٤) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٥٧ .
BOWEN , op : cit , P 281 :

(٥) عريب ، الصلة ، ص ١٣٩ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩١ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧ .
BOWEN , op : cit , P : 281 : SOURDEL , op : cit ;

بأنه حصل على لقب امير الأمراء (٦) . فثارت ثائرة القائد وأظهر تنكراً للخليفة ، خاصة بعد أن علم بأن هارون بن غريب أقام في دار الخلافة متحدياً مشاعر مؤنس (٧) . فتأزمت الامور ، وازدادت الظروف حرجا ، وأصبح الهياج والفتنة أمرين مألوفين ، إلا أن المقتدر هدأ القائد وخفف من روعه (٨) .

وكان نازوك مدفوعاً بحقده الدفين على هارون من جراء الحادث المار الذكر ، وبذلك سعى في اقناع القائد العام بضرورة خلع الخليفة المقتدر بالله . أما ابن حمدان فقد حقد على هارون لأنه عين على ولاية الجبل كلها التي كان من ضمنها ولاية الدينور التي كان يتولاها عبدالله بن حمدان سابقاً (٩) . ومما زاد في هواجس قائد الجيش ، الهجوم الذي تعرضت له داره (١٠) . ومن المحتمل أن يكون حادث الاعتداء على دار مؤنس قد تم بتدبير وخطط نازوك حتى يزيد في شكوك القائد ، وليخلق جواً متوتراً

(٦) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٥٧ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ .

(٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩٥ .

(٨) الهمداني ، التكملة ، ج١ ص ٥٩ . الذهبي، تاريخ الاسلام ؛ ج٧ ورقة ٣٦ .

(٩) عريب ، الصلة ، ص ١٣٨ . TOME II P , 450 :

تحرير الخادم وليس هارون ، وبذلك استوحش عبد الله بن حمدان واتفق

(بينما يقول ابن الاثير أ ان الذي قلد الدينور مكان ابن حمدان هو مع نازوك ضد هارون . الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩٩) .

(١٠) عريب ، الصلة ، ص ١٣٩ — ١٤٠ . ابن الجوزي ، المنتظم،

بــين الخليفة والقائد ، فظهر أن ذلك كان بأيعاز من الخليفة ، فأنسحب بجيشه الى الشماسية (١١) ، مظهراً عدم ارتياحه لهذا الحادث ، وانذر الخليفة بسوء العاقبة نتيجة لتدخل الحاشية في أمور الدولة (١٢) . فأستجاب الخليفة مضطرا لمطاليب المتذمرين الذين احتجوا عليه لانه خضع لسيطرة الحاشية الذين سيروه ضد مصلحة الدولة ، وحينئذ اجبر على أن يحد من تأثيرهم ويقلل من التبذير في قصر الخلافة ، وينفي بعضهم خارج العاصمة (١٣) .

وعلى الرغم من أن المقتدر سلم بمطاليبهم ، لكن نازوك وأبا الهيجاء اللذين ظهرا على رأس الحركة ، لم يقتنعا بذلك ولم يفسحا للخليفة المجال لتنفيذ وعوده ، اذ بقيا يحرضان الجيش ، ثم هجما على دار الخلافة في ١٤ محرم سنة ٣١٧ هـ / ٢٧ شباط ٩٢٩ م (١٤) ، وكان معهـــم من

ج٦ ، ص ٢٢١ . (ان الدار التي تعرضت لهجوم حرس الخليفة هي دار مؤنس وليست دار نازوك كما جاء خطأ في الذهبي ، تاريخ السلام ، ج٧ ، ورقة ٣٨ . وابن الوردي ، م.ق ، ج٢ ، ص ٣٦٠) .

(١١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٢١ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ج ٧ ، ورقة ٣٨ . ابن الوردي ٢/٣٦٠ .

(١٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٩ .

(١٣) عريب ، الصلة ، ص ١٤٠ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٢ . ابن الاثير ، ٦/٢٠٠ .

BOWEN , op : cit , P : 281 : SOURDEL , op : cit : TOME: II , P : 451 :

(١٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٦ — ٣٧٧ . ابن حمدون التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٣ — أ . الذهبي ، تاريخ الاســـلام ، ج ٧ ، ورقة ٣٨ . الأربلي خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٣٩ . ابن الاثير ، الكامل

الفرسان نحو اثني عشر الفا ، فوجدوا الابواب مغلقةفأحرقوا بعضها ودخلوا الدار على دوابهم (١٥) . فأختفى المقتدر في أحد جوانب القصر حتىالمساء حيث تمكن مؤنس ، تحت ستار الفوضى التي عمت دار الخلافة ، من ايجاد المقتدر وعائلته ونقلهم الى داره (١٦) ، ليستتروا فيها (١٧) . وحينئذ نهبت دار الخلافة ، واخرج المسجونين فيها (١٨) ، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد : «ولما تم خلع المقتدر عمد مؤنس الىدار الخليفة فنهبها»(١٩). ويقول عريب : « ونهب الجند الدار ومحوا رسوم الخلافة وهتكوا الحرمة وصاروا منأخذ الجوهر والثياب والفرشوالطيب الىمالا قدر»(٢٠).

ولم يقتصر النهب على دار الخلافة فحسب ، بل تعداها الى دور

ج٦ ، ص ٢٠٠ . زامباور ، م.ق ، ج١ ، ص ٣ .

(١٥) عريب ، الصلة ، ص ١٤١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٢١ .

(١٦) مسكويه ، م.ق ، ج١ ص ١٩٣ . عريب ، الصلة ، ص ١٤١ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج٧ ، ص ٢١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص ٢٢٢ . اليافعي ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٧١ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ح٧ ؛ ورقة ٣٨ . ابن العبري ، م.ق ، ص ١٥٧ .

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ١٤١ .

(١٨) العيون ، م.ق ، ورقة ١٢٣ — أ . (تحقيق ، نبيلة، ص٣٤٢). مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٣ . ابن الجوزي، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٢٢. ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠١ . ابو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ج٣ ، ص ٩٣.

(١٩) العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٧ .

(٢٠) الصلة ، ص ١٤١ .

الناس حيث استمر النهب طول ليلة السبت الرابع عشر من شهر المحرم ، فكانت من أشأم الليالي على أهل بغداد ، كما نهبت دارا هارون بن غريب بالجانب الغربي والشرقي من بغداد ومن ثم احرقتا [٢١] . والظاهر انه سادت العاصمة حالة من الفوضى والاضطراب ، ففتحت السجون ، وتسنى للصوص والجناة وقطاع الطرق الا فلات من قبضة رجال الامن . وفي وسط هذا الجو المضطرب افلت من دار السلطان عبد الله صاحب الجنابي، وعيسى بن موسى الديلمي وغيرهما من اهل الجرائم الخطيرة،ويبدو أن صاحب الشرطة شعر بخطورة الوضع ، خاصة بعد ان رأى النهب يستمر في اليوم التالي ، عندئذ اصبح لزاما عليه ان يضع حدا لهذا الوضع المضطرب. فأمر بضرب اعناق قوم وجد معهم امتعة الناس ، وحينئذ هدأت الحالة وسكن النهب [٢٢] .

وجاء المتآمرون بأخ المقتدر لابيه (محمد بن المعتضد) ونصبوه خليفة ولقب القاهر بالله [٢٣] ، وقد الزم المقتدر بأن يخلع نفسه من الخلافة فأشهد القاضي أبا عمر محمد بن يوسف بأن خلع نفسه[٢٤] ، ودمعت

---

(٢١) ن . م ، ص ١٤٢ .

(٢٢) عريب ، الصلة ، ص ١٤٢ .

(٢٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٣ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٣ - أ . عريب ، الصلة ، ص ١٤٣ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٢. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ؛ ورقة ٣٨ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر، ج٣ ، ص ٩٣ . اليافعي ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٧١ . الشهابي ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٤٠ .

(٢٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٤ . ابن الجوزي ، المنتظم،

عيناه[٢٥]. ولكن بعض المصادر تذكر بأن المقتدر امتنع عن خلع نفسه[٢٦]. وعلى كل حال فقد عزل المقتدر من دست الخلافة ، وهو لايزال متمتعا بشروطها الواجبة . والمتتبع لا يكاد يجد عذرا منطقيا والا مسوغا شرعيا مقبولا غير تنافس اولئك القادة وجشعهم ، الذي أضر بالدولة كثيرا . ولعلنا نلتمس للمقتدر العذر ، عندما اغرق نفسه في اللذة لأنها تنسيه الواقع المرير الذي كان يراه من رجاله المقربين ، الذين اهتموا بأطماعهم الخاصة وتركوا أمور الدولة العامة جانبا .

وقد كافأ الخليفة الجديد نازوكا نتيجة لجهوده التي بذلها ، فعينه حاجبا له بالاضافة الى منصب صاحب الشرطة [٢٧] . وأضاف الى ما كان الى أبي الهيجاء من : « أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق سر من رأى وبزرج سابور والموصل واعمال المعاون بهمذان ونهاوند والصيمرة والسيروان » [٢٨] . ولعل هذا ما يفسر لنا الدوافع التي كانت تحفز كلا من صاحب الشرطة والامير الحمداني .

ج ٦ ، ص ٢٢٢ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج٣ ، ص ٩٣ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٣ ، ص ٢٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠١ . الاربلي ؛ خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٣٩ .

(٢٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠١ .

(٢٦) عريب ، الصلة ، ص ١٤٢ .

(٢٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٣ . عريب ، الصلة ، ص١٤٢ . الذهبي ؛ تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ٢٠١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٧ .

(٢٨) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ورقة ٣٨ .

ان عدم ثقة نازوك بحرس الخليفة المعزول جعله يشعر بضرورة استبدالهم بمن يطمئن اليهم لحراسة قصر الخلافة [٢٩] . وعندئذ جدت ظروف في صالح المقتدر ، عندما اتفق افراد الحرس المطرودين (الرجالة المصافية مع الحجرية) على أحداث شغب وارجاع المقتدر الى كرسي الخلافة، فضجوا يطلبون الزيادة في رواتبهم . ومع ان نازوكا كان قد وعدهم بتلبية مطاليبهم الا انه لم يستطع أن يفي بوعده هذا ، لانهم لم يعطوه الوقت الكافي لتهيئة الاموال اللازمة لذلك ، فهجموا في اليوم الثالث على دار الخلافة مطالبين بأرزاق سنة ، فأرسل نازوك لتهدئتهم ، لكنه كان ثملا ، فلم يستطع أن يجابههم ، فهرب امامهم ، وطمعوا به فادركوه وقتلوه [٣٠] . وقيل ان الذي قتل نازوك هو سعيد بن يربوع ويلقب بضفدع ، وآخر يدعى مظفر [٣١] ، ويذكر الذهبي على ان الذي تولى قتل نازوك هو سعيد بن بريق من شطار بغداد [٣٢] .

وهكذا بدأ تسيب عام هرب على اثره كل من في القصر ، ونهبت

(٢٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ؛ ص ١٩٤ — ١٩٥ . ابن خلدون ؛ العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٧.

(٣٠) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٩ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧ . مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٩٥ — ١٩٦. ابن حمدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٣٣ — أ . ابن الجوزي؛ المنتظم ج ٦ ، ص ٦٩ و ٢٢٢ . ابن الاثير ، الكامل، ج٦ ، ص ٢٠١ . ابن خلدون ، العبر ؛ المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٨ .

(٣١) عريب ، الصلة ، ص ١٤٣ .

(٣٢) تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣٨ .

دار نازوك ودار بني نهيس[٣٣]. والزم ابو الهيجاء عبد الله حمدان بالدفاع عن القاهر ، لكنه هو الآخر قتل بعد دفاع بطولي خاضه بمفرده [٣٤] ، وذهب الجند ليأتوا بالمقتدر من دار مؤنس ، الذي لزم مكانه طيلة المضاعفات التي رافقت خلع المقتدر [٣٥] لكن بعض المصادر تؤكد ، ان القائد العام كان المحرض على المناوشات الاخيرة التي أدت الى إعادة الخليفة المخلوع الى منصب الخلافة [٣٦] . فمجرد أن صاح الجند منادين بأسم الخليفة [٣٧] ، بادر مؤنس فسلمه اليهم ، وكان المقتدر مترددا في الذهاب معهم ، ولكنه رافقهم والرعب يملأ قلبه، لانه كان يخشى ان يكون ذلك حيلة من الجند ربما يكون هدفها حياته [٣٨] .

وبذلك أعيد المقتدر الى الخلافة وجددت له البيعة [٣٩] . ولما أحضر القاهر بين يديه متخاذلا قال: « يا أمير المؤمنين نفسي نفسي، الله الله ، اذكر

(٣٣) عريب ، الصلة ، ص ١٤٣ .

(٣٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٨ .

(٣٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٢ .

(٣٦) عريب ، الصلة ، ص ١٤٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٦٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٣ .

(٣٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٦. عريب الصلة ، ص ١٤٣. الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ورقة ٣٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٢

(٣٨) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٦١ .

(٣٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٢٢ .

الرحم التي بيني وبينك » [٤٠] ، وكان يرجو أخاه ان يبقى على حياته ، فأجابه المقتدر : « يا أخي أنت لاذنب لك وقد علمت انك قهرت وأمر بأنصرافه الى دار ابن طاهر [٤١] » . وكان المقتدر قد برأ أخاه من تهمة الاشتراك في هذه الحركة عندما حاول ان يلتمس له العذر فقال له : « لاذنب لك وانك قهرت ولو لقبوك المقهور لكان أولى من القاهر [٤٢] » . وأخرج رأس نازوك ورأس عبد الله بن حمدان وطافوا بهما في الشوارع منادين : « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر بنعمته [٤٣] » . وقد كان لهذه الحركة نتائج وخيمة على الخلافة ، اذ انها كانت فاتحة سلسلةمن التجاوزات والتعدي على الخليفة وكبار موظفي الدولة ، وربما اعتبرت هذه الحركة بداية زوال الاحترام التقليدي الذي كان يتمتع به الخلفاء .

أدرك المقتدر بعد هذه الحركة بأنه لايمكن التهاون بطلبات الجيش ، فحاول جدياً جمع المال اللازم لهم ، وبدأ يبيع بعض الضياع السلطانية وأثاثه ومجوهراته الثمينة التي أفلتت من أيدي الناهبين [٤٤] . وانشأ لهذا

(٤٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ج٦ ، ص ٢٠٢ .

(٤١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦، ص ٢٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٢ .

(٤٢) العيون ، م.ق ، ورقة ١٢٥ — أ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤٧). ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٦٠ . ابن خلدون ، العبرة ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٨ .

(٤٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ص ٢٠٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٤ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٨ .

(٤٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ . ابن الاثير ، الكامل

الغرض ديوانا خاصا سمي : « ديوان المرتجعة [٤٥] » . وقد خلقت هذه الحركة مضاعفات خطيرة، زعزعت أركان الدولة، وتركت ذكرى أليمة في التاريخ، فالأزمة المالية زادت في التدهور والارتباك نتيجة لكثرة متاعب الخليفة الناتجة عن عدم قدرته على مواجهة متطلبات الجيش ، ذلك أن هؤلاء لما شعروا بأن رغباتهم تجاب ، وجميع طلباتهم تلبى ، أصبحت تصرفاتهم لا تطاق . وقد أنعكس صدى هذا الحادث خارج مركز الخلافة حيث بان عجز الدولة والسلطة المركزية عن السيطرة على الاطراف ، مما أدى الى تغلب الروم على المسلمين [٤٦] ، وبذلك لم يعد للمسلمين السيادة المطلقة التي كانت لهم في البحر المتوسط [٤٧] ، وأصبح السفر غير مأمون العواقب ، فأنقطع الحج[٤٨] .

وهنا يلوح للباحث ان انقسام دولة بني العباس وتدهورها بات وشيك الوقوع ، وترتب على هذا التدهور والضعف ، الذي منيت به الخلافة انسلاخ كثير من الأقطار عنها ، فبعد أن كان بعضها يعترف للخليفة بالسيادة العليا ، وتقدم له الدعاء في خطبة الجمعة ، غير ان تدهور الأوضاع سلب من الخليفة هذا الحق البسيط . ويكفي لتقدير أهمية هذه الحركة أن الامير

ج ٦ ، ص ٢٠٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣، قسم ٤ ، ص ٧٩٩ .

(٤٥) عريب ، الصـــلة ، ص ١٤٥ .

(٤٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٦ و ٢١٢ و ٢١٦ . ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١١٦ .

(٤٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢١٨ . ابن كثير ، البـــداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٧ . ابن خلدون ، العبر ، المجد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٨٠٨ و ٨٠٩ .

(٤٨) ابن الاثير ، الكامـــل ، ج٦ ، ص ٢٠٧ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ٢٦٨ .

الأموي في الأندلس تجاسر ولقب نفسه خليفة في سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩م (٤٩) عندما سمع بتلك المهزلة وبعد أن ظهر له ضعف الخلافة العباسية ببغداد ، وكان قد سبقه لمثل هذه الخطوة عبيد الله الفاطمي في القيروان (٥٠) .

٦ ـ الاضطرابات خارج العاصمة :

أن الفتن والاضطرابات التي بحثناها في الصفحات السابقة ، والتي حدثت في عاصمة الخلافة العباسية ، كان لها صدى واسع خارج حاضرة البلاد . ذلك أن ضعف السلطة المركزية ، وانشغال رجال الدولة بأنقساماتهم واطماعهم الخاصة ، وتفشي روح الفتن والاضطرابات والتمرد بين فرق الجيش ، كل ذلك جعل قبضة الدولة على ممتلكاتها ضعيفة ، وأرخى الروابط التي تشد أطراف الأمبراطورية العباسية بمركزها . فلا غرابة ان تجد إنعدام الأمن والطمأنينة خارج العاصمة (٥١) ، بعد ان وجدنا مثل ذلك في بغداد نفسها . وربما كان مرجع حصول الفتن والاضطرابات خارج العاصمة ، بالأضافة الى ما ذكر سابقاً ان بعض العناصر المعارضة ، والمحبة للنهب ، كانت السلطة تبعدها عن العاصمة بغداد ، فتعمد هناك على تعكير صفو الأمن خاصة عندما تشعر بضعف السلطة هناك .

---

(٤٩) زيدان ، م.ق ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٥٠) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٥ ، ص ٢٤٥ .

(٥١) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٨١ . العيون ، م.ق ، ورقة ٧٦ ـ ب (تحقيق نبيلة ، ص ٢٤٤) . الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٦ . العبر ، ج٢ ، ص ١٣٦ .

ولا يعني ذلك أن المدن الأخرى كان يسودها نفس الجور المضطرب الذي كان سائداً في العاصمة بغداد . والظاهر ان الحالة في تلك المدن كانت أخف وطأة ، اذ كثيراً ما نجد سكان العاصمة يلتمسون الهدوء والطمأنينة والنجاة بأنتقالهم من حاضرة البلاد الى المدن المجاورة الأخرى ، عندما تتعرض العاصمة لحوادث مخلة بالأمن (٥٢) .

لكن المدن الأخرى لم تكن بمنأى عن الاضطرابات والفتن ، ففي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م خرجت أعراب طي على قوافل الحجاج فقطعوا عليهم الطريق ، وأخذوا ما معهم من العين والأمتعة والجمال ما أرادوا ، كما أخذوا مائتين وثمانين امرأة من قوافل الحجاج (٥٣) . وقد شعرت عامة السكان بعجز السلطة عن حماية طرق الحاج ، ورأت ان إجراءآتها ضعيفة وغير رادعة ، لذلك نفذ صبرها وهجمت على جماعة من الأعراب الذين أسروا فقتلتهم ورمتهم في دجلة (٥٤) .

---

(٥٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٤٦ و ١٨٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١١٨ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢١٧ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٣ .

(٥٣) الطبري ، م.ق ، ج٨ (الاستقامة) ص ٢٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٢٨ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٨٥ . اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٢ ، ص ٢٤٠ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٢٣٨ .

(ويقول عريب ، وابن الاثير ، وابن كثير : ان عدد النسوة اللاتي اسرن مائتين وخمسين امرأة . الصلة ص ٥٤ . الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٠ . البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢٢) .

(٥٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٢ .

وفي بعض الأحيان كانت السلطة ترضخ لمطاليب السكان ، على الرغم من أن تلك المطاليب تعتبر تدخلاً في شؤون الدولة ، وهذا متأت عن عجز الخلافة ، وعدم استطاعتها مقاومة معارضيها . ففي سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م حدثت في البصرة فتنة عظيمة ، ذلك ان أبا الحسن بن الخليل بن رمال الفرغاني ، المتقلد أعمال الحرب بالبصرة ، جرت بينه وبين العامة من مضر وربيعة فتن كثيرة قتل من جرائها من العامة خلق كثير ، وأحرق الجامع ومنعت صلاة الجمعة شهراً كاملاً ، حتى بات من الصعب على الشخص ان يخرج من بيته دون أن يتعرض للقتل ، وفي وسط هذه الفوضى أهملت قنوات الري هناك ، ولم تهدأ الحال إلا بعد أن عزل أبو الحسن الفرغاني عن البصرة ، وأستعملوا عليها أبو دلف هاشم بن محمد العزاعي (٥٥) .

والملاحظ ان حصول الفتن والاضطرابات عادة تحدث ، في الأعم الأغلب ، من جراء أهمال موظفي الدولة لواجباتهم وتقاعسهم عن ضبط البلد، مما يؤدي الى تسيب الأمور وانحلالها ، ففي أواخر سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩م كان والي الموصل العباس بن محمد بن كنداج خارج المدينة فوقعت فتنة بمدينة الموصل بين اصحاب الطعام وبين الاساكفة ، احترق من جرائها سوق الأساكفة وما فيه . ولابد ان يكون سبب الخلاف بين هؤلاء احتكار الجماعة الاولى للطعام والتحكم في اسعاره التي اصبح من المتعذر على الاساكفة ومن هم على شاكلتهم من الطبقة الفقيرة ، الحصول على قوت عوائلهم ، ومع ذلك نجد ان الفئة المحتكرة صاحبة النفوذ هي المتغلبة حيث استطاعت ان تجعل النار تلتهم سوق الاساكفة وتأتي على جميع ما

---

(٥٥) عريب ، الصلة ، ص ص ٦٦ — ٧٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٩ .

فيه [٥٦] • وربما تعود هذه الفتنة الى عوامل مذهبية ، متأتية من كون الاساكفة أعاجم اعتادوا أن يحترفوا مثل هذه المهن ، وان تجار الطعـام من العرب • وهنا لاريد من الاشارة إلى ان ظاهرة التخصص في الأسواق كانت واضحة ، وان هناك تكتلا اجتماعيا قائما على اساس مهني ، يشد أزر بعضه بعضا في الشدائد والملمات •

ولما سمع الوالي بالفتنة كر راجعا ليوقع بأهل الموصل ، فعزموا على قتاله وحضروا المدينة وسدوا الدروب ، وعندئذ رأى ان سـلطته أصبحت عاجزة عن قهرهم • وفي سبيل الاحتفاظ بمنصبه لـم يتورع الوالي عن سلوك شتى السبل ، حتى ولو ادت الى هدم كيان البلد ونهب خيراتـه وتخريب معالمه ، غير آبه بالعواقب الوخيمة التي تجرها سياسته هذه على الدولة •ولم •يكلف نفسه مشقة تحري اسباب وقوع الفتنة ، ومعالجة تلك الاسباب بما يحقق الصالح العـام ، فاستنجد بالاعراب وأمرهم بتخريب الاعمال ، فصاروا يقطعون الطريق على الجسر وفي الميدان ويقاسمونه فيما يجمع من ضرائب ، فسادت الفوضى وخرب البلد • فبلغ الخبر الى الخليفة فعزله وأستعمل مكانه عبدالله بن محمد الفتان وكان عفيفاً صارما وإستطاع ان يزيح سيطرة الاعراب عن مدينة الموصل [٥٧] •

وفي سنة ٣١٥ هـ/٩٢٧ م قصد الاعراب سواد الكوفة ونهبوه وخربوه ودخلوا الحيرة ونهبوها ، وبقوا على هذه الحال يعيثون بأمن تلك المدن والقرى الى ان سير اليهم الخليفة جيشا تمكن بعد جهد جهيد من دفعهم

(٥٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٥ . ص ١٦٥ . ابن خلدون، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٣ .

(٥٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٨١٣ .

عن هذه المدن بعد أن روعوا أهلها فترة من الزمن (٥٨). وكان للوضع المضطرب الذي ساد العاصمة في بداية عام ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م أثره الواضح في بقية أقاليم الدولة . ففي هذه السنة وقعت فتنة في الموصل بين اضحاب الطعام وبين أهل المربعة والبزازين ، وكانت الغلبة في اول النهار لاصحاب الطعام ، ولكن كفة اولئك مالبثت أن رجحت بعد أن أنضم الأساكفة الى أهل المربعة والبزازين ، فأستظهروا بهم وقهروا أصحاب الطعام وهزموهم وأحرقوا أسواقهم (٥٩) . وبذلك تكون المدينة قد فقدت كميات كبيرة من قوت السكان أتلفت اثناء الحريق الذي التهم مخازن الطعام من جراء تلك الفتنة.

ولم تقف الحوادث المخلة بالأمن عند هذا الحد ، بل تتابعت الفتن « واجترأ أهل الشر وتعاقد اصحاب الخلقان والأساكفة على أصحاب الطعام واقتتلوا قتالاً شديداً دام بينهم (٦٠) » . واخيراً استطاع أهل الطعام الظفر بمناوئيهم فهزموا الأساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقهم ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً وقد عجز أمير الموصل ، وقت ذاك ، عن أن يخمد هذه الفتن التي لابد أنها سببت أضراراً مادية جسيمة ، وكادت تستمر لفترة أطول ، لولا أن دخل بينهم جماعة من العلماء وأهل الدين فأصلحوا بينهم (٦١) .

وقد أدى ضعف الخلافة العباسية وتدهورها الى تتابع الحوادث المخلة بالنظام ، فلا تكاد تسكن فتنة في محل ما ، حتى تظهر غيرها في مكان

(٥٨) عريب ، الصلة ، ص ١٣٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٦ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٣ .

(٥٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٢ .

(٦٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٦ .

(٦١) نفس المصدر والمكان .

آخر ، اذ ما أن أخمدت الفتن التي شملت مدينة الموصل خلال عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، حتى وقعت فتنة جديدة في نصيبين سنة ٣١٨ هـ/٩٣٠ م بين أهل باب الروم والباب الشرقي واقتتلوا قتالاً شديداً ، وأدخلوا اليهم قوماً من العرب والسواد فقتلت من بينهم جماعة ، وأحرقت المنازل والحوانيت ونهبت الأموال ، ولم تقتصر حالة النهب والقتل على أهل نصيبين فحسب ، بل تعدتهم الى غيرهم ، اذ صادف أن مرت بهذه المدينة قافلة تريد الشام فنهبوها ، ولم تستطع السلطة أن تؤمن سلامة هذه القافلة (٦٢) . وفي هذه السنة نفسها ، هاجم الكوفة أعراب من بني نمير بن عامر وبني كلاب بن ربيعة وعاثوا بهذه المدينة واستطالوا على المسلمين ، فخرج اليهم أمير الكوفة أبو الفوارس محمد بن ورقاء ، في جمع من اشراف المدينة وبني هاشم العباسيين والطالبيين ، فقاتل الأعراب بنفسه ، لكنهم تمكنوا من أسره مع جماعة من المقربين اليه ، ولم يطلقوا سراحهم ألا بعد ان فدوا أنفسهم بمبالغ كبيرة من المال (٦٣) .

وفي ذي القعدة من سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م ، وقعت فتنة في البصرة بين البلالية والسعدية (٦٤) ، وان عبد الله بن محمد بن عمرويه والي المعونة بها مال الى البلالية فهزموا السعدية وأحرقوا محالهم فأخرجوا من البصرة ، ولم يسمح لهم بالرجوع اليها إلا بعد توسلاتهم (٦٥) . وهنا يتضح لنا أن

(٦٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ .

(٦٣) عريب ، الصلة ، ص ص ١٤٦ — ١٤٧ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ .

(٦٤) انظر الطبري ، م . ق ، جـ ٣ / ١٧٤٥ . وكذلك عريب ، الصلة ، ص ١٥٢ .

(٦٥) عريب ، الصلة ، ص ١٥٢ .

ممثلي السلطة في البصرة ، لم يعملوا على اخماد هذا الاقتتال ، بل ساعدوا على توسيعه وبحكم وظيفتهم كان يتوجب عليهم أن يلتزموا جانب الحياد تجاه الفئات المتصارعة لكنهم بعملهم الآنف الذكر خرقوا هذا العرف . أما ممثلوا السلطة في العاصمة فقد اكتفوا بأن كتبوا الى المتنازعين يحثونهم على الكف عن العصبية ويعرفونهم سوء عاقبتها (٦٦) ، وكأن الأمر لايعنيهم إلا من هذا الجانب الواهي .

وفي سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م هاجم الأعراب الانبار فأفسدوا وقتلوا ونهبوا ، فجرد اليهم علي بن يلبق في جيش كثيف تمكن من طردهم بعد أن قتل منهم عدداً كبيراً وأسر عدداً آخر (٦٧) . وفي نفس هـذه السنة احتل الديلم الدينور وقتلوا أهلها وسبوا عدداً منهم ، ولم تستطع السلطة من نجدتهم على الرغم من أن قسماً منهم كان قد قدم الى العاصمة فسودوا وجوههم ورفعوا المصاحف على رؤوس القصب (٦٨) . وعلى أثر هزيمـة جيش الخليفة امام الديلم اضطرب الناس في السواد ، وعطلت الأسواق ، وأنتشر الأعراب في جميع السواد وحملوا الغلات ، وكبسوا القرى وسبوا الحرم ، ولم تستطع السلطة الحد من عبث هؤلاء (٦٩) ، إلا بعد أن ألحقوا بالسكان أضراراً بالغة .

---

(٦٦) نفس المصدر والمكان .

(٦٧) ابن الاثـير ، الكامـل ، جـ ٦ ، ص ٢١٨ . عريب ، الصلة ، ص ١٥٨ .

(٦٨) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢١٩ .

(٦٩) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٨ .

الفصل السادس

حركات المعارضة

١ ـــ حركة الحسين بن منصور الحلاج :

آ ـــ شخصية الحلاج وطبيعة دعوته .

ب ـــ محاكمة الحلاج وخاتمته .

٢ ـــ حركات الشيعة :

آ ـــ حركة الأطروش الحسن بن علي العلوي .

ب ـــ الحركات العلوية الاخرى .

٣ ـــ حركة القرامطة :

آ ـــ الدعوة القرمطية وخطرها .

ب ـــ القرامطة يهددون بغداد .

جـ ـــ موقف القرامطة من الحجاج .

٤ ـــ الحمدانيون وخلافة المقتدر بالله :

آ ـــ الحسين بن حمدان وتمرداته .

ب ـــ أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان .

جـ ـــ موقف الحمدانيين من الخليفة المقتدر ومؤنس .

حركات المعارضة

١ ـ حركة الحسين بن منصور الحلاج :

آ ـ شخصية الحلاج وطبيعة دعوته :

هو أبو مغيث ، ويقال أبو عبد الله الحسين بن منصور بن محمي الحلاج (١) ينحدر عن جد مجوسي من أبناء فارس (٢) . ويقال ان الذين سموه الحلاج هم أهل الأهواز لأنه كان يكاشفهم عما في ضمائرهم ، وقيل لأنه كلف مرة حلاج قطن لقضاء حاجة له ، فلما رجع وجد الحسين بن منصور قد حلج جميع قطنه الذي كان في الحانوت . وقيل لأن أباه كان

---

(١) الحلاج : بضم الحاء المهملة وتشديد اللام الفنسبة الى حلج القطن المشهور بها أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج . (السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي ، الانساب ، (لندن : ١٩١٢) . ص ١٨١ ـ ب) .

(٢) العيون ، م . ق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ورقة ١٠٣ ـ ب . الاسفرائيني ، عبد القاهر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٠ . السمعاني ، م . ق ، ص ١٨١ ـ ب . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٠ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١١٢ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦ . ابن النديم الفهرست ، ص ٢٨٥ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٠ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١٢ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٨ . أبو المحاسن ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣٢ . الاسفراييني ، التبصير في الدين ، ص ١١٩ . ابن العبري ، م . ق ، ص ١٥٦ .

حلاجاً (٣) .

ولد الحسين بن منصور في مطلع عام ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م في مدينة البيضاء (٤) من أعمال فارس (٥) ، وتشاء الظروف ان يكون مولده أبان ازدهار عصر التصوف .

يعتبر الحلاج من الشخصيات التاريخية التي أثارت جدلاً حاداً بين الباحثين ، واختلف المؤرخون في تحديد منزلتها ، وتعيين اتجاهها ومراميها ، وكثيراً ما تساءل الناس في أمرها (٦) . فقد ارتفع به مؤيدون الى مصاف

(٣) عريب ، الصلة ، ص ص ٩٩ — ١٠٠ . الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٧ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٤ . السمعاني ، م . ق ، ص ١٨١ — ب . ابن خلكان ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٠٧ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٣٣ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ .

(٤) البيضاء : مدينة مشهورة بفارس ، كانت معسكراً للمسلمين . (ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٢٩) . (المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٤) .

(٥) الأسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٠ ، والتبصير فى الدين ، ص ١١٩ . ابن خلكان ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١٢ . اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ . امين ، ظهر الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٦٩ . (ويقول ابن النديم : وقد اختلف فى بلده ، فقيل من خراسان من نيسابور ، وقيل من مرو ، وقيل من الطالقان ، وقال بعض أصحابه أنه من الري ، وقال آخرون من الجبال ، وليس يصح فى امره وأمر بلده شيء بتة . (الفهرست ، ص ٢٨٣) . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٢ .

(٦) الأسفرائيني ، التبصير فى الدين ، ص ١١٩ . ابن خلكان ، م .

الأبطال في حين هبط به خصومه الى هاوية السحر والضلال والمروق والألحاد (٧) . ولعل هذا التناقض تأتي من أن الحلاج كان شخصاً غامضا مبهما ، ولم يظهر على حقيقته ، حتى يستطيع ذوو الرأي أن يحددوا معالم شخصيته واتجاهاته ، ويعينوا في ضوء ذلك موقفهم منه . وربما كانت شخصيته التي تعبدت في أول أمرها كثيراً ، ما لبث أن أصابها الطيش والغرور ، فتغيرت حالة الحلاج من الايمان والورع والتقوى ، الى الكفر والألحاد ، فأشتبه على الناس السحر بالكرامات (٨) .

ويعلل الأسفراييني (٩) ، سبب الاختلاف ، بأن الحلاج كان يتكلم كلاما يحتمل معنيين ، أحدهما مذموم والآخر محمود ، وبذلك اختلف المتكلمون والفقهاء والصوفية في حالة .

ق ، ج ١ ، ص ٤٠٥ . السمعاني ، م . ق ، ص ١٨١ — ب .ابن كثير، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٥٣ . محمد بديع شريف ، الصراع بين الموالي والعرب ، ص ٧٠ .

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦١ . ابن خلكان ، م . ق، ج ١ ، ص ٤٠٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ص ١٣٢ — ١٣٣ . انظر شيمل ، انا ماري ، «الحلاج شهيد العشق الآلهي» مجلة فكر وفن ، العدد الثالث عشر سنة ١٩٦٩ . ص ص ١٩ — ٢٠) . سرور، التصوف الاسلامي ، ص ١٣٣ .

(٨) عريب ، الصلة ، ص ١٠٢ . الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٢٧ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١٢ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٩) التبصير في الدين ، ص ١١٩ .

تنقل الحسين بن منصور في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي [١٠] ، وكان قد استهل ترحاله الى مدينة واسط ينشد العمل في ميادينها الكثيرة[١١]، وبذلك يكون الحلاج قد نشأ بواسط وقيل [١٢] بتستر [١٣] ، وفي اثناء مكوثه بواسط تتلمذ على الأمام الصوفي سهيل بن عبد الله التستري ، وتلقى على يديه بعض التعاليم الصوفيـــة ، وقـــد أعجب الشيخ بتلميـــذه ايما أعجاب [١٤] .

---

(١٠) الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ١١ ، ص ١٣٣ .

(١١) السمعاني ،م.ق ، ص ١٨١ ــ ب . المقدسي ، أحسن التقاسيم، ص ١٢٩ . عبد الرحمن بدوي ، شخصيات ، ص ٦٣ .

(١٢) عريب ، الصلة ، ص ١٠٢ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١١٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٠ . أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٠ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣٢ .. اليافعي ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .أمين،ظهر الاسلام ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

(١٣) تستر : كورة كثيرة الفواكه والاعناب والاترنج والثمار ، عامتهـــا تحمل الى الاهواز والبصرة . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٥) . ليس بالاقاليم أطيب ولا أحسن ولا أجمل من تستر ، يدور حولها النهر ويحدق بها البسـاتين والنخل ، يعمل فيها الديباج والقطن . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٩) .

(١٤) ابن الجوزي ، المنتظـم ، ج ٦ ، ص ١٦٠ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٠ . الـذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٨ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ص ١١٢ . أبو المحاسن ، النجوم ، ج ٣، ص ٢٠٢ . اليافعي ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

وبعد ان بلـغ الحلاج العشرين من عمره رحل الى مدينة البصرة ، وتزوج فيها (١٥) ، وأتصل بشيخ من شيوخ الصوفية فيها هو عمربن عثمان المكي ، وعلى يديه تلقى الحلاج حرفة التصرف وعاش حياتهم (١٦) . وكان لشيخه المكي أبعد الأثر في حياته المقبلة وفي نكبته بعدئذ ، ذلك انه قامت خصومة حادة بين صهر الحلاج وشيخه (١٧) ، الأمر الذي أضطر التلميذ الى أن يرحل الى بغداد ويتصل بالجنيد سيد الطائفة وشيخها الكبير ، وغيره من المتصوفين (١٨) ، ولكن سرعان ما باعدت بينهما الاحداث ، ذلك ان لكل منهما شخصيته ومنهجه .

رأى الحلاج في بغداد الصراع الفكري والعصبيات القبلية والمذهبية المختلفة (١٩) ، كما شاهد ترفاً ماجناً ، ونظاما فاسداً ظالما ، وخلافة متكبرة

---

(١٥) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٢ . السمعاني ، م . ق ، ص ١٨١ — ب .

(١٦) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١٢ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٢ . السمعاني ، م . ق ، ص ١٨١ — ب . ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ١١ ، ص ١٣٢ . امين ، ظهر الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٦٩ .

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ١٠٤ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٢ ، السمعاني ، م . ق ، ص ١٨٨ — ب .

(١٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ . ابن خلكان ، م ق ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٠ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١٢ العبر ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ . أبو المحاسن ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ . اليافعي ، م . ق ، ص ٢٥٣ .

(١٩) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٣ .

لاهية ، وعندئذ أخذت تراوده أفكار عمل على تطبيقها ، كي يستطيع أن يهيمن على هذه المتناقضات ويصهرها في بوتقة واحدة ، ويمحو العصبيات ويحارب الترف والفساد الأداري الذي صار يئن منه المجتمع ، فخيل للناس أنه من الدعاة الى الله عز وجل (٢٠) .

شعرت السلطة بخطر الحلاج على وجودها ، وبخاصة عندما أخذ يتصل بالناس (٢١) ، ويوثق صلته بطوائف من الجند وبعض القادة والأمراء وابناء الأغنياء (٢٢) ، اتصالا لم ترض عنه الخلافة التي رأت بأن في رأس الحلاج أهواء متعددة ، وانه يحاول أن يجعل من نفسه مصلحاً دينيا واجتماعيا وسياسيا ، وانه يتلمس طريقة الى أمر عظيم (٢٣) ، فاذا ما علمنا أن المهيمنين على السلطة لم يكونوا على أستعداد عقلي ونفسي لأن يسلموا للحلاج بمنهجه الاصلاحي ، وخافوا مغبة فتنةفأعتبروه إنماجاءليزلزل نظاما، ويحطم حكما ويثير انقساما حاداً في المجتمع ، وبذلك قال عنه ابن النديم كان : « جسوراً على السلاطين مرتكباً للعظائم يروم انقلاب الدولة (٢٤) » .

(٢٠) الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١١٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣٣ .

(٢١) الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٨ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٢ .

(٢٢) الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٣ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١١٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١، ص ١٣٤ . متز ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٢٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٨٣ . الاسفرائيني ، الفرق ، ص ٢٦٣ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١١٣ .

(٢٤) الفهرست ، ص ٢٨٣ .

وتمتزج شخصية الحلاج بجوهر دعوته ، فتؤثر إحداهما بالأخرى الامر الذي بلبل افكار الناس وجعلهم يجدون صعوبة في الحكم عليه ، فصاروا يتجادلون حيال سيرته وحقيقة دعوته « فقال ناس ساحر فأصابوا ، وقال ناس : به مس من الجن فما أبعدوا ، لأن الذي يصدر منه لايصدر عن عاقل اذ ذلـــك فوجب حتفه ، أو هو كالمصروع أو المصاب الذي يخبر بالمغيبات . . . وهـــذه بلية عظيمة ومرضة مزمنة أعي [كذا] الأطباء دواؤها (٢٥) » . وقد نسب الى الحلاج بأنه كان يستخف بالقرآن الكريم، وانه قال : بأن في استطاعته ان يأتي بمثل القرآن . (٢٦)

لقـــد فسرت السلطة أقوال الحسين بن منصور تلك على أنه يريد الخلافة ، لنفسه (٢٧) ، وهذا وحده كفل للحلاج عداوة شديدة من كافة الاطراف المنتفعة بالخلافة ، ومن يحيط بها ، أو يدور في فلكها ، وزاد في عنف المعركة ان الحلاج كان بطبيعته الثائرة ، قوي المنطق (٢٨) مهاجما عنيفاً لايعرف المهادنة ولا يرضى بأنصاف الحلول .

أن الصفات التي أتسم بها الحلاج وطبيعة تاريخه ، أستهوت بعض

---

(٢٥) الذهبي ، العبر ، جـ ٢ ، ص ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢٦) عريب ، الصلة ، ص ١٠٨ . الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٢ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١٢١ . ابن‌الجوزي، تلبيس أبليس ، ص ١٩١ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١٤ . أمين ، ظهر الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٦٩ .

(٢٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٣٧ .

(٢٨) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٢ . السمعاني ، م . ق ، ص ١٨١ — ب .

الناس ، فأفتتن بسحره قوم نسجوا حوله الاساطير الكثيرة [٢٩] ، حتى أن قوماً من الجهالة قالوا أنه آلة وانه يحي الموتى [٣٠] . وهذه التهمة ، بلا ريب ، جلبت عليه حقداً غليظاً وحسداً كبيراً [٣١] ، فتصدى له قوم قذفوه بالفجور والفسق والألحاد والمروق الديني [٣٢] ، وبخاصة بعد أن ظفروا بكتب اتباعه وفيها : « ياذات الذات ، ومنتهى غاية الشهوات ، نشهد أنك المنصور في كل زمان بصورة ، وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور [٣٣] » . وقد ثبت للذين ناصروا الحلاج ادعاءه الربوبية [٣٤] .

والظاهر ان الحسين بن منصور تأكد من كثرة اتباعه ومناصريه ، فاعتزم ان يخوض في معترك الاحداث العامة ، فاتجه بدعوته الى طبقة المتعلمين

(٢٩) الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٣ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٠ .

(٣٠) عريب ، الصلة ، ص ٨٦ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٧٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٢ . ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم ، جامع الرسائل ، (دمشق : ١٩٦٩) ، ص ١٨٩ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٧ .

(٣١) الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٣٢) الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣٥ .

(٣٣) الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٣ . بديع شريف ، الصراع ، ص ٧١ .

(٣٤) عريب ، الصلة ، ص ٩٠ . ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص ١٩١ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٢٦ و ١٣٣ .

من الكتاب ورجال الاعمال والى الجنود مستهدفا اصلاح الادارة الحكومية الغارقة في الانحراف (٣٥) ، ولما عاب عليه المتصوفون تدخـــله في الامور الامور الدنيوية ، خلع خرقة التصرف وارتدي الملابس العادية ، في بعض الاحيان ، كما لبس ملابس الجند في احيان أخرى (٣٦) . ولعل هـــذه الحادثة على بساطتها تلقي بعض الضوء على مطامع الحلاج السياسية الخاصة والذي يؤكد هذا الاستنتاج ، ان الحلاج انفذ اتباعه الى أنحـــاء مختلفة من العالم الاسلامي ودربهم بما يدعون اليه النـــاس (٣٧) ، وأمرهم ان يستعملوا الحكمة في دعوتهم فيخاطبوا كل قوم على حسب عقولهم وافهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم (٣٨) ، وبذلك عظم أمره في الاهواز (٣٩) .

لم يطل الحلاج المقام في الأهواز ، اذ فارقها قاصداً بغداد ، بعد أن سبقته اليها شهرته ، فاقتني العقــار وبنى دارا (٤٠) ، ثم يذهب الى

(٣٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٣٤ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٢ .
الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص١٣٤ .

(٣٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص١٦١ . الذهبي ، العبر ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

(٣٨) عريب ، الصلة ، ص ص ٩٠ — ٩١ . ابخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص١٣٣ و ١٣٦ .

(٣٩) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٣ و ١٢٥ .

(٤٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٦١ . ابن الـطقطقـي ، الفخري ، ص ٢٦٠ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٤ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١٣ . العبر ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ . امين ، ظهر الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٧٠ .

مكة للمرة الثانية (٤١) ، ومنها يخرج الى التركستان والهند حيث يعتنق الاسلام على يده خلق كثير ، وحينئذ تعززت مكانته في بلاد ما وراء النهر والهند والصين (٤٢) . ولعل هذا هو الذي جعل بعض الباحثين ، يعتقدون بأن الحلاج كان يفكر في هداية الانسانية كلها عبر الامة الإسلامية (٤٣) .

وكان الناس يكاتبون الحلاج من الهند بلقب (المغيث) ومن بلاد الترك (بالمقيت) ومن خراسان (بأبي عبد الله الزاهد) ومن خزستان(٤٤) (بالشيخ حلاج الاسرار) (٤٥) . وهكذا كثر شغف الناس به ، وأخذوا يرددون أحاديثه وقواه السحرية الخارقة (٤٦) ، « وبلغ من شأنه ان كان

(٤١) الخطيب البغدادي ، جـ ٨ ، ص ١٢٥ .

(٤٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٦١ . السمعاني ، م ق ، ص ١٨١ ـ ب الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١١٣ . الذهبي . العبر ، ج٢ ، ص ١٣٨ .

(٤٣) امين ، ظهر الاسلام ، ج٢ ، ص ٧٠ . بدوري ، شخصيات ، ص ٦٨ .

(٤٤) خوزستان : هو ما يعرف قديما بالاهواز . كما انه واسطة بين فارس والعراق . وهذا الاقاليم كثير الثمار والارزاز والقصب والحبوب والرطب ، فيه الديباج والخز والقطن والسكر . (المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٤٠٢ و ٤٠٤) .

(٤٥) الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١١٣ ـ ١١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٦١ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ١٠٣ . العبر ، ج٢ ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ج١١ ، ص ١٣٣ .

(٤٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٦١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٣٢ .

يخرج الاطعمة من غير وقتهـــا ، والدراهـــم من الهواء ويسميها دراهم القدرة » (٤٧) .

وقد هرب الحلاج من الاهواز عندما حاول أهلها ان يدخـــلوه في بيت من بيوتهم ويكلفوه ان يخرج لهم (جوزتين من شوك) (٤٨). وقال أبو يعقوب الأقطع : « زوجت بنتي بالحـــلاج فبان لي بعد انـــه ساحر محتال » (٤٩) . وذكر الصولي المؤرخ المعاصر للحلاج فقـــال : « جالست الحلاج فرأيت جاهلا يتعاقل ، وغبيا يتبالغ وفاجرا يتزهد » (٥٠) ، وبذلك تأكد من خلال تواتر المراجع أن الحلاج دخل الهند وتعلم السحر بها (٥١).

(٤٧) الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٢٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦١ . الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٨ . انظر كذلك القزويني ، زكريا بن محمد ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٦٥ .

(٤٨) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١٤ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٢٥ .

(٤٩) الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٢١ .

(٥٠) عريب ، الصلة ، ص ص ٩٥ — ٩٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١٠٤ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦١ .

(٥١) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٢٧ . عريب ، الصلة ، ص ٩٣ . ابن تيميـــة ، جامع الرسائـــل ، المجموعـــة الاولى ، ص ١٨٧ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٠ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٢٠ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١٤ . دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٧ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

ويبدو للباحث ان الحلاج أصابه بعض الشذوذ ، قد يكون منشؤه العزلة التي فرضها على نفسه في بعض الاوقات (٥٢) ، هذا بالاضافة الى تعمقه في الدراسات الصوفية ، وتعاطيه السحر ، وغيرها من الدراسات التي أعتاد أن يتناولها بتعمق كبير . ومن هنا بدأ يفقد توازنه ، وصدرت عنه أقوال لا تتفق مع منطق المؤمن الزاهد ، كرغبته في ان يموت كافرا بشريعة الاسلام . وفي احيان اخرى نراه يصيح في الاسواق ، وفي جامع المنصور ، وهو في حالة من الجذب والطرب : « اعلموا أن الله تعالى أباح لكم دمي فاقتلوني ... اقتلوني تؤجروا واستريح — وليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي » (٥٣) .

وفي عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م تعاطف الحلاج مع حركة عبد الله بن المعتز ، وتمني نجاحها ، ولما اخفقت هذه الحركة ، أصدر الوزير ابن الفرات أمره بالقبض على الحلاج واتباعه ، لكنه نجا من القبض (٥٤) ، واختفي ببلدة — سوس — (٥٥) من الاهواز . وفي اثناء مكوثه في الاهواز

(٥٢) ابن الساعي ، تاج الدين ، أخبار الحلاج ، (باريس : ١٩٣٦) ، ص ٤٣ .

(٥٣) ابن الساعي ، أخبار الحلاج ، ص ٧٥ .

(٥٤) عريب ، الصلة ، ص ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٥٥) سوس : هي بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال النبي . (ياقوت ، معجم البلدان ٥/٢٨٠) انظر الاصطخري ، الاقاليم ، ص ٥٣ : يعمل فى السوس الخزر ويحمل منها الى الآفاق ، وبها أترج ، وطراز للسكان . وغيرها من الصناعات . (الاصطخري ، ص ٥٤) .

هي كورة من تخوم العراق وحدّ الجبال بها مزارع الرز والاقصاب ويطيخ وبها سكر كثير . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٥).

شاع عنه : « أنه ادعى أنه آله وأنه يقول بحلول اللاهــوت في الاشراف من الناس » (٥٦) ، وبذلـك قبض عليه والي الأهواز علي بن احمــد الراسبي ، حيث وجد في مدينة سوس ، وأدخل بغداد مشهورا على جمل فصلب وهو حي (٥٧) ، ونودي عليه ، على انه أحد دعاة القرامطة فأعرفوه (٥٨) .

والسوس : قصبة عامرة طيبة بها أسواق بهية واخباز حسنة ومياه جارية ولها حمامات جيدة وحدوات رخيصة وضياع نزيهة ونعم كثيرة ، قرآن وحديث وأدب وسنة . (المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤٠٧) .

(٥٦) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٢ . ابا النديم ، الفهرست ، ص ٢٨٤ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٢ . ابن العماد ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٥٧) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٨٩ . عريب ، الصلة ، ص ص ٩٦ — ٩٧ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، قسم ١ ورقــة ٨٢ — ب . ابن حمدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٩ ب . الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ١٣ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٢ . الحموي ، التاريخ المنصوري ، ص ١٢٤ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٨٤ . الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٤ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٢ . ودول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٤ . ابن تيمية ، جامع الرسائل ، المجموعة الاولى ، ص ١٨٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢١ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٠ . ابن العماد ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٨٢ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٢٦ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٢ .

(٥٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٢ . ابن تيمية ، جامع

وكان الراسبي قد كتب معه كتابا يذكر فيه ان البينة قد قامت عنـده بأن الحلاج يدعي الربوبية ويقول بالحلول (٥٩) ، وان مكاتباته تنبيء بذلك(٦٠). وبهذا يظهر أن ليس لمؤنس الخادم دخل في القبض عليه ، وان علاقـة مؤنس مع الوزير علي بن عيسى ، كانت متينة . ذلك ان مؤنسا هـو الذي رشحه للوزارة (٦١) ، وليس كما ذكر احد الباحثين (٦٢).

عهد للوزير علي بن عيسى مناظرة الحلاج « فلم يجده يقرأ القرآن ولا يعرف من الفقه شيئاً ولا من الحديث ولا من الاخبار ولا الشعر ولا اللغة ، فقال له علي بن عيسى تعلمك الطهور والفروض أحدى عليك من رسائل لاتدري ما تقول بها (٦٣) » . وبعد انتهاء المحاكمة والتشهير حبس الحلاج في دار الخلافة ، فأستمال بعض الحاشية بأظهاره السنة حتى مالوا اليـه

الرسائل ، المجموعة الاولى ، ص ١٨٨ . الديار بكري ، م . ق ، ج ٢، ص ٣٤٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٢ . دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٤ . أبو المحاسن ، م . ق ، ج ٢ ، ص١٨٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢١ . ابن العماد ، م . ق ، ج ٢، ص ٢٣٣ .

(٥٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٦٢ .

(٦٠) عريب ، الصلة ، ص ١٠٤ . الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص١٤١ .

(٦١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٦ . ابن الاثير ، الكامل، ج ٦ ، ص ١٤١ .

(٦٢) انظر ، بدوي ، شخصيات ، ص ٧٢ .

(٦٣) عريب ، الصـلة ، ص ٩٧ — ٩٨ . ابن الجوزي ، المنتظـم ، ج٦ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٨٤ . الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢١ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٣ ، ص ١٨٢ .

وصاروا يتبركون به ويتمسحون بثيابه (٦٤) . وبذلك لم تتجاسر السلطة على القسوة عليه لأنها شعرت بأنه أصبحت له مكانة شعبية تحميه وتعصمه من غضب الخليفة ، ولأنه كان له أنصار ذوو نفوذ في دار الخلافـة (٦٥) ، إستطاعوا أن ينتزعوا من الخليفة المقتدر بالله أمراً بالعفو عنه ، وأن يكتفي بتحديد اقامته بدار الحاجب « فأقام عند نصر القشوري في سعة ودعة يزوره من يشاء » (٦٦) .

وهكذا تعزز مركز الحسين بن منصور الحلاج ، وبخاصة بعـد أن إستطاع في سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م ان يشفي الخليفة من حمى أصابته (٦٧) ، كما أزال مثل تلك العلة عندما عرضت لوالدة المقتدر بالله (٦٨) ، وكذلك

(٦٤) عريب ، الصلة ، ٨٦ . الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص٢٦٣ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٢٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٢٣ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢١ .

(٦٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٦ . عريب ، الصلة ، ص ٨٦ — ٨٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٦٣ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٣ . الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ١٤٢ . أمين ، ظهر الاسلام ج٢ ، ص ٧٠ .

(٦٦) عريب ، الصلة ، ص ٨٨ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٦ . الخطيب البغـدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٤ . ابن النـديم ، الفهرست ، ص ٢٨٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢١ . متز ، م.ق ، ج٢ ، ص ٦٤ .

(٦٧) الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٤ .

(٦٨) نفس المصـدر والمكان .

شفى ابن نصر القشوري عندما أحضر له تفاحة زعم أنها من الجنة (٦٩) .
ويقول عريب : أحيا الحلاج في سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ببغاء محمد بن المقتدر فأحدث ذلك دوياً في قصر الخلافة وفي بغداد كلها (٧٠) وينقل لنا الذهبي عن ثابت بن سنان أن الحلاج موه على جماعة من الخدم والحشم وأصحاب المقتدر بأنه يحي الموتى ، وان الجن يخدمونه ويحضرون اليه ما يريد ، وكان الوزير حامد بن العباس قد أحضر جماعة منهم فأقروا أن الحلاج آله وانه يحي الموتى (٧١) . وكانت ابنة الحلاج قد طلبت من ابنة السمري أن تسجد للحلاج ، فقالت : « أو يسجد أحد لغير الله ، فسمعها الحلاج فقال : نعم آله في السماء وآله في الارض (٧٢) » .

وفي اثناء اقامة الحلاج في قصر الخلافة ، غدا صاحب منزلة مرموقة (٧٣) . وأقامت معه ابنته وابنة السمري (٧٤) . وبذلك يكون الحلاج قد

---

(٦٩) عريب ، الصلة ، ص ٩٩ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص٢٧ .

(٧٠) الصلة ، ص ٩٢ .

(٧١) العبر ، ج٢ ، ص ١٤٢ . انظر كذلك عريب ، الصلة ، ص ٨٦ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ؛ ص ٧٦ .

(٧٢) عريب ، الصلة ، ص ٨٩ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج ٨ ص ١٤٣ . الذهبي ، العبر ، ج٢ ص ١٤٣ .

(٧٣) الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٤٣ . الذهبي، العبر ؛ ج٢ ، ص ١٤٢ . ابن الاثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢١ . متز ؛ م.ق ، ج٢ ، ص ٦٤ .

(٧٤) عريب ، الصلة ، ص ٨٨ . مسكويه، م.ق ، ج١ ؛ ص ٧٨ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٥ . الذهبي ، العبر ؛ ج ٢ ص ١٤٢ .

انتقل بأسرته وخدمه الى دار الخلافة ، وأصبح سيداً مطاعاً ، عال المكانة في قصر الخلافة وأصبحت السيدة أم المقتدر من أشد المدافعين عنه ، وصارت الحاشية ترعاه وتجله ، وامتلأ قصر الخليفة الكبير بالحديث عن كراماته وما تصنع يداه من عجائب وغرائب [٧٥] ، وأسرف الناس كعادتهم في هـذا الحديث وأضافوا اليه وزادوا فيه ، حتى غدا الحلاج أكثر من أسطورة ، وملأت الهمسات أندية بغـداد ومساجدها [٧٦] . ورأى بعض الوزراء والقواد والأمراء أن مكانتهم قـد تزلزلت ، وشعر المستغلون والمنتفعون والمرتشون الذين هيمنوا على الخليفة في الماضي ، أن أطماعهم أصبحت مهددة بالزوال [٧٧] . فلا عجب أن ضاق كبار رجال الدولة بنفوذ الحلاج وصيحاته التي باتت تهددهم ، وكادت أن تطيح بنفوذهم .

وجلبت المشاحنات القائمة بين رجال السلطة ضرراً كبيراً على الحلاج، ذلك أن علياً بن عيسى نقم عليه لأهتمام نصر الحاجب به [٧٨] ، كما خاصمه بعض علماء الدين وأخذوا ينشرون الشائعات حول عقيدته وأبعاد دعوته [٧٩]،

(٧٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٦ . الخطيب البغدادي ، م.ق، ج٨ ، ص ١٣٢ و ١٣٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢١ .

(٧٦) ابن الطقطقي ، الفخـــري ، ص ٢٦٠ . متز ، م.ق ، ج ٢ ، ص ٦٤ — ٦٥ .

(٧٧) سرور ، طه عبد الباقي ، الحلاج شهيد التصوف ، (القاهرة : ١٩٦١) ، ص ١٢٣ .

(٧٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٦٣ . الذهبي ، العبر ، ج٢ ص ١٣٩ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١١٤ . بروكلمـان ، م.ق ، ج٢ ، ص ٨٤ .

(٧٩) الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ١٣٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١١ ؛ ١٣٢ .

فلم يهنأ الحلاج طويلاً بسكانته في دار الخلافة ، اذ بدأت تحاك ضده الدسائس والمؤامرات وتضيق حولـه النطاق وتطارده ، حتى صار الخليفة يضيق به ذرعاً ، ويخشى مطامعه ، وأخذت تتمزق هالة القداسة التي كانت تحيط به ، فسلمه الى عدوه اللدود حامد بن العباس (٨٠) .

ب ـ محاكمة الحلاج وخاتمته :

كان الوزير حامد بن العباس من أشد خصوم الحلاج ، لذا بدأ يمهد للتضييق عليه ومحاكمته (٨١) ، لكنه وجد الخليفة متردداً خائفاً من هذه الخطوة . وكان الوزير قد وجد له كتباً فيها أن صيام ثلاثة أيام بشروط وضعها تعوض عن صيام شهر رمضان ، وان صلاة ركعتين في وقت معين ، تغني عن الصلاة بعد ذلك . وانه إذا تصدق الفرد في يوم واحد بجميع ما يملكه في ذلك اليوم ، أغناه عن الزكاة ، وانه إذا بنى بيتاً وصام أياما ثم طاف حوله عرياناً مراراً أغناه عن الحج (٨٢) . لذلك طلب الوزير من المقتدر بالله الموافقة على محاكمة الحلاج ، متهما إياه بالشعوذة والألحاد وادعاء الألوهية . وأمام اصرار حامد بن العباس وافق ألخليفة على إقتراح الوزير .

(٨٠) الخطيب البغـدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٢ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦١ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٨١) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، ص ٣٤٨ .

(٨٢) عريب ، الصلة ، ص ١٠٥ . ابن الجوزي ، المنتظـم ، ج ٦ ، ص ١٦٣ . ابن تيمية ، م.ق ، المجموعـة الاولى، ص ١٨٩ . الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

وسئل الحلاج من جانب أعضاء المحكمة عما أتهم به ، من أنه آله ، وانه يحيي الموتى ، وان الجن يخدمونه ، وانه يعمل ما أحب عن طريق المعجزات (٨٣) . لكن الحلاج أنكر بقوة ما نسب اليه وقال : « أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النبوة ، وإنما أنا رجل أعبد الله عزذكره وأكثر الصوم والصلاة وفعـل الخير ولا غير (٨٤) » . وبذلك فندت أقوال الشهود ، وأصبحت الأدلة غير كافية . غير أن السلطة لم تقف عند هذا الحد ، لأنها لم تبلغ غايتها . ولم يجد القضاة ما يوجب ادانة الحلاج وقتله ، « لأنه لايصح عندهم ما يوجب عليه القتل وانه لايجوز قبول قول من أدعي عليه ما أدعاه وان واجهه إلا بدليل وأقرار منه (٨٥) » .

وهكذا أصبحت الاتهامات غير كافية لتحقيق غرض مناوئي الحلاج ، وشعر القضاة على الرغم من التعليمات الصادرة اليهم ، بعجزهم عن إصدار حكم الادانة . عندئذ تقرر اضافة علي بن عيسى الى هيئة المحكمة ، وأحضر الحلاج ، فخاطبه علي بن عيسى خطاباً فيه غلظة فقال له الحلاج : « قف حيث انتهيت ، ولا تزد عليه شيئاً ، وتأدب وإلا قلبت عليك الأرض ، فتهيب علي بن عيسى من مناظرته (٨٦) » ، وطلب من الخليفة أن يعفيه من هذه

(٨٣) امين ، ظهر الاسـلام ، ج٢ ، ص ٧٠ .

(٨٤) عريب ، الصلة ، ص ٨٧ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٦ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٣ .

(٨٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٦ . عريب ، الصلة ، ص ٨٧ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٤ — أ (تحقيق ، نبيـلة ؛ ص ٢٩٥) . ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص١٩٢ . ابن الوردي ، م.ق ج٢ ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .

(٨٦) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٧ . العيـون ، م.ق ، ج٤ ؛

المهمة فأعفاه [٨٧] ، وحينئذ زادت شهرة الحلاج حتى قال عنه بعض الباحثين: «وصفقت بغداد إعجاباً ببطلها ووليها [٨٨]» . وتحت ضغط الوزير استجاب الخليفة وأمر بأعتقـال الحلاج في دار نصر الحاجب ليحد من اتصالاتـه وتنقلاته [٨٩] . وفي هذه المرحلة وضع الحسين بن منصور الحلاج بعض كتبه ومنها كتاب (طاسين الازل [٩٠]) .

ويدعي بعض الباحثين ان الحلاج رغم سجنه استطاع أن يوجه الأحداث في بغداد [٩١] . ويخال للباحث أن هذا الأستنتاج مبالغ فيه ، وان صاحبه وقع في أخطاء تاريخية كبيرة ، ذلك انه لم يكن للحلاج فضل في بقاء نصر القشوري بمنصبه وبدار الخلافة ، وإن صلة علي بن عيسى مع الحلاج لم تكن جيدة ، لأن الحلاج انما اعتقل في وزارة علي بن عيسى الأولى [٩٢] ،

القسم ١ ؛ ورقة ١٠٤ — ب (تحقيق ، نبيـــلة ، ص ٢٩٦) . عريب ، الصلة ، ص ٨٨ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٢٣ . الخطيب البغدادي م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٤ . ابن الاثير . الكامل ، ١٦٨/٦ .

(٨٧) عريب ، الصلة ، ص ٨٨ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٧. الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ؛ ص ١٦٨ .

(٨٨) سرور ، الحلاج ، ص ١٣٢ .

(٨٩) الخطيب البغـدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٤ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦١ .

(٩٠) بدوي ، م.ق ، ص ٧٢ .

(٩١) سرور ، الحلاج ، ص ١٣٧ .

(٩٢) الطبري ، م.ق ، المجـلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٩٨ . العيـون ، م.ق ؛ ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ٨٢ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص٢٥٤).

ولأن الأخير كان قد ضغط على الحسين بن منصور اثناء المحاكمة [٩٣] . وبذلك لم يسهم الحلاج في ادخال علي بن عيسى في وزارته الثانية ، ذلك لأن علي بن عيسى كان قد تقلد هذا المنصب بعد مقتل الحلاج بست سنوات تقريباً [٩٤] ، كما أن الحلاج لم يتمكن من أن يبعد خصمه الأكبر حامد بن العباس عن الوزارة ، كما أدعى مؤلف كتاب (الحلاج) اذ قتل الحلاج ، وحامد بن العباس لايزال محتفظاً بمنصب الوزارة [٩٥] .

ومن التهم التي نسبت الى الحلاج قوله : « ان الانسان إذا أراد الحج ولم يمكنه ، أفرد في داره بيتاً لايلحقه شيء من النجاسة ، ولايدخله أحد ، منع من تطرقه ، فاذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافه حول البيت الحرام ، فاذا أنقضى ذلك ، وقضى من المناسك ما يقضي بمكة مثله ، جمع ثلاثين يتيماً وعمل لهم ما يمكنه من الطعام ، وأحضرهم الى ذلك البيت وقدم اليهم الطعام وتولى خدمتهم بنفسه ، فاذا فرغوا من أكلهم ، وغسل أيديهم ، وكسا كل واحد منهم قميصاً ودفع اليه سبع دراهم ، فاذا فعل ذلك قام له مقام الحج [٩٦] » .

مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٢. ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٨٤ . ابن دحية ؛ النبراس ، ص ١٠٢ .

(٩٣) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٢٣ . مسكويه، م.ق ، ج ١ ؛ ص ٧٧ . ابن كثير ؛ البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢١ .

(٩٤) عريب ، الصـــلة ، ص ١٢٩ .

(٩٥) انظر سرور ، الحلاج ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٩٦) عريب ، الصلة ، ص ٩٣ . ابن تيمية، م.ق ، المجموعة الاولى ص ١٨٨ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج٨ ، ص ١٣٨ . ابن الجوزي المنتظم ، ج٦ ؛ ص ١٦٣ . الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج٢، ص٣٤٨.

واذا صح هذا الأجتهاد ، وهو في الاغلب صحيح ، فيكون الحلاج قد عطل به أحد أركان الدين الاسلامي الخمسة • ورغم أن الحلاج زعم أن هذا القول كان قد وجده في كتاب الاخلاص للحسن البصري ، غير أن القاضي أبا عمر محمد بن يوسف فند ادعاءه هذا ، مؤكداً أن كتاب الاخلاص ليس فيه شيء من هذا القبيل ، وقال له : « كذبت ياحلال الدم [٩٧] » • وعندئذ وجد الوزير أن الفرصة واتته ، فطلب من القاضي أن يدون ما قاله ، إلا أن القاضي أبا عمر أظهر انه متشاغل منه [٩٨] ، وتلكأ في تأكيد قوله السابق • غير ان الوزير أستعجله وألح عليه الحاحاً لم يمكنه معه المخالفة • وأمام اصرار الوزير كتب القاضي باحلال دم الحلاج ، ومن ثم تبعه بقية القضاة الذين كانوا يحاكمونه [٩٩] •

الذهبي ، تاريخ الاسـلام ، ج٧ ، ورقة ١٥ .

انظر كذلك ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٣ .

(٩٧) العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ص ١٠٦ — ب (تحقيق، نبيلة ، ص ٣٠١) عريب ، الصلة ، ص ٩٣ و ١٠٦ . مسكويه ، م .ق، ج ١ ، ص ٨٠ . ابن تيمية م . ق ، المجموعة الاولى، ص ١٩٠ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣٨ . ابن الجوزي ، تلبيس أبليس ، ص ١٩٢ . والمنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٣ . ابن خلكان ، م . ق ، ج١، ص ٤٠٦ . السمعاني ، م . ق ، ص ١٨١ — ب . الذهبي ، تاريخ الاسلام، ج ٧ ، ورقة ١٥ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٢ . اليافعي ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٣ .

(٩٨) عريب ، الصلة ، ص ٩٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨١ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٦ — ب . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣٨ .

(٩٩) الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٢٤ . العيون ، م . ق ، ج

ويخال للباحث ان القاضي ابا عمر قال جملته تلك بأنفعال لا يأتلف ومنصب القضاء ، وقد لا يقصد معناها البعيد، ولا يريد حقيقتها وتنفيذها وبذلك حاول أن يتملص منها ، وأظهر أنهمتشاغل عن مخاطبة الوزير الذي تلقف الكلمة في اصرار عجيب وأرغم القاضي على توقيع الحكم على اساسها.

وتبين للحلاج خطورة الموقف فقال : « ظهري حمى ، ودمي حرام ، وما يحل لكم أن تتأولوا عليّ ، واعتقادي الاسلام ، ومذهبي السنة ، وتفضيلي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وطلحة والزبير ، وسعد وسعيد ، وعبدالرحمن بن عوف وأبي عبيدة ابن الجراح ، ولي كتب في السنة موجودة عند الوراقين ، فالله الله في دمي » (١٠٠) لكن الوزير لم يصغ الى هذه الاقوال ، بل أسرع في رفع المحضر الى الخليفة المقتدر بالله طالبا موافقته وتصديقه على حكم الادانة الذي اصدره اعضاء المحكمة (١) .

---

٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٦ ـ ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٠١) . مسكويه، م . ق ؛ ج ١ ، ص ٨١ . عريب ، الصلة ، ص ٩٤ . الخطيب البغدادي، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص١٦٣. ابن خلكان ؛ م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٦ . الذهبي تاريخ الاسلام ، ج ٧، ورقة ١٦ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٢ . ابن دحية النبراس ، ص ١٠٣ .

(١٠٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨١ . عريب ، الصلة ، ص ٩٤ . الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٢٤ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣٩ . ابن خلكان م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٦ . اليافعي، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

(١) عريب ، الصلة ، ص ٩٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨٢ . الهمداني ، التكملة ، ج ١ ، ص ٢٥ . الخطيب البغدادي ، م . ق، ج ٨ ، ص ١٣٠ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٦ . ابن كثير،

لم يجزع الحلاج ، ولم يضطرب عندما أدرك قرب نهايتـه المحتمة . ومع ذلك طلب مقابلة الخليفة ، وحذره من عواقت الانسياق وراء محركيه. ومع أن الحلاج طالب المقتدر بضرورة الحكم بالعدل بين الناس [٢] ، الا أنه لـم ينف عنه التهمة السابقة والتي أدين بموجبهـا . وان استسلامه لقضاء الله وقدره ربما يكون اعتراف ضمني لما نسب اليه .

ومضى يومان ولم ترد موافقة الخليفة على الحكم ، فخشي الوزير أن يكون المقتدر بالله قد عدل عن قتل الحلاج [٣] ، فكتب رسالة جديدة على يد مفلح الاسود ، يعلمه أن كفر الحلاج وادعاءه الربوبية قد شاع بين الناس ، وان قرار المحكمة قد عرف به سكان العاصمة ، واذا لم ينفـذ الحكم ربما افتتن الناس به [٤] . وهنا لوح الوزير امام المقتـدر بالله بشبح ثورة اجتماعيـة قد تطيح بهم جميعا ، وراح يسعى حثيثا لحمـل الخليفة على تصديق قرار الحكم .

وتحت الحاح الوزير صادق الخليفة ، بعد تردد ، أمر الاعدام ملقيـا بتبعيته على القضاء ، اذ ورد جواب المقتدر بالله : « اذ كان فتوى القضاة فيه بما عرضت فأحضره مجلس الشرطة وأضربه الف سوط فان لم يمت

البداية والنهاية ؛ ج ١١ ، ص ص ١٣٢ — ١٣٣ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٣ .

(٢) بدوري ، م . ق ، ص ٧٧ .

(٣) الخطيب البغـدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣٩ . الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

(٤) الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣٩ . الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

فتقدم بقطع يديه ورجليه ثم أضرب رقبته وانصب رأسه واحرق جثته»[٥]. وفي البداية تخوف صاحب الشرطة وامتنع عن تنفيذ قرار الحكم ، إلا أنه امتثل ، في الاخير للامر أمام اصرار الوزير [٦].

وفي الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ هـ/٩٢١ م اقتيد الحسين بن منصور لينفذ الحكم بحقه [٧] ، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم [٨] . والظاهر ان الحلاج قد ندم على سيرته ، وشعر بمرارة الحياة ، وبذلك لم يكن راضيا كل الرضى عن حياته السابقة ، ولا عن سلوكه المعارض غير المستقر ، ولذا قال في عشية اقتياده ليصلب: ـ

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقرا

(٥) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨١ . عريب ، الصلة ، ص ٩٤ و ١٠٦ — ١٠٧ . العيون م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٤–آ . ابن تيمية ، م . ق ، المجموعة الاولى ص ١٩٠ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣٩ . السمعاني ، م . ق ، ص ١٨١ — ب . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٣ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ٤٠٦– ٤٠٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣٨ . ابن دحية ، النبراس ، ص ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٦) عريب ، الصلة ، ص ٩٥ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨٢ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ص ١٣٩ — ١٤٠ . الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ . ابن العبري ، م . ق ، ص ١٥٦ .

(٧) عريب ، الصلة ، ص ٩٥ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٤٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ص ١٦٣ — ١٦٤ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٨) الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٤٠ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ص ٤٠٧ . ابن دحية ، النبراس ، ١٠٤ .

فنلت من الزمـــان ونال مني   وكـــان مناله حلوا ومرا [٩]
اطعت مــطامعي فاستعبدتني   ولو اني قنعت لكنت حرا [١٠]

ومن تحليل البيت الاخير ، يظهر لنا ان الحلاج ندم على سلوكه السابق ولات وقت مندم . ومــع ذلك فأنه استقبل مصيره المحتوم بجرأة وقوة ورباطة جأش [١١] ، اذ ما ان رأى الخشبة التي سيصلب عليها حتى ضحك كثيرا الى أن دمعت عيناه [١٢] .

وعندما بدأ الجلاد بضربه ، بدا الحلاج صامتا لا يتأوه ، غير آبــه بما يراد به [١٣] ، مكتفيا بقوله : أحد أحد [١٤] ، حتى ضرب ستمائة سوط فقال لصاحب الشرطة : «أدنو مني فأن عندي نصيحة تعدل عند الخليفة فتح القسطنطينية » [١٥] ، لكن صاحب الشرطة رفض ان يصغي لاقواله مدعيا أن ليس له ان يرفع الضرب عنه ، وعندئذ سكت على مضض حتى ضرب ألف سوط ، وقطعت يداه ورجلاه ، وصلب وهو لا يزال حيا ولم

---

(٩) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦١ . الخطيب البغدادي ، م.ق ، ج ٨ ، ص ١٣٠ .

(١٠) عريب ، الصلة ، ص ١٠٧ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(١١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٣ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣١ . الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(١٢) ابن الساعي ؛ اخبار الحلاج ، ص ٧ .

(١٣) ابن الساعي ، اخبار الحلاج ، ص ٨ .

(١٤) الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٣١ .

(١٥) عريب ، الصلة ، ص ٩٥ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨٢ . الخطيب البغدادي ؛ م . ق ، ج ٨ ، ص ١٤٠ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٧ . انظر كذلك ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٤ .

يتأوه [١٦]، وأخيرا قطع رأسه [١٧] . وهكذا بقي الحلاج ينازل أعداءه وحده في بطولة متحدية نادرة ، والجند يتفننون في ايلامه بالسنتهم وسياطهم. « وقطعت اعضاؤه يوم قتل عضوا عضوا وما تغير لونه »[١٨] .

ويبدو أن الحلاج أعطي حرية كافية قبل تنفيذ الحكم ، فقد أحضرت له ، بناء على طلبه ، سجادة صلاة ففرشها وصلى عليها ركعتين بهدوء واطمئنان ، ثم بدأ يقرأ بعض الأدعية والمناجاة الخاصة التي كان يرددها ، والتي كان بعضها غير مفهوم من السامعين [١٩] ، وربما كان قد ندم عن بعض الأعمال التي أرتكبها وأخذ يستغفر ربه في اللحظات الأخيرة من حياته.

وفي الوقت الذي ارتفعت الأصوات هاتفة : اقتلوا الحلاج الزنديق وفي أعناقنا دمه [٢٠] ، أستهجن في نفس الوقت ، كثيرون عملية تنفيذ الحكم وأغمي على كثير من الحاضرين ، وازداد الموقف توتراً ، وبات ينذر بشرر مستطير [٢١] . وشملت العاصمة نوبة غامضة من نوبات الفتنة ، وراحت العناصر المؤيدة للحلاج تحرق بعض الدكاكين انتقاماً له [٢٢] .

(١٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٨٢ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١٤٠ . ابن خلكان ، م . ق ، جـ ١ ، ص٤٠٧.

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ٨٦ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٨٢ . السمعاني ؛ م . ق ، ص ١٨١ — ب .

(١٨) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ١٣١ .

(١٩) ابن الساعي ، اخبار الحلاج ، ص ٨ .

(٢٠) بدوي ، م . ق ، ص ٧٨ . أنظر كذلك ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٤ .

(٢١) ابن الساعي ، أخبار الحلاج ، ص ٨ .

(٢٢) بدوي ، م . ق ، ص ٧٨ . سرور ، الحلاج ، ص ١٨٩ .

وعلى كل حال فقد نفذ قرار الحكم ، بعد أن تردد الخليفة (٢٣) ، وقطع رأس الحلاج وأحرقت جثته ، وألقي رمادها في نهر دجلة ، ونصب رأسه على الجسر أياماً ، ثم أرسل فيما بعد الى خراسان فطيف به (٢٤) . وان ارسال رأس الحلاج الى خراسان يوحي للباحث بأن له أتباعاً ، وان السلطة أرادت بعملها هذا ، ان تريهم بأم أعينهم ، ان الحلاج بشر ، وانه قتل ، وانتهت بذلك الضجة التي أثارها ، علها تستطيع أن تثنيهم عن الأنقياد لآرائه .

ويرى بعض الباحثين المحدثين ، أن يوم المصرع هو يوم النصر للحلاج ، ويوم الهزيمة الكبرى للخلافة العباسية بكل ما تمثله وتصوره في تلك الحقبة التأريخية ، لأنه أفزع الخلافة حياً ومصلوبا ، وأحدث أثراً خالداً في التاريخ (٢٥) .

ويبدو للباحث أن الخلافة العباسية ، لم تكن لتقسو هذه القسوة المتناهية على الحلاج لأعتقاده الصوفي ، أو لمروقه الديني ، أو لقوله « أنا

(٢٣) بروكلمان ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٨٤ . بدوري ، م . ق ، ص ٨٢ .

(٢٤) عريب ، الصلة ، ص ٩٥ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٨٢ . الاسفرائيني . الفرق ، ص ٢٦٣ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ٨ ، ص ص ١٤٠ — ١٤١ . ياقوت ، معجم الادباء ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ . ابن خلكان ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٠٧ . الديار بكري ، تاريخ الخميس ، جـ ٢ ؛ ص ٣٤٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٩ . أبو الفداء م . ق ، جـ ٣ ، ص ٨٩ . ابو المحاسن ، النجوم ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ . ابن العماد ؛ م . ق ، جـ ٢ ، ص ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(٢٥) سرور ، الحلاج ، ص ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

الحق (٢٦) » ، بل أن كل ما قامت به ، لم يكن سوى دفاع عن نفسها وعن وجودها . وان محاكمته وقتله ، لايمكن أن يفسرا ، إلا لتحقيق أعراض سياسية محضة البست ثوب الدين لتكتسب صبغة من الشرعية . فلولا أن راح الحلاج يزج نفسه في الامور السياسية المضطربة ، ويتصل برجال السياسة والادارة ، لما حدث له ما حدث .

ويعلل صاحب المنتظم سبب المأساة بأن الحلاج كان على اتصال بالرضا من آل محمد (٢٧) . يشير بذلك الى العلويين ، أما ابن خلكان فأنه يفسرها بصلات الحلاج بالقرامطة والعلويين وبتهديده للخلافة العباسية (٢٨) ، ويظهر ان أكبر تهمة وجهت اليه هو أنه من شيعة آل البيت الذين يريدون أن ينتزعوا الخلافة العباسية . ولما كانت دعوته هذه انتشرت في العراق وخراسان وبعض مناطق من جزيرة العرب (٢٩) ، فأنها أقضت مضاجع السلطة وعلى رأسها الخليفة فخاف من مغبة فتنته (٣٠) . ولا يستبعد أن يكون الخليفة المقتدر بالله ووزيره قد رتبا هذه المؤامرة ضده وزوراً الشهود واستحثا القضاء على قتله ، وإلا فما بالهما تركا شيوخ الصوفية الآخرين بدون أن يتعرضا لهم (٣١) .

(٢٦) الاسفرائيني ، التبصير فى الدين ، ص ١٢٠ . الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٢ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠١ .

(٢٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٢ . عريب ، الصلة ، ص ٨٨ و ١٠٥ .

(٢٨) وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

(٢٩) الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١١٣ و ١٢٠ .

(٣٠) الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٣ .

(٣١) امين ، ظهر الاسلام ، ج ٢ ، ص ص ٧٥ ٧٦ .

وفي اعقاب الصلب بدأت تتواتر عنه بعض الأقوال ، التي قد لاتتفق مع العلم ، كما أنها ربما تتعارض مع الدين في بعض جوانبها ، وهي تقترب من الأساطير الخيالية ، كقولهم ان الحلاج بقى بعد صلبه ثلاثة أيام لم يمت (٣٢) . وبدأ مؤيدو الحلاج يدعون بأنه لما قطعت يداه ورجلاه لم يشعر بالألم لأن قلبه كان مشغولاً بالمحبة ، ولما صلب كان منصرفاً لمشاهدة ربه ، فلم يدر ما فعلوا به . ولما أحرقوه نزلت عليه الملائكة من السماء فأختطفوه الى تحت العرش حيث سمع النداء من العلي الأعلى « يا حسين رحم الله من عرف قدره وحفظ أمره ، فقلت أردت التعجيل الى رؤيتك ، فقال : تملأ بالنظر فأني لا أحتجبت عنك (٣٣) » . وأخذ اصحابه يعللون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً (٣٤) ، وزعموا أنه حي لم يقتل وإنما القي الشبه على عدوه (٣٥) . واتفق أن نهر دجلة حصل فيه فيضان شديد ، فأدعى أصحابه أن ذلك بسبب القاء رماده فيه (٣٦) . ولعل هذه التخرصات

(٣٢) سرور ، الحلاج ، ص ١٩٠ .

(٣٣) ن . م ، ص ص ١٩٢ — ١٩٣ .

(٣٤) الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٤١ . ابن الجوزي ، تلبيس أبليس ، ص ٤٣٥ . المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٤ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦١ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ص ١٦٩ .

(٣٥) الاسفرائني ، الفرق بين الفرق ، ٢٦٣ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٩ .

(٣٦) عريب ، الصلة ، ص ٩٥ و ٩٧ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨٢ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، ج ٨ ، ص ١٤١ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

هي التي دفعت أم المقتدر الى أن تأخذ رأس الحلاج ، بعد أن طيف به في خراسان فحنطته وعطرته وأبقته في خزانتها عاماً كاملاً (٣٧) .

وأخذ تلاميذ الحلاج يكونون جماعات سرية تتدارس تعاليمه وتحافظ على تراثه ومخلفاته ، وتحاول جاهدة أن تبقي ذكراه حية على مر العصور، متحدية الخلافة العباسية وأساليبها التعسفية (٣٨) . وقد ظهر أحد اتباع الحلاج المدعو شاكر الزاهد وجاهر بآرائه ، فغضبت عليه السلطة وأعدمته (٣٩) . وعلى كل فالظاهر ان الحسين بن منصور كان ذا شخصية قوية مؤثرة من نسيج خاص ، استطاع أن يوهم الناس أن بأستطاعته استحضار ما يريده من الاشياء المادية ، كالنقود والأطعمة والماء في غير وقتها ، وان يشفي المرضى ، فأبهر الناس بما كان يقدمه لهم من الخوارق.

٢ ـ حركات الشيعة :

في غضون القرنين الثاني والثالث استكملت الحركة الشيعية نشأتها ، وحينئذ لعبت دوراً في التاريخ الاسلامي ، حيث امتد مذهب التشيع الى أنحاء أخرى غير منطقة الكوفة التي كانت تعتبر أكبر مراكز التشيع منذ البداية (٤٠) فظهر الشيعة في شرق الدولة العباسية (٤١) ، اضافة الى بلاد

---

(٣٧) بدوري ، م . ق ، ص ١٩١ . (ويقول ابن الجوزي : انه في سنة ٣١٠ هـ اخرج راس الحسين بن منصور الحلاج من دار السلطان ليحمل الى خراسان) . المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٦٧) .

(٣٨) متز ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٦٥ .

(٣٩) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ . شيمل ، « الحلاج شهيد العشق الالهي » ، مجلة فكر وفن ، ص ٢٢ .

(٤٠) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٩٣ . حتي ، فيليب ، تاريخ

الشام [٤٢] ، وشمال أفريقية [٤٣] . وهذا لايعني أن مذهب التشيع استطاع أن يجذب اليه أكثرية الناس ، ومع ذلك فأن الكثير من الناقمين ، أو غير الراضين عن جماعة السنة ، لأسباب اجتماعية أو سياسية أو دينية ، أخذوا يلتفون حول آل البيت ، كما انضم اليهم ممن كانوا يبطنون في نفوسهم الاحتجاج على زعامــة العرب التي أقرتها القيم الروحية ، اذ وجدوا في الشيعة الحزب المعارض الاكبر لسلطة العرب القائمة [٤٤] .

ومن هنا قال آدم متز : ان الحركة الفكرية التي ازدهرت في القرن الرابع الهجري مدينة الى مذهب الشيعة ، الذي يحمل بين ثناياه الكثير من الأفكار الشرقية القديمة ، ويجعلها مكان بعض الافكار الاسلامية [٤٥] .

ومع أن الشيعة كانت أقلية مضطهدة ، فقد قام ابناؤها بثورات تجلت في بعضها ، روح المثابرة والجرأة والشجاعة والاقدام ، وإن لم تتكلل دائماً بالنجاح .

العرب ، ج ٢ ، (بيروت : ١٩٥٣) ص ٣١٧ . الفياض ، عبد الله ، تاريخ الامامية ، (بغداد : ١٩٧٠) ص ٦٠ .

(٤١) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ . المسعودي ، مروج الذهب ؛ ج ٤ ، ص ٢٣٦ .

(٤٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٧١ ــ آ . (حقق من قبل نبيلةعبدالمنعم داود (النجف : ١٩٧٢) ص ٢٣١ .

(٤٣) الكندي ، محمد بن يوسف ، الولاة وكتاب القضاة ، (بيروت : ١٩٠٨ ، ص ٢٦٩ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٧٧ــآ . (نبيلة ؛ م . ق ؛ ص ٢٤٤) .

(٤٤) حتى ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٤٥) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ، ص ١١٩ .

آ — حركة الأطروش الحسن بن علي العلوي :

قامت حركة الأطروش أبان عصر الخليفة المقتدر بالله ، وكان لها أبعد الأثر على الخلافة العباسية فيما بعد (٤٦) . وكان على رأس هذه الحركة الحسن (٤٧) بن علي العلوي ، الذي كان قد دخل بلاد الديلم ، وأقام فيها نحو ثلاث عشرة سنة يدعو الديلم الى الاسلام ، وكان بعضهم يعبد الأوثان والبعض الآخر يدين بالمجوسية ، فأستطاع أن يستميلهم الى جانبه ، فأسلم على يديه خلـق كثير معتنقين المذهب الشيعي الزيدي ، والتفوا حوله ، وأخذ منهم العشر ، وبنى في بلادهم المساجد (٤٨) ، وكان يحثهم للخروج

(٤٦) ذلك ان الديلم الذين حدثت هذه الحركة ببلادهم تمكنوا من ان يسيطروا على الخلافـة العباسية ببغـداد ، ويسيروها وفق مشيئتهم من ٣٣٤ — ٤٤٧ هـ . (انظر المسعودي ، التنبية والاشراف ، ص ٣٩٩ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨٥ — الى الاخير) .

(٤٧) هكذا ورد اسمه في الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٩٢ . المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ؛ ص ١٤٦ . المقريزي ، النفوذ الاسلامية ، ص ٢٦٦ . ابن خلدون ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٠ . (مسكويه م . ق ، ج١ ، ص٣٦ . فقد ورد هذا الاسم فيه بأسم الحسين بن علي العلوي ، وكذلك في ابن حمدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٩ — ب) .

(٤٨) المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ؛ القسم ١ ؛ ورقة ٨٣ — ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٥٦) . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٦ . ابن الاثير ، الكامـل ، ج ٦ ؛ ص١٤٦ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٨٥ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ؛

معه الى طبرستان (٤٩) ، التي كان يتولاها حاكم يعينه الأمير الساماني التابع للخلافة العباسية ببغداد ، لكنهم كانوا لايجيبونه الى ذلك ، لأن العامل الساماني على طبرستان ، كان حسن السيرة عادلاً ، فأستمال السكان هنالك اليه . ولما عين أبو العباس محمد بن ابراهيم بن صعلوك ، سار على سياسة تختلف عن سياسة سلفه ، حيث غير الرسوم ، وأساء السيرة ، وتنكر للديلم ، فأنتهز الحسن بن علي العلوي هذه الفرصة وهيج الديلم عليه ، ودعاهم الى الخروج معه ، وحينئذ أجابوه (٥٠) . وتمكن من أن يهزم ابن صعلوك ، وقتل من أصحابه نحو أربعة الآف رجل . وأسر الباقين ، وأمنهم على أموالهم وأنفسهم وأهليهم . لكنه غدر بهم ، فيما بعد ، اذ أوعز الى صهره الحسن ابن القاسم الداعي العلوي فقتلهم عن بكرة أبيهم (٥١) .

ج ٧ ، ورقة ٦ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨١ . ابن خلدون ، العبر ؛ المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧١ . انظر كذلك الزهيري ، الادب في ظل بني بويه ، ص ١٥ . BOWEN , OP : CIT , P : 207 :

(٤٩) طبرستان : كورة سهلية بحرية ، ولها أيضا جبال، كثيرة الامطار، قشفة كريه ، وسخة مبرغثة ، عامة أخبازهم الأرز ، كثيرة الاسماك والثوم وطير الماء ، وبها مزارع الكتان والقنب . (المقدسي ، احسن التقاسيم، ص ٣٥٤ و ٣٧١) . انظر الاصطخري ، الاقاليم ، ص ٨٩ — ٩٠ .

وطبرستان : بلدان واسعة يشملها هذا الاسم ، وهي مجاورة بجيلان وديلمان ، وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل ، كثيرة المياه متهدلة الاشجار كثيرة الفواكه ، كثيرة الاختلاف والنزاع . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٢ — ١٤) .

(٥٠) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٩٢ . عريب ؛ الصلة ص ٤٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٤٦ . ابن خلدون ، العبر المجلد ٣، القسم ٤ ، ص ٧٧٠ — ٧٧١ . الشهابي ، م.ق ، ج١ ، ص٢٣٦ .

(٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٤٦ . ابن خلدون ، العبر ،

وهكـــذا تمت للأطروش السيطرة التامة على طبرستان (٥٢) في سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م وبذلك أزاح النفوذ العباسي ــ الساماني عن تلك الأصقاع . وحاول جيش الخلافة معاونة السامانيين بقيادة ابن صعلوك ، ان يسترجع ما فقدته الدولة من أراض ، ولكنه عجز عن تحقيق هــذه الأمنية (٥٣) . « ولم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته واقامته الحق (٥٤) » . حيث نجح في القضاء على النظام الاقطاعي الذي كان سائداً في بــلاد الديلم (٥٥) ، ولقب الداعي (٥٦) ، كما لقب الاطروش لأصابته بالصمم لأنه ضرب على رأسه بسيف في حرب محمد بن زيد فطرش (٥٧) .

المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٧١ .

(٥٢) الطبري ، م.ق ، المجــلد ٤ ، ج٣، ص ٢٢٩٢ . مسكويه ، م.ق ج ١ ، ص ٣٦ . العيون ، م.ق ، ج٤، ورقة ٨٣ ــ ب . (تحقيق نبيــلة ص ٢٥٦) . ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ . ورقة ١٢٩ ــ ب . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ص ٧٧١ .

(٥٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٦ . العيون، م.ق ؛ ج٤ ؛ قسم ١ ورقة ٨٣ ــ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٥٦) . الطبري، م.ق، المجــلد ٤ ، ص ٢٢٩٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٧١ .

(٥٤) الطبري : م.ق ، المجــلد ٤ ، ج٣ ، ص٢٢٩٢ . الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٦ . الشهابي ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٣٦ .

(٥٥) سرور ، محمد جمال الدين ، تاريخ الحضارة الاسلامية، (القاهرة: ١٩٦٥) ، ص ٤٩ .

(٥٦) العيون ، م.ق ، ج٤ ، قسم ١ ، ورقة ٨٣ ــ ب . (تحقيق نبيلة ، ص ٢٥٦) . مسكويه ، م.ق، ج١ ، ص ٣٦ . الذهبي ، تاريــخ الاسلام ؛ ج٧ ، ورقة ٦ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص١٨٥ .

(٥٧) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢٢٠١ . ابن الاثــــير ،

وكان الحسن بن علي الأطروش يقرض الشعر ، واماما في الفقه والدين (٥٨)، ولكنه كان حقوداً متشدداً اذ حرم ابنه الاكبر الحسن من خلافته على الرغم من إستحقاقه لها ، وذلك لمجرد أنه تفوه بكلمة قبيحة امام والده ،مما حدا بالابن الى أن يلتحق بيوسف بن أبي الساج المهادن لخليفة بغداد (٥٩)،

وهكذا بقيت الأمارة العلوية تقضي مضاجع الخلافة العباسية ، وتنازل جيشها في جناح الدولة الشرقي ، وكثيراً ما كانت تلحق به الهزائم المتكررة، ونتج من وراء ذلك أن خارت قوى جيش الخلافة وضعف نفوذها في الاجزاء الشرقية ، فطمع فيها كل طامع . ولكن أصاب هذه الأمارة التفكك والانحلال بعد وفاة مؤسسها الحسن بن علي الأطروش في سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، بعد أن بلغ تسعاً وسبعين سنة (٦٠) . وبقيت طبرستان في أيدي العلويين الى أن قتل الداعي الصغير ، الحسن بن القاسم في سنة ٣١٦ هـ/٩٢٨ م(٦١)، حيث انقرض بموته النفوذ العلوي بطبرستان (٦٢) .

الكامل ، ج٦ ، ص ١٤٦ . ابو الفداء ، اخبار البشر ، ج٣، ص ٨٦. ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٧١ .

(٥٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٢٣٦ . ابن الاثير، الكامل ج٦ ، ص١٤٦ . أبوالفداء ، أخبار البشر، ج ٣، ص ٣٨٦ . الذهبي تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٦ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص١٨٥ .

(٥٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٤٦ .

(٦٠) ن.م ، ص ١٥٧ . المقريزي ، النفوذ الاسلامي ، ص ٢٦٦ . ابو الفداء ، اخبار البشر ، ج٣ ، ص ٨٦ .

(٦١) عريب ، الصلة ، ص ١٣٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص١٥٧ و ١٩٥ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار الدول ، ج٣ ، ص ٨٦ .

(٦٢) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج٣ ، ص ٨٦ . سرور تاريخ الحضارات الاسلامية ، ص ٤٩ .

ب ـ حركات علوية أخرى :

على الرغم من أن المشهدين الكبيرين المقدسين للشيعة كانا في العراق(*) غير ان حركاتهم وانتفاضاتهم ودعواتهم ، لم تقتصر على سواد العراق فحسب ، وإنما شملت جميع أقاليم الدولة الاسلامية تقريباً . ففي سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠م كانت وقعة بين دكا عامل حلب وبين الأعراب عند إجتماعهم عليه ومعهم رجل طالبي ، فهزمهم دكا وظفر بالطالبي (٦٣) . وظهر من آل أبي طالب في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م رجل « هو أبو الرضا محسن بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر ابن محمد في اعمال دمشق ، وكانت له مع أبي العباس احمد بن كيغلغ وقعه قتل فيها صبراً (٦٤) » ، وحمل رأسه الى بغداد فنصبت على الجسر الجديد في الجانب الغربي (٦٥) .

وفي سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م ظهر بالجامدة رجل ادعى انه « علوي فقتل العامل بها ونهبها وأخذ من دار الخراج أموالاً كثيرة ثم قتل بعد ظهوره بفترة يسيرة وقتل معه جماعة من أصحابه وأسر جماعة (٦٦) » . وكانت

(*) في النجف وكربلاء .

(٦٣) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ٧١ ـ أب . (تحقيق نبيلة ، ص ٢٣١) .

(٦٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٢٣٦ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٨٠ .

(٦٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٢٣٦ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٨٠ .

(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٢ .

امارة مكة في بداية هـذا العصر الى محمد بن سليمان العلوي الذي ، « خطب لنفسه بالأمارة في سنة احدى وثلثمائة بعدخلع طاعة العباسيين[٦٧] »، ثم أعترضه أبو طاهر القرمطي في سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ فأنقطع حجيج العزاق بسبب ذلك [٦٨] .

ويبدو أن الصراع بين الشيعة والخلافة العباسية تعدى المجال السياسي والديني ، وهو الاستئثار بالخلافة وبقية مؤسسات الدولة ، الى الاضرار بمصالح الناس وتعطيل احدى أركان الاسلام وفرائضه . أن مثل هـذه الامور التي أصبح لايمكن تجاهل اثرها أدت الى ارتفاع أنات صريحة مخلصة ، مبعثها أولئك الذين كان يؤلمهم ما وصلت اليه تلك المنافسات بين الدولة ومعارضيها ، من الحدة بحيث أمتد ضررها فأصاب الناس في صميم معتقداتهم ، وتعذر عليهم اداء فروض دينهم ، في بعض الأحيان . ففي عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م « خرج على الحاج رجل علوي ومعه بنو صالح بن مبارك الطائي ، فقطعوا عليهم الطريق ، وتلف خلق كثير من الحاج بالقتل والعطش [٦٩] » . ويتضح من هذا النص ان التشيع امتد ليشمل مناطق واسعة من جزيرة العرب .

وفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م ثار رجل طالبي بجهة واسط وانضم اليه جماعة من الاعراب والسودان ، وكان للأعراب رئيس يقال له محرز بن

(٦٧) القلقشندي ، قلائد الجمان ، ١٦١ . وصبح الاعشى ، ج٤ ؛ ص ٢٦٨ .

(٦٨) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ؛ ص ٢٦٨ . محمد كرد علي الاسلام والحضارة العربية ، (القاهرة : ١٩٥٩) ص ٤٦٢ .

(٦٩) عريب ، الصلة ، ص ٥٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ؛ ص ١٢٨ .

رياح ، فلما بلغهم أن صاحب فارس والاهواز والبصرة بعث الى العاصمة ثلثمائة الف دينار من المال المتجمع من قبله ، حملت في ثلاث شذاوات[٧٠]، فتصدى الرجل الطالبي ومؤيدوه إلى انتهابها ، وكمنوا لها في الطريق ، فظهر بهم أهل الشذاوات فأفلتت منها واحدة حيث صعدت قاصدة بغداد ، بينما رجعت الاثنتان الى البصرة ، ولم يظفر الثائرون بشيء ، وعز عليهم ان تؤول محاولاتهم هذه بخيبة الأمل ، عندئذ قرروا مهاجمة مدينة «واسط وأوقعوا بأهلها وأحرقوا مسجدها واستباحوا الحرم » [٧١] . وبلغ حامد ابن العباس خبرهم ، وكان يتقلد أعمال الخراج والضياع بكسكر [٧٢] وكور دجلة ، فوجه اليهم من قبله محمد بن يوسف المعروف بخزرى ، وكان يتقلد له معونة واسط وضم اليه غلمانه ، وكتب الى المقتدر بالخبر

(٧٠) الشذا : ضرب من السفن ، والواحدة شذاة ، وفي المصباح الشذاوات سفن صغار كالزبازب ، الواحدة شذاوة » ١٠ / ١٩٥ تاج العروس. وجمعها الصابي على شذاءات في كلامه عن أرزاق الملاحين قال : « الطيارات والشذاءات والسميرات ، والحراقات والزبازب زوارق المعابر » الوزراء ، ص ١٩ .

أنظر معجم المراكب والسفن في الاسلام ، مجلة المشرق ، ج ٣ ، و ٤ ، (آب وكانون الاول ١٩٤٩) ، ص ٣٤٤ .

(٧١) عريب ، الصلة ، ٥٥ .

(٧٢) كسكر : بالفتح ثم السكون ، وكاف أخرى وراء . معناه عامل الزرع : كورة واسعة ينسب اليها الفراريج الكسكرية لانها تكثر بها جداً ، بحيث تباع فيها أربعة وعشرون فروجاً كباراً بدرهم واحد . وقصبتها واسط، وكانت قصبتها قبل أن يمصر الحجاج واسطاً خسرو سابور ، قالوا : وسميت كسكر بكسكر بن طهمورث الملك الذي هو من أصل فارس . (يا قوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٦١) .

فأمده بجيش من العاصمة ، وقد تمكن حامد من قتل الرجل الطالبي ومحرز ابن رباح وأكثر الاعراب الخارجين معهما ، وأسر منهم نحو مائة اعرابي ، حيث أرسلوا إلى بغداد فشهروا هناك ، وبعدئذ أرجعوا الى وأسط حيث قتلهم حامد بن العباس اجمعين وصلبهم على جسر واسط [٧٣] .

وفي سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م ظهر في الكوفة رجل أدعى انه محمد بن اسماعيل بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (وهو رئيس الاسماعيلية) « وجمع جمعاً عظيماً من الاعراب وأهل السواد ، وأستفحل أمره فسير اليه المقتدر جيشا من بغداد فقاتلوه فانهزم وقتل عدد كثير من اصحابه »[٧٤]. ويضيف صاحب المنتظم ان جيش الخليفة الذي ارسل لمحاربة محمد بن اسماعيل الذي ظهر في الكوفة ، كان قوامه خمسمائة رجل من الفرسان والف راجل ، وانه كان تحت قيادة احمد بن سعيد حاجب الوزير آنذاك أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني ، وقد تمكن الجيش العباسي من الظفر بجماعة من أصحاب الثائر العلوي وأنهزم الباقون [٧٥] .

والظاهر أن معارضة الشيعة اشتدت حتى في قلب حاضرة الخلافة العباسية ، وفي أثناء احتدام الصراع بين الخلافة العباسية والشيعة في العاصمة ، كثيرا ما كانت العامة تقف بجانب الخلافة مطالبة بالتضييق على العناصر المعارضة ، متهمة اياها بالخروج على مباديء الدين الاسلامي الاساسية [٧٦] وربما كان اندفاع العامة في هذا الاتجاه متأتيا من حوافز

---

(٧٣) عريب ، الصلة ، ص ٥٥ .

(٧٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٥٠ .

(٧٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٨٩ .

(٧٦) ن . م ، ص ص ١٧١ — ١٧٢ .

دينية محضة ، ويصعب على الباحث ان يفسر سلوكها هذا بأنه بتحريض من جانب السلطة الرسمية ، اذ من النادر ان يحدث توافق ، في كل الاحيان بين مصالح الحاكمين وبين معتقدات العامة الدينية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد ان السلطة على وفاق تام مع أولئك المتهمين بحيث انها كانت تحميهم من غضب العامة في بعض الاحيان (٧٧) .

وهذا لايعني أن المسؤولين في المؤسسات الرسمية كانوا يغضبون الطرف عن دعاة التشيع عندما يوجسون منهم خيفة وتهديدا لمصالحهم ومراكزهم ، اذ لم يزل أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني الوزير يبحث عمن يدعي عليه من أهل بغداد بانه يعتنق مذهب التشيع (٧٨) ، وعندما علم الخليفة المقتدر بأن جماعة من الشيعة يجتمعون في مسجد (براثا) لينالوا من الصحابة ولا يصلون الجمعة ، ويكاتبون القرامطة ، ويدعون الى محمد بن اسماعيل الذي ظهر في الكوفة وبغداد ، ويدعون انه المهدي (٧٩) . وبناء على ذلك أمر الخليفة في سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م بهدم المسجد ، واتخذ فيما بعد مقبرة دفن فيها جماعة من الموالي ، أما المجتمعون فقد تعرض بعضهم للضرب المبرح (٨٠) .

---

(٧٧) ن . م ، ص ١٧٢ .

(٧٨) ن . م ، ص ١٩٥ .

(٧٩) الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٠٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٣ .

(٨٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ . الخطيب البغدادي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٠٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٥٢ . (وقد أعاد بناء هذا المسجد أمير الجيش بجكم فى سنة ٣٢٨ هـ وتم توسيعه ليكون مسجد الاهل السنة . متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٣٥) .

وفي الوقت الذي كانت العناصر الشيعية تبدى معارضتها للخلافة العباسية بين حين وآخر ، مظهرة تلك المعارضة ، تارة على شكل حركات تتسم بطابع العنف والثورة ، وتسلك تارة أخرى سبيل المعارضة السلبية مكتفية بالحجة والمعارضة الكلامية . وان السلطة كثيرا ما حاولت ان تسترضي هذه الجماعة وتقدم لها المساعدات المادية المغرية ، حيث بلغ ما كان ينفقه الوزير علي بن عيسى في وزارته الاولى في كل سنة أربعين الف درهم صلات الطالبيين والعباسيين [٨١] وان هذا الاجراء ليس من الغرابة في شيء ، لان ذلك شأن كثير من الحكومات التي كانت تحاول ان تسكت الاصوات المعارضة بما تغدقه عليها من اموال .

ولم يكن شعور آل البيت مقتصرا على أحقيتهم في الخلافة حسب ، وانما كانوا موقنين من حقهم في بيت مال المسلمين ، ولعلهم كانوا يستندون في هذا الحق على الآية الكريمة : « واعلموا ان ما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » [٨٢] . فبحكم قرابتهم من الرسول (ص) كان لهم حق معلوم من واردات الدولة وهم لم يتهاونوا في الحصول على حقهم هذا ، فكانوا يطالبون المسؤولين به ، وكثيرا ما استعملوا العنف معهم عندما يشعر هؤلاء بأن المسؤولين يماطلون في دفع حقهم ، وكانوا لا يتورعون عن شتم الوزراء او ضربهم لمجرد تأخر أرزاقهم [٨٣] . ومع ان الخليفة كان يستنكر مثل هذه الاعمال ، ويوعز بالحد منها ، الا ان مرتكبيها كثيرا ما يكون عقابهم لا يتناسب مع جرائرهم المرتكبة [٨٤] . وهذا بطبيعة الحال يجعلهم يتمادون في غيهم اكثر ،

(٨١) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .

(٨٢) سورة : (سورة الانفال ، آية ٤١) .

(٨٣) عريب ، الصلة ، ص ٧٥ . متز ، م . ق ، جـ ١ ؛ ص ٢٨٧ .

(٨٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٤٧ .

ويتناولون في تجاوزاتهم ، الامر الذي يجعل مثل تلك الاحتكاكات تتكرر بين آونة وأخرى ، وفي محلات متعددة من أجزاء الدولة .

ونتيجة لذلك حدثت حرب في الكوفة بين العباسيين والعلويين ، على أثر اقدام علي بن ابراهيم العلوي ، على بناء مسجد في وسط المسجد الجامع في الموضع الذي كان امير المؤمنين علي بن ابي طالب يجلس فيه للقضاء ، غير ان العباسيين انكروا ذلك وهدموه ، وكادوا ان يهدموا قبر الامام علي (ع) فتصدى لهم الطالبيون فقاتلوهم ، فوقعت القتلى من الطرفين ، وحينئذ قبض والي الكوفة ، ورقاء ، على جماعة من الطالبين وأرسلهم مع عوائلهم الى بغداد مقيدين ليشهروا ويحبسوا هناك . وبدلا من أن ينالوا العقاب حسب طلب الوالي ، حتى لايتكرر مثل تلك المناوشات بين ان سكان نرى ان الوزير ابن الفرات يخلي سبيلهم ، ويحسن اليهم (٨٥) .

وكان للطالبين والعباسيين نقابة واحدة يتولى رياستها في اكثر الاحيان رجل طالبي هو احمد بن عبد الصمد بن طومار الهاشمي ، ولما توفي سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م تقلد ابنه محمد ما كان يتقلده أبوه (٨٦) . وبحكم منصبه هذا كان في الاعم الأغلب ، هو الذي يحج بالناس او يندب شخصا لينوب عنه في ذلك .

وفي بعض الاحيان يبلغ التعاون والصفاء بين السلطة الرسمية والطالبين شأوا بعيدا ، بحيث ينتظمون في صف واحد لدرء الخطر المحدق بالدولة ، ففي عام ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م ، استعان أمير الكوفة ابو الفوارس محمد بن ورقاء بجماعة من بني هاشم ، العباسيين والطالبيين ، لصد الاعراب الذين

(٨٥) الاصفهاني ، أبو الفرج ، مقاتل الطالبيين (النجف : ١٩٦٥) ، ص ٤٤٩ .

(٨٦) عريب ، الصلة ، ص ٤٧ .

هاجموا الكوفة فقاتلوا الاعراب . ولكن الامير وبعض الطالبيين وقعوا في الأسـر ، ومنهم ابن عمر العلوي ، ولـم يتخلصوا من قبضة الاعراب الا بعد أن فدوا أنفسهم بأموال دفعوها (٨٧) .

وكانت السلطة الرسمية تحاول ان تكسب بعض العناصر الشيعيةالتي يمكن أن تؤثر فيها المغريات ، وتتخلى عن مبادئها ومعتقداتها . وكنتيجة لهذه السياسة ، صار في استطاعة العناصر المحتالة ، التي كانت تعمل على تحقيق مآربها ، عن طريق انتحال صفة التشيع ، مع عدم معارضتها للخلافة العباسية على أساس التقاء البيتين ، العباسي والعلوي ، في آل النبي محمد (ص) وكثيراً ما كانت مثل هذه العناصر تلقي الترحيب الحار من المسؤولين وعلى رأسهم الخليفة المقتدر نفسه ، الذي كان يغدق امواله على مثـل هؤلاء (٨٨) . لكنه كان لا يتوانى عن انزال العقوبات القاسية والرادعـة إذا ما صح عنده ، ان أولئك المدعين ليسوا من الشيعة في حقيقة امرهم (٨٩) حرصا منه على بقاء سلطانه . وفي سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨ م أمر الوزير ابن مقلة ان يطلق لابي عبد الله الموسوي العلوي عشرين كرّا شعيرا معؤنة لـه (٩٠) .

٣ — حركة القرامطة :

---

(٨٧) عريب ، الصلة ، ص ص ١٤٦ — ١٤٧ .

(٨٨) عريب ، الصلة ، ص‌ص ٤٩ — ٥٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٧ .

(٨٩) عريب ، الصلة ، ص ٥٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٧ .

(٩٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٥٣ .

أ ـ الدعوة القرمطية وخطرها :

كان من نتائج الاحوال السياسية والاجتماعية التي المنا بها في الفصول السابقة قيام الحركات التمردية والثورية المعارضة ، التي أدت بدورها الى الضعف والانحلال ، في جسم الدولة ، وكادت ان تقوض أسسها ا ومنها حركة القرامطة التي ظهرت في اماكن متعددة حيث وجدنا لها دعاة في بلاد الشام (٩١) ، وآخرين في سواد الكوفة (٩٢) ، وآخرين في واسط وبطائحها (٩٣) ، وحتى في جبال اليمن الشامخة (٩٤) ، واستقر آخرون في بلاد الاحساء (٩٥) من شرق الجزيرة العربية . ولا أريد ان

(٩١) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢١ . المسعودي، التنبية والاشراف ص ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ . عريب ، الصلة ، ص ص ١ ـ ٢ و ١٠ ـ ١١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٩ و ١٠٤ .

(٢٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف٣، ص ٣٧٤ . ابن الاثير،الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٠٠ . عليان ، محمد عبد الفتاح ، قرامطة العراق فى القرن الثالث والرابع الهجري ، (القاهرة : ١٩٦٩) ص ١٣ و ٢٧ .

(٩٣) عريب ، الصلة ، ص ١٣٧ . جوزي ، بندلي ، تاريخ الحركات الفكرية ، (بيروت) ، ص ١٦٠ .

(٩٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ؛ جـ ٦ ، ص ١١٥ .

(٩٥) الاحساء : هي قصبة هجر ، وتسمى البحرين ، كثيرة النخيل ، تقع على مرحلتين من البحر ، وبها مستقر القرامطة من آل أبي سعيد القرمطي . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، بريل ، (ليدن : ١٩٠٦) ص ص ٩٣ ـ ٩٤) .

اتعرض (٩٦) للجانب العقائدي للقرامطة ، ولا لمنشئها وتطورها التاريخي ، وحسبي من أمرها ان اتطرق الى صراعها مع الخلافة العباسية .

والقرامطة هم احدى الطوائف الدينية الشيعية ، ظهرت لاول مرة في سواد الكوفة (٩٧) حوالي سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م على أثر قدوم رجل من ناحية خوزستان (٩٨) الى الكوفة ، يظهر الزهد والتقشف ويكثر الصلاة فأقام على ذلك مدة وبدأ يدعو الى امام من آل بيت الرسول (ص)، فلم يزل على ذلك حتى استجاب له جمع كثير (٩٩) ، « وكان يأخذ من الرجل اذا اجابه دينارا ويزعم انه للامام » (١٠٠) ، واتخذ منهم إثني عشر نقيبا أمرهم ان يدعوا الناس الى مذهبهم ، الامر الذي جعلهم يتقاعسون عن اعمالهم الاصلية . وكاد يتعرض للقتل من جراء عمله هذا لولا انه

---

(٩٦) انظر تفصيل ذلك في الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ؛ ص. ص ٢١٢٧ — ٢١٢٩ .

(٩٧) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٢٤ . عليان ؛ قرامطة العراق ، ص ٢٧ .

(٩٨) خوزستان : هو أقليم ارضه نحاس ، نباتها الذهب ، كثيرة الثمار والاوزاز والقصب ، وفيه الانجاص والحبوب والرطب والاترنج الفائق والرمان والعنب وهذا الاقليم واسطة بين فارس والعراق ، وكان يعرف قديما بالاهواز . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٢ و ٤٠٤) .

(٩٩) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٢٤ . ابن كثير ؛ الكامل ؛ جـ ٦ ، ص ٦٩ .

(١٠٠) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٦٩ . انظر كذلك الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ جـ ٣ ، ص ٢١٢٦ . عليان ، قرامطة العراق ، ص ١٠٦ . جوزي ، م . ق ، ص ١٦٢ .

هرب الى بلاد الشام [1] . وكان قد سمي بأسم الرجـــل الذي كان في داره (كرميته) صاحب الاثوار ، ثم خفف فقيل قرمط [2] . وقيل : ان قرمط [3] لقب رجل كان بسواد الكوفة يحمل غلة السواد على اثوار له واسمه حمدان [4] .

ويذكر ابن الأثير ، ان مسير قرمط الى سواد الكوفة كان قبل مقتل صـاحب الزنج [5] ، وبذلك تسنى للاثنين ان يلتقيـا ، اذ قال قرمط لصاحب الزنج : « أني على مذهب ورأي ، ومعي مائة الف ضارب سيف فان اتفقنـــا على المذهب ملت اليك بمن معي » [6] ، فتناظرا فاختلفت

(١) الطبري ، م . ق . المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢١٢٧ . ابن الاثير ، الكامل ؛ ج ٦ ؛ ص ص ٦٩ — ٧٠ .

(٢) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢١٢٧ . ابن كثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٧٠ .

(٣) قرمط : بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وفي آخرها الطاء ، نسبة الى المذهب المذموم والراي الخبيث ، وهم جماعة من اهل هجر والحساء قتلوا حاج بيت الله فى الحرم . وقيل انما نسبوا الى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط . وقيل حمدان بن قرمط . د السمعاني ، الانساب ، ص ٤٤٨ — آ . و ٤٤٩ ب) .

(٤) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢١٢٧ . ابن الاثير ، الكامل ؛ ج ٦ ص ٧٠ الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ . عليان ، قرامطة العراق ، ص ٣١ . انظر كذلك النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٩٣ — ٩٤ .

(٥) قتـل صاحـب الزنـج عام ٢٧٠ هـ (انظر المسعودي ، التنبية والاشراف ، ص ٣٦٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٥٢) .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٧١ . انظر كذلك الطبري ، م .

آراؤهما ، وبذلك لم يحصل الاتفاق بينهما ، ولم يقم تعاون بين الحركتين على الرغم من أن قرمط عرض على صاحب الزنج رغبته في محالفته ، ومع ذلك فقد اعتبر الدكتور السامر ، ان ثورة الزنج مهدت التربة لكي ينشر القرامطة دعوتهم على نطاق واسع (٧) .

والقرمطية حركة ثورية فكرية جديدة على المجتمع الاسـلامي (٨) ، تميزت بالعنف وعدم الهوادة في معاملة الاعداء ، وانها أباحت دماء مناوئيها حتى ولو كانوا مسلمين . فسرعان ما نشروا الرعب في جميع ارجاء جزيرة العرب والعراق (٩) . وقـد نفذ الباحثون المحدثون ، نفوذاً عميقاً الى الطبيعة الاجتماعية والاقتصادية لحركة القرامطة ، فلمسوا أن لهذه الحركة أهدافاً بعيدة المدى ، ذلك أن هؤلاء كانوا يعتقدون بوجود تضارب بين مصالح الافراد والجماعات ، مما أدى الى حصول الصـراع بـين الافراد والطوائف (١٠) .

ومما ساعد على رواج دعوة القرامطة ، أنها استندت على أسس اجتماعية

ق ، المجلد ٤ جـ ٣ ، ص ٢١٣٠ . السامر ، فيصـل ، ثورة الزنـج ، (بيروت : ١٩٧١) ص ٨٧ .

(٧) السامر ، ثورة الزنج ، ص ٧٩ .

(٨) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢٨ . ابن الجوزي، المنتظم جـ ٦ ، ص ١٦٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٧٠ .

(٩) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ترجمة ، عفيف البعلبكي ، ط ١ ، (بيروت : ١٩٦١) ، ص ٢٦١ .

(١٠) ثامر ، عارف ، القرامطة أصلهم ونشأتهم وتاريخهم وحروبهم ، بيروت ، ص ٦١ و ٦٤ . جوزي ، م . ق ، ص ١٦١ .

واقتصادية استهدفت المساواة بين الناس (١١) . كما كان من أهدافها القضاء على الاستغلال ونزع الملكية الفردية الواسعة ، ومصادرة الايرادات الكبيرة الخاصة لمصلحة المجتمع (١٢) . وهنا يظهر لنا أثر العامل الاقتصادي في نجاح دعوة القرامطة ، لأن الذين أسرعوا الى تأييدها كانوا من صغار الفلاحين والعمال والفقراء المعدمين (١٣) . ومما يؤكد انه كان من أهداف القرامطة الاستحواذ على أملاك الاغنياء ، أن جعلوا شعارهم الآية القرآنية (١٤) : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (١٥) » ، ووضعوا هذا الشعار على أعلامهم البيضاء . فهي والحالة هذه رد فعل لمشاكل اجتماعية واقتصادية قائمة وقتئذ (١٦) .

---

(١١) السامر ، الحمدانيون ، ج ١ ، ص ٩٢ . جوزي ، م . ق ، ص ١٦٣ . عليان قرامطة العراق ، ص ٢٧ .

(١٢) ثامر ، القرامطة ، ص ٦٨ .

لويس ، برنادر ، أصول الاسماعيلية ، ترجمة ، خليل احمد جلو وجاسم محمد الرجب ، (مصر : ١٩٤٧) . ص ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

(١٣) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٠٢ . عليان ، قرامطة العراق ، ص ٢٢ . السامر ، ثورة الزنج ، ص ٧٩ و ٨٨ . لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص ٢٠١ .

(١٤) سورة : (القصص ، آية ٥) .

١٥ الصابي ، ابو اسحق ابراهيم بن هلال ، المختار من رسائل أبي اسحق ابراهيم بن زهروب الصابي ، ج ١ ، (لبنان : ١٨٩٨) ص ٢٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢١٦ . ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ، ص ١٩٤ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ .

(١٦) الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، (بيروت : ١٩٦٩) ، ص ٧٥ .

كان ابتداء ظهور القرامطة بمنطقة البحرين حوالي سنة ٢٨١ هـ/٨٩٤م وذلك عندما وفد الى هذه المنطقة رجل يعرف بيحيى بن المهدي ، الذي قصد القطيف ، ونزل ضيفاً على علي بن المعلى بن حمدان ، الذي كان يغالي في التشيع ، فأظهر له يحيى بأنه رسول المهدي ، وان مهمته الطواف في البلاد للألتقاء بشيعة المهدي ليدعوهم الى أمره ، ويبشرهم بقرب ظهوره ، وقد وجه ابن المعلي الى الشيعة من أهل القطيف ، فجمعهم وقرأ عليهم الكتاب الذي كان يحمله رسول المهدي . وكذلك فعل مع بقية قرى البحرين فأجابوه [١٧] . وكان فيمن أجابه أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي [١٨] ، الذي كان يبيع الناس الطعام . وكان رسول المهدي المزعوم هذا ، يتردد اليهم ، فمرة طلب أن يدفع كل واحد منهم له ستة دنانير وثلثين ، ففعلوا ذلك ، ثم طلب منهم في المرة الثالثة أن يدفعوا اليه خمس أموالهم فدفعوا اليه الخمس [١٩] .

وفي اثناء مجيء يحيى بن المهدي الى البحرين كان يلتقي مع أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي [٢٠] ، وبذلك أخذ منه التعاليم الخاصة بهذه

(١٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٢ .

(١٨) الجنابي : بفتح الجيم وتشديد النون . هذه النسبة الى جنابة ، وهي بلدة بالبحرين . هكذا قال ابن ماكولا بفتح الجيم . والذي نعرفه بضمهما . (السمعاني ، الانساب ، ص ١٣٥ ب) .

وجنابة مدينة فى اقليم فارس ، أسواقها بازقة ، وشرب اهلها من آبار مالحة وبرك وفيها كان أبو سعيد وابو طاهر القرمطي . (المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤٢٧) .

(١٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٢ .

(٢٠) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٨٨ . ابن شاكر

الحركة . وفي سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م تزعم أبو سعيد الجنابي قرامطة البحرين (٢١) ، معلناً قيام حركة جديدة مناوئة للخلافة العباسية ، وقد نجح نجاحاً كبيراً في تنظيم الحركة القرمطية والاعداد لها ، فأجتمع اليه جماعة من الاعراب والقرامطة وقوى بهم أمره (٢٢) . فذكرت بعض المصادر أن أبا سعيد قسى على من حوله من أهل القرى ، ثم سار الى القطيف فقتل من بها وأظهر انه يريد البصرة (٢٣) ، ففزع سكانها وواليها الذي بدأ في بناء سور لها بلغت تكاليفه أربعة عشر الف دينار (٢٤) .

أشتد أمر القرامطة ، وتكررت غاراتهم (العنيفة) على القرى المجاورة لهم . ولما باتوا يهددون البصرة وضواحيها في بداية سنة ٢٨٧ هـ/٩٠٠م ، تقرر عندئذ نقل العباس بن عمرو الغنوي من ولاية فارس ، وأقطع اليمامة والبحرين وأمر بمحاربة القرمطي ، وضم اليه زهاء الفي رجل ، واجتمع اليه عدد كثير من المتطوعة والجند والخدم ، وسار قاصداً أبا سعيد

الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ . لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص ١٦٩ .

(٢١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٢ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ٤٠٩ .

(٢٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ٤٠٩ . جوزي ، م . ق ، ص ١٦٥ و ١٦٧ .

(٢٣) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٨٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٢ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ . امير علي ، م . ق ، ص ٢٦١ .

(٢٤) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٨٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٢ .

الجنابي . وفي المناوشات الأولى انهزم الاعراب والمتطوعة من جيش الخلافة، وتمكن الجنابي من التغلب على الجيش العباسي وأسر قائده مع عدد كبير من جنده ، وفي اليوم التالي قتل أبو سعيد جميع الاسرى ، ثم أحرقهم عدا القائد العباس بن عمر الغنوي ، ولما سمع اهل البصرة بما حل بجيش الخلافة ، فزعوا وعزموا على الانتقال منها ، إلا أن والي البصرة منعهم من ذلك (٢٥) . أما العباس بن عمرو الغنوي فقدأطلق سراحه وقال له الجنابي : « امضي الى صاحبك وعرفه ما رأيت (٢٦) » ، وبذلك تعجب الناس من جيش العباس ، يؤسر قائده وحده وينجو وحده ويقتل جميع جيشه (٢٧) .

والواقع ان أبا سعيد الحسن بن بهرام كان من القوة والمقدرة بحيث نجح نجاحاً كبيراً في تنظيم الحركة القرمطية ، وأوقع الهزيمة بجيوش الخلافة العباسية عدة مرات . وبدأ أبو سعيد القرمطي يهاجم مدن العراق في أواخر عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، عندما أرسل نحو ثلاثين رجلا من أصحابه الى البصرة ، وكان عليها محمد بن اسحاق بن كنداجيق ، فوقع الرعب في سكان المدينة . فقاتلهم جيش الخلافة ، وقتل بعضهم وأنهزم الباقون (٢٨) . وكان أبو سعيد قدتمكن من الاستيلاء على هجر الاحساء

(٢٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ص ٩٤ — ٩٥ . أنظر كذلك الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٩٣ و ٢١٩٦ و٢١٩٧و٢٢٠٥ . جوزي ، م . ق ، ص ١٦٨ .

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٥ . انظر كذلك الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١٩٧ .

(٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٩٥ .

(٢٨) عريب ، الصلة ، ص ٣٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص٣٣ .

والقطيف وسائر بلاد البحرين [٢٩] .

ب — القرامطة يهددون بغداد :

في سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م قتل أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي زعيم القرامطة ، فذكر ان الذي تولى قتله خادم له [٣٠] صقلبي وقتل معه أربعة من رجاله المقربين [٣١] . وكاد يقتل منهم عدداً آخر لولا أن امره اكتشف فقتل [٣٢] . وكان أبو سعيد قد عهد الى ابنه الأكبر سعيد،

(٢٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤٧ .

(٣٠) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩١ . ابن حمدون، التذكرة ، جـ ١٢ ، ورقة ١٢٩ — ب . امير علي ، م . ق ، ص٢٦١ . جوزي ، م . ق ، ص ١٧١ .

(٣١) العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٨٣ — آ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٥٥) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص٣٤ . ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، جـ ٢ ، (القاهرة : ١٩٥٣) ، ص ٧٧ . ابن شاكر الكتبي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ . ابن الجوزي، المنتظم، جـ ٦ ، ص ١٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤٧ . الدياربكري، تاريخ الخميس ، جـ ٢ ، ص ٣٤٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١، ص ١٢١ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٣ . البراقي ، السيد حسين بن احمد ، تاريخ الكوفة ، (النجف : ١٩٦٠) ، ص ٣٧٥ . اليافعي ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٣٢) الصابي ، ص ٢٥٥ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤٧ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ

ولما بان عجزه عن الأمر (وفي قيادة القرامطة) غلت عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الذي اتصف بالشجاعة والاقدام (٣٣) .

كان لمقتل أبي سعيد الجنابي أثر فعال في هدوء الحالة نسبياً ، بين القرامطة والخلافة العباسية،ذلك أن الزعامة الجديدة انشغلت بتثبيت مركزها، مما جعلها تصرف النظر بصورة موقتة ، عن الغزو والنهب .

وكانت قد جرت محاولة من جانت الخلافة العباسية لتحويل أبي سعيد عن المذهب القرمطي ، وجره الى طاعة الدولة ، ولكن هذه المحاولة جاءت متأخرة ومن ثم كان نصيبها الفشل الذريع . وتمثلت هذه المحاولة في موافقة المقتدر بالله على اقتراح وزيره علي بن عيسى بضرورة مكاتبة القرامطة ، فكتب الى أبي سعيد كتاباً ليناً بصدد ما عنده من أسرى المسلمين ، ويناظره ويقيم الدليل على فساد مذهبه ، ويعاتبه على تركه الطاعة وفروض الاسلام ، ويوبخه على اعلان كفرهم واستهزائهم بالدين واسترقاقهم الأحرار (٣٤) . وأنفذه مع الرسل ، فلما وصلوا البصرة بلغهم

---

٧ ، ورقة ٣ . دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٤ . العبر ، ج٢،ص١١٧. اليافعي ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٣٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٧ . ابن حمدون ، التذكرة، ج ١٢ ، ورقة ١٢٩ — ب . أبوالفداء ، المختصر في أخبار البشر،ج٢ ص ٨٥ . ابن شاكر الكتبي ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٥٣ . البراقي،م. ق ، ص ٣٧٥ . أمير علي ، م . ق ، ص ٢٦١ . جوزي ،م.ق،ص ص ١٧١ — ١٧٢ .

(٣٤) عريب ، الصلة ، ص ٥٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢١ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .

خبر موت أبي سعيد ، فأعلموا الخليفة بذلك ، فأمرهم بالمسير الى ولده، فاتو أبا طاهر سليمان الجنابي بالكتاب ، فأكرم الرسل وأطلق الاسرى وأنفذهم الى بغداد وأجاب على الكتاب (٣٥) .

ويبرر صاحب المنتظم مراسلات الوزير للقرامطة ، بأنه خشي منهم على الحاج وغيرهم ، أراد أن يشغلهم بالمكاتبة والدخول في الطاعة ليأمن جانبهم . غير أن بعض الناس اتهموا الوزير بمواطأتهم وموالاتهم (٣٦) . ومع ذلك فان تجاوزاتهم كانت تحصل بين حين وآخر ، ففي سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م دخل القرامطة البصرة فنهبوا وسبوا الحريم (٣٧) .

ويبدو أن هجمات القرامطة أشتدت ضرارة أبان تقلد ابن الفرات وزارته الثالثة عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م على أثر عزل حامد بن العباس ونائبه علي ابن عيسى ومن المحتمل أنيكون لمجيء ابن الفرات إلى الوزارة ،وأبعاد علي بن عيسى عن المسؤولية ، علاقة وثيقة بتكرار تلك الهجمات المتعاقبة ، بحيث صرنا نلمس .. لاتمر سنة بدون أن يروع المسلمون بأحدى الفواجع

(٣٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص ١٢١ — ١٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٤٧ . الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢١ .

(٣٦) عريب ، الصـــلة ، ص ٥٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣١ . ياقوت معجم الادباء ، ج١ ، ص ٨٥ — ٨٦. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢١ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣ .

(٣٧) ابن الجوزي ، المنتظـــم ، ج٦ ، ص ١٥٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ١٠ . دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٦ . ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٣٠ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهـــرة ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

التي كان يحدثها القرامطة . فالظاهر انه « قد وصل الى الجنابي وأصحابه من وقته من قبل من كان يكاتبهم لأن بعض البصريين الثقات حكوا أن القرامطة كانوا يقولون لهم يوم دخولهم ويلكم ما أرك [أراد] سليطينكم في أبعاد ذلك الشيخ عن نفسه وليعلمن ما يلقى بعده [٣٨] » ، وكان البصريون لايدرون ماذا يقصد القرامطة الى أن وردهم خبر القبض على حامد بن العباس وعلي بن عيسى وولاية ابن الفرات .

وعلى كل حال ، فقد قصد ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الهجري البصرة ، وكان معه الف وسبعمائة رجل ، فوضع السلالم على السور وصعد أصحابه ففتحوا الباب وقتلوا الموكلين بـه ، ولما اعترضهم والي البصرة سبك المفلحي قتلوه ووضعوا السيف في أهل البصرة [٣٩].وقاتلتهم

(٣٨) عريب ، الصلة ، ص ١١٠ .

(٣٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٣ . رسائل الصابي ، ج١، ص٢٥٥. مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠٥ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١؛ ورقة ١٠٨ — ب . (تحقيق نبيلة ، ص ٣٠٧) . الاسفرائيني، الفرق، ص ٢٩٠. الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٤٠ . عريب ، الصلة، ص ١١١. ابن حمدون ، التذكرة ج١٢ ، ورقة ١٣١ — أ . ابن خلكان ، م.ق ، ج١ ص ٤١٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ . الاصفهاني، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٢٥ . دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٧ . والعبر ، ج٢ ، ص ١٤٧ . ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٤٧ . ابن الوردي ، م.ق ، ج١، ص٣٥٧. القلقشندي ، مآثر الاناقة ، ج١ ، ص ٢٧٨ . ابو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، ج٣ ، ص ٩٠. ابن شاكر الكتبي ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٥٧. اليافعي ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٦٤ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٢٦١ . ابن خلدون، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٠. أمير علي

اهل البصرة في شارع المربد بدون ان يكون معهم اي مسؤول رسمي. واشعل القرامطة النار في المربد فالتهمت بعض المسجد الجـامع وقبـر طلحة (٤٠) ، كما امتدت الى أماكن اخرى ، الامر الذي ادى الى ان يهرب سكان البصرة الى خارجها ، وجـال القرامطة في المدينة المنكوبة (٤١) ، وقتلوا من سكانها خلقا كثيرا وطرح الناس انفسهم في الماء فغرق اكثرهم (٤٢). وأقام ابو طاهر وجيشه سبعة عشر يوماً يخرج منها ليـلاً الى معسكره بظهر المدينة ويعود اليها في الصباح (٤٣) وليحمل منها ما يقدر على حمله

م.ق ، ص ٢٦٢ .

(٤٠) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٨ — ب (تحقيق نبيلة ، ص٣٠٧) ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣١ — أ .

(٤١) عريب ، الصـلة ، ص ١١١ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ورقة ١٠٩ . (تحقيق نبيلة ، ص ٣٠٨) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٥ . ابن شاكر الكتبي ، م.ق ج١ ، ص ٢٥٣ .

(٤٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامـل ج٦ ، ص ١٧٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٤٧ .

(٤٣) عريب ، الصلة ، ص ١١١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠٥ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٩ — أ (تحقيق نبيلة، ص٣٠٨). ابن الجوزي ، المنتظم ج٦ ، ص ١٧٣ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ . ورقة ١٣١ — أ . اصفهـاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٣ . ابن خلكان م.ق ، ج١ ، ص ٤١٠ . ابن شـاكر الكتبي ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٥٣ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج٣ ، ص ٩٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٤٧ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص٢٠٨ .

من المال والامتعة والنساء والصبيان (٤٤) . وبعد هذا العبث بهذه المدينــة أرسل المقتدر بالله بني نفيس ، وجعفر بن محمد الزرنجي في جيش لأنقاذ المدينة المنكوبة ، ولكن القرمطي إنسحب قبل وصول جيش الخلافة (٤٥) .

ونظراً لأعتداءات القرامطة المتكررة على مدن سواد العراق ، وتعرضهم لقوافل الحجاج ، ولمشورة الوزير الخصيبي ، استدعى الخليفة المقتدر بالله في أواخر سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م احدى فرق الجيش ، وهي الساجيــة وكلف قائدها بمحاربة أبي طاهر القرمطي ، وهيأ له الأموال والمؤونة لهذا الغرض (٤٦) . غير ان المطلعين لم يستصوبوا هذه الفكرة ، على أساس أن أفراد هذه الفرقة ممن ألفوا البلاد الباردة ، الكثــيرة الميــاه ، ولم يتعودوا على القتال في الصحارى القفراء ، الشديدة الحر ، الكثـــيرة الشعاب ، كبلاد الاحساء والقطيف . وبهذا تكون هذه العملية فاشــلة من الاساس ، وقليلة الجدوى .

وعلى كل حال فقد توجه ابو طاهر القرمطي نحو الكوفــة ، وكان قد اطلق جميع من كان معه من اسرى الحاج (٤٧) ، فوصلها في السابع

(٤٤) المسعودي ، التنبيــه والاشراف ، ص ٣٨٠ . مسكويه ، م.ق ، ١٠٥ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ، ورقة ١٠٩ — أ . (تحقيق نبيــلة ص ٣٠٨) . ابن حمدون ، التذكــرة ، ج ١٢ . ورقة ١٣١ — أ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٧٥ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٣ .

(٤٥) عريب ، الصلة ، ص ١١١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٩ .

(٤٦) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٣ . عريب الصلة ، ص ١٢٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٣ .

(٤٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٣ .

من شوال عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م قبل وصول جيش الخليفة الذي أعد للدفاع عن هذه المدينة [٤٨] وبذلك هرب موظفوا الدولة عن الكوفة خوفا من بطش القرامطة [٤٩] . واستولى أبو طاهر على المدينة [٥٠] ، وعلى المؤونة التي اعدت لجيش الخلافة « وكان فيها مائة كر دقيقا والف كر شعيرا » [٥١] وبذلك تعزز مركزه ، وقويت معنويات جيشه ، ولما دعاهم قائد جيش الخليفة الى الطاعة أجابوه بأن : « لا طاعة علينا الا لله تعالى » [٥٢] .

وكان جيش الخليفة قد استخف بالقرامطة لقلة عددهم [٥٣] ، واقتتل الجيشان طيلة نهار السبت العاشر من شوال ، ولم ترجح كفة اي من

(٤٨) عريب أ الصلة ، ص ١٣٢ . ابن الاثير، الكامل ، ج٦، ص١٨٦ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٤ .

(٤٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٣ . ابن الجوزي، المنتظم ، ج٦ ص ٢٠٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ج٧ ، ورقة ٢٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص٧٩٢ .

(٥٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص ١٨٦ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٤ .

(٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٦ . انظر كذلك مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٣ .

ابن الجوزي ، الانتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٨ .

(٥٢) ابن الاثير، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٦ . مسكويه، م.ق، ج ١ ص ص ١٧٤ .

(٥٣) كان جيش الخليفة عشرين الف سوى الاتباع ، بينما كان جيش القرامطة الف فارس وخمسة آلاف راجل . (ابن خلدون ، التذكرة ، ج ١٢ ورقة ١٣١ ـ ب و ١٣٢ ـ أ) .

الفريقين على الرغم من البون الشاسع في العدد بين الجيشين . ولما رأى ابو طاهر القرمطي هذا التوازن خاض الحرب بنفسه ومعه جماعة ممن يثق بهم وحمل بهم على اعدائه الذين فروا منهزمين أمام ضغط القرمطي وأسر قائد المقتدر وعدد كبير من اصحابه ، وهيأ ابو طاهر طبيبا خاصا لمعالجة القائد الاسير الذي كانت جروحه بليغة (٥٤) .

لقد وصل خبر انتصار الجيش القرمطي الى العاصمة بغداد ، فأصاب السكان الهلع ، وخاف الخاص والعام ، وتملكهم الفزع ، وخاصة بعد أن وصلت بغداد فلول الجيش المنهزم . واكثرهم رجاله حفاة عراة ، فعزم سكا العاصمة على الهرب الى واسط والاهواز (٥٥) ، وحلوان وهمدان (٥٦) .

وانتقل عامة سكان الجانب الغربي الى الجانب الشرقي خوفا من القرمطي (٥٧) . وفي الوقت نفسه بدأت في بغداد الاستعدادات اللازمة لتحصين العاصمة ، حتى يتعذر على القرامطة دخولها ، فأمر صاحب الشرطة أصحاب القصب القاطنين خارج السور ، بأدخال القصب إلى داخل بغداد خشية وصول القرمطي اليها فيضع القصب والتراب في الخندق فيعبر

(٥٤) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٥٢ — ٥٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٨٧ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣٠ . ودول الاسلام ، ج١ ، ص١٣٩ . والعبر ، ج٢ ؛ ص ١٦١ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٢ — أ . عريب ، الصلة ، ص ١٣٢ . ابو الفداء ، المختصر فى اخبار البشر ، ج٣ ص ٩٠ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢١٧ . ابن العماد ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٧٠ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .

(٥٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٥ .

(٥٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٧ .

(٥٧) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٤ .

عليـه [(٥٨)] .

ومهما يكن فقد تحرج موقف الخلافة واستعدت لتجهيز جيش جديد لدفع خطر القرامطة الذي بات يهدد العاصمة . غير ان القرامطة قصدوا عين التمر [(٥٩)] ، فأنفذ الوزير علي بن عيسى خمسمائة سميرية [(٦٠)] فيهـا الف رجل من المقاتلة [(٦١)] ، لتمنعهم من عبور نهر الفرات ، وسير جماعة من الجيش الى الانبار للدفاع عنها ، كما ان سكان الانبار قطعوا الجسر الموصل الى مدينتهم ، وبذلك تعذر على القرامطة العبور الى الانبار أول الامر ، فانفذ ابو طاهر الجنابي بعض اصحابه الى الحديثة فأتوه بسفن عبر بواسطتها ثلثمائة رجـل من القرامطة فقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم ، وقتلوا منهم جماعـة ، وأستولى القرامطة على مدينـة الأنبار ، وعقدوا الجسر ، وعبر أبو طاهر وخلف سواده في الجانب الغربي من الفرات [(٦٢)].

(٥٨) الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٥٩) عين التمر : بلدة قريبة من الانبار ، غربي الكوفة ، منها يجلب القسب — بفتح القاف واسكان السين — والتمر الى سائر البلاد ، وهو بها كثير ، وهي على طرق البرية . وهي قديمة افتتحها المسلمون فى ايام ابي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ وكان فتحها عنوة فسبى نساءهـا وقتل رجالها . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٧٦) .

(٦٠) سميرية : نوع من السفن او المراكب التي يقاتل فيها . (انظر زيات ، « معجم المراكب والسفن فى الاسلام » ، مجـلة المشرق ، ج٣ و ٤ ، آب وكانون الاول ، ١٩٤٩ ، ص ٣٤٢) .

(٦١) مسكوية ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .

(٦٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٥ — ١٧٦ . ابن الاثير، الكامل ج٦ ، ص ١٨٧ . الاصفهـاني ، تاريـخ سني ملوك ، ص ١٥٤ — ١٥٥ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ أ ورقة ٣١ . ودول الاسلام، ج١ ، ص١٣٩ .

وأزاء هذا الوضع الخطر جهز المقتدر بالله جيشاً جديداً بلغ تعداده نيف واربعين الف مقاتل [٦٣] ، سوى الغلمان ومن يريد النهب [٦٤]، ليلحق بالجيش الذي سبق ان أرسل الى الانبار . ومن الجدير بالذكر ، انعدد جيش القرامطـــة الفا وخمسمائة رجل ، منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل [٦٥] ، وقيل كانوا الفين وسبعمائة [٦٦] ، ويضيف ابو المحاسن ان جيش القرمطي كان الف فارس وخمسة الآف راجل [٦٧] .

وعلى كل حال فان جيش القرامطة كان تعداده بحدود الالفـين او يزيد قليلا ، وان رواية صاحب النجرم الزاهرة تبدو ضعيفة ، ذلكأن الخليفة المقتدر بالله ، لما علـم بهزيمة جيشه قال : « لعن الله نيفا وثمانين

(٦٣) ابن حمدون ، التذكرة ، جـ ١٢ ، ورقة ١٣٢ . آ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٨٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦،ص٢٠٩ .ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٧ .

(٦٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٦ . ابن الاثير ،الكامل،جـ ٦ ، ص ١٨٧ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢١٧ .ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٣ . (ويقول التنوخي٥٢ الف أو ٥١ الف . (نشوار ، جـ ٨ ، ص‌ص ١٠٧–١٠٨ . (بينمايقول الذهبي ٤٠ الف فارس . دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٩) .

(٦٥) العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١١٨ــب .(تحقيق نبيلة ، ص ٣٣٦) . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص١٧٩ .ابنالجوزي، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ،ص١٨٨ .

(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٨ . الذهبي ، دول الاسلام، جـ ١ ، ص ١٣٩ .

(٦٧) النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢١٧ .

الفا يعجز عن الفين وسبعمائة » [٦٨] . وحين سئل ابو طاهر عن سبب هزيمة جيش الخلافة وثبات اصحابه أجاب : « السبب في ذلك أن اصحاب السلطان يقدرون السلامة في الهزيمة فيقدمونه ونحن نقدر ان السلامة في الصبر فنثبت ولا نبرح » [٦٩].

وظل الجيش القرمطي يتقدم نحو العاصمة بغداد ، غير آبه بتضخم جيش اعدائه ، وازاء هذا التقدم السريع إضطر الجيش العباسي الى أن يتخذ موقف المدافع ، حيث أقدم على قطع القنطرة التي على نهر زبارا بناحية عقرقوف [٧٠] .

ويتضح للباحث ان أقدام جيش الخليفة على قطع القنطرة ، ليصبح الماء حائلا بينه وبين جيش القرامطة ، انما هو دليل على تخوف وتخاذل الجيش العباسي من قوة القرامطة وشدة بأسهم . وبالفعل فقد حال هذا القطع بين القرامطة وبين العاصمة التي لم تعد تبعد عن مقدمة الجيش القرمطي اكثر من فرسخين [٧١] . ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب

---

(٦٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٨ ، ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٢ .

(٦٩) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٧٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٩ .

(٧٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٦ . (ويقول الاصفهاني : نهر الوارادة الذي قطعت قنطرته وليس نهرا زبارا (تاريخ سني الملوك ، ص١٥٥) .

(٧١) ابن حمدون التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٢ ــ أ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٦ . المسعودي ، التنبية والاشراف ، ص ٣٨٣ . الهمداني التكملة ، ج١ ، ص ٥٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٠٩ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ، ورقة ١١٩ ــ ب . (تحقيق نبيلة

منهم خلق كثير الى بغداد من غير ان يلقوهم ، وحينئذ قال أحد قادة الجيش العباسي للقائد الاعلى مشيرا الى أهمية قطع قنطرة نهر زبارا : « فوالله لو عبر القرامطة النهر الانهزم كل من معك ولاخذوا بغداد »(٧٢).

فلا غرابة أن يمتلك سكان العاصمة موخة من الفزع والاضطراب ، الامر الذي أدى الى ان يغلقوا اسراقهم ، وان يكتري كثير منهم سفنا نقلوا اليها أموالهم ووضعوها تحت اهبة الاستعداد لينحدروا بها إلى واسط عندما يداهمهم الخطر ، وكان قسم منهم قد انحدر فعلا الى واسط (٧٣) ، لأنه لم يعد عند الناس أدنى شك في أن القرمطي سيمتلك بغداد .

وهكذا تظهر أهمية قطع قنطرة نهر زبارا ، اذ لو بقيت عامرة لكان من المحتمل أن يعبرها القرامطة ، وما هالهم كثرة جند الخليفة ، ولا نهزم أصحاب المقتدر بالله ودخل أبو طاهر الجنابي بغداد ، ذلك أن كثيراً من الجيش العباسي كروا الى بغداد منهزمين لما بلغهم وصول أبي طاهر الى نهر زبارا (٧٤) ، وبذلك يعتبر قطع القنطرة من الاسباب التي أوقفت تقدم القرامطة نحو بغداد ، اذ أن كثرة جيش المقتدر بالله ، لم تفت من عزيمة القرامطة وإقدامهم . وقد أكتفى جند الخليفة المقتدر بأن أرتفع تكبيرهم وتهليلهم بأنصراف القرامطة نحو الأنبار ، وبادروا بأخبار الوزير بذلك وإنه

ص ٣٣٣ — ٣٣٤) .

(٧٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٧ .

(٧٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٠ . ابن الاثير، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٨ .

(٧٤) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ص ٣٣٥ (مطبعة النعمان) ابو المحاسن ، النجوم الزهرة ، ج٣ ، ص ٢١٧ .

لا طريق له ولا مخاضة ولا حيلة في الوصول الى ضواحي بغداد [٧٥] ، وعندئذ تصدق المقتدر بالله والسيدة أمه بمائة الف درهم ابتهاجاً بهـذا الخبر [٧٦] . وقد تنفس سكان العاصمة الصعداء عندما زال الخطر عن مدينتهم ، ولم يجسر أحد من قادة جيش الخليفة على تعقب القرامطة .

وكان مؤنس قد أرسل يلبق في ستة الآف مقاتل للالتفاف على عسكر القرامطة غربي الفرات ، ليفتكوا به،ويخلصوا بعض أسرى الجيش العباسي الذي احتجزهم القرامطة ، وقد عبر أبو طاهر الجنابي إلى غربي الفرات في زورق صياد ، قيل انه منحه ألف دينار ، فلما رآه أصحابه ارتفعت بـه معنوياتهم فقاتلوا جيش يلبق قتالاً شديداً حتى اضطره الى التراجـع ، وحينئـذ أمر أبو طاهر بقتل جميع الاسرى [٧٧] ، واتجه نحو مدينـة هيت [٧٨] ، ومعه تسعمائة فارس وثلثمائة راجل [٧٩] . وكان المقتدر بالله

(٧٥) مسـكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٧٨ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ، ص ٣٣٥ . (مطبعة الايمان) .

(٧٦) مسكويه ، م.ق ، ج١ ص ١٨٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦، ص ٢١٠ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٢ — آ .

(٧٧) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٣ . عريب ، الصـلة، ص ١٣٣ . مسكويه م.ق ، ج١ ، ص ١٧٨. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص ٢١٠ . ابن الاثير الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٧ — ١٨٨ . . الاصفهـاني تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٥ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣٠. دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٩ .

(٧٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٣ — ٣٨٤ . مروج الذهب ج٤ ، ص ٢٣٩ . العيون، م.ق ، ج٤، القسم ١ ، ورقـة ١٢٠ — ب . (تحقيق نبيلة ص ٣٣٦) . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٨ .

(٧٩) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٣٦ .

قد سير اليها سعيد بن حمدان وهرون بن غريب،فسبقا القرمطي بالوصول الى هيت ، فتحصن جيشهما داخل السور ، وقاتلوا القرامطة من ورائه فقتلوا منهم جماعة كثيرة ، مما اضطر القرامطة الى أن يفكوا الحصار عن هيت ويغادروها (٨٠) ، بعد أن أحرقت لهم عدة دبابات (٨١) ، كما قتل نائبه (أبو الذود) في اثناء قتاله حول هيت (٨٢) .

اتجه القرامطة ، بعد أن غادروا هيت الى الدالية (٨٣) من طريق الفرات فلم يجدوا فيها أحداً من جند الخلافة ، فقتلوا جماعة من أهلها (٨٤) ، ثم ساروا الى الرحبة (٨٥) ، فدخلوها في الثامن من المحرم سنة ٣١٦ هـ/٩٢٨م

(٨٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٠ . الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٩١ . ابن الاثير ، الكامل، ج٦ ، ص ١٨٨ . العيون، م.ق ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٠ — ب . (تحقيق نبيلة ، ص٣٣٦).

(٨١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٤ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٠ — ب (تحقيق نبيلة ، ص ٣٣٦).

(٨٢) الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٩.

(٨٣) الدالية : هي من المدن المهمة التي تقع في اعالي الفرات(المقدسي، احسن التقاسيم ، ص ١٣٨) .

(٨٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص١٨٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ص ١٩١ .

(٨٥) الرحبة : من مدن اعالي الفرات . (انظر المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٨) . (وهي بين الرقة وبغداد، على شاطيء الفرات اسفل قرقيسيا ، وتبعد عن بغداد مائة فرسخ)، ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ، ص ٣٤ . وانظر كذلك من ص ٣٥ — ٣٦) .

بعد أن حاربهم أهلها ، ولكن القرمطي ظفر بهم ووضع السيف فيهم (٨٦) ، واستاق منهم خمسة الآف جمل ومواشي كثيرة (٨٧) . ولما سمع به أهل قرقيسيا (٨٨) كتبوا اليه يطلبون الأمان فأمنهم وأمرهم أن لا يظهر أحد منهم بالنهار فأجابوه (٨٩) ، وسير أبو طاهر الجنابي سرية من جنده الى الاعراب بالجزيرة فنهبوهم وأخذوا أموالهم ، فخاف الاعراب خوفاً شديداً وهربوا من بين يديه ، وفرض عليهم أتاوة على كل رأس دينار يحملونه الى هجر (٩٠) . وبذلك تمكن أبو طاهر أن يلقي الرعب حتى في قلوب سكان الصحراء .

واصـــل أبو طاهر الجنابي صعوده مـــع نهر الفرات ، وكانت القرى والقصبات تسارع تباعاً في طلب الأمان منه فيأمنهم . ومن ثم عرج نحو الشرق الى أن وصل سنجار حيث نازله أهلها ، ولما شعروا بعدم قدرتهم على رده ، وان الدولة هي الأخرى ، أصبحت عاجزة عن نجدتهم وحمايتهم،

(٨٦) مســـكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢١٥ — ٢١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩١ . ابن كثـير ، البداية والنهـاية ، ج ١١ ، ص ١٥٧ .

(٨٧) عريب ، الصلة ، ص ١٣٤ .

(٨٨) قرقيسيا : من مدن اعالي الفـــرات (انظر المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٨).

(٨٩) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقـــة ١٢٠ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٣٦) .

مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ١٨٢ . ابن الجوزي ، المنتظـم ، ج٦، ص ٢١٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٧ .

(٩٠) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٥ . مسكويه ، م.ق، ج١، ص ١٨٢ . ابن الجوزي، المنتظم، ج٦ ، ص ٢١٦ . ابن الاثــير، الكامل

اضطروا الى أن يطلبوا الامان من القرمطي فامنهم [٩١] .

ويبدو ان خطة أبي طاهر الجنابي كانت ترمي الى اثارة الفزع والرعب في قلوب الأهلين ، والاستحواذ على الأموال ، لأنه لم يشأ الاستقرار في بلد يتم له غزوها والسيطرة عليها ، بل كان يكتفي فقط بتخريبها ،لذلك ضاعت مجهوداته وانتصاراته الحربية سدى، ولم يستفد القرامطة من هذه الانتصارات شيئاً سوى جمع الغنائم وإحراز الأموال ، وأحلال الفزع في قلوب أعدائهم . ويبدو أن اسلوبهم كان يستهدف غارات سريعة وليس أحتلال مناطق يضمونها تحت سيطرتهم خاصة وان تكوين قوات نظاميةدائمة يحلونها في المناطق المهاجمة أمر عسير عليهم . وبناء على ذلك قفل القرمطي راجعاً عن طريق نهر الفرات ماراً بهيت التي حاول أن يدخلها لكنه أرتد خائباً للمرة الثانية أمام سورها المنيع الذي أحكم جيداً ، والذي كان أهلها يقاتلون من ورائه ، فاتجه نحو الكوفة ماراً بقصر ابن هبيرة [٩٢] . ومع أن المقتدر بالله أرسل جيشاً فيه هارون بن غريب ، وبني بن نفيس ، ونصر الحاجب ، إلا أن جيش الخلافة لم يصطدم بالقرامطة لأنهم اكتفوا بماحصلوا

ج٦ ص ١٩١ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص ٢٢٠ . ابن كثير البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٧ .

(٩١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩١ . متز ، م.ق، ج٢،ص٦٩ .

(٩٢) قصر ابن هبيرة : مدينة كبيرة جيدة الاسواق ، يجيئهم الماء من الفرات ، كثيرة الحاكة واليهود . (المقدسي) ، احسن التقاسيم ، ص١٢١). وهي احدى المدن التابعة لكورة بغداد . (المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١١٥) .

(٩٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٢ .

عليه من أموال ، وما قتلوا من أنفس فكروا راجعين الى بلدهم هجر (٩٤)، وبعدئذ بنى أبو طاهر الجنابي داراً سماها دار الهجرة (٩٥) . ذلك لأن من مبادىء القرامطة الاساسية اقامة دار هجرة مستندين الى مبدأ خلافهم مع المسلمين واعتبارهم كفاراً ، ولذلك لايريدون أن يقيموا معهم .

والظاهر أنه كان لأبي طاهر سليمان الجنابي عيون يزودونه بأخبار الجيش العباسي وتحركاته وتمداده واستعداداته ، لأجل أن يتخذوا الاحتياطات اللازمة لذلك . وقد تمكن الوزير علي بن عيسى من القبض على أحدهم ، حيث اعترف أمام الوزير قائلاً : « ما صحبت أبا طاهر إلا لما صح عندي انه على الحق وأنت وصاحبك كفار تأخذون ما ليس لكم ولابد لله من حجة في أرضه (٩٦) » . وقد رفض بإباء أن يعترف على أصحابه الذين يعملون معه لخدمة القرمطي ، واستقبل الموت بشجاعة ، وفضله على الاعتراف على أحد دعاة القرامطة (٩٧) .

وكان بني بن نفيس ، الذي تقلد البصرة ، قد أرسل جماعة من

---

(٩٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨٢ — ١٨٣ . ابن الاثير، الكامل ج٦ ، ص ١٩٢ .

(٩٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢١٦ . الذهبي، دول الاسلام ج١ ، ص ١٣٩ . ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٧ . السيوطي، الخلفاء ، ص ٣٨٢ .

(٩٦) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٥٥ . مسكويه ، م.ق ، ج١، ص ١٨١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ . ابن الاثير ج٦ ، ص ١٨٨ .

(٩٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٨١ . ابن الاثير، الكامل ، ج٦ ص ١٨٨ .

القرامطة ، إلى بغداد ، ذكر أنهم استأمنوا اليه ، وإنهم أدعوا أن علياً بن عيسى كان قد وجه للقرامطة بهدايا وسلاح في اوقات مختلفة ، وانه هو الذي حرضهم على مهاجمة البصرة في عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م (٩٨) . وتبدو هـذه التهمة واهيـة ، على الرغم من ورودها في مصدرين اساسيين (٩٩) معاصرين ، ذلك أن مهاجمة القرامطة للبصرة كانت قد تمت بعد أربعة أيام من اقصاء علي بن عيسى ، وتقلد ابن الفرات الوزارة (١٠٠) .

ولكن جميع القرائن تشير الى أنه كان للقرامطة ، في عاصمة الخلافة بغداد اناس يزودونهم بالأخبار التي تستجد هنـاك ، ومن ثم يتخذ زعيم القرامطة مراقبه وتحركاته ، فابان تقلد ابن الفرات وزارته الثالثة أحتدم الصراع بين كبار رجال السلطة ، وتمكن الوزير من أبعاد قائد الجيش الى خارج العاصمة ، وكاد ينجح في ازاحة الحاجب من منصبه (١) . ويبدو أن انشغال موظفي الدولة في الصراع فيما بينهم قد بلغ القرمطي ، فحاول أن يستغل هذه الفرصة ، فأشتد في هجماته على مدن السواد ، وتعرضه المتكرر لقوافل الحجاج .

ويبدو أن هناك عدداً كبيراً ممن كانوا يعتنقون مذهب القرامطة في

---

(٩٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٣ . مسكويه ، م.ق ، ج١، ص١٠٥ . العيون ، م.ق ، ج٤، القسم ١ . ورقة ١٠٩ — آ. (تحقيق،نبيلة،ص٣٠٨) .

(٩٩) انظر الصابي ، الوزراء ص ٣١٣ . ومسـكويه ، م.ق ، ج١ ص ١٠٥ .

(١٠٠) عريب ، الصـلة ، ص ١١٠ .

(١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١١٧ . ابن الجوزي ، المنتظـم ج٦ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٦ . العيـون،م.ق ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١١٠ — آ. (تحقيق نبيـلة ، ص ٣١١) .

سواد العراق ، ولكنهم في بعض الاحيان كانوا يكتمونه خوفاً من بطش السلطة وتعسفها . ويرجع نجاح هذه الدعوة بسواد العراق إلى كثرة الشيعة في هذه المنطقة ، ولا غروة فقد كانت الكوفة مهداً للتشيع منذ أن اتخذها الامام علي (رض) حاضرة لدولته [٢] . ولا شك ان تنكيل العباسيين بالعلويين وأنصارهم جعل هؤلاء ينتضمون في صنوف المعارضة للخلافة العباسية ، وينتهزون الفرصة المواتية للأطاحة بها . ويضيف أحد الباحثين [٣]، ان سرعة استجابة سكان السواد لدعاة القرامطة هو انهم كانوا على جهل كبير بأمور الشريعة الاسلامية ، وانهم على استعداد تام لترك أوامرها متى تعارضت مع مصالحهم الشخصية ، وهذا مما يسهل مهمة دعاة القرامطة الذين لمسوا ذلك فيهم فأستغلوه فكثر اتباعهم .

فلما شعر قرامطة السواد بارتباك الوضع في العاصمة ، في سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م على أثر اشتداد ضربات أبي طاهر الجنابي لمدن السواد والفرات الأعلى ، عندئذ تجاوب معهم قرامطة السواد ، وأعلنوا تمردهم على الدولة وهذا يدل على وجود ارتباط ، وان كان ضعيفاً ، بين هذه الحركة وحركة أبي طاهر القرمطي . وهكذا اجتمع بسواد واسط أكثر من عشرة الآف رجل وولوا أمرهم واحداً منهم يعرف بـ (حريث بن مسعود)، « وسار حريث بن مسعود الى أعمال الموفقي [٤] وبنى بها داراً سماها دار هجرة وأستولى على تلك الناحية فكانوا ينهبون ويسبون ويقتلون [٥] » ؛

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٦ .

(٣) عليان ، م.ق ، ص ٢٧ .

(٤) الموفقي : نهر كبير بالوعز بحفره الموفق ابن احمد طلحة أخو الخليفة العباسي المعتمد (٢٥٦ — ٢٧٩) . انظر ابن الاثير الكامل ، ج٦، ص٣٢.

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٤ .

ولما تعرض لهم بني بن نفيس الذي كان يتقلد أعمال الحرب بواسط هزموه (٦) ، « فأخذوا الجزية ممن خالفهم على رسوم أحدثوها (٧) » . وحينئذ أرسل المقتدر بالله جيشاً بقيادة هارون بن غريب ، فأوقع بهم ، وضربهم ضربات مؤلمة ، وشتت شملهم (٨) .

وفي السنة نفسها خرجت طائفة أخرى من القرامطة بعين التمر ونواحيها في جمع كثير وولوا أمرهم شخصاً منهم يسمى (عيسى بن موسى) ، وكانوا يدعون الى المهدي عبيد الله الفاطمي . وسار عيسى بن موسى بأصحابه الى الكوفة ، ونزل بظاهرها ، وجبى الخراج وصرف عمال الخليفة عن السواد (٩) ، ليستأثر وحده في ادارة تلك المناطق . فأرسل الخليفة اليهم صافياً البصري (١٠) ، فأوقع بهم وانهزموا امام ضرباته القوية ، فأسر منهم عدداً كبيراً ، وقتل أكثر ممن أسر . وأخذت أعلامهم البيضاء ، وأدخلت بغداد منكوسة ، وأضمحل أمر القرامطة بالسواد (١١) .

والظاهر ان هؤلاء الثوار لم ينالوا أية مساعدة من أبي طاهر الجنابي ،

---

(٦) نفس المصدر والمكان .

(٧) عريب ، الصلة ، ص ١٣٧ .

(٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢١٩ . عريب ، الصلة ، ص ١٣٧ .

(٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٤ .

(١٠) ينفرد (ابن كثير ١١/١٥٨) عندما يذكر ان مؤنسا هو الذي قاتل هؤلاء ، وتبدو هذه الرواية ضعيفة لعدم ورودها في المصادر الاخرى.

(١١) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص ٢١٦ . ابن الاثير، الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٤ . ابو المحاسن، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢٢٠ .

ذلك انه لم يقدم لهم أية إمدادات عسكرية ، ولم يحاول ان يثأر لهم ، على الرغم من أنهم يعتبرون أنفسهم من أتباع مذهبه ، ويلتقون معه في أن دعوتهم تطالب بأعطاء الخلافة لعبيد الله المهدي الفاطمي ، وربما يكون مرد ذلك أن أبا طاهر لايريد أن تظهر شخصية قرمطية قوية تزاحمه الزعامة التي صار يتمتع بها بجدارة ، واذا صح هذا التحليل ، وهو صحيح في الأرجح، فأن الباحث يلمس وجود صراع خفي بين زعماء القرامطة في العراق حول الرئاسة .

ويلوح للمتتبع أن جذور القرامطة لم تجتث بصورة تامة من أساسها ، إذ ما لبثوا أن تحركوا عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م في سواد الكوفة، فخاف أهل بغداد واستغاثوا ورفعوا المصاحف مستجيرين بها (١٢) ، وكان والي الكوفة ، بشر النصري قد حاربهم وتغلب عليهم ، وأسر منهم نحو مائة رجل ، بعث بهم الى العاصمة فشهروا هناك (١٣) . وفي الأخير استطاع قائد الجيش مؤنس المظفر بسياسته أن يضعف حركتهم عندما نجح في استمالة بعضهم فدخلوا في صفوف جنده (١٤) .

ومهما يكن من أمر ، فأن سبب انثواء القرامطة بعيدين عن الاحداث، فيما بعد ، واخفاق حملاتهم العسكرية المتكررة ، في الأعم الأغلب ، تعود الى عوامل كثيرة ، منها انه لم يكن لها الوقت الكافي للتنظيم العسكري ، كما انه لم يكن لها قيادة منظمة بالمعنى الصحيح . ولعل الحركة بدأت قبل

(١٢) السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٤ .

(١٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢١٨ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢٢٨ .

(١٤) عريب ، الصلة ، ص ١٦٨ .

اكتمالها ، وربما كان ابتعاد عبيد الله المهدي عن المشرق ، وانشغاله بأمور المغرب ، كانا من جملة الاسباب الرئيسة لهذا الاخفاق . هذا فضلاً عن أن أنصارها كانوا من قبائل البدو الذين لاتربطهم روابط اجتماعية أو سياسية وثيقة في أهداف الحركة ، ومن المحتمل أن هؤلاء الاعراب لم يستوعبوا ، بصورة تامة ، أفكار القرامطة الاساسية .

جـ ـ موقف القرامطة من الحجاج :

يبدو أن القرامطة أغرتهم كثرة الغنائم التي كانوا يحصلون عليها من من تعرضهم لحجاج بيت الله الحرام ، في الوقت الذي لم تثنهم عن ذلك قوة رادعة ، فأزداد طمعهم ، وتكررت اعتداءاتهم . والظاهر أن الأموال التي كان يحصل عليها القرامطة من قوافل الحجاج ـ العزل من السلاح ـ كانت تشكل لهم مورداً كبيراً يستعينون بها في صراعهم ضد الخلافة العباسية ، كما إنهم يرمون إلى هدف أبعد حيث يريدون أظهار الخلافة العباسية ، امام العالم الاسلامي ، بمظهر العاجز عن حماية الحجاج والمحافظة على سلامتهم .

ففي سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م سار أبو طاهر القرمطي الى الهبير (١٥) في عسكر بلغ تعداده ثمانمائة مقاتل (١٦) . غيرأن ابا المحاسن يضيف فيقول أن جيش القرمطي كان يتكون من الف فارس والف راجل (١٧) . وصار

(١٥) مدينة كبيرة جيدة الاسواق يجيئهم الماء من الفرات كثيرة الحاكة واليهود . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢١) .

(١٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٤٩ .

(١٧) النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٣١١ . انظر كذلك الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٢٦ .

القرمطي يترصد قوافل حجاج عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م الراجعة من مكة ، فأوقع بقافلة مقدمة ، معظم من فيها من أهل بغداد فنهبهم [١٨] . واتصل الخبر ببقية الحاج فتريثوا في الطريق ، وحاول أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ، الموكل اليه مرافقة القوافل وسلامة طريق مكة ، أن يعرج بهم إلى طريق آخر ، غير أنهم استطالوا الطريق المقترح ولم يأخذوا برأيه ، وقد شحت موونتهم ، فخفوا السير عن طريق الكوفة ، فأوقع بهم القرامطة وأخذوهم ، وأسروا أبا الهيجاء بن حمدان ومن معه من حاشية الخليفة ، وفيهم احمد بن بدر عم السيدة ، وأخذ أبو طاهر القرمطي ما أراد من الأمتعة والاموال والنساء والصبيان وعاد الى هجر [١٩] ، فكان مقدار ما

(١٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٧ . رسائل الصابي ، ص ٢٥٥ ، مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢٠ . العيون، م.ق ، ج٤ القسم١ ، ورقة ١٠٩ ـ ب . (تحقيق نبيلة، ص ٣٠٩) . ياقوت ، معجم الادباء ج١ ص٢٩٩ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٣ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج٣ ، ص ٩٠ . ابن الوردي ، م.ق، ج١، ص٣٥٧. ابن العماد ، م.ق، ج٢ ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ . الشهابي، م.ق، ص ٢٣٩.

(١٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف، ص ٣٨١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢١ . الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص.٢٩٠. ابن الجوزي المنتظم ، ج٦ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير، الكامل ، ج٦ ، ص١٧٧. التنوخي الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص ١٨٧ . العيون، م.ق ، ج٤ ، القسم١ ورقة ١٠٩ ـ ب و ١١٠ ـ أب (تحقيق، نبيلة ص ٣٠٩ ـ ٣١٠). الذهبي . دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٧ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ص ١٥٣. ابن الوردي ، م.ق ، ج١، ص ٣٥٧ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٣١١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣، قسم٤ ص ٧٠ .

أخذه من الأموال يقارب ألف ألف دينار ومن الأمتعة نحو ذلك [٢٠] ، وترك بقية الحجاج في مواضعهم ، فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً ومن حر الشمس[٢١]. وليس كما ذكر أحد الباحثين من أن أبا الهيجاء بن حمدان زحف بجيشه في أثر القرامطة والتقى معهم ، ودارت بينهما معركة أسر فيها أبن حمدان[٢٢].

أن تعرض القرمطي لقوافل الحجاج ، بالشكل المروع الآنف الذكر ، أحدث دوياً هائلاً في عاصمة الخلافة العباسية ، بحيث سارت الجموع في شوارع بغداد من ذوي المنكوبين ، وزاد عددهم ، واشتد خطرهم عندما انظمت اليهم العناصر المعارضة للوزير آنذاك (وهو ابن ألفرات) ، وهاجموا المساجد وكسروا المنابر [٢٣] . ولعل مرد ذلك ناتج عن عظم الفاجعة وشدة ايلامها ، وكثرة عدد العوائل التي نكبت ووجود بعض أفراد حاشية الخليفة ضمن أولئك المنكوبين ، هذا أذا أضفنا الى كل ذلك العناصر المعارضة للوزير ، الذين أستغلوا حراجة الموقف وصاروا يحرضون الجموع الهائجة ، دافعين اياها لأحداث مزيداً من التخريب ومتهمين الوزير بميله

---

(٢٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٨٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٤٩ .

(٢١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ح ٦ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ، ١٧٧ . القلقشندي مآثر الاناقة ، ج١ ، ص ٢٧٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٤٩ .

(٢٢) ثامر ، قرامطة العراق ، ص ١١٢ .

(٢٣) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١١٠ — آ . (تحقيق نبيلة ، ص ٣١٢) . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٠ .

للقرامطة (٢٤) . لكن هذه التهمة تبدوا واهية ، لأن القرامطة أنفسهم لم يكن إنطباعهم عن ابن الفرات جيداً ، بعكس ما هو عليه بالنسبة لعلي بن عيسى (٢٥) .

وبما أن السلطة لم تحاول أن تثأر للضحايا من رعاياها الذين فتك بهم القرامطة وجعلوهم يهيمون على وجوههم في الصحاري الفقراء المجدبة ، بلا زاد ولا ماء ، ويلاقون حتفهم بهذا الشكل المؤلم . كل ذلك جعل القرمطي يعتد بقوته ، ويتمادى في اعتداءاته ، ويتوسع في أطماعه ، حيث لم يكتف بما كان تحت سيطرته في مناطق البحرين ، وانما طالب بضم منطقتي البصرة والأهواز اذ كان أبو طاهر الجنابي قد أطلق سراح من كان عنده من المحتجزين الذين اسرهم من الحجاج، وكانوا الفي رجل وخمسمائة إمرأة (٢٦) فيهم عبد الله بن حمدان وغيره ، وكلف ابن حمدان ليبلغ المقتدر بالله بطلبه ، لكن الاخير لم يجبه الى ذلك (٢٧) . وينقل لنا الذهبي عن لسان ابن حمدون من ان القرمطي قتل من ركب الحجاج ما يزيد على الالفي

(٢٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ج٦ ، ص ١٨٩ . العيون ، م.ق ، ج٤ ؛ ص ٣١١) .

(٢٥) عريب ، الصلة ، ص ١١٠ . العيون ، م.ق ، ج٤، القسم ١ ورقة ١١٠ — آ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣١١) .

(٢٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٠ .

(٢٧) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١١١ — ب . (تحقيق، نبيلة ، ص ١٣٥) . ابن الأثير الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٠ . الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٢٧ . دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٨ . ابن كثير البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٠ . ابن الوردي ، م.ق ، ج١ ، ص٣٥٧ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢١١ . البراقي ، م.ق، ص٣٧٦ .

رجل وثلثمائة امرأة (٢٨) ويضيف ابو المحاسن ان القرمطي قتل من الحاج ألفين ومائتي رجل ، ومن النساء ثلثمائة ، وبقي عنده في هجر الفان ومائتا رجل وخمسمائة امرأة (٢٩) .

ولما شعر القرمطي بأن مطاليبه لم تلب ، أعاد الكرة فأخذ يعترض قوافل الحجاج عام ٣١٢ هـ/٩٢٤ م ، حيث خرج من هجر لهذا الغرض (٣٠) ومعه الف فارس والف راجل (٣١) . وكان جعفر بن ورقاء الشيباني متقلدا اعمال الكوفة وطريق مكة ، فسار مع الحاج لحمايتهم من اعتداء القرمطي ، ومعه ألف رجل من بني شيبان كما رافق قوافل الحجاج جيش جهزه الخليفة المقتدر بالله ، قوامه ستة آلاف رجل على رأسه ثمل صاحب البحر ، وجني الصفواني ، وطريف السبكري وغيرهم (٣٢) . فلقيهم أبوطاهر القرمطي فكروا راجعين الى الكوفة ، وقاتلهم القرامطة عند بابها ، فانهزم جند الخليفة وقتل منهم عددا كثيرا وأسر جنيا الصفواني (٣٣) ، وبعدئذ دخل مدينة

---

(٢٨) دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٨ .

(٢٩) النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢١١ .

(٣٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٠.

(٣١) اليافعي ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٦٤ .

(٣٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨١ . الصابي ، رسائل الصابي ، ص ٢٥٦ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٤٥ — ١٤٦. ابن الاثير الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٠ .

(٣٣) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١.١٢ — ب . (تحقيق نبيبلة ، ص ٣١٧) . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٣. ابن الاثير الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٠ . البراقي ، م.ق ، ص ٣٧٦ .

الكوفة ، وأقام بظاهرها ستة ايام [٣٤] ، يدخل البلد نهارا ثم يخـرج في الليل الى عسكره [٣٥] ، وحمل منها ما قدر على حمله من الاموال والثياب والنساء وغير ذلك ، وعاد الى هجر ، بينما واصل المنهزمون سيرهم حتى وصلوا العاصمة [٣٦] .

وأزاء هذا الموقف المرتبك ، تحرج مركز الخلافة ببغداد ، وأصاب الناس الذعر الشديد ، حيث انتقل كثير من السكان الى الجانب الشرقي ولم يحج في هذه السنة احد [٣٧] الامر الذي اضطر المقتدر بالله أن يرسل مؤنسا المظفر على رأس جيش كبير الى الكوفة ، فبلغها بعد أن غادرهـا القرامطة[٣٨] ، ولم يجرأ جيش الخليفة من ملاحقة القرمطي ، بل انهـم قنعوا بذلك .

ولم يستطع حجاج عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ان يواصلوا سـيرهم

(٣٤) وينفرد ابن كثير حيث يقول بانه اقام شهرا . (البداية والنهاية ج١١ ، ص ١٥٢) .

(٣٥) مسـكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٤٦ . العيون ، م.ق ، ج٤ القسم ١ ، ورقة ١١٣ ـ آ . (تحقيق نبيلة ص ٣١٧). ابن الجوزي ، المنتظم ج٦ ، ص ١٩٦ . ابن الاثير ، الكامـل ؛ ج٦ ، ص ١٨٠ . البراقي؛ م.ق ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

(٣٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٠ .

(٣٧) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١١٣ ـ آ . (تحقيـق نبيلة ، ص ٣١٨) . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٠ . البراقي ، م.ق ، ص ٣٧٧ .

(٣٨) ابن الاثير ، الكامـل ، ج٦ ، ص ١٨٠ . العيون ، م.ق ، ج٤ القسم ١ ، ص ٣١٨ . (مطبعة النعمان) .

ويؤدوا فريضتهم الا بعد ان دفعوا فدية لاصحاب الجنابي ، فأمنوا بهـا شرهم (٣٩) . وهكذا رضي الخليفة ان يدفع رعاياه اتاوة الى القرامطـة بدون أن تحرك السلطة ساكنا . وكان سـكان مكة قد نقلوا حرمهم وأموالهم الى الطائف عندما بلغهم خبر نية توجه ابي طاهر القرمطي نحـو مكة (٤٠) ، من شدة فزعهم منـه ومن اتباعه . ولما قدم من خراسـان حجاج علم ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م مارين بالعاصمة بغـداد ، اقنعتهم السلطة بأحتمال تعرضهم لغارات القرامطة ، وان الدولة عاجزة عن حمايتهم ، وعليه بات من الضروري رجوعهم الى بلدهم ، وصرف النظر عن اداء فريضة الحج في هذه السنة (٤١) ، ولما شعر الحجاج بعدم قدرة الدولـة على ايقـاف هجمات القرامطة قفلوا راجعين الى بلدهم من غير ان يحجوا .

وقد بلغ من جرأة ابي طاهر سليمان الجنابي ، واستهانته بالخـلافة العباسية ، أن أغار في ذي الحجة سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، وروع العالم الاسلامي بأكبر حادثة ارتكبها القرامطة ، فتردد صداها في الآفاق ، وأدت

(٣٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٢ . الذهبي ، دول الاسلام ج١ ، ص ١٣٨ . العبر ، ج٢ ، ص١٥٤ . ابو المحاسن ، م.ق ، ج٣ ، ص٢١٣ .

(٤٠) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٤٧ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم١ ورقة ١١٣ — ب . (تحقيق نبيـلة ، ص ٣١٨) . ابن الجوزي ، المنتظم ج٦ ، ص ٢٠١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٤ . ابو المحـاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ٢١٥ . القرماني ، م.ق ، ص ٩٠ — ٩١ .

(٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ج٧ ، ورقة ٢٨ ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٩ . ابو المحـاسن ، النجوم ج٣ ، ص ٢١٥ . ابن كثير البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٤ . ابن العماد م.ق ، ج٢ ، ص ٢٦٨ .

الى طعن المسلمين في صميم معتقداتهم ، ذلك ان ابا طاهر القرمطي هاجم مكة في يوم التروية [٤٢] . وذكر الذهبي : ان عدد جيش القرمطي الذي سار به الى مكة تسعمائة مقاتل [٤٣]، في حين قال صاحب مخطوطة العيون والحدائق ان جيش ابي طاهر الذي قاده نحو مكة كان تعـــداده ستمائة فارس وتسعمائة راجل[٤٤] ، فنهب هو وأصحابه اموال الحجاج وقتلوهم في المسجد الحرام وفي البيت نفسه [٤٥] .

(٤٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠١ . الهمداني ، التكملة ج١ ، ص ٤٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ؛ ج٦؛ ص ٢٢٣ . وتلبيس ابليس؛ص١١٤ . ابن خلكان ، م.ق ، ج١، ص ٤١٠ . الذهبي، دول الاسلام، ج١؛ ص١٤٠ . والعبــر ، ج٢ ، ص ١٦٨ . ابن الوردي ، م.ق، ج١ ، ص ٣٦٠ — ٣٦١ . الصفدي ، الوافي بالوفيـــات، ج١٥ ، قسم ٢ ؛ ورقة ٥١ — آو ٥١ — ب . ابن شاكر الكتبي ، فوات ، ج١؛ ص ٣٥٣ . ابن كثير؛ البداية والنهـــاية ج١١ ، ص ١٦٠ . القلقشندي ، مآثر الاناقة ، ج١ ، ص ٢٧٩ . العصامي سمط النجوم العوالي ، ج٣ ، ص ٣٦٠ . القرماني ، م.ق ، ص ٩٠ . امير علي ، م.ق، ص ٢٦٢ . (ويشذ عريب عن جميع المصادر حيث ذكر ان قلع الحجر الاسود كان في عام ٣١٦ . الصلة ص ١٣٦) .

(٤٣) دول الاســلام ، ج١ ، ص ١٤١ .

(٤٤) ورقة ١٢٦ — آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤٨).

(٤٥) الصابي ، رسائل الصابي ، ج١ ، ص ٢٥٨ . مسكويه ، م.ق ج١ ، ص ٢٠١ . العيــون ، م.ق ، ج٤ ، القســـم١ ورقة ١٢٦ — ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤٩) . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص٢٠٤ . الذهبي العبر ، ج٢ ، ص ١٦٨ . الاصفهــاني ، تاريخ سني ملــوك ، ص ١٥٦ . ابن الوردي ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٦٠ — ٣٦١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ج١١، ص ١٦٠ . القلقشندي ، صبـــــح الاعشى ، ج٤ ؛ ص ٢٦٨ . ابن

وفي الوقت الذي كان الناس يطوفون حول الكعبة صاروا يتعرضون للقتل والتعذيب حتى ان بعض القتلى طرحوا في بئر زمزم ، ودفن الباقون في مصارعهم في المسجد الحرام بغير كفن ولا غسل ولاصلى على أحد منهم (٤٦) ، حتى بلغ عدد القتلى ثلاثين الف شخص (٤٧) ، وسبى من النساء والصبيان نحو ذلك (٤٨) ، وأخذ كسوة الكعبة ، فقسمها بين اصحابه ونهب دور أهل مكة (٤٩) حيث أخذ من قاضي مكة يحيى بن عبد الرحمن

حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٢ — ب . القرماني ، م.ق ، ص٩٠. متز ، م.ق ، ج٢ ، ص ٦٩ .

(٤٦) الصابي ، رسائل الصابي ، ج١ ، ص ٢٥٨. مسكويه ، م.ق ؛ ج١ ، ص ٢٠١ . العيون ، م.ق، ج٤ ، القسم ١ . ورقة ١٢٦ — ب. (تحقيق نبيلة ، ص ٣٤٩) . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك، ص١٥٥. ابن خلكان ، م.ق ، ج١ ، ص ٤١٠ . ابن الجوزي؛ المنتظم ؛ ج٦؛ ص٢٢٢. ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ؛ ص ٢٠٤ . الذهبي ، العبر ، ج٢، ص١٦٧ .ابن كثير البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٦٠ . السيوطي ، الخلفاء، ص ٣٨٣. ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٢ — ب . القرماني؛ م.ق؛ ص٩١.

(٤٧) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٦ . العيون، م.ق ، ج٤ القسم ١ ، ورقة ١٣١ — آ . (تحقيق نبيلة ، ص ٣٤٨). الذهبي دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٤٠ — ١٤١ . العبر ، ج٢ ، ص ١٦٩.

(٤٨) الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

(٤٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٢٠٤ . الاصفهاني، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٦ . ابن خلكان ، م.ق ؛ ج١ ؛ ص ٤١٠ . ابن حمدون التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٢ — ب . ابن كثير ، البداية والنهاية ؛ ج١١ ص ١٦٠ . عريب ، الصلة ، ص ١٣٦ .

ابن هارون فقط ما قيمتـه مائة الف دينار وخمسون الف دينـار (٥٠) .
وينفرد القرماني حين يذكـر بأن القرمطي هـوى بدبوس وضرب الحجر الاسود (٥١) .

ولكن بقية المصادر تجمع على ان القرمطي قلع الحجر الاسود، ونقله معه الى هجر، وقلع باب البيت (٥٢) ، وأخذ جميع ما كان فيه من «آثار الخلفاء

(٥٠) ابن حزم ، أنساب العرب ، ص ١٣٥ .

(٥١) اخبار الدول ، ص ٩٠ .

(ولعل وضع الحجر الاسود الحالي ، كما شاهدته بنفسي ، مما يؤيد هذه الرواية) .

(٥٢) ابن بطريق ، م.ق ، ج٢ ، ص ٨٤ . عريب ، الصلة ؛ ص١٣٦ . الصابي ، رسائل الصابي، ج١ ، ص ٢٥٨ . ابن حمدون ، التذكرة ؛ ج١٢ ورقة ١٣٢ — ب . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٠١ . العيـون ؛ م.ق ج٤ ، القسم ١ ، ورقـة ١٣١ — آ . (تحقيق ، نبيـلة ، ص ٣٤٨). ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٢٣ . ابن الاثير ، الكامل، ج٦ ؛ص١٠٤ . ابن خلكان ، م.ق ، ج١ ، ص ٤١٠ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص٢٦٢. الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٦ . الديار بكري ، تاريخ الخميس ج٢ ، ص ٣٥٠ . ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص ٩٣. الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٤٠ — ٤١ . دول الاسلام ، ج١ ، ص١٤٠ . العبر ، ج٢ ، ص ١٦٨ — ١٦٩ . ابن الـوردي ، م.ق ، ج١ ص ٣٦١ . ابن شـاكر الكتبي ، م.ق ؛ ج١ ؛ ص ٣٥٣ . ابن كثـير البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٦٠ . القلقشـندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ص ٢٦٨ . مآثر الاناقة ، ج١ ، ص ٢٧٩ . السيوطي ، الخلفاء ، ص٣٨٣. ابن العماد ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٧٤ . (ويقول صاحب مخطوطة العيـون والحدائق : ان الجنابي كان قد حمل الحجر الاسود الى هجر فهلك تحتـه

التي زينوا بها الكعبة ، وذهبوا بدرة اليتيم ، وكانت تزن فيما ذكر أهل مكة أربعة عشر مثقالا وبقرطي مارية وقرن كبش ابراهيم وعصا موسى ملبسين بالذهب مرصعين بالجوهر وطبق ومكبتة من ذهب وسبعة عشر قنديلا كانت بها ، من فضة كانت منصوبة في صدر البيت » [٥٣] . وقد بقي الحجر الاســود عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة الا شهر [٥٤] . حيث رد في ذي الحجة سنة ٣٣٩ هـ/٩٥٠ م، وكان أمير الجيش وقتئذ بجكم ، قد بذل في رده خمسين الف دينار ، لكن القرامطة رفضوا هذا العرض [٥٥]، وقالوا : « أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر » [٥٦] . وقيل ان ابا طاهــر باع الحجر الاســود بثلاثين الف دينار [٥٧] . اما الصابي فيذكــر ان

أربعون جملا ورقة ١٣٢ — آ . (تحقيق نبيلة ، ص ٣٦٠) . انظر كذلك الفرماني ، م.ق ؛ ص ٩١ .

(٥٣) عريب ، الصلة ، ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(٥٤) العيون ، م.ق ، ج٤ ؛ القسم ١ . ورقة ١٣١ — آ (تحقيــق نبيلة ، ص ٣٥٩) . ابن كثير ، البـــداية والنهـاية ، ج١١ ، ص ١٦١. القلقشندي ، مآثر الانافة ، ج١ ؛ ص٢٧٩ . (ويقول الاصفهاني : ان الحجر الاسود رد بعد ١٢ سنة ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٦) .

(٥٥) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٣١ — آ . (تحقيق نبيـــلة ، ص ٣٥٩) . ابن الوردي ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٦١ . القلقشندي مآثر الانافة ، ج١ ، ص ٢٧٩ . العصامي ، م.ق ، ج٣ ؛ ٣٦٠. الفرماني م.ق ، ص ٩١ .

(٥٦) العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١، ورقة ١٣١ — ب . (تحقيق نبيلة ؛ ص ٣٥٩). القلقشندي ، مآثر الانافة ، ج١ ، ص ٢٧٩ . العصامي م.ق ، ج٣ ، ص ٣٦٠ . البراقي ، تاريخ الكوفة ؛ ص ١٠٦ .

(٥٧) العيون ، م.ق ، ج٤ ؛ القسم ١ ، ورقة ١٣١ — ب . (تحقيق

الخليفة كان قد راسل ابا طاهر في ابتياع الحجر الأسود ، فأجابه إلى ذلك وباعه بخمسين الف دينار [٥٨] ، وينقل لنا الصابي رواية أخرى مفادها : أن القرامطة أخذوا الحجر الاسود مرتين [٥٩] ، فيحتمل انهم في المرة الاولى ردوه استجابة لكتاب عبيد الله المهدي الفاطمي ، والثانية ردوه بعد ان دفع لهم مبلغا من المال .

أما العصامي فينفرد برواية مفادها أن القرمطي إنما أخذ الحجر الاسود وحمله معه الى هجر ، لانه كان يريد بذلك ان يحول الحج الى بلده الذي سماه دار الهجرة ، وكان قد علق الحجر في صحن المسجد ، ورفض مبلغ خمسين الف دينار عرضه عليه الخليفة المطيع لله مقابل اعادة الحجر الاسود الى مكانه ، فلما يئس من تحويل الحج الى هجر وافق على رده الى مكة بعد أن بقي عنده اثنتين وعشرين سنة واربعة ايام [٦٠] . ومع أن هذه الرواية تنسجم مع منطق الاحداث الا انها تبدو ضعيفة لعدم تواترها في المصادر الاخرى .

وكان سليمان بن الحسن بن بهرام القرمطي قد أمر أحد رجاله ليقلع ميزاب الكعبة ، فلما صعد اليه سقط ودقت عنقه ، وحينئذ تهيب ابو طاهر وأمر بترك الميزاب في محله [٦١] .

نبيلة ، ص ٣٥٩) .

(٥٨) رسائل الصابي ، ج١ ، ص ٢٥٩ .

(٥٩) نفس المصدر والمكان . ابن شاكر الكتبي ، ج١ ، ص ٣٥٥ .

(٦٠) سمط النجوم العوالي ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ . انظر كذلك ابن الوردي ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣٦١ .

(٦١) الصابي رسائل الصابي ، ج١ ، ص ٢٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ج ٦ ، ص ٢٢٦ . ابن خلكان ، م . ق ، ج ١ ، ص ٤١٠ . ابن حمدون ،

وفي اثناء سيره في المسجد الحرام فوق جثث القتلى والجرحى كان يصيح مستهزئا : « اين الطير الابابيل .. يا حمار تعبدون الحجارة وتطوفون بها وتلثمون أركانها وترقصون حولها ، ما بال رؤوسكم اذا سنّوا لها سننا من الاباطيل لم يزله منها الا طنين السيوف » (٦٢) . وان صح هذا النص فانه يوضح لنا مدى ايمان القرامطة بالاسلام وشعائره وتعاليمه . وامام جثث القتلى وبين أنات الجرحى الاليمة ، كان القرمطي يقول بأستعلاء:

أنا الله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا (٦٣)

وهذا يثير استغراب الباحث ، لان الاسماعيلية والقرامطة كانوا قد لجؤا الى جذب الناس عن طريق الدين .

لم يحاول أبو طاهر القرمطي ان يخفي صلته وتبعيته للمهدي عبيد الله الفاطمي ، فعندما دخل مكة في سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م « خطب لعبيد الله صاحب افريقيا » (٦٤) .

ولما بلغ المهدي ابو محمد عبيد الله العلوي الفاطمي ، ما فعله ابو طاهر القرمطي بأهل مكة والحجاج ، وأخذه للحجر الاسود ، كتب اليه

التذكرة ، جـ ١.٢ ، ورقة ١٣٣ — آ . ابن الوردي ، م .ق ، جـ١،ص ص ٣٦٠ — ٣٦١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٠ .

(٦٢) العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٧ـآ . (تحقيق، نبيلة ، ص ٣٤٩) . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٠.

(٦٣) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤١ . العبر ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٠ .

(٦٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٢٦٨ . مآثر الاناقة ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ .

ينكر ذلك ويقول : « وقد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت وان لم ترد على اهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الاسود الى مكانه وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة » (٦٥) . وازاء هذا التهديد الصريح من جانب عبيد الله المهدي أضطر أبو طاهر الى اعادة الحجر الاسود (٦٦) وأستعاد ما أمكنه من الأموال العائدة لأهل مكة (٦٧) . وإن اجابة القرمطي على رسالة الفاطمي توضح صلة القرامطة بالفاطميين في المغرب .

وازاء هذا الجو المضطرب ، فلم يحج أحد ولا وقف بالناس امام(٦٨) ، فتعطل الحاج من العراق إلى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م (٦٩) . ولم تقم الخلافة العباسية ، وقتذاك ، باي عمل لصد أبي طاهر القرمطي ، بل اكتفى الخليفة المقتدر بالله بأنفاذ رسالة اليه يوبخه فيها ويتوعده ، فرد عليه أبو طاهر بما يدل على عدم اكتراثه به (٧٠) . وهكذا تجلى ضعف الخلافة حتى أصبحت

---

(٦٥) الصابي ، رسائل الصابي ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ . ابن خلكان ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص٢٠٤ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٩٤ .

(٦٦) وهذا ما يؤيد النص القائل بأن القرامطة أخذوا الحجر الاسود مرتين . (أنظر رسائل الصابي ، ص ٢٥٩ . وابن شاكر الكتبي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٥٥) .

(٦٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦١ .

(٦٨) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤١ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٩ .

(٦٩) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٢٦٨ .

(٧٠) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ، ص ٣٣ — ٣٥ .

عاجزة عن حماية الحجاج والاراضي المقدسة .

وقد وصف القرامطة من جانب المصادر المعاصرة بأنهم زنادقة وبقايا أهل الردة (٧١) ، لأن إبتعادهم عن المفاهيم الاسلامية كان كبيراً وحاداً ، كما أن غلوهم كان واضحاً . وينقل لنا صاحب المنتظم رواية عن القاضي أبي الحسين عبد الله بن احمد بن عياش انه رأى : « قرمطي سكران وقد دخل المسجد بفرسه فصفر له حتى بال في الطواف وجرد سيفه ليضرب به من لحق .. فلحق رجلاً فضربه فقتله ثم وقف وصاح يا حمير أليس قلتم في هذا البيت من دخله كان آمناً فكيف يكون آمناً وقد قتلته الساعة بحضرتكم (٧٢) ». وأقام القرمطي بمكة ثمانية أيام ، يدخلها في الصباح ويخرج في المساء ، وكان أصحابه يعيثون في المدينة المنكوبة ، يقتلون وينهبون دون أن يردعهم وازع ديني أو انساني الى ان خرجوا منها نهائياً (٧٣) . وكان أمير مكة محمد بن اسماعيل قد خرج الى القرمطي في جماعة من الاشراف ، فسألوه في

---

(٧١) العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٧ ـ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤٩) . ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٨٥ . الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٢ .

(٧٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ . انظر كذلك الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

(٧٣) العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٦ ـ ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤٩) . وهناك رواية تقول بأن القرمطي اقام بمكة ١١ يوماً . الاصفهاني ، تاريخ سني ص ١٥٦ . العصامي ، ٣/٣٦٠ . القرماني ، م . ق ، ص ٩١ .

أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم أجمعين [٧٤] .

وفي طريق عودتهم الى هجر تعرضت لهم قبيلة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر في شعاب ومضايق جبال الحجاز ، فحاربوهم حرباً شديدة ، وفي اثناء أحتدام القتال تخلص كثير من الرجال والنساء المأسورين . ومع ذلك أجتاز القرامطة جبال الحجاز في الوقت الذي كانت تقلهم مائة الف بعير عليها أصناف المال والمتاع التي نهبوها من مكة [٧٥] .

وهناك رواية تؤكد على أن القرامطة لا يفكرون في أحد من الصحابة[٧٦] ومن المعلوم أن أبا طاهر القرمطي كان قد دخل الكوفة عدة مرات ، فما فكر ، ولو مرة واحدة في زيارة قبر الامام علي عليه السلام ، كما أنه اجتاز مرقد الحسين مرات عديدة ولم يعرج لزيارته أو قراءة الفاتحة على

---

(٧٤) الصابي ، رسائل الصابي ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ . العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٦ — آ . (تحقيق ،نبيلة،ص٢٤٩).ابن الوردي ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٦٠ — ٣٦١ . (ويقول ابن كثير:ان أمير مكة خرج الى القرمطي، هو وأهل بيته وسأله وتشفع اليه أن يرد الحجر الاسود، وبذل له جميع ما عنده من الاموال فلم يلتفت اليه ، فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر من معه . (البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦١). ويقول الذهبـي ، العبر ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ . (أن اسم امير مكة هو ابن محارب) .

(٧٥) العيـون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٦ — ب. (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٤٩) .

(٧٦) أنظر ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٢٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦١ .

قبره (٧٧) .

ويخال للباحث أن هذا الحادث الجلل لم تردد اصداوءه في قصور العاصمة العالية ، ولم يؤثر في أهل ذلك العصر ، وبخاصة رجال السلطة ، منهم ، على ما كنا ننتظر له من أثر . وربما كان ما ولده من الاستنكار والسخط الشديد لدى الأجيال التالية ، أكثر بكثير من مسؤولي تلك الفترة، وإلا أين الأجراءات الكفيلة التي اتخذت لرد الحجر الأسود إلى مكانه والثأر للضحايا الأبرياء الذين قتلوا في الحرم المكي ، بل أين جيش الخلافة من هذا الاختطاف المروع ؟ هل أصبح هؤلاء لايكترثون بالدين ، ولا يقيمون له وزناً ؟ . وعندئذ صاروا غير ملزمين بالمحافظة على مقدساته . أم أن بريق الحضارة الذي شعَّ نوره خلال هذه الحقبة ، مال بالعواطف والأهواء نحو الترف وملاذ الحياة ، وأضعف الشعور الديني الذي كان هو الأقوى فيما مضى .

٤ ـ الحمدانيون وخلافة المقتدر بالله :

آ ـ الحسين بن حمدان وتمرداته :

أنخرطت الأسرة الحمدانية في خدمة الخلافة العباسية ، وأصبحت دؤوبة على انتهاز الفرص لأثبات اخلاصها وولائها كلما أسعفتها الظروف . وكان الحسين بن حمدان قد حظي بتقدير الخليفة المعتضد الذي خلع عليه (٧٨)

(٧٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٤ .

(٧٨) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ص ٢١٥٠ ـ ٢١٥١ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٨١ .

واستجاب الخليفة لطلبه حين وافق على تكوين فرقة في الجيش النظامي من قبيلة تغلب بلغ تعدادها خمسمائة فارس يتناولون أرزاقاً معينة من الدولة ، ويكونون تحت قيادة الحسين (٧٩) . وهذا بلا ريب يشير بوضوح الى ارتباط مصالح الحمدانيين بالخلافة العباسية ، وان الدولة صارت تعتمد عليهم كثيراً .

ومن ذلك الوقت بدأت شهرة الحمدانيين تظهر للوجود ، وقاموا بدور هام في الحوادث السياسية التي وقعت في العصر الذي نحن بصدد البحث فيه . وقد بدأ نجم الحسين بن حمدان في الصعود المفاجيء ، حيث كرس نفسه للقضاء على المعارضين للسلطة أياً كانوا ، لأنه كان من طراز القادة الواقعيين الطموحين الذين أتقنوا الأفادة من الظروف السيئة التي كانت تمر بها الخلافة العباسية آنذاك (٨٠) .

لقد أثبت الحسين بن حمدان انه كان قائداً عسكرياً ناجحاً وموفقاً ، وبطلا شجاعا ورئيساً مطاعاً (٨١) ، كرس حياته للجندية التي احترفها وبرع فيها وتفتحت قابلياته بها ، وبذلك نال اعجاب وتقدير المسؤولين . وقد وجدت في خزانته نيف وعشرون طوقاً لنيف وعشرين فتحاً بالمشرق والمغرب(٨٢) .

ان الدور الفعال الذي كان الحسين بن حمدان قد لعبه في خلافتي

---

(٧٩) أبو فراس ، الحارث بن سعيد بن حمدان ، ديوان أبو فراس ، شرح ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن محمد ، تحقيق ، سامي الدهان ، (دمشق : ١٩٤٤) ، ص ١٢٨ و ١٦٥ .

(٨٠) السامر ، الحمدانيون ، جـ ١ ، ص ٨٧ .

(٨١) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .

(٨٢) ابن خالويه ، شرح ديوان أبي فراس ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ .

المعتضد والمكتفي والخدمات الجلى التي قدمها للدولة ، جعلته يشعر بالأعتزاز والفخر والثقة بالنفس ، اذ أصبح في الصفوف الأولى بين رجالات الدولة آنذاك حيث برهن في مناسبات عديدة على أنه يتمتع بأرادة قوية ، وعزيمة كبيرة ، كان من الممكن ان تؤهلانه لأن يلعب دوراً كبيراً في الحياة السياسية والعسكرية وقتئذ .

وبعد موت المكتفي بالله سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م (٨٣) ، وتقلد المقتدر بالله نجد الحسين بن حمدان يقف في الصفوف الخلفية ، ولا يسهم في عملية اختيار الخليفة الجديد ، لا من قريب ولا من بعيد (٨٤) . ولعله كان يشعر بأنه كان عليه ان يدلي بدلوه في هذا المجال ، وهذا ما يفسر لنا عدم رضاه عن الخليفة الصبي ، الأمر الذي أدى الى أن يحدث تغييراً جذرياً في موقف الحسين بن حمدان من السلطة ، فتحول من الولاء لها الى المعارضة العنيفة .

ويعزو الدكتور السامر هـذا الموقف الى أن الحسين كان من أشد المعارضين في تقلد المقتدر ، وسعى للحيلولة دون مجيئه ، فلما غلب على أمره انحاز إلى الحزب المعارض للخليفة الجديد واشترك في مؤامرة ضخمة لخلعه وتولية عبد الله بن المعتز (٨٥) . ولم يوضح لنا المؤلف معارضة

(٨٣) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٨٠ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٠ . مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ . عريب الصلة ص ٢١ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٦٧ .

(٨٤) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٠ — ١٤٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣ . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص ١١٧ .

(٨٥) السامر ، الحمدانيون ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

الحسين ابن حمدان لتقلد المقتدر ، كما ان المصادر الاساسية لم تذكر أي نص يشم منه معارضة الحسين بن حمدان لمجيء المقتدر ، اذ كانت المشاورات تجري بين أطراف الجانب المدني • وقد استبعدت منها نهائياً العناصر العسكرية (٨٦) •

ويخال للباحث أن معارضة الأمير الحمداني للخليفة الجديد ظهرت بعد تقلده منصب الخلافة ، ذلك أن الخليفة الصبي ، لم يكن مدركاً أهمية الجانب العسكري في الأحداث • وبحكم صغر سنه ، وابتعاده عن مجاري الأمور لم يقدر الدور الكبير الذي كان الحسين بن حمدان قد لعبه خلال عهدي أبيه المعتضد وأخيه والمكتفي • فالتعيينات الجديدة التي أحدثها الخليفة الجديد أبان تسنمه مقاليد السلطة ، لم تعترف بحق القائدالشجاع، ولم تقدر بلاءه السابق في مقارعة خصوم الخلافة العباسية في شرق الدولة وغربها • ولعل القائد الحمداني كان يطمح لأن يصبح قائداً أعلى للجيش ، تقديراً لمواقفه وخدماته ولكنه ، على ما يظهر ، أصيب بخيبة أمل عندما لمس ان العناصر غير العربية تستأثر بالحكم ، وهاله التدخل السافر من قبل الحريم في شؤون الدولة العامة ، وهو الرجل المقدام ألذي طبعته ألجندية على أن يكون صريحاً مقوماً لكل أعوجاج •

فلا غرابة أن يصبح الحسين بن حمدان من أبرز العناصر التي شجبت مجيء المقتدر ، الأمر الذي دفعه الى أن يسهم بصورة فعالة ، في المؤامرة التي حيكت ضد الخليفة الجديد ، وأستهدفت الأطاحة به ، وناصرت تقلد

---

(٨٦) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٠ ، مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١١٧ .

عبد الله بن المعتز [٨٧] . ولما وجد أن هناك قسماً كبيراً من رجال السياسة يتعاطف معه ويؤيده في هذا الاتجاه [٨٨] ، أقدم بدون تردد ، ومع سبق الأصرار ، على قتل الوزير العباس بن الحسن حين رأى منه ميلاً نحو بقاء المقتدر في منصبه [٨٩] . ثم أسرع الحسين بن حمدان الى الحلبة على

(٨٧) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٢ . عريب، الصلة ، ص ٢٥ . مسكويه م . ق ، جـ ١ ، جـ ١ ، ص٥ . ابن الجوزي، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٨٠ . ابن حمدون التذكرة ، جـ ١٢ ، ورقة ١٢٨ـ آ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٢١ . الديار بكري ، م . ق، جـ٢، ص ٣٤٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٢ . العبر ، جـ ٢، ص ١٠٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٧ . اليافعي ، م.ق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥ . ابن العماد ، م . ق ، جـ ٢ ، ص٢٢١ . ابن العبري، م . ق ، ص ١٥٥ .

(٨٨) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ص ٢٢٨٢ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٦ مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢ . العيون ، م . ق، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦١ ــ ب و ٦٢ ــ آ (تحقيق ، نبيلة، ص٢٠٩). ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص‌ص ٨٠ ــ ٨١ . الذهبي ، العبر ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ . الديار بكري ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٣٤٥ . ابن حمدون، التذكرة ، جـ ١٢ . ورقة ١٢٨ ــ آ . اليافعي ، م . ق ، جـ٢، ص٢٢٥ . ابن العماد ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ .

(٨٩) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٢ . المسعودي، التنبية والاشراف ، ص ٣٧٦ . مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٢٢ . الصابي، الوزراء ، ص‌ص ١٠٠ ــ ١٠١ مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦، ص١٢١ . الديار بكري ، م . ق ، جـ ٢ ، ص ٣٤٥ . الذهبي ، دول الاسلام، جـ ١،

أمل أن يجد المقتدر يلعب الكرة هناك ليقتله ، غير أن الخليفة احس بالخطر فدخل قصره وأغلق دونه الأبواب [٩٠] . وقد اجتمع في قصر سليمان بن وهب بالمخرم القواد وكتاب الدواوين والقضاة وكلهم متفقون مع وجهة نظر ابن حمدان فبايعوا ابن المعتز وخلعوا المقتدر بالله [٩١] .

قاد الحسين بن حمدان جنده وهاجم دار الخلافة [٩٢] ، يريد القبض

ص ١٣٢ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٠٤ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٢٨ — آ . اليافعي ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ . ابن العماد ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .

(٩٠) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢١ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٨ — ب . الديار بكري ، م . ق ، ج٢ ، ص ٢٤٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٢ . العبر ، ج ٢ ، ص ١٠٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٧ . اليافعي ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ . ابن العماد ، م . ق ، ج٢ ، ص٢٢١ .

(٩١) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٨٢ . ابن حمدون ، التذكرة ، ج ١٢ ، ورقة ١٢٨ — ب . مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ٥ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦٢—آ . (تحقيق نبيلة ، ص ص ٢٠٩ — ٢١٠) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص٨١ . ابن الاثير ، ج ٦ ، ص ١٢١ . الديار بكري ، م.ق ، ج ٢ ، ص٣٤٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٢ . العبر ، ج٢ ، ص ١٠٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٧ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ص ٧٥٣ — ٧٥٤ . اليافعي ، م . ق ، ج٢ ، ص ٢٢٥ .

(٩٢) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، ج ٣ ، ص ٢٢٨٢ . عريب ، الصلة ،

على الخليفة المخلوع ، لكنه وجد مقاومة شديدة من حرس الدار (٩٣) . وفي آخر النهار أدرك عقم حصاره حيث شعر بأن الأمور أخذت تجري في غير صالح المتآمرين ، عندئذ جمع أمواله وسار ليلاً مع أهله الى الموصل (٩٤) ، تاركاً وراءه الجماعة التي كان متفقاً معها بالأمس . وقد أنقذه هذا الموقف من مصير سيء محتم ، اذ استطاع حرس القصر احباط

ص ٢٧ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٦ . العيون،م.ق،جـ٤،القسم ١ ، ورقة ٦٢ ـــ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢١٠) .ابن الجوزي،المنتظم، جـ ٦ ، ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٢١ .الديار بكري،جـ ٢ ص ٣٤٦ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٢ . والعبر،جـ٢، ص ١٠٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٧ . اليافعي، م.ق ، جـ٢ ، ص ٢٢٦ . ابن العماد ، م.ق ، جـ٢ ،ص ص ٢٢١ـ٢٢٢.

(٩٣) عريب ، الصلة ، ص ٢٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١، ص٦. ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ،جـ٦،ص ١٢١ . الديار بكري ، م. ق، جـ٢ ، ص ٣٤٦ . الذهبي ، دول الاسلام، جـ ١ ، ص ١٣٢ . ابن كثير البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٧.

(٩٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٦ . ابن حمدون،التذكرة ، جـ ١٢ ، ورقة ١٢٨ ـــ ب . العيون ، م . ق ، جـ٤ ،القسم١،ورقة ٦٢ ـ ب (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢١٠) ابن الجوزي ، المنتظم ،جـ٦،ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٢١ . ابن كثير ، البداية والنهاية، جـ ١١ ، ص ١٠٧ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم٤ ،ص٧٥٥. اليافعي ، م.ق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ . ابن العماد ، م.ق، جـ٢ ،ص٢٢٢. ابن العبري ، م . ق ، ص ١٥٥ .

المؤامرة ، وأعيد المقتدر الى كرسي الخلافة ، ونكل بأنصار ابن المعتز بين قتل ونفي ومصادرة (٩٥) .

ويتساءل ابن الأثير عن الموقف الغامض الذي وقفه الحسين بن حمدان فيقول : « أن ابن حمدان على شدة تشيعه وميله الى علي عليه السلام وأهل بيته ، سعى لابن المعتز على انحرافه عن علي وغلوه في النصب الى غير ذلك (٩٦) » . ويبرر عريب أقدام الحسين بن حمدان قتل الوزير على أنه سمع العباس بن الحسن يكفر ويستخف بحق الرسول (ص) ويدعي على أنه كان أجيراً لخديجة (٩٧) . ولكن اذا جاز لنا أن نزجع أقدام الحسين بن حمدان على قتل الوزير الى أمور دينية ، فما هي الحجج والمبررأت التي يتذرع بها المؤرخون لتبرير أضرار الأمير الحمدآني على قتل الخليفة المقتدر نفسه اذ « ندم الحسين حيث لم يبدأ بالمقتدر (٩٨) » . وقد وصف متز العملية التي أقدم عليها الحسين بن حمدان على أنها نوع من نقض العهود (٩٩) . وبذلك قال شاعرهم :

فتكنا جهاراً بالوزير « وفاتك » وما الفارس الفتاك إلا المجاهر (١٠٠)

---

(٩٥) عريب ، الصلة ، ص ٢٨ . مسكويه ، م . ق ، ج ١، ص٧. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

(٩٦) الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٢ .

(٩٧) الصلة ، ص ٢٦ .

(٩٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

(٩٩) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري ، ج ١ ، ص ص ٤٦ — ٤٧ .

(١٠٠) ابن خالويه ، شرح ديوان أبي فراس ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

ولكن لماذا تولى الدافع الديني كل هذا الأهتمام ، ونفترض على أنه وحده هو الذي كان يتحكم في تسيير الحسين بن حمدان متناسين مصالحه الشخصية ، واطماعه الذاتية ، وتربيته العسكرية ، التي كان لها الدور الأكبر في تصرفاته ، خاصة بعد أن : « تغير العباس [بن الحسن] — على القواد واستخف بهم وأشتد كبره على الناس واحتجابه عنهم واستخفافه بكل صنف منهم ، وكان قبل ذلك صافي النية لعامة القواد (١) ».

وربما بدا الحسين بن حمدان غامضاً عندما خذل أنصار ابن المعتز بفراره المفاجيء والغير متوقع ، مما أدى الى انهيار معنويات جماعته ، كما أثار شكوكهم ، واضطربوا وهربوا على وجوههم قبل أن يصل اليهم اعداؤهم (٢) ، حيث أعتقدوا : « ان الحسين بن حمدان عرف ما يجري فهرب من الليل وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر (٣) » .

وتبدو هذه التهمة ضعيفة ذلك ان المقتدر جد في ملاحقة الحسين بن حمدان ، حيث أرسل قوة عسكرية بقيادة القاسم بن سيما ، وكتب الخليفة الى أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان ، والي الموصل ، يأمره بمحاربة الحسين وضرورة القبض عليه (٤) . وتعاون أبو الهيجاء مع القاسم بن سيما على

(١) عريب ، الصلة ، ص ٢٥ .

(٢) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٦ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٥٥ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٢١ .

(٤) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ٣ ، ص ٢٢٨٤ . عريب ، الصلة ، ص ٣٠ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٢ . والعبر ، جـ٢ ، ص ١٠٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٥٦ .

محاربة الحسين حيث التقوا معه عند تكريت ، فأنهزم أمامهم (٥) . وهناك رواية تقول أن أبا الهيجاء لـم يـكن جاداً في محاربة أخيـه ، فتظاهر بالهزيمة (٦) . وهذا ما يدعو الباحث الى الاعتقاد بأن هناك اتفاقاً بـين الأخوين . ويفسر أحد الباحثين عمل الحسين بن حمدان هذا ، على أعتبار أن الحمدانيين أول أسرة شيعية تتدخل في الأمور العامة (٧) .

وعلى كل حال فأن الظروف سرعان ما تغيرت بحيث أصبحت في صالح الحسين بن حمدان ، اذ أرسل أخاه ابراهيم بن حمدان إلى بغداد يطلب له الأمان من الخليفة ، ومن المدهش أن المقتدر يجيب طلب الحسين ويعفو عنه (٨) . والأنكى من ذلك أن المقتدر لم يكتف بهذا العفو ، بل خلع على الحسين بن حمدان وعقد له على قم (٩) وقاشان (١٠) فسار اليها في

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٢٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ص ٧٥٦ .

(٦) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٤ .عريب ،الصلة ، ص ٣٠ .

(٧) متز ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .

(٨) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٤ .عريب ،الصلة ، ص ص ٣٠ ـ ٣١ . العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ،ورقة ٦٤ ـ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢١٦) . بن الأثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٢ . ابن العماد ، م . ق ،جـ ٢ ، ص ٢١٢ .

(٩) قم : وهي أحد مدن اقاليم الجبل ، واكثر أهله شيعة . (المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٩٥) . وكان خراج قم الف الف درهم (المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٤٠٠) . وقم مدينة تذكر مع قاشان ، قرب اصبهان واهلها من الشيعة الامامية . (الذهبي ، العبر ، جـ ٢ ، ص ١٠٥) .

(١٠) قاشان : هي احدى مدن اقليم الجبل ، على تخوم المفازة ، كبيرة

أواخر سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م (١١) . ويذكر صاحب المنتظم أن الوزير ابن الفرات هو الذي حث الخليفة على أصدار العفو عن ألحسين على أساس أن يفتح صفحة جديدة ويتجاوز عن الماضي وملابساته . وقد وافق المقتدر بالله على اقتراح وزيره هذا (١٢) .

وهكذا تحول العدو المتآمر بالأمس الى نصير اليوم . وقد حارب الحسين بن حمدان أعداء الدولة المتمردين ، ألذين أثاروا ألقلاقل في شرق الامبراطورية العباسية عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م (١٣) . والظاهر أن الحسين

الاسم قديمة الرسم ، حولها مزارع حسنة ، ولهم حذق فى عمل القماقم ، وبها عقارب عجيبة . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٩٠) وخراج قاشان ألف الف درهم . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٠) .

(١١) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٤ . العيون ، م . ق ، جـ٤ ، القسم١ ، ورقة ٦٤ ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص٢١٦) . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص ١٣٢ . ابن خلدون العبر ، المجلد ٣ ، القسم٤ ، ص ٨١١ . اليافعي ، م.ق ، جـ٢ ، ص ٢٢٦ . ابن العماد ، م . ق ، جـ٢ ، ص٢٢٢ .

(١٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٨٢ .
SOURDEL , op , cit , TOME II , p . 379 .

(١٣) عريب ، الصلة ، ص ٣٤ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص١٧ . ابن خالويه ، شرح ديوان أبي فراس ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ وابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٦ .

لم يطق الاقامة في تلك البلاد النائية ذات الظروف الطبيعية القاسية [١٤] ، على الرغم مما بذل لـه من الأموال [١٥] ، حيث عاد في السنة التالية ، وربما كان يريد أن يعيش في العاصمة ، ليكون قريباً من الأحداث العامة الدائرة فيها ، ويساهم في توجيه الأمور حسب ما يرتئيه • ولكن على ما يبـدو أن السلطة شعرت بنواياه فأوجست خيفة من بقائه في العاصمة بغداد ، خاصة وهو ذو أنصار وطموح ، فحاولت ان تبعده مرة أخرى ، بدون أن تستفزه ، فحال وصوله خلع عليه [١٦] ، وقلد أعمال ديار ربيعة [١٧] ، فسار لاستلام منصبه الجديد [١٨] •

والظاهر أن عملية الأبعـاد هـذه تمت من قبـل الوزير ابن الفرات ، الذي لم تكن صلته بالحسين بن حمدان على ما يرام • ويخيل لي أن الخليفة والوزير أرتكبا خطأة كبيرة بأبعادهما ابن حمدان عن العاصمة ، اذ لم يحاولا أن يعملا توازناً بين فرق الجيش وقادته ، ذلك ان خروج الحسين بن حمدان عن بغداد ، فسح المجال لمؤنس الخادم في الظهور كأقوى شخصية عسكرية في العاصمة ، الأمر الذي جعله يتدخل في الأمور العامة يوجهها وفق مصالحه الخاصة •

---

(١٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٩٤ .

(١٥) ابن خالويه ، شرح ديوان أبي فراس ، ج ٢ ، ص ١٣٠–١٦٦ .

(١٦) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .

(١٧) ديار ربيعة : ديار ربيعة قصبتها الموصل ، ومن مدنها الحديثة . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٧) .

(١٨) الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٣ . والعبر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ . (ويقول أبو المحاسن عين على ديار ربيعة وديار بكر (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٧٤ . وكذلك ابن العماد ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧) .

وبدلاً من أن ينال الحسين بن حمدان التقدير اللائق على الانتصارات التي حققها ضد الروم على الحدود الشمالية في سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م [١٩]، ازدادت مخاوف السلطة منه ، معتقدة أن له نوايا في أعلان استقلال الحمدانيون في الموصل وديار ربيعة ، الأمر الذي حفز السلطة إلى أن تقلد يمن الطولوني على ولاية الموصل [٢٠] .

والظاهر أن روح التمرد والعصيان تأصلتا في نفس الحسين بن حمدان، وكان يتحين الفرص للوثوب والتمرد على السلطة . فلما علم بتحرج مزكز الخلافة على أثر مهاجمة عبيد الله المهدي لمدن الأقاليم المصري في سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، وإنشغال الجيش العباسي بصد هذا الهجوم [٢١]، اضافة إلى تعيين وال جديد لمنطقة الموصل [٢٢] . كل ذلك حفز الحسين ابن حمدان الى أن يمتنع عن دفع المال المقرر عليه رغم الحاح الوزير علي أبن عيسى [٢٣] . وان اعادة تقليد ولاية الموصل لأخيه أبي الهيجاء [٢٤] لم

---

(١٩) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٩ . ابن الجوزي، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص١٦٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٠ . الشهابي ، م . ق، جـ١، ص ٢٣٥ .

(٢٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤٤ .

(٢١) ن . م ، ص ١٤٧ . أنظر كذلك الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٧ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٨٨ .

(٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤٤ .

(٢٣) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٧ . ابن الاثير ، الكامل، جـ٦، ص ١٥١ .

تثنه عن السير في تمرده الذي اتسم بطابع العنف والقوة وخاصة في سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م عندما أمره الوزير بتسليم البلاد التي تحت إدارته الى عمال الخليفة ، فامتنع (٢٥) ، وأعلنها ثورة عارمة ومن ورائه عشرون الف فارس (٢٦) ، على حين كان جيش الخلافه بقيادة رائق الكبير أربعة الآف فارس (٢٧) .

ولما كان الحسين بن حمدان وجيشه يحاربون في منطقة خبروا سهولها ووهادها وجبالها ، فقد تمكن أن يضيق الخناق على جيش الخلافة ، ولم يتخلص الجيش الأخير من المأزق الذي وقع فيه ، إلا بعد ان جاءته تعزيزات جديدة بقيادة مؤنس الخادم الذي قدم لتوه من بلاد الشام (٢٨) . وبحضور مؤنس أرض المعركة أرتفعت معنويات الجيش العباسي المحاصر ، في الوقت

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٥٠ .

(٢٥) ن . م ، ص ١٥١ .

(٢٦) نفس المصدر والمكان . (ويقدر عريب جيش الحسين بن حمدان بـ 1.5 ألف فارس . الصلة ، ص ٥٦) . (ويقول مسكويه : أن جيش الحسين ٣٠ الف فارس . تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٣٧) .

(٢٧) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٣٧ . العيون ، م.ق، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٨٥ — آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٦) . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٥١ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص ١٣٥ . العبر ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ . ابن العبري ، م . ق ، ص ١٥٥ .

(٢٨) عريب ، الصلة ، ص ٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٥١ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ٧ ، ورقة ٧ . ودول الاسلام ، جـ١ ، ص ١٣٥ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٨٨ . ابن العبري ، م . ق ، ص ١٥٥ .

الذي أصاب جيش ابن حمدان الفتور والتفكك .

لقد جد مؤنس في طلب الحسين بن حمدان ورفض الرسالة التي بعثها ابن حمدان يعتذر فيها عما قام به من أعمال التمرد (٢٩) ، ويعزو سبب تمرده الى الاهمال الذي لاقاه من لدن الوزير (٣٠) . ولم تذكر المصادر أي اهمال قصد الأمير الحمداني ، ويخال للباحث أن الحسين بن حمدان كان يرى أنه أولى من غيره في التكليف لصد جيوش عبيد الله المهدي عن المدن المصرية ، خاصة وقد شهدت ساحات المعارك هناك لابن حمدان جولات ناجحة ، أظهر فيها هذا القائد الشجاع ، مقدرة عسكرية فائقة . ولم يفصح المؤرخون عن أسباب استبعاد الحسين عن مثل هذه المهمة . ويبدو لي أن صلة الحسين المذهبية مع الفاطميين هي من أولى العوامل التي دفعت السلطة إلى عدم التفكير في ارسال الحسين بن حمدان على رأس جيش كبير الى مصر لمحاربة عبيد الله المهدي هناك .

ومهما يكن فقد بقي الجيش العباسي يطارد الحسين بن حمدان حتى تمكن من أسره هو وأبنه عبد الوهاب وجميع أهله واستولى على أمواله (٣١) .

---

(٢٩) العيون ، م.ق ، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٨٥ — آ . ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٦١) . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ،ص١٥١ .

(٣٠) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص‌ص ٣٦ — ٣٧ .
BOWEN , op . cit . p . 142 .

(٣١) عريب ، الصلة ، ص‌ص ٥٦ — ٥٧ . مسكويه ،م.ق ، جـ ١ ، ص‌ص ٣٧ — ٣٨ . العيون ، م.ق ، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٨٥—آ—ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٦١) . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ،ص١٥١ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ٧ ، ورقة ٧ . ودول الاسلام ، جـ١ ، ص

عاد الجيش المنتصر وفي موكبه الحسين بن حمدان وآل بيته ، فأركب الحسين على جمل مصلوباً وتحته كرسي يدور ، فيدور الحسين من فوقه يميناً وشمالاً ، وقد ألبس ملابس التشهير ، ولما أمتنع ابنه عن وضع البرنس على رأسه قال له الحسين : « ألبسه يابني فأن أباك ألبس البرانس أكثر هؤلاء الذين تراهم [٣٢] » وكان يطاف بالمشهرين في أرجاء بغداد ، فلما بلغ الموكب سوق يحيى قال له أحد الهاشميين شامتاً : « الحمد لله الذي أمكن منك . فقال له الحسين : والله لقد امتلأت صناديقي من الخلع والألوية ، وأفنيت أعداء الدولة ، وإنما أصارني الى هذا الخوف على نفسي ، وما الذي نزل بي إلا دون ما سينزل بالسلطان إذا فقد من أوليائه مثلي [٣٣] » .

وهنا نلمس أن الحسين بن حمدان ، وهو في هذا الموقف المهين ، لم يفقد الثقة بنفسه ، ولم يسكت على منتقديه ، وإنما ردهم بعنفه المعهود ، متوعداً الخليفة أن هو فرط به وبأمثاله الذين قدموا خدمات كبيرة للدولة ، وقد تنبأ بأن مصير الخليفة سيؤول الى حالة أسوأ من الحالة المشينة التي عومل بها الحسين نفسه . ومما يدل على أهمية القبض على الحسين بن حمدان ، أن الدولة كانت قد كافأت الجنود الذين تولوا أخماد حركته ،

---

١٣٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٤٩ . ابن العماد ، م . ق ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ . الشهابي ، م . ق ، ص ٢٣٦ .
BOWEN , op . cit . p . 142 .

(٣٢) عريب ، الصلة ، ص ٥٧ . ابن خالويه ، شرح ديوان أبي فراس ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ .

(٣٣) عريب ، الصلة ، ص ص ٥٧ — ٥٨ .

بأن زادت في ارزاقهم الشهرية (٣٤) .

وعلى كل حال ، فقد أودع الحسين بن حمدان السجن ، حيث سجن بدار زيدان القهرمانة (٣٥) ، وقبض على أكثر أخوته وبقية أفراد عائلته وسجنوا جميعاً (٣٦) ، عدا ابنه حمزة وابن أخيه الغطريف يحيى بن علي بن حمدان الذين هربا ومعهما مال كثير ، لكن عامل آمد قبض عليهما وصادر هذه الأموال وحبسهما فمات الغطريف في الحبس وأرسل رأسه الى بغداد كما أرسل حمزة الى العاصمة أيضاً (٣٧) ، وظل الحسين بن حمدان في السجن إلى أن مات ميتة غامضة في سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م (٣٨) ، دعت بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأنه ذبح في السجن (٣٩) ، وهو أقرب الى الصواب .

وهناك رواية مفادها أن الوزير ابن الفرات كان قد اقترح على الخليفة أطلاق سراح الحسين بن حمدان وارساله على رأس جيش لمحاربة المتمرد يوسف بن أبي الساج . وقد فسر اقتراح الوزير هذا على أنه تواطوء مع

---

(٣٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ص ٣٨ .

(٣٥) عريب ، الصلة ، ص ٥٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص٣٨ . العيون ، م.ق ، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٨٥ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٦١) ابن الاثير ، الكامل جـ٦ ، ص ١٥١ .

(٣٦) عريب ، الصلة ، ص ٥٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص٣٨ .

(٣٧) عريب ، الصلة ، ص ٥٧ .

(٣٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٢ .

(٣٩) عريب ، الصلة ، ص ٧٧ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ٧ ، ورقة ٩ . ودول الاسلام ، جـ١ ، ص ١٣٦ . أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٩٤ .

الحسين بن حمدان ويوسف بن أبي الساج للزحف على بغداد وعزل الخليفة المقتدر بالله (٤٠) . ويخيل لي أن التفسير الأخير لأقتراح الوزير كان بعيداً عن الواقع ، وإنما هو من بنات تفكير العناصر غير العربية ، وعلى رأسها مؤنس الخادم ، ونصر الحاجب وبقية أفراد الحاشية ، التي كانت تخشى أن تفقد مراكزها وأطماعها في حالة وجود شخصية عربية عسكرية شجاعة ، ذات قابليات فذة ، وأطماع عريضة ، فاذا ما تمكنت من أن تستعيد مركزها ، ونفوذها العسكري مرة أخرى ، أصبحت امتيازات الحاشية مهددة بالزوال الأكيد .

وهكـذا أنتهت حياة الحسين بن حمدان ، التي كانت سلسلة من المجهودات العنيفة ، والمحاولات الدائبة للوصول إلى المراكز العليا . وعلى الرغم من أنه كان يعتبر قائداً عسكرياً شجاعاً (٤١) ، إلا انه كانت تنقصة الحنكة السياسية ، وربما لم يستفد من (كتاب السياسة) الذي كان الحسين ابن منصور الحلاج قد ألفه وأهداه لهذا الامير (٤٢) .

والظاهر أن الحسين بن حمدان كان يحاول ان يسبق الزمن ، ويستعجل الأمور قبل أوانها ، مما يجعل مطاليبه في بعض الأحيان ، بعيدة المنال هذا إذا ما أضفنا المعوقات التي كان يضعها رجال دار الخلافة أمامه ، والتي كانت تجد القبول الحسن من لدن الخليفة نفسه ، الذي لم يغفر للحسين ابن حمدان اشتراكه في حركة عبد الله بن المعتز بالرغم من مرور فترة زمنية كافية ، برهن خلالها الأمير الحمداني على تفانيه في خدمة الدولة والدفاع

(٤٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٠ .
(٤١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ .
(٤٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٨٦ .

عنها . ومهما يكن من أمر فأن الباحث يستطيع أن يضع الحسين بن حمدان في مقدمة امراء بني حمدان في الشجاعة وقوة الشخصية والمثابرة ، وان كانت الظروف لم تسعفه في الوصول الى أهدافه العراض .

ب — أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان :

وثمة شخصية عسكرية وادارية أخرى من بني حمدان ، لعبت دوراً بارزاً في أحداث هذا العصر ، هو أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي ، الذي سيكون له شأن في التأثير على الأمور العامة ، ذلك أن أبا الهيجاء كان يعتبر من أشهر امراء بني حمدان ، لأنه كان قائداً مقداماً ، خاض حروب ومعارك في عهدي المكتفي والمقتدر (٤٣) .

قلد أبو الهيجاء بن حمدان امارة الموصل سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م (٤٤)، وفي الأول من شهر محرم قصد عبد الله بن حمدان الموصل لأستلام منصبه الجديد (٤٥) ويبدو أن أبا الهيجاء كان راغباً بهذه الوظيفة ، ومندفعاً لأدائها بكل ما أوتي من مقدرة ودراية ومهارة ، ففي اليوم التالي لوصوله الى مقر عمله ، خرج لعرض الرجال الذين قدموا معه من العاصمة ، والذين

(٤٣) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤١ . الصابي، رسوم دار الخلافة ص ٧ .

(٤٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١١١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / القسم ٤ ص ص ٧٤٨ — ٧٤٩ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ٧٢ .

(٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١١١ .

أنضموا اليه من أهالي الموصل [٤٦] وهذا الاجراء يوضح لنا اهتمام أبي الهيجاء دون ريب بالروح العسكرية ، معتقداً انه بها يستطيع أن يحافظ على أمارته ، وبها يصون الحدود الشمالية للدولة العباسية ، وبذلك تتعزز مكانته في عاصمة الخلافة على الرغم من بعدها عنه •

لقد تحرج موقف عبد الله بن حمدان ازاء الصراع الحاد ، الذي دار بين أخيه الحسين بن حمدان ، والخليفة المقتدر بالله ، على أثر احباط حركة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م • ومما زاد في اشتداد المأزق الذي وقع فيه عبدالله ابن حمدان ، أن كتب اليه الخليفة يأمره بمحاربة أخيه الحسين وتسليمه[٤٧]• فأضطر أبو الهيجاء الى أعداد جيشه الذي لم يستطع أن يصمد أمام هجمات الحسين فأنهزم [٤٨] • وان هزيمته هذه أثارت شكوك المؤرخين القدامى وحتى الباحثين المحدثين الذين فسروا هزيمة أبي الهيجاء على انها مواطأة تمت بينه وبين أخيه الحسين • وحتى المؤرخين الذين ذكروا بأن الحسين ابن حمدان هو الذي أنهزم أمام جيش الخليفة وجيش أخيه [٤٩] ، أولوا

---

(٤٦) نفس المصدر والمكان .

(٤٧) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ٣ ، ص ٢٢٨٤ . عريب ، الصلة ، ص ٣٠ . مسكويه م . ق ، جـ١ ، ص ١٥ . العيون ، م.ق، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٦٤ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢١٦) . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٥ .

(٤٨) الطبري ، م . ق ، المجلد ٤ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨٤ . عريب ، الصلة ، ص ٣٠ ، مسكويه ، م.ق، جـ١ ، ص ١٥ . العيون ، م.ق، جـ ٤، القسم ١ ، ورقة ٦٤ — ب . (تحقيق نبيلة ، ص ٢١٦) .

(٤٩) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٥ .

ذلك الفرار على أنه ، تم بناء على مساجلات سرية تمت بين الأخوين ، كان الغرض منها ان لايقع الحسين أسيراً في قبضة جيش الخلافة .

ومهما يكن الأمر فقد يجد الباحث بعض التبريرات لأبي الهيجاء ، عندما اتخذ مثل ذلك الموقف . فلابد أنه وقع في حيرة ، أيخون منصبه ويعصي أوامر الخليفة ؟ أم يضحي بأخيه ويراه يطعن بحراب جنده في ساحة المعركة ؟ لاشك أن كل تلك التساؤلات وغيرها كانت تراود مخيلة عبدالله أبن حمدان ، على إفتراض ، أن رواية الطبري السابقة صحيحة . وإذا أفترضنا من الأهواء والعواطف ، فلابد أن يستصوب الخطوة التي أتخذها عبدالله أبن حمدان ، افتراض ، أن رواية الطبري السابقة صحيحة . وإذا أفترضنا صحة هذه الرواية فمن الأجدر بنا أن نقر ونعترف ببعد وجهة نظر عبدالله ابن حمدان ، حيث رأى بثاقب بصره ، ان الخلافة العباسية بأمس الحاجة الى خدمات أخيه وقابلياته الفذة ليدرأ بها عن حياض الأمبراطورية الاسلامية ضد أعدائها الكثيرين المتربصين بها الدوائر ، في الداخل والخارج ، وفعلاً حدث ما كان يتوقعه أبو الهيجاء ، حيث عفا الخليفة عن أخيه (٥٠) ، وخلع عليه ، وربما كان لعبد الله بن حمدان دور ما في هذا المجال .

وبصورة مفاجئة وغير متوقعة ، يطرق سمع عبد الله بن حمدان أن أخاه الحسين تولى ، بأمر من الخليفة ، أعمال ديار ربيعة سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م (٥١) . وهكذا جعل الحسين كشريك لأخيه عبد الله بن حمدان الذي كان يتولى وقتئذ الموصل منذ سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م كما مر معنا سابقاً .

(٥٠) عريب ، الصلة ، ص ٣١ . مسكويه ، م.ق ، جـ ١ ، ص ١٥ .

(٥١) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ١ ، ص ١٣٣ . العبر ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ .

وهنـا يتساءل المتتبع ماذا كانت السلطة في بغداد ترمي من وراء هـذا التعيين ؟ فأن كانت تروم أبعاد الحسين عن بغداد خوفاً مما قد يثير عليها من مشاكل ؟ فهناك مناطق وأقاليم أخرى ، كان بأستطاعتها تقليده اياها • ألا يجوز أن الخلافة في العاصمة أرادت ان توقـع بين الأخوين ؟ وتثير الضغائن والاحقاد ، وروح المنافسة فيما بينهما لعلها تستطيع أن توقد نار فتنة بين أفراد قبيلة تغلب ، التي صار الخليفة يشك في ولائها منذ عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م •

وبذلك فأن الذين عملوا على الايقاع بين الأخوين ، قد خاب فألهم وفت في عضدهم ، ذلك أن ما توقعوه من الأصطدام والتنافس ، لم يقع أصلاً • وربما شعر الأخوان ما يراد بهما شخصياً ، وما يبيت لقبيلتهما من التمزق والضياع ، ليصفو الجو للعناصر غير العربية لكي تستأثر بالسلطة ، وتوجهها الوجهة التي ترتئيها • ومع ذلك كله حصل الأتفاق والتفاهم بين الأخوين ، حيث وجه الحسين بن حمدان للأعمال العسكرية تاركاً لأخيه أبي الهيجاء الشؤون الادارية في الاقليم (٥٢) •

ولما لم يقع ما كان يتوقعه البعض ، وتريده السلطة من الاصطدام بين أبي الهيجاء وأخيه ، وصاروا يوهمون الخلافة بأن للحمدانيين نوايا مريبة ، يرمون من ورائها التمهيد للأستقلال في مناطق الموصل وديار ربيعة • وهذا مما زاد في مخاوف المقتدر منهما ، وصار لا يثق بهما ، الأمر الذي حفزه على أن يعزل أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان عن ولاية الموصل في صفر من

---

(٥٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٢١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٠ .

سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م [٥٣] . وان هذا الاجراء لابد أن يكون له رد فعل من قبل الحمدانيين . فقد أعتقد أبو الهيجاء أن الأجراء الاخير الذي أتخذ بحقه أملته الظروف العامة السائدة في عاصمة الخلافة العباسية ، ولربما جال في ذهنه ، بأن هناك من كان يحقد عليه وعلى قبيلته العربية ،التي كانت العناصر الأثيرة لدى الخليفة ، تخشى من ازدياد نفوذها .

واذا جاز لنا أن نحمل الاحداث والوقائع أكثر مما يثبته التفسير الظاهري للنصوص ، نقول أنه كان في العاصمة بغداد عناصر كانت تخشى أن تفقد مراكزها العليا في الدولة ، ونفوذها الواسع ، وامتيازاتها الكثيرة، في حالة تمكن زعماء قبيلة تغلب العربيـــة من الحصول على ثقة الخليفة وأعتماده عليهم . ويخال لي أن المقتدر بالله لو كان بعيد النظر حصيف الرأي ، عاركاً للأمور ، عليماً بالسياسة ، لما جعل هذه الفرصة النادرة تفلت من يده ، ولأستطاع أن يفك الطوق المحكم الذي ضربته عليه تلك العناصر المستفيدة من فساد الاوضاع السائدة آنذاك .

ومهما يكن من الأمر ، فأنه بات من المحتم على أبي الهيجاء أن يعمل شيئاً ما تجاه السلطة التي أقصته عن ادارة المنطقة التي كان يتولاها منذ حوالي ثماني سنوات ، فليس من المتوقع ان يقف عبد الله بن حمدان مكتوف اليدين ، ويستسلم للصفعة التي وجهت اليه ، فأعلن تمرده في الموصل عام ٣٠١ هـ / ٩١٣ م [٥٤] . وبذلك قال عريب : « ورد الخبر بوثوب أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بالموصل ، ومعه جماعة من الأكراد ، وكانوا

(٥٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤٤ .

(٥٤) عريب ، الصلة ، ص ٤٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٤٤ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٤٩ .

أخواله لأن أمه كردية ، وأغاث الجند أهــل الموصل فقتلت بينهم مقتلة عظيمة وصار أبو الهيجاء الى الأكراد وتأمر عليهم كالخالع للطلعة [٥٥] » .
والظاهر أن عبد الله بن حمــدان أراد ان يستفيــد من أخواله الأكراد ، بالاضافة إلى أفراد عشيرته . ولما كان أخوه الحسين بن حمدان قد أعلن تمرده هو الآخر ، على السلطة ، بنفس الفترة ، وتقاعس عن دفع ما بذمته من أموال [٥٦] . فمن المحتمل أن يكون قد حصل اتفاق بين الأخوين في اعلان حركتهما معاً ، مستفيدين من الارتباك الذي كانت تعانيه الخلافــة العباسية وقتئذ من جراء المنافسات الحادة بين أفراد الحاشية [٥٧] ، والهجمات المتتابعة التي كانت تتعرض لها الحدود الغربية للأمبراطورية العباسية .

ولكن أبا الهيجاء سرعان ما أستسلم لجيش الخلافة الذي قصده بقيادة مؤنس الخادم ، فسلم نفسه وسار مع مؤنس الى بغداد [٥٨] . وبدلاً من

(٥٥) الصلة ، ص ٤٢ .

(٥٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥١ .

(٥٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٤٧ . تاريخ الاسدم ، ج ٧ ، ورقة ٥ . دول الاســـلام ، ج١ ، ص ١٣٤ . العبر ، ج٢ ، ص ١٢١. السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٠ . ابن الوردي ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٥٠ . العيون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ، ورقة٨٣ — ب و ٨٤ — ب.(تحقيق، نبيلة ، ص ٢٥٦) . الكنـــدي ، الولاة ، ص ٢٦٩. المقريزي ، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي ، الخطط ، ج١، ص ١٧٤ . ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج٣ ، ص ٨٥ . ابن العماد ، م.ق ، ج٢ ، ص٢٣٨. ابن بطريق ، م.ق ، ج٢ ، ص ٧٩ — ٨٠ . اليافعي ، م.ق، ج٢، ص٢٣٨. السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص ١٤٩) .

(٥٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٤٤ . ابن خلدون ، العبــر ،

أن ينال المتمرد ، في نظر السلطة العقاب الذي يستحقه من لدن الخليفة المقتـــدر بالله جزاء تمرده على السلطة ، نجـد الخليفة يخلـع عليه ويسترضيه (٥٩) . وبذلك انصاع أبو الهيجاء للأمر الواقع ، وقنع بالسلامة تاركاً أخاه وحده في الميدان يقارع جيش الخلافة . ولعلها كانت مساومة ، تم بها التفاهم ، بين السلطة وعبد الله بن حمدان ، نجحت فيها السلطة في استعادة أبي الهيجاء ، مرة أخرى الى صفوف الموالين لها . ومقابل ذلك أرادت الدولة أن تبرهن له صفاء نيتها معه مرة أخرى ، فأعيد تقليده ولاية الموصل من جديد في سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م (٦٠) . وربما كان هـــذا الاجراء الاخير ، اشارة واضحة ، الى أن أبا الهيجاء لم يعد يثير مخاوف الدولة وفزعها ، بعكس الانطباع المكون ضد أخيه الحسين بن حمدان .

وعلى ما يبدو أن نية السلطة لم تكن صادقة كلياً تجاه عبد الله بن حمدان ، فمجرد أن تمكن أحد اولاد الحسين بن حمدان من الفرار من السجن ، حتى أمر الخليفة بالقبض على أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلى جميع أخوانه (٦١) واذا كان الاتهام الذي وجه لأفراد أسرة بني حمدان

المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٤٩ .

(٥٩) عريب ، الصلة ، ص ٤٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٤٤ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٤٩ .

(٦٠) ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٢٩ — ب . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٠ . ابن خـــلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ص ٨١١ — ٨١٢ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص ١٨٥ .

(٦١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٣٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥١ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج١ ، ص ١٣٢ . ابن خلدون ، العبر المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٨١١ — ٨١٢. ابن العبري ، م.ق ، ص١٥٥.

صحيحاً ، وانهم فعلاً تمكنوا من أن يخلصوا أحد أفراد أسرتهم من السجن ، فلابد اذن من أن يكون لهم نفوذ واسع في داخل قصر الخلافة ، وان هناك من يتعاطف معهم ، وبقي هؤلاء في السجن الى سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م حيث تم أطلاق سراحهم وخلع عليهم (٦٢) .

وفي سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م قلد أبو الهيجاء طريق خراسان (٦٣) ، وبعدها أسهم مع مؤنس في محاربة يوسف بن أبي الساج بناء على طلب والحاح مؤنس الخادم (٦٤) ، فلما أشتدت الحرب حمل أبو الهيجاء مع من معه من جند العرب فخرق الصفوف نحو يوسف حتى ضربه وأسره (٦٥) . ونظراً للدور البطولي الذي كان قد لعبه أبو الهيجاء في هذه الحرب ، وتمكنه من اخماد تمرد ابن أبي الساج خلع عليه الخليفة مع جملة من القواد (٦٦) . ولكن القائد الحمداني ، قدم ستمائة الف درهم كمساعدة

(٦٢) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ١٩ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٥٩ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ج٧ ، ورقة ٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص٧٤٩ . (غير ان ابا المحاسن يقول فأنه تم اطلاق سراح عبد الله بن حمدان في سنة ٣٠٤هـ /٩١٦ م . النجوم الزاهرة ١٩٢/٣) .

(٦٣) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٢١ . (ويقول صاحب مخطوطة العيون في سنة ٣٠٨ هـ . ورقة ١٠١ ـ ب) .

(٦٤) ابن خالويه ، ديوان ابي فراس ، ج٢ ، ص ١٣١ .

(٦٥) ن.م ، ص ١٦٨ .

(٦٦) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٠ . العيون ، ورقة ٩٨ ـ آب . عريب ، الصلة ، ص ٧٧ .

مالية لابن أبي الساج عندما أطلق سراحه فيما بعد [٦٧] . والظاهر أن أبا الهيجاء استعاد ثقة الخليفة به ، فتعززت مكانته ، ونفذت رغباته ، ففي سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م خلع عليه المقتدر وقلده الدينور [٦٨] وخلع على أخويه أبي العلاء سعيد بن حمدان وأبي السرايا نصر بن حمدان [٦٩] .

وعلى أثر تعاظم نفوذ القرامطة وتهديدانهم لقوافل الحجاج خلع على أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان في سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م ، وقلد اعمال طريق الكوفة ، وطريق مكة [٧٠] . ونظراً للخدمات الكبيرة التي قام بها في هذا المجال ، حيث أشاع الأمن والاستقرار ، خلع عليه المقتدر مرة أخرى في سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م وطوق وسور [٧١] . وبناء على ذلك صار ملزماً بالمحافظة على تأمين طرق الحاج ، وسلامة الحجاج ، في ذهابهم وأيابهم . وأزاء ذلك شعر أبو الهيجاء بخطورة المهمة الملقاة على عاتقه . لذلك قرر

---

(٦٧) ابن خالويه ، شرح ديوان ابي فراس ، ج٢ ، ص ١٣٢ .

(٦٨) هي ماه الكوفة ، طيبة عامرة ، ظريفة الاهل ، مجتمعة الاسواق ، باردة الماء لا نرى انظف منه ، وقد جعلوا في أفواه اي لعيون مزملات يخرج منها الماء ، وهي تتفجر عيونا ، وقد احدق بها بساتين . (المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٩٤) .

(٦٩) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٢٢ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٧٥ . ابن لاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٦٦ .

(٧٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣١ . مسكويه م.ق ، ج١ ، ص ١٢٠ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٢٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٥٩ — ١٨٨ . ابن كثير البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٥٠ . ابن خلدون ، العبر المجلد ٣ رقم ٤ ، ص ٧٩٠ .

(٧١) الهمداني التكملة ، ج١ ، ص ٣٠ .

مرافقة قوافل الحاج عام ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م ، وكان الوزير وقتئذ (ابن الفرات) قد أطلق له مائة الف دينار ، وحثه على ضرورة أخذ الحيطة واليقظة لسلامة الحجاج [٧٢] . ومع ذلك فقد أسر أبو الهيجاء مع جماعة كبيرة من الحجاج من قبل القرامطة [٧٣] . ولكن القرمطي ، ما لبث أن أطلق سراح عبد الله بن حمدان [٧٤] .

ومن الملاحظ أن الحمدانيين لم يهتموا بالنواحي العمرانية ، والظاهر أنهم أنصرفوا كلياً إلى الجوانب العسكرية التي برعوا فيها كثيراً . ومن هنا أتسمت معاملاتهم مع سكان المناطق التي كلفوا بادارتها بطابع العنف والقوة ، مما حدا ببعض الباحثين أن يرجع هذا الأسلوب إلى خصال البدو المتأصلة في نفوس هؤلاء ، ويقسو عليهم اكثر عندما يذكر أن همهم في الحكم هو نهب أموال الرعية وجورهم على الزراع وعداوتهم للعمارة ، ونقضهم للعهود [٧٥] . وربما كان ذلك متأت من طبيعة الحرفة التي أمتهنوها . غير أن ذلك لاينطبق على أفراد هذه الأسرة في كل الأحوال ،

(٧٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

(٧٣) العيون ، ١٠٩ — ب و ١١٠ — آ . الصابي ، الوزراء ، ص٥٧ . عريب الصلة ، ص ١١٩ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٨٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٧ . اليافعي ، م.ق ، ج٢ ، ص ٢٦٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/ قسم٤ ، ص٧٩٠ .

(٧٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ١٣٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٨٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٠ . الذهبي ، دول الاسلام ج١ ، ص ١٣٨ . العبر ، ج٢ ، ص ١٥٢ . اليافعي ، م.ق ، ج٢ ، ص٢٦٥ .

(٧٥) متز ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٦ — ٤٧ .

فقد قام عبد الله بن حمدان ببناء حصن على مشهد الامام علي (رض) وشيد على القبر قبة عظيمة مربعة الأركان لها باب من كل جانب ، وسترها بفاخر الستور ، وفرشها بالفرش السامانية الثمينة (٧٦) .

والظاهر أن ابا الهيجاء أراد ان يكون قريباً من الأحداث الدائرة في العاصمة بغداد . ليسهم بها ، فأناب عنه ابنه الحسن (ناصر الدولة) في إدارة ولاية الموصل وطريق خراسان ، ولم يكن عبد الله بن حمدان بمعزل عن الأشراف على ادارة تلك المناطق ، ولو بصورة غير مباشرة ، فلما أفسد الأكراد والعرب عام ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م بأرض الموصل وطريق خراسان ، كتب أبو الهيجاء الى ابنه طالباً منه النزول الى تكريت للالتقاء به حيث اتفقا على معالجة هذه الظاهرة التي حدثت في ولايتهما ، وقد تمكن الحسن ابن أبي الهيجاء من أن يجبر الأعراب على رد ما أخذوه وقتل عدداً منهم. كما طارد الأكراد الجلالية حتى سهل شهرزور واستطاع أن يجلبهم الى طاعته (٧٧) .

ويبدو أن مهمات عبد الله بن حمدان لم تقتصر على الشؤون الادارية والعسكرية ، التي كان يتقلدها هنا وهناك ، وكثيراً ما كان ينجح بها، وربما لازمه سوء الطالع في أحيان أخرى . وقد لا تدر مثل هذه الاعمال ربحاً كبيرة ، وبذلك لم نعد نسمع أن أبا الهيجاء اتجه الى جمع الثروة ، حيث أصبحت هذه الصفة ، ديدن الرجال المسؤولين في ذلك العصر وشغلهم الشاغل . غير أن عبدالله بن حمدان انساق مع هؤلاء في هذا الاتجاه ،

(٧٦) لسترانج . بلدان الخلافة ، ص ١٠٤ . متز ، م.ق ، ج١ ص ١٤٠ .

(٧٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٣ .

فضمن اعمال الخراج والضياع بالموصل ومناطق أخرى قريبه منه في سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (٧٨) • ومع ذلك بقي دون مستوى اولئــك الذين حصلوا على الثراء الفاحش على حساب المصلحة العامة •

وخرج عبد الله بن حمــدان ، وبعض أخوته في أصحابه وأعرابه ، لمؤازرة جيش الخلافة للدفاع عن بغداد عندما بات يهددها خطر القرامطة عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م (٧٩) ، وكان هو صاحب فكرة قطع قنطرة نهر زبارا (٨٠) ، حيث حال هذا القطع دون عبور القرامطة لهذا ألنهر وعدم وصولهم إلى ضواحي العاصمة (٨١) •

وأحسب ان عبد الله بن حمــدان ، لم يحاول أن يثبت له ولقبيلته العربية ، مواقف مستقلة ومميزة عن بقية فرق الجيش ، التي كانت غالبية أفرادها من المرتزقة الأعاجم • وهو بذلك يخالف ما كان عليه أخوه الحسين ابن حمدان ، الذي سبق أن شهدنا مواقفه في هذا الخصوص قبل قليل في هذا الفصل • وأرى انه كان ينبغي على أبي الهيجاء أن يشعر الخليفة المقتدر بضرورة الأعتماد عليه ، وعلى بني تغلب ، الذين كان لزاماً عليهم أن يشدوا

---

(٧٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٥ •

(٧٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٢ . العيون ، ورقــة ١٩٩ ــ ب عريب الصلة ، ص ١٣٢ . مسكويه م.ق ، جـ١ ، ص ١٧٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٧ •

(٨٠) مسكويه ،م.ق ، جـ١ ، ص ١٧٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٨٧ . ابن خالدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٣ •

(٨١) انظر مسكويه ،م.ق ، جـ١ ، ص ١٧٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٧ •

من أزر الخليفة ويدعموا موافقه علّة يستطيع أن يتخلص من قبضة العناصر التي أصبح أسير أهوائها واطماعها . وبدلاً من ان يتخذ عبد الله بن حمدان، موقفاً مؤازراً ، نراه ينحاز تزلفاً ، الى مناوئيه ، منطلقا من مصالحه الشخصية . ففي عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م انحاز بجانب قائد الجيش مؤنس المظفر ضد الخليفة ، عندما ظهرت الوحشة بينهما . وكان من أشد المؤيدين لمؤنس ، حيث قال له : « نقاتل بين يديك أيها الاستاذ الى أن تنبت لك لحية (٨٢) » .

والظاهر أن أبا الهيجاء قد ذهب بقوله هذا الى أبعد حدود التأييد للقائد مؤنس الذي لايمكن ان تنبت له لحية لأنه خصي .

ويتمادى عبدالله بن حمدان في تأييده لمؤنس . ويظهر كأقوى المناصرين له ضد الخليفة ، بحيث انه يصر على ملازمته للقائد ، ويمتنع عن الانصراف عنه ، على الرغم من حصول التفاهم بين الخليفة وقائده ، ذلك ان أبا الهيجاء أقسم بأن لن يبرح دار مؤنس ليلاً ونهاراً ، وانه سوف يركب معه الى دار الخلافة ليطمئن على سلامته (٨٣) .

وهنا يتساءل الباحث عن دوافع هذا التأييد الغريب ، الذي تجاوز حدوده ، وهل ان ابن حمدان كان صادقاً في إندفاعه هذا ، ومعتقداً به كل الاعتقاد ؟ أم انه أراد ان يقف مع الجانب الأقوى . مؤيداً للباطل على الرغم من وضوحه ؟ . أما كان على هذا (القائد) العربي ، ان ينظر

(٨٢) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ١٦٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٦ .

(٨٣) العيون ، ورقة ١١٥ – آ . مسكويه ، م.ق ، جـ ١ ، ص ١٦٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٠٦ .

أبعد ، ويدقق في جوانب الصراع الدائر بين الخليفة وقائده ، ويتبين مدى صحة الادعاءات التي كان يتذرع بها خصوم الخليفة ، الذين كانوا يريدون أن يفرضوا مشيئتهم عليه ، ويسيروه وفق مصالحهم الذاتية .

وفي سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م انحاز أبو الهيجاء مع نازوك صاحب الشرطة ضد الخليفة ، لأن الأخير كان قد عزل عبد الله بن حمدان عن ولاية الدينور . واستغل الصراع الذي دار بين هارون بن غريب الخال ، وصاحب الشرطة ، حيث جاهر بتأييد الأخير [٨٤] ، وكان من الذين كتبوا الى مؤنس يحثونه على ضرورة العودة الى بغداد ، وأسرع أبو الهيجاء لملاقاته في الطريق ، مظهراً تأييده المطلق له [٨٥] . ولما أبعد هارون بن غريب الى الثغور الشامية أرجف النـــاس بأن نازوك وأبا الهيجاء وافقا مؤنساً المظفر على استبدال المقتدر بخليفة غيره [٨٦] .

وما زال أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ، مـع غير من المناوئين ، يحثون مؤنساً الى أن وافقهم على خلع المقتدر [٨٧] ، وعندئذ هجموا على

---

(٨٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٧ . عريب ، الصلة ، ص ص ١٣٨ — ١٣٩ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ١٩١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ .
Sourdel , op . cit , Tome 11 , p . 450 .

(٨٥) العيون ، ورقة ١٢١ — آ . عريب ، الصلة ، ص ١٣٩ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ١٨٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٢١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٥ .

(٨٦) العيون ، ورقة ١٢١ — ب . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ١٩٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠٠ .

(٨٧) مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ١٩٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ

دار الخلافة وقبضوا على المقتدر وعائلته [٨٨] ، ومضى عبد الله بن حمدان مسرعاً الى دار ابن طاهر ليحضر محمد بن المعتضد حتى يقلدونه الخلافة [٨٩].

والظاهر أن أبا الهيجاء كان ضمن شهود العيان ابان قيام المقتدر بخلع نفسه ، وبذلك أظهر تأسفه لهذا الموقف المؤلم ، مذكراً المقتدر ، ما سبق أن نصحه وحذره من عواقب السياسة التي كان يتبعها المقتدر ، ويبدو أن عبد الله بن حمدان كان صادق القول في هذا المجال ، بحيث كانت عيناه تدمعان وهو يردد تلك الأقوال أمام الخليفة المعزول [٩٠] .

ولكن كيف يستطيع أن يوفق بين أفعاله ومواقفه السابقة ، وبين عواطفه وأقواله الأخيرة مع المقتدر . فعلى الأرجح كان مرائياً وكاذباً في أقواله الأخيرة ، وبكائه أمام المقتدر . ولا يمكن أن يفسر هذا النوع من السلوك إلا أن صاحبه كان يركض وراء مصالحه الخاصة ، ذلك أن المقتدر كان قد عزله من ولاية الدينور ، على أمل ان يقلده منصباً أكثر أهمية [٩١]،

---

٦ ، ص ٢٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٠٠ . سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٧٢ .

(٨٨) عريب ، الصلة ، ص ١٤١ .

(٨٩) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٧ . العيون ، ورقة ١٢٣ـآ . عريب ، الصلة ، ص ١٤٢ . الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٥٦ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦، ص ٢٢٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠١ . الذهبي ، دول الاسلام ١٤٠/١ . العبر ، ١٦٦/٢ . ابن خلدون ٧٩٦/٤ .

(٩٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٠١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ / قسم ٤ ، ص ٧٩٧ .

(٩١) عريب ، الصلة ، ص ١٤٠ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص

فأغتاض وبدأ يعمل مع المتآمرين ، وقد استطاع أبو الهيجاء أن يحقق منافع ذاتية كبيرة ، فبعد أن تم تقليد الخليفة الجديد كافأ عبد الله بن حمدان بأن أقطعه حلوان (٩٢) والدينور وهمذان (٩٣) ، وكرمان (٩٤) ، والصيمرة (٩٥) ، ونهاوند (٩٦) ، وشيراز (٩٧) وغيرها ، مضافاً الى ما بيده

١٩١ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ٧ ، ص ٢١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٢١ .

Bowen , op : cit , p : 281 : Sourdel , op . cit, Tome II,p.451.

(٩٢) حلوان : قصبة صغيرة سهلية جبلية يحيط بها بساتين وأعناب وتين ، وقريبة من الجبال ، ولها سوق طويلة ، وحصن عتيق ونهر صغير . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٣) .

(٩٣) همذان : كورة متوسطة :ختطها همذان بن الفلّوج بن سليم بن نوح (عم) وهي عذبة الماء واسعة الامطار غزيرة الانهار ملتفة الاشجار لذيذة الثمار . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٨٦) .

(٩٤) كرمان : ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، فشرقها مكران وغربها أرض فارس . وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي شبه البصرة في كثرة التمور . (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ص ٤٥٤ — ٤٥٥) .

(٩٥) الصيمرة : هي ماسيذان ، كبيرة عامرة ، كثيرة الخير . (المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٣٩٤) .

(٩٦) نهاوند : وهي ماه البصرة ، مدينة ذات أنهار وثمار طيبة وبها جامعان ومزارع الزعفران . (المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ٣٩٣) .

(٧٩) شيراز : هي قصبة بلاد فارس . عذبة الماء ، صحيحة الهواء ، كثيرة الخيرات تجري في وسطها القنوات . (انظر ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣٨٠ — ٣٨١) .

من أعمال طريق خراسان (٩٨) . وهنا يلاحظ المتتبع أن ابن حمدان كان قد جنى ثمرة أتعابه ، وبات من المؤكد ان هذا القائد كان قد وضع نصب عينيه ، مصلحته الخاصة متناسياً جميع الاعتبارات الاخرى ، التي كان عليه أن لا يسقطها من حسابه .

وازاء هذه المكاسب ، التي حصل عليها عبد الله بن حمدان ، أصبح من أشد المؤيدين للخليفة الجديد ، والمدافعين عنه عندما داهمه الخطر ، فلما استنجد به الخليفة القاهر ، أخذته الحمية فقال للقاهر : « والله لا أسلمك » (٩٩) لكنه كان بنفس الوقت مؤثرا السلامة على القتل دون صاحبه هذا ، اذ ان أبا الهيجاء حاول التنكر حيث نزع ملابسه واعطاها لأحد غلمان الدار وأخذ ملابس هذا الغلام (١٠٠) ، على أمل انه يستطيع ان يخرج من قصر الخلافة لينجو بنفسه من قبضة الجند الهائج ، الذين ارتفعت صيحاتهم مطالبين بأعادة المقتدر الى الخلافة (١) . ولما كان الخدم قد أغلقوا أبواب القصر ، واصبح من المتعذر على ابي الهيجاء التخلص من المأزق الذي وقع فيه ، حينئذ اندفع هائجا ليدافع عن حياته التي

(٩٨) العيون ، م . ق ، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢٣ ـ آ . (تحقيق، نبيلة ، ص ٣٤٢) . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ـ ص ٢٠١ . ابن خلدون العبر المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٩٧ .

(٩٩) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٩٦ . ابن الاثير ، الكامل، جـ ٦ ، ص ٢٠٢ .

(١٠٠) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ . العيون ، ورقة ١٢٤ ـ ب . مسكويه ١٩٧/١ . الاصفهاني تاريخ سني ص ١٥٦ . ابن خلدون ٧٩٨/٤ .

(١) مسكويه ،م.ق ، جـ١ ، ص ١٩٦ . عريب ، الصلة ، ص ١٤٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ٢٢٢/٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ٢٠٢/٦ .

شعر انه بات يتهددها الخطــر (٢) ، وعن كرامته التي اهينت من جــزاء الشتم الذي تعرض له من خدم دار الخلافة (٣) ، فتملكه عنصر الكبرياء وصاح بمعترضيه ، وجرد سيفه وقال : «يا آل تغلب أأقتل بين الحيطان أين الكميت أين الدهماء ؟» (٤) . ولكن سهام من في الدار أصابته فشلته عن الحركة ، فتقدم اليه أحدهم فجز رأسه (٥) ، وشهر في الشوارع (٦) ، ونودي عليه « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر بنعمه » (٧) .

والحق ان المقتدر تأثر لمقتل عبد الله بن حمدان اشد التأثر ، وكان قد كتب له الأمان فور رجوعه إلى دار الخلافة ، معترفاً بما «له ولأهله من الحقوق » (٨) . ويذكر أبن خلدون : أن المقتدر قال لما علم بقتل أبي الهيجاء : « والله ما كان أجدر بسيف في هــذه الايام غيره » .

(٢) مسكويه ١ / ١٩٧ . ابن الاثير ، الكامل ٦/٢٠٢ . ابن خلدون ٤ / ٧٩٧ .

Sourdel , op . cit , Tome 11 , p : 450 .

(٣) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٤) نفس المصدر والمكان .

(٥) عريب ، الصلة ص ١٤٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١٩٨ . ابن الاثير ، الكامل ٦/٢٠٢ . ابن خلدون ٤/٧٩٧ .

(٦) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٩٩ . ابن خلدون ، العبر ، ٤ / ٧٩٨ .

(٧) مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١٩٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ٦ / ٢٠٢ .

(٨) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ . مسكويه ، م . ق ، ج١ ، ص ١١٩ . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٢ . .

وهكذا طويت صفحة زعيم آخر من بني حمدان ، وزال نهائياً عن مسرح الاحداث .

وقد يصبح في غير مقدور الباحث ان يلتمس الاعذار المنطقية المقنعة لأبي الهيجاء في ولوج سبيل التآمر على خليفة اكتسب الصبغة الشرعية منذ أمد بعيد ، واذا ما تذرع أبو الهيجاء وأصحابه ، بأن محاولتهم هذه كانت تهدف الى القضاء على الفساد الاداري والمالي الذي إستشرى في مؤسسات الدولة ، فان هذا الادعاء يبدو غير مقبول من الوجهة الشرعية والواقعية ، ذلك أن هذا الفساد لم يكن الخليفة وحده هو المسؤول عنه. وإنما كان المسؤولين والحاشية ، بما فيهم المتآمرين انفسهم. وكان في مقدور عبد الله بن حمدان وجماعته ان يعملوا على اصلاح الاوضاع ، إن كان هدفهم الاصلاح ، بطرق أخرى بعيدة عن اسلوب التآمر والغدر والخداع.

ج ـ موقف الحمدانيين من الخليفة المقتدر ومؤنس :

كان سعيد بن حمدان يتقلد المعاون في النهروان (١٠) وواسط ، لكن الخليفة عزله في سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م ليحل محله علي بن يلبق (١١) . ومع ذلك فقد هب هـذا الأمير الحمداني يشد أزر الخليفة عندما أحاق به خطر الرجالة المصافية ، حيث أسهم في كسر شوكتهم ودفع أذاهم عن

(٩) العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٨ .

(١٠) النهروان : مدينة شرقي بغداد ، ذات جانبين بينهما الجسر الشرقي أعمر ، رحبة عامرة (أنظر القدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢١) .

(١١) عريب ، الصلة ، ص ١٤٧ .

الخليفة والعاصمة بغداد (١٢) ، وكانوا في أربعين ألفا (١٣) . ولكن سعيد ابن حمـــدان ما لبث أن تعرضت داره وأهل بيته لهجوم الشطار وأهـــل الدعارة من العامة في صفر ٣١٩ هـ/٩٣١ م خلال يومين متتاليين . وعلى الرغم من أن سعيداً تمكن من أن يدافع عن داره ببطولة فائقة بحيث قتل بعض أعدائه ، إلا أن المهاجمين استطاعوا ان يحرقوا باب الـــدار الامر الذي اضطر سعيدا أن ينقل أهله منها (١٤) .

وعلى الرغم من ان ما بقي من اسرة بني حمدان قد تركوا بغـــداد ، وأقاموا في منطقة الموصل بعيدين عن الصراع الحاد الذي كان يدور في العاصمة بين رجال السلطة ، لكن اثار هذا الصراع إنعكس عليهم بصورة مباشرة ، وأصابهم الضرر منه . فلما ساءت العـــلاقة بين المقتدر ومؤنس المظفر عام ٣٢٠ هـ /٩٣٢ م ، قصد الاخير الموصل معتمدا على بني حمدان لأنه « لم يجد في نفسه أوثق عنده ولا أشكر ليـــده من بني حمدان فأنه كان عند ذكره اياهم يقول هم أولادي وأنا اظهرتهم » (١٥) .

والظاهر ان الحمدانيين وقعوا في مأزق شديد ، وتحـــرج موقفهم ، ذلك الوزير كان قد كتب اليهم يحثهم على قتال مؤنس ومحاربته بأعتباره عاصياً لأوامر الخليفة (١٦) . وأزاء هذا الموقف إستعد الحمدانيون لملاقاة

---

(١٢) ن . م ، ص ، ص ١٥١ .

(١٣) ابن خالويه ، شرح ديوان أبي فراس ، جـ٢ ، ص ص ١٣٤–١٣٥ .

(١٤) عريب ، الصلة ، ص ١٥٧ .

(١٥) عريب ، الصلة ، ص ١٦٩ .

(١٦) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٢٣٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص٨١٧ .

مؤنش وحشدوا جيوشهم [١٧] • ولعلهم أرادوا أن يبرهنوا للخليفة المقتدر على حسن نيتهم وإخلاصهم له ، متناسين ما أصاب بعض افراد اسـرتهم من القتل والتنكيل •

وألحق ان بني حمدان كانوا غير راغبين بقتال مؤنس [١٨] ، إلا بعد أن أحسو بالخطر الذي بات يداهمهم في عقر دارهم ، وحينئذ صار لزاماً عليهم الدفاع عن وطنهم بكل ما أوتوا من قوة •

ولابد أن دار في خلد بني حمدان أن امامهم الآن فرصة ذهبية قد لاتواتيهم مرة أخرى ، تلك هي التخلص من النفوذ التركي المتمثل بالقائد مؤنس ، وتحرير الخلافة من قبضتهم ، لتتبوأ قبيلة تغلب العربية مركز الصادرة في تسيير الأمور ، معتقدة أن الخليفة المقتدر كان قد أستنزف كل امكاناته في مداراتهم ، والسير وفق أهوائهم • ويخال لي أنهم أخطأوا أن هم أعتقدوا بهذا الرأي ، وفات عليهم أن موقف الخليفة ووزيره من مؤنس، إنما أملته ظروف شخصية لاتتعدى الحوادث المماثلة التي حفلت بأمثالها دار الخلافة أبان عصر المقتدر كثيراً •

ومن الأنصاف أن نذكر ان ليس في مقدور الحمدانيين اتخاذ غيرالموقف الذي وقفوه بمؤازرتهم للخليفة المقتدر ضد قائده الشاق عصا الطاعة ، ذلك أن خبرات الأسرة السابقــة في (٢٩٦ هـ و ٣١٧ هـ) في مواقفها ضد الخلافة لم تجلب عليها إلا النكبات وفقدان خيرة ابنائها • وربما تذكر اولاد

(١٧) عريب ، الصلة ، ص ١٦٩ •

(١٨) ن • م ، ص ١٧٠ •

حمدان التغلبي الموقف المتأرجح الذي وقفه مؤنس حيال حركة عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩ م ، التي فقد الحمدانيون بها عميد أسرتهم آنذاك . ومن هنا نشأت أزمة عدم الثقة بين الحمدانيين ومؤنس ، وصار لا مندوح لهم إلا الأنحياز الى جانب الخليفة ، ومقاومة اعدائه (١٩) . ومع ذلك فقد أمن من تبقى من بني حمدان الى مؤنس بعد مقتل الخليفة المقتدر بالله .

(١٩) أنظر مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .عريب، الصلة ص ١٧٠ — ١٧٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٢٠ .

خاتمة

تقويم العصر

١ ـ الصراع على السلطة بين المدنيين والعسكريين .
٢ ـ قلق الوزارة وكثرة الوزراء .
٣ ـ الرشوة والمصادرة واستغلال النفوذ .
٤ ـ ضياع وحدة الدولة .
٥ ـ الاصلاحات العامة .

تقويم العصر

١ ـ الصراع على السلطة بين المدنيين والعسكريين :

قام قادة الجيش في عصر المقتدر بالله ، بدور كبير في توجيه ادارة الدولة ، بحيث أنهم استبدوا بالسلطة مستهدفين تحقيق أطماعهم الخاصة ، وحبهم للسيطرة والأستحواذ على مؤسسات الدولة . ولم يكونوا مدفوعين لتحقيق هدف أو مبدأ معين ، حتى جاز للباحث القول ، بأن السبب الرئيس في التبدل السريع في وزراء هذا العصر ، كان يرجع في أساسه إلى تدخل الجيش في الأدارة المدنية (١) .

ووجدت العناصر العسكرية بغيتها حين نفذت من خلال صفوف الحزب المدني الذي مزقته الدسائس ، وساد الحسد بين اعضائه ، الأمر الذي فتت قوتهم ، وبعثر جهودهم ، ومن ثم أفسح المجال أمام الجيش للتدخل في إدارة الدولة ، وحينئذ وقعت الخلافة برمتها في براثن العناصر العسكرية .

فمع بداية خلافة المقتدر بالله ، شارك الجيش في تصريف الأمور خصوصاً وان الوظائف التي تقلدها القادة العسكريون ، كانت تفرض عليهم مسؤوليات ضخمة ومتعددة ، عسكرية ، وادارية ، بل ومالية احياناً (٢) .

---

(١) أنظر مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٥ . العيون ، م.ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٧٤ ـ ب و ١١٢ ـ آ و ١١٤ ـ آ . تحقيق نبيلة ، ص ٢٣٩ و ١٣٦ و ٣٢١ ـ ٣٢٢) .

(٢) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٣٢ و ٣٧ و ٤٥ و ٧٥ و ٧٦ و ٨٣ و ١٣٩ و ١٤٨ و ١٥٧ .

وربما لم يكن لبعض اولئك القادة فهم ودراية بكل المهام التي أنيطت بهم ، الأمر الذي كان يؤول حتماً الى الأرتباك في تصريف الأمور ، وفقدان مصلحة الدولة العليا •

وهكذا يتراءى للباحث أن مأساة هذا العصر كونتها عناصر عدة ، كان في طليعتها العناصر العسكرية ، التي أخذت تهيمن ، على جميع مؤسسات الدولة ، وحينئذ أخذ نفوذ الجانب العسكري يزداد ويقوي ، حتى صار الوزراء وكبار موظفي الدولة يلوذون بحمايتهم ، بعد أن لمسوا عجز الخلافة عن حمايتهم (٣) •

وفي الوقت الذي كانت السلطة العسكرية هي القوة الفعالة في هذا المجال ، كما مرّ بنا ، نجدها من جهة أخرى ، هي الفئة التي كانت تعمل على أثارة الاضطرابات والفتن التي أدت ، في الأعم الأغلب ، إلى تمزيق وحدة الدولة وتقويض أسسها (٤) ، وكان للفتن التي أثارها الجيش في أوقات مختلفة ، أثرها السيء على المباني الضخمة التي شادها العباسيون(٥)، والتي اندثرت وزالت رسومها ولم يبق لها أثر يشعرنا بعظمتها • فالدمار الذي جرته الحروب بين فرق الجيش (٦) ، وما أنزلته الاضطرابات والفتن

(٣) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ١٨٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٢ .

(٤) العيون ، م . ق ، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١١٢ — آ ، (تحقيق، نبيلة ، ص ص ٣١٥ — ٣١٦) .

(٥) عريب ، الصلة ، ١٥٤ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ص ١٦٠ — ١٦١ .

(٦) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

من هدم وتخريب [٧] بالأضافة الى عوامل الفناء الطبيعية ، قد أتت على كثير من المظاهر الحضارية التي شيد صرحها الأجداد في بغداد وغيرها من المـدن .

وعلى الرغم من وجود شخصيات سياسية وادارية بارزة ، من أمثال ابن الفرات وعلي بن عيسى وغيرهما ، فأن أمير الجيش كان أقواهم شخصية، وأوسعهم نفوذاً ، وأقدرهم على التأثير في الاحداث وتصريفها وفق مشيئته. وإن الصورة التي نستشفها من خلال النصوص التاريخية تدل دلالة أكيدة على مدى الأثر الكبير ، والنفوذ الواسع الذي ظفر به الجانب العسكري في مؤسسات الدولة العليا ، والذي يؤكد لنا ذلك مطالبات الجيش المتكررة بأصلاح الادارة ، وقد بلغت به الجرأة أن نادى مراراً بأقالة الوزراء [٨] ، أو نفيهم [٩] ، وأحياناً قتلهم [١٠] ، وتقليد غيرهم ممن يطمئن الى سياستهم.

والحق فقد بذلت جهود كبيرة لأبعاد الجيش عن التدخل في المؤسسات المدنية ، حيث جرت محاولات من الجانب المدني لشطر الجيش الى كتلتين، بتحريك بعض الفرق ضد الفرق الاخرى ، وأثارة أمراء هذه الفرق بعضهم على البعض الآخر [١١] . ولكن تلك المحاولات كانت تبوء بالفشل الذريع،

---

(٧) ن . م ، ص ١٥٩ و ١٩٣ .

(٨) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ١٢٧ . العيون ، م.ق، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١١٤ ـ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٢١) .

(٩) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ١١٣ و ٢٢٠ . ابن الاثير ، الكامل، جـ ٦ ، ص ٢١٦ .

(١٠) عريب ، الصلة ، ص١١٢ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص١١٣.

(١١) عريب ، الصلة ، ص ١٣٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص

وربما أدت الى نتائج معكوسة ، ذلك أن كثيراً من تلك المحاولات كانت تؤدي الى تعزيز الجانب العسكري .

والظاهر أن الحاشية ، بما فيهم الحريم وعلى رأسهم السيدة ، قد آزروا السلطة المدنية في صراعها الطويل مع القادة العسكريين [١٢] . ويبدو أن المقتدر بالله أيضاً شارك أمه في عدائها لأمير الجيش ، ذلك ان الخليفة عمل على التقليل من سيطرة قائد الجيش على الأمور ، وكان للخليفة ضلع في أبعاده إلى خارج العاصمة [١٣] . وعندئذ أصبح من حق مؤنس أن يثير موجة من التشكيك بنوايا الخليفة وحرسه وحريمه ، ويتخذ الاحتياطات اللازمة للحفاظ على حياته واستمرارية نفوذه وسطوته [١٤] .

ولم يكن في حسبان الخليفة المقتدر بالله ، أن ينحاز الجيش بأغلبيته المطلقة إلى جانب القائد ، متخلياً عن الخليفة ، الأمر الذي جعل المقتدر يتخذ موقف المهادن من قائده ، كما أن الخليفة أظهر ثقته بأمير الجيش

---

٢٠٢ — ٢٠٣ و ٢٢٠ و ٢٢٢ و ٢٢٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٠٨ و ٢١٦ و ٢١٩ . العيون ، م.ق ، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢١ ـ آ . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٣٧ — ٣٣٨) .

(١٢) عريب ، الصلة ، ص ١٣٣ .

(١٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٦٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ١١٦ . الهمداني ، التكملة ، جـ١ ، ص ٤٢ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٢٤ .

(١٤) مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص١٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ، ص ١٨٦ .

وأكد له صفاء نيته (١٥) ، ولعل هذه الحادثة تقدم مثالاً حياً لتعاظم نفوذ الجانب العسكري ، في الوقت الذي بدت أمامه السلطة المدنية متخاذلة خنوعة (١٦) . والظاهر أن مؤنساً كواحد من الذين خبروا الأمور وعركوها، لم يدع هذه الفرصة تفلت من يده دون أن يستفيد منها ليثبت وجوده ، ويفرض رأي الجانب العسكري الذي صارت مطالبيه تأخذ سبيلها الى الجهات العليا لتنفذ كلية بدون تباطؤ .

وعلى أثر اشتداد الأزمة المالية ، التي عاشتها الدولة ، وعجز السلطة المدنية عن تلافيها ومعالجتها ، استغل قادة الجيش الارتباك الذي أصاب مؤسسات الدولة ، وصاروا يتدخلون في توجيه شؤونها ، ويفرضون إرادتهم حتى في أختيار الوزراء (١٧) ، وفي بعض الاحيان كان اولئك القادة وراء جنودهم عندما يشغبون للمطالبة بالرواتب المتأخرة ، أو بأرزاق اضافية (١٨).

---

(١٥) مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ١٦٠ و ١٨٨ و ١٨٩ — ١٩٢ و ٢١٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٨٦ و ٢٠٠ . العيون ، م.ق، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٢١ — آ و ب (تحقيق ، نبيلة ، ص٣٣٨).

(١٦) عريب، الصلة ، ص ١٤٠ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ٢١٠.

(١٧) مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ٢٦ و ٨٢ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٩ و ١٨٤ و ٢٠٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص١٤١و١٧١ و ١٨٤ و ١٩٢ .

(١٨) عريب ، الصلة ، ص ١٢١ . مسكويه ، م.ق ، ص ٧٥ و ١٤٢ و ١٥٩ و ١٨٢ و ٢٠٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٩٠.

٢ ـ قلق الوزارة وكثرة الوزراء :

من السمات العامة التي ميزت عصر المقتدر بالله ، قلق الوزارة ، وعدم أستقرار المؤسسات المرتبطة بها . فقد قلد هذا المنصب أربع عشرة مرة ، لأثني عشر شخصاً ، حيث تولى بعضهم الوزارة أكثر من مرة . وكان الوزير يشعر في بداية تقلده الوزارة ، بأنه عرضة للعزل والمصادرة ، فالوزير ابن الفرات لم يطمئن في الجلوس بمنصبه هذا لأن الناس أرجفوا ببغداد عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م بأن المقتدر بالله أمر حامداً بالأستتار ليقبض على ابن الفرات الذي لم تمض بضعة أيام على تقلده منصب الوزارة ، الأمر الذي أدى إلى أن يستتر آل الفرات ، ومؤيدو الوزير (١٩) .

وقد برز كل من الوزيرين علي بن الفرات ، وعلي بن عيسى ، لأنهما كانا متمكنين من اشغال منصبيهما بجدارة فائقة ، وتمشية أمور الدولة نحو الأصوب ، على الرغم من العقبات التي كانت تعترض سبيل كل منهما . لكننا نجدهما ، مع ذلك ، يقفان عاجزين أمام الأزمات المالية المستعصية ، ويفشلان في ايجاد الحلول الناجحة للتغلب على تلك المعوقات ، وبالرغم من كونهما يعتبران من أبرز شخصيات هذا العصر . ومع أنهما خير وزراء المقتدر بالله ، على الاطـلاق ، فأن كليهما يتحملان بعض تبعات الأحوال المتردية التي كثيراً ما تحدث في هذا العصر ، كما ويجب ان يلاما لفشلهما في تذليل الصعوبات التي كانت تقف حائلاً أمامهما ، ولعدم اهتداء كل منهما الى الطريق الأصوب لتسيير دفة الدولة .

وألحق أن علياً بن عيسى كان أكثر دراية وتمرسا من صاحبه كما كان

(١٩) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٣٣ .

أيضاً أصدق نية ، وأكثر اخلاصاً وتعففا وتعمقا في الأمور الدينية . وبذلك أنفرد بصفات المقدرة والنزاهة في عصر مليء بالفساد والظلم والتعسف . وبما أوتي من دراية أقتصادية ، وحنكة في أمور المال ، استطاع ان يصلح بعض شؤون الدولة وان يكون مثالاً نادراً في الاقتصاد والتدقيق والكفاءة وأبطال السنن الجائرة والضرائب الثقيلة [٢٠] .

غير أن مثل تلك السياسة الرشيدة لم ترق للعناصر المستأثرة بالأمور، والتي تعودت على البذخ والاسراف ، فكانت تضغط على الخليفة وتضطره إلى أبعاد علي ابن عيسى من الوزارة [٢١] ، على الرغم من حصول القناعة التامة لدى الجميع بكفاءة هذا الوزير . وكان على رأس هؤلاء مؤنس المظفر ، الذي أعجب بالسياسة الصائبة التي كان يتبعها هذا الوزير المصلح، والتي مكنته من ان ينال ثقة وأحترام معاصريه ، الذين أشادوا بذكره

(٢٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٧ — ٣٦٩ . رسوم دار الخلافة ، ص ص ٦٧ — ٦٨ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ص ٢٧ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٧ . السيوطي ، الخلفاء ص ٣٨٠ . متز ، م.ق ، جـ١ ، ص ٢١٤ و ٢٣٣ . الدوري،تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٨٩ . العزاوي عباس ، تاريخ الضرائب العراقية ، (بغداد : ١٩٥٨) ، ص ٢٣ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١١٥ .

BOWEN , op . cit , p . 132 .

SOURDEL , op . cit , TOME II , p . 402 .

(٢١) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٧ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ص ٤٠ — ٤١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٣٨ . ابن الاثير ،الكامل، جـ ٦ ، ص ١٥٤ .

BOWEN , op : cit , p . 152 .

وتعففه وترفعه على كل إبتذال (٢٢) كما وقف المؤرخون (٢٣) والباحثون المحدثون (٢٤) من خدماته ، موقف تعجب وأحترام وتقدير وأكبار • وبات واضحاً بأنه رجل أبتعد عن عوارض الحقد والجفاء • ويبدو أنه كان عازفاً في منصب الوزارة (٢٥) ، فلا غرو أن يختلف عن بقية وزراء الخليفة المقتدر بالله ، المتهافتين على هذا المنصب حتى أنهم كثيراً ما كانوا يتعهدون بتقديم الأموال الطائلة في سبيل تقلد الوزارة (٢٦) ، بالاضافة إلى تملقهم لبعض أفراد الحاشية (٢٧) •

وفي الوقت نفسه تميزت فترات حكم الوزير علي بن محمد بن الفرات بالمصادرات الكثيرة التي خرجت عن الحد المألوف والقوة والحزم في

(٢٢) ياقوت ، معجم الادباء ، جـ ٥ ، ص‌ص ٢٧٧ — ٢٧٨ . الصفدي، الوافي ، جـ١٢ ، قسم٢ ، . ورقة ١٣٣ — آ .

(٢٣) أنظر عريب ، الصلة ، ص ٤١ و ٥٩ و ٧٢ و٧٥ و ١٢٩—١٣٠ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و٥٩و٦٠و٦٢و ٧٥ و ١٥١ . ابن الجوزي ، م . ق ، جـ ٦ ، ص ١٢١ .ابن‌الاثير،الكامل، جـ ٦ ، ص ١٤١ و ١٦٠ و ١٨٤ .

(٢٤) BOWEN , op : cit , p . 128 , 135 , 150 , 164 , 183.
SOURDEL ,op : cit , TOME II , p : 399 , b02 , 419,442,443.

الدوري ، دراسات ، ص ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٢٠و ٢٢١ و٢٢٢ و ٢٢٣.
السامر ، الدولة الحمدانية ، جـ ١ ، ص ١١٣ و ٢٠٢ و ٢٢١ .

(٢٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٧ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

(٢٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٧ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص٤٤ .

(٢٧) عريب ، الصلة ، ص ٣٧ .

تسيير الجهاز الاداري للدولة[٢٨] ، ألا أنه مع ذلك تعرض لنكبات ثلاث رافقتها مصادرة أمواله ونهب دوره ، ودور كل من له صلة به ، وهتك حرمة [٢٩]. وفي النهاية فقد حياته وحياة ابنه المحسن بسبب تلك السياسة التي أتبعها[٣٠]. وعلى الرغم من أن هذا الوزير قد وسم بالجشع والقسوة وحب المال ، إلا أنه كان بجانب ذلك كريماً سخياً [٣١] ، وله دور كبير في توجيه سياسة الدولة ، والحد من تجاوزات العناصر العسكرية [٣٢] ، والذي يؤكد سعة نفوذ هذا الوزير أن ضرب الدينار بأسمه في سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م [٣٣].

(٢٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٤٤ و ٤٦ و ٤٩ و ٥٢ و ١١٠ و ١٥٢ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٣٢٧ . وكذلك مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ٨ و ١١ و ١٣ و ١٤ ٩٣ و ٩٩ و ١٠٢ و ١٠٩ و ١١٤ و ١١٥ . وكذلك ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٣ . وابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ١٧٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٧ .

(٢٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٣ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٢٠ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٧٣ـآ (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٨٥) . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٠٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٦٨ .

(٣٠) عريب ، الصلة ، ص ١٢١ .

(٣١) مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١١٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٠ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٢٦ .

(٣٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٢ و ٥٣ و ٢٢٣ — ٢٢٤ . مسكويه ، م . ق ، ج ١ ، ص ١١٦ — ١١٧ .

(٣٣) النقشبندي ، ناصر السيد محمود ، الدينار الاسلامي فى المتحف العراقي ، ج ١ ، (بغداد : ١٩٥٣) ، ص ١٥٠ و ١٥٣ و ١٥٦ .

لكن سياسة الحزم التي أتبعها ابن الفرات كانت أيذاناً بأنهاء حياته[٣٤] ومن هنا يظهر للباحث أن أبن الفرات لم تكن لديه الحنكة والمرونة السياسية التي يمكن أن تعطيه التحليل الواضح لسياق الحوادث التي يتحتم عليه أن يرسم في ضوئها العلاقات المتكافئة بين السلطة المدنية والعناصر العسكرية الطموحة القادرة على التغيير، وتصريف الأمور . وعندئذ يصبح في امكانه أن يعزز السلطة المدنية لتبقى محتفظة بصلاحياتها وميزاتها المعلومة ، حينئذ يصبح في حكم الواقع جلب القادة العسكريين إلى محور قوة الوزارة والسير في ركابها . ونظراً لأخفاقه في هذا المجال ، جاز للمتتبع ان يلوم الوزير بهذا الخصوص .

وهكذا نشعر أن دور الوزراء لم يكن ذلك الدور المهم في عصر المقتدر بالله اذ لم يتمكنوا من أن يلعبوا دوراً أساسياً في تصريف الأمور وفق مقتضيات المصلحة العامة لأنهم كانوا ينظرون إلى مصلحتهم قبل كل شيء.

وخلال هذا العنصر نلمس بوضوح عجز الخليفة المقتدر بالله ، عن التوفيق أو التقريب بين وجهات نظر رجال دولته من المسؤولين الأكفاء ليعيشوا سوية بوئام ، لتتمكن الدولة من الاستفادة من قابلياتهم وخبراتهم وكفاءاتهم الفذة . وربما كان التباعد في وجهات النظر بين تلك الشخصيات، لعبة مقصودة ، كان يغذيها الخليفة نفسه . غير أن هذا الاحتمال يصعب علينا الأخذ به ، لأن الخليفة المقتدر بالله ، لم تكن لديه القابلية وبعد النظر ، بحيث يقدم على مثل هذه الخطوة ، التي يستطيع بواسطتها أن يزيد من تثبيت مركزه اللهم ألا إذا كان هناك من يرشده الى مثل ذلك .

---

(٣٤) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ١٣٨ . الذهبي ، تاريخ الاسلام، جـ ٧ ، ورقة ٢٧ .

وثمة ظاهرة أخرى تؤكد لنا أن الخليفة ليس له ضلع في ظاهرة عدم الوئام بين موظفي الدولة الكبار ، ذلك ان كلاً من الرجلين ، علي بن عيسى وابن الفرات ، كانا مختلفين في وجهات نظرهما منذ بداية حكم المقتدر بالله ، وحتى أنهما كانا مختلفين في تقليد المقتدر نفسه الخلافة ، وذلك لأسباب شخصية وسياسية (٣٥) .

٣ ـ الرشوة والمصادرة والاستغلال :

ولعل أبرز ظواهر هذا العصر تفشي داء الرشوة بين كبار موظفي الدولة ، بحيث شملت الوزراء الذين لم يتردد بعضهم من الاعتراف علناً بانه قد إرتشى (٣٦) كما أن المناصب العليا وإدارة الأقاليم ، كانت أحياناً ، تقلد لمن يدفع مبلغاً أكبر من غيره من الموظفين (٣٧) ، دون مراعاة للكفاءة والمقدرة والنزاهة والأخلاص (٣٨) . وكانت الأموال ترد إلى الوزير من العمال وغيرهم من موظفي الدولة في كل عام بصفة هدية ابقاءاً لرضا الوزير

(٣٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢ — ٣ . أبن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ١١٩ .

(٣٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩٣ . الهمداني . التكملة ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٣٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٦ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص٢٣ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ١٢ .

(٣٨) عريب ، الصلة ، ص ٣٩ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ١٢ . زيدان ، م.ق ، ج٢ ، ص ١٥٧ .

ان تمادى بعض الوزراء وكبار موظفي الدولة في تعاطي الرشـوة ، وبيع المناصب الادارية العليا ، لقاء مبالغ معينة يدفعها الموظفون ، كانقد جلب انتبـاه بعض الادباء والشعراء ، فسخروا من هـذه الظاهرة وإنتقدوها (٣٩) .

ومع ذلك فان ظاهرة تفشي الرشـوة ، لم تنقطع ، وانما استمرت خلال عصر الخليفة المقتدر بالله ، وربما كان مرد ذلك الى الخليفة نفسه ، وحاشيته المقربين ، كانوا هم الآخرون ، قد انساقوا في قبول الرشـوة والهدايا من بعض ولاة الاقاليم ، الذين صاروا يشعرون بان بقـاءهم في مناصبهم ، لفترة أطول ، منوط بتقديم بعض الهدايا والهبات في المناسبات العامة للخليفة وبعض أفراد حاشيته ، وهذا ما فعله والي مصر عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م حيث ارسل هـدايا غريبة وثمينة بالاضافة الى خمسمائة الف دينار (٤٠) . واقتدى به الامير الساماني احمد بن اسماعيل ، الذي بعث هدايا « مذهبة مرصعة بفاخر الجوهر وتاج مذهب مزصـع بجوهر لـه قيمة كبيرة ، ومناطق ذهب ... وشمامات مسك وعنبر كلـه مرصع ، وعشرة أفراس بسروجها ، ولاحدها سرج ذهب » (٤١) . كما أن يوسف

(٣٩) وزير ما يفيق من الرقاعة   يولي ثم يعزل بعـد ساعة
اذا اهل الرشا صاروا اليه   فاحظى القوم اوفرهم بضاعة
انظر عريب ، الصـلة ، ص ٤١ . ابن الطقطقي ، الفخري، ص ٢٦٧ .

(٤٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦، ص ١٠٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ج١١ ، ص ١١٦ .

(٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١١٠ . ابن كثير، البـداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١١٦ .

ابن أبي الساج بعث بهدايا ثمينة الى الخليفة المقتدر بالله (٤٢) . وكـذلك فعل صاحب عثمان (٤٣) .

وقد إستطاع ابن الفرات أن يتقلد الوزارة في سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م للمرة الثانية بعد ان تعهد بتقديم مبالغ كبيرة للخليفة وامه وأولاده في كل يوم (٤٤) كما نجا الحسين بن احمد الماذرائي ، والي مصر ، من المصادرة لانه : « أهدى الى الخليفة هدايا جليلة والى السيدة » (٤٥) . وتمكن أبو القاسم بن بسطام حاكم مصر ، في سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م من ان يتخلص من مطالبة علي بن عيسى له اذ « وجه الى الخليفة والى السيدة بهدية فخمة وأموال جزيلة فقطعا عنه مطالبة علي بن عيسى » (٤٦) .

وثمة ظاهرة أخرى زخر بها عصر المقتدر بالله، وهي مصادرة الوزراء وكبار موظفي الدولة (٤٧) ، وعلى الرغم من ان المصادرة كانت معروفـة منذ بداية العصر العباسي ، غير أنها أخذت شكلا جديدا ابان عصر المقتدر

(٤٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦، ص ١١٠ .

(٤٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١١٦ . متز م.ق، ج١ ص ٢١٢ .

(٤٤) ابن حمدون ، التذكرة ، ج١٢ ، ورقة ١٣٠ ـ آ . العيـون ، م.ق ، ج٤ ، القسم ١ ورقة ٨٧ ـ آ و ب (تحقيق ، نبيـلة، ص٢٦٥). مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٤٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣، القسم ٤ ص ٧٧٤ .

(٤٥) عريب ، الصلة ، ص ٧٥ .

(٤٦) ن.م ، ص ٧٨ .

(٤٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٨ . مسكوية ، م.ق ، ج١، ص ٨ و ١١ و ١٣ ـ ١٤ و ٩٩ و ١٢٨ .

بالله ، حيث كانت تكمن وراءعوامل سياسيةوإقتصادية ، حتىإنها أصبحت من أهم السمات التي تميز بها هذا العصر ، اذ لم يكن من سبيل الى سـد نفقات الدولة الكبيرة الا بها ، فصار الاساس من المصادرة هو الرغبة في الاستحواذ على أموال المصادرين التي كانت خزينة الدولة بأمس الحاجة اليها ، لترفع بها بعض العبء الذي كانت تئن من ثقله (٤٨).

وكانت المصادرات الكثيرة بالفعل تسد ، ولو موقتا ، عجز خزينة الدولة ، وتحل بعض المطالب المالية الملحة (٤٩) . ومن هنا ذكر بعض الباحثين بأن المصادرات جرت في ظل أزمات مالية خانقة ، كانت السلطة فيها بأمس الحاجة الى ايجاد المال لسد نفقات الدولة ، وكبح شغب الجيش الذي كان دائما يطالب بأرزاقه المتأخرة (٥٠) ، أو بأرزاق اضافية أخرى .

وهكذا نلمس ان الخليفة كان يصادر وزيره متى الجأته الحاجة الى أموال يعجز الوزير عن تهيئتها (٥١)، وقد سبق له ان تعهد بتوفيرها .

(٤٨) الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٦٤ .

(٤٩) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٠ . ابن كثير، البداية والنهاية ج١١ ، ص ١٨٤ .

(٥٠) السامرائي ، حسام قوام ، المؤسسات الادارية في الدولةالعباسية (دمشق : ١٩٧١) ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٥١) الصابي ، الوزراء ، ص ١٥٢ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص١٢٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ . ابن الاثير الكامل ، ج٦، ص ٢٠٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥٠ . ابن خلدون، العبر، المجلد ٣ القسم ٤ ، ص ٧٨٧ .

ولا يكاد يتولى وزير الا اتهمت وزارته بالمصادرة او القتل أو بهما معا[٥٢]. وكان الخليفة يعتبر أموال اولئك الوزراء حقا مغتصبا من بيت المال ، فاسترجاعه لا يعد جورا ولا اجحافا بحق اولئك المصادرين [٥٣] .

ونتيجة لذلك اصبحت المصادرة من السنن الجائرة والسائدة في هذا العصر حتى صار من المعتاد ان يتهم كل وزير سلفه بسوء التصرف والظلم والخيانة والاختلاس [٥٤] . وقد تكون هذه التهم صحيحة ، وان الوزير أساء وتعسف وظلم ، وان من حق الوزير الجديد مطالبته ومحاسبته على الاثراء الفاحش الذي حققه على حساب الناس والمصلحة العامة . ولكن في أحيان أخرى قد تكون الاتهامات ضد الوزير المعزول واهية ، وليس لها أي سند شرعي ولا مسوغ منطقي ، ولا يعدو ان يكون الدافع طابعه الحسد والغيرة وحب السيطرة والمنافسة المشوبة بالخداع والتآمر [٥٥] .

وكانت المصادرات تأخذ اشكالا متعددة تتلاءم مع مكانة الشخص المصادر ، ومقدرته المالية ، ومدى انصياعه وقبوله لمقدار المبالغ المفروضة عليه . وعلى ذلك نرى أن بعض المصادرات كانت تقتصر ، في بعض الاحيان

---

(٥٢) عريب ، الصلة ، ص ١١٠٢ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص١٠٤ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٠ .
SOURDEL , op : cit , TOME II , p . 434

(٥٣) زيدان ، م.ق ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(٥٤) الصابي ، الوزراء ص ٩٠ — ٩١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ص٩٩ .
التنوخي ، نشوار ، ج١ ص ٢٣ — ٢٤ ، (مطبعة المفيد) .

(٥٥) انظر مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠٩ . الصابي ، الوزراء ، ص ٣٢٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٤ .

على فرض مبلغ من المال ولم يصاحبها إيقاع عقوبة بدنيه بالأشخاص المصادرين (٥٦) . فمجرد ايفائهم بذلك المبلغ يتم الافراج عنهم (٥٧) . وقد يتم الدفع بشكل تعهدات لأجل معين بعد أخذ خط الشخص المصادر كضمان واقرار بذلك (٥٨) ، أو ربما يصادر الشخص ومن ثم ينفى الى خارج العاصمة (٥٩) .

وليت المصادرات اقتصرت على ابتزاز المال من المصادرين فحسب ، وانما كان يرافقها ، في الاعم الاغلب ، الحاق اشد الاذى بأولئك التعساء المصادرين وبخاصة عندما يمتنعون عن دفع الاموال المفروضة عليهم ، حيث كانوا يتعرضون لانواع شتى من الاذى ، بغض النظر عن المراكز الادارية التي كانوا يشغلونها في الدولة قبل المصادرة (٦٠) . فقد تعرض حامد بن العباس لتجاوزات مهينة بعد عزله من الوزارة في عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م فكان : « يصفع ويضرب ويخرجه المحسن اذا شرب فيلبسه جلد قرد لـه

(٥٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٣ و ٥٤ و ٣٥ . مسكويه م.ق، ج١ ص ١٤ و ٣٢ و ٣٥ و ١١٥ . التنوخي ، الفرج ، ج١ ، ص ١٢٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص ١٢٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١١٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٥٦ .

(٥٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠٩ .

(٥٨) الصابي ، الوزراء ، ص ١٥٢ . التنوخي ، نشوار ، ج٨، ص٢٥ . (مطبعة المفيد) .

(٥٩) الصابي ، الوزراء، ص ٢٩ و ١٥٢ . مسكويه ، م.ق، ج١،ص٨ .

(٦٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ . مسكويه ، م.ق، ج١ ، ص ١٠١ و ١٠٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٢٣ .

ذنب ويقيم من يرقصه ويصفعه ويشرب على ذلك ، وأجرى على حامد أفاعيل قبيحة » (٦١) ، ومع ذلك لم يحصل منه على مال كثير كما كان متوقعا (٦٢) . وكان حامد بن العباس قد فقد حياته لعدم اقراره بما عنده من أموال (٦٣) ، ولما تقاعس علي بن عيسى عن اداء ما فرض عليه من مصادرة ألبسة المحسن جبة صوف وأهانه وناله بالأذى (٦٤) .

ولم تقتصر المصادرة على الوزراء حسب ، بل كانت تشمل بعض كبار موظفي الدولة الذين لهم صلة بالوزراء المعزولين ، فكانت الطريقة المتبعة أن يعقب عزل الوزير، القبض على اعوانه وكتابه واسبابه وأولاده (٦٥) ثم تبدأ المحاولات لاستخراج اموال هؤلاء ومصادرتها عن طريق الاقناع تارة ، والتهديد والتعذيب تارة أخرى . وربما تعرض بعضهم للقتل بعد

(٦١) عريب ، الصلة ، ص ١١٢ . انظر كذلك مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠٣ .

(٦٢) عريب ، الصلة ، ص ١١٢ .

(٦٣) نفس المصدر والمكان . انظر مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٠٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٤ .

(٦٤) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١١٠ . ابن الجوزي، المنتظم ، ج٦ ص ١٧٣ .

(٦٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٤٤ و ٤٩ و ١١٠ و١٥٢ و ٢٤٥ ٢٤٨ . الهمداني ، التكملة ، ج١ ، ص ٣٢ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص٨٤و٩٣ و ١١٤ و ١١٥ . العيون ، م.ق، ج٤ ، القسم ١، ص ٢٣٦ — ٢٣٧و٢٧٦ . (مطبعة النعمان) . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٤٣ . ابن الاثير الكامل ، ج٦ ، ص ١٨٥ و ٢١٠ و ٢١٩ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة، ج٣ ، ص ٢١٥ .

المصادرة (٦٦) . فقد ضرب المحسن ضرب التلف فلم يذعن بشيء . . وقدود بدونه ومنع عنه الطعام اياما عديدة وصار يرى مغشيا عليه في اكثر الاوقات (٦٧) .

وقد امتد نطاق المصادرات حتى شمل بعض أفراد الخدم والحاشية الذين اصابتهم بدورهم عدوى هذا الاجراء ، كما شمل بعضهم العقاب البدني الشديد الذي رافقه (٦٨) . وحتى أن المثرين والتجار والملاك وغيرهم كانت أموالهم عرضة للمصادرة في بعض الاحيان (٦٩) .

---

(٦٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٢ و ٦٥ و ١٥٢ . مسكويه ، م.ق ، ج ١ ، ص ١٣ و ١٢٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٤ . ابن خلدون العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ص ٧٨٤ .

SOURDEL , op . cit , TOME II , p . 426 .

BOWEN , op . cit , p . 242 .

(٦٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١١٠ .

(٦٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٤٦ . مسكويه م.ق، ج١ ، ص ٨٤و٩٣ . الهمداني ، التكملة ، ج١، ص ٣١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٦٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٧٤ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١ ، ص ١٤٥ . زيدان م.ق ، ج٢ ، ص ١٦٦ .

(٦٩) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٢٣٨ . الهمداني ، التكملة ، ج١، ص ١٥ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٨ و٣٥ . التنوخي نشوار ، ج١ ، ص ٢٥ (دار الصياد) العيون ، م.ق، ج٤ ، القسم ١ ورقة ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢١٤) . ابن الجوزي، المنتظم، ج٦ ص ١٤٨ . البيروتي ، الجماهر ، ص ١٥٣ . الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج٧ ، ورقة ٥ . العبر ، ج٢ ، ص ١٢١ . ابن الوردي ، م.ق، ج١،ص٣٥١ .

كانت المبالغ المصادرة تشكل موردا أساسيا لخزينة الدولة تستعين بها في التغلب على بعض الازمات المالية التي كانت تتعرض لها كما اسلفنا . ففي وزارة ابن الفرات الثالثة ، بلغ مقدار المصادرات من «العين [٧٠] سبعة آلاف الف وخمسمائة الف وخمسة وسبعين ألفا وستمائة وثمانين دينار ، ومن الورق [٧١] خمسة آلاف وثلاثمائة الف درهم » [٧٢] . وتقدر قيمة الدراهم الاخيرة بحوالي ثلاثمائة وثمانين الف دينار [٧٣]، وعلى هذا الاساس يكون المجموع الكلي من « العين ثمانية آلاف الف دينار وأربعين الف دينار » [٧٤] .

ابن شاكر الكتبي ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٧١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١ ، ص ١٠٧ و ١٢٢ . ابو المحاسن، النجوم الزاهرة ، ج٢- ص١٨٥. اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٢، ص ٢٢٦ . ابن العماد ، شذرات ، ج٢، ص ٢٢٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٧٥٦.

BOWEN . op . cit , p 147 .

(٧٠) الجملة هي ٦٨٠ر٥٧٥ر٦ دينار بعد ان جمعت الارقام ، وربما نسي مبلغ من الصادرات او ان الكلمة حرفت من ستة آلاف الى سبعة آلاف .

(٧١) ان جملة هي ٥٠٠ر٤٧٢ر٥ درهم بعد جمع الارقام. وليس كما ورد في النص ، ولا شك انه ربما سقط مقدار الفرق وهي(٥٠٠ر١٧٢) درهم فمثلا مقدار مصادرة علي بن محمد بن احمد بن السمان (٢٥٠٠) درهم ، وهو مبلغ قليل اذا ما قيست في المصادرات الاخرى .

(٧٢) انظر الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٥ — ٢٤٨ .

(٧٣) ن.م ، ص ٢٤٨ . (ومعنى ذلك ان الدينار عندهم وقتذاك يساوي ١٤ درهم تقريبا) .

(٧٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٨ .

ولكثرة المبالغ المصادرة ، وتعدد المصادرات في خلال مختلف عهود الوزراء أصبح من الضروري للدولة استحداث ديوان خاص للاشراف على استيفاء أموال المصادرات سمي « ديوان المصادرين » (٧٥) ، الـذي كان الوزير احمد بن عبيد الله الخصيبي قد حفظ فيـه رقاع المصـادرين والكفالات والتعهدات التي قدموها خـلال وزارته (٣١٣ ـ ٣١٤ هـ / ٩٢٥ ـ ٩٢٦ م) (٧٦) . وهو بهذا الاجراء قد شـذ عن بقيـة الوزراء وخالف ما اعتاد عليه غيره ، وحينئـذ لامه الوزير الجديد علي بن عيسى فقال له : «ما سبقك أحد إلى تسليم خطوط المصادين الى صاحب ديوان المصادرات ، لان سبيل الخطوط ان تكون في خزائن الوزراء محفـوظة يتسلمها وزير بعد وزير » (٧٧) . وكان ينبغي ان تأخذ خطوط المصادرين بنسختين، نسخة تكون عند الوزير والاخرى تحفظ في ديوان المصادرين(٧٨) .

وان المناظرة السابقة دارت بين أحمد بن عبيد الله الخصيبي وعلي بن عيسى في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م بعد ان عزل الاول من الوزارة وتقلدها الثاني ، وليس ، كما ذكر بعض الباحثين (٧٩) على انها بين علي بن عيسى وعلي بن الفرات الذي كان قد مضى على قتله ما يقارب الثلاث سنوات(٨٠) .

---

(٧٥) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٤ .

(٧٦) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٨٤ .

(٧٧) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ١٥٥ .

(٧٨) نفس المصدر والمكان . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٠١ .

(٧٩) السامرائي ، المؤسسات ، ص ٢٩٠ .

(٨٠) انظر عريب ، الصلة ، ص ١٢١ . مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص

وعندما تكون المبالغ المصادرة من شخص واحد كثيرة ، بحيث أنها تتطلب استحداث ديوان خاص لادارة تلك الاموال والممتلكات المصادرة ، كان يستحدث لها مثل هذا الديوان . ففي سنة ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م سخط على أم موسى القهرمانة وقبض على اسبابها ومن كانت تعني به، فورد منها الى بيت المال الف الف دينار (٨١) . ونظرا لكثرة الاموال التي أصبحت في قبضة السلطة ، تطلب ذلك انشاء ديوان جديد سمي « ديوان المقبوضات عن أم موسى وأسبابها » (٨٢) . ولما ظهرت الوحشة بين الخليفة المقتدر بالله وأمير الجيش مؤنس المظفر في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م وخروج القائد نحو الموصل ، قبض على امواله وممتلكاته فحصل منه مال كثير ، وأفرد له ديوان جديد هو : « ديوان المخالفين » (٨٣) .

وهكذا صارت المصادرة وسيلة مناسبة للتنكيل بالخصوم، وللحصول على المال ، بحيث انها أصبحت سنة جارية ، وعادة متبعة ، يستخرج بها المتربعون على السلطة المبالغ الكثيرة من منافسيهم ، بالقوة والاكراه . ولا شك ان العوامل الاساسية التي دفعت هؤلاء الى التمادي في مصادرة

---

١٣٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٨٩ . ابن الاثير، الكامل، ج٦ ، ص ١٧٩ .

(٨١) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٨٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ص ١٦٦ . ابن كثير البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٤٥ . انظر كذلك عريب الصلة ، ص ١٠٨ .

(٨٢) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٨٤ . ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٣ ، ص ٢٠٤ .

(٨٣) مسكويه ، م.ق ، ج١ ، ص ٢٢٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، القسم ٤ ، ص ٨١٧ .

الآخرين ، هي التنكيل بالمنافسين ، والطمع وحب المال الذي أصبح ، ضرورة ملحة تطلبته حياتهم آنذاك . ليكون وسيلة بأيديهم ، لتطمين متطلباتهم في البذخ والأسراف واللهو وإعطاء الجوائز والهبات الى الاعوان والمقربين .

وقد شكلت تركات من يموت ، دون ان يترك وارثا، موردا مهما لبيت المال وكانت ضريبة المواريث معروفة قبل خلافة المعتضد بالله (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ ـ ٩٠١ م) [٨٤]، ولها ديوان خاص ينظم شؤونها ويستوفي مقدارها . والظاهر ان المتقلدين لاعمال المواريث كانوا يسيؤون استغلال مناصبهم ، ويتعسفون على الرعية ، الامر الذي دعا المعتضد إلى أن يصدر امره بالغاء ديوان المواريث ، وأن يرد من سهام المواريث الى ذوي الارحام في سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م [٨٥] ولعل المعتضد بالله أقدم على خطوته هذه لان الناس استثقلوها ، حيث عبر عن ذلك عبد الله بن المعتز بأرجوزته الطويلة التي قال فيها :

وويل من مات أبوه موسرا   أليس هذا محكما مشهرا
وطال في دار البلاء سجنه   وقيل من يدري بأنه ابنه ؟
فقال جيراني ومن يعرفني   فنشفوا سباله حتى فنى
وأسرفوا في لكمه ودفعه   وانطلقت أكفهم في صفعه

(٨٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٦٩ ـ٣٧٠ . ابن الاثير، الكامل ، ج٦ ، ص ٧٣ . ابن دحية ، النبراس، ص ٩٠ ، ٩٣ .

(٨٥) الطبري ، م.ق ، المجلد ٤ ، ج٣ ، ص ٢١٥١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٨٤ . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٩٨ .

ولم يزل في أضيق الحبوس حتى رمى لهم بالكيس [٨٦]

ان هذه الأبيات تصور لنا مدى تجاوزات الموظفين الموكل إليهم جباية هذه الضريبة الجائرة . ولا شك ان هذه القصيدة قيلت في عهد المعتضد بالله وليس في خلافة المقتدر بالله ، كما ورد في كتاب « المؤسسات الادارية » [٨٧] ، ذلك ان حياة ابن المعتز لم يقدر لها البقاء أكثر من أربعة أشهر من بداية خلافة المقتدر اذ اشترك في مؤامرة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م التي قتل على اثرها [٨٨] .

ويبدو ان ضريبة المراريث ارجعت مرة أخرى قبل تقلد المقتدر بالله الخلافة ففي سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م توفي قائد الجيش صافي الحرمي، فأخذ الخليفة ووزيره من تركة هذا المتوفي « مائة وعشرين الف دينار وسبعمائة منطقة ذهبا وفضة » [٨٩] . وفي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م أمر المقتدر بالله برفع « مطالبة المواريث عن الناس وأن يورث ذووا الأرحام ولا يعرض لأحد في ميراث الا لمن صح أنه غير وارث ، وكان الناس قبل ذلك في بلاء وتعلل متصل من المستخرجين والعاملين »[٩٠] .

---

(٨٦) انظر ديوان عبد الله بن المعتز ، تحقيق محيي الدين الخياط (دمشق : ١٣٧١ هـ) ص ١٥٨ .

(٨٧) السامرائي ، المؤسسات ، ص ٢٩٤ .

(٨٨) عريب ، الصلة ، ص ٢٨ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٨ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ص ٣٧٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ص ٨٠–٨١ . ابن الاثير ، الكامل جـ ٦ ، ص‌ص ١٢١–١٢٢ .

(٨٩) الهمداني ، التكملة ، جـ١ ، ص ٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٠٨ .

(٩٠) عريب ، الصلة ، ص ٣٨ .

ويؤكد لنا هذا النص جور العاملين في ديوان المواريث ومـــدى قسوتهم على الناس . ويبدو ان الخليفة لم يكن جادا فيهذا الامر ، ذلك لأنه أخذ في سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م من تركة والي واسط علي بن أحمد الراسبي الف الف دينار [٩١] .

وقد أعاد المقتدر بالله ضريبة الارث الى سابق عهدها في سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣ م عندما أخذ بنصيحة حاجبة نصر القشوري ، الذي اغراه بكثـرة أموال الشيخ يانس الموفقي ، الذي كانت له ضياع ومستغلات تدر نحو ثلاثين الف دينار ، اضافة الى الاموال والامتعة الكثيرة ، فاصغى المقتدر بالله إلى أقوال حاجبه ، فأمر بتحصيل تركة الموفقي ، الا أن الوزير ابن الفرات وابنه المحسن أخذا جزءا كبيرا من تلك التركة [٩٢] .

وقد استطاع الوزير ابن الفرات أن يقنع الخليفة المقتدر بالله ، فأمر بالغاء ضريبة المواريث مرة أخرى في سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ، عـلى أثر وفاة أحد كتاب الدواوين المدعو أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخي أبي صخرة ، والذي خلف صبيانا قاصرين وترك لهم ثروة كبيرة . وكان المقتدر بالله قد أمر بالتوكيل على تلك الأموال ، الا ان بعض الورثـة اتصلوا بالمحسن وضمنوا له مالا كبيرا ان هو استطاع ازالة الحجر الذي فرض على تركة والدهم . وقد تمكن الوزير ابن الفرات وابنـه المحسن

(٩١) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ١٣ . انظر كذلك عريب ، الصلة ، ص ٥٤ .

(٩٢) عريب ، الصلة ، ص ص ١١٥ ــ ١١٦ .
SOURDEL , op . cit , TOME II , p . 429 .

أن يصدر! منشوراً عن لسان الخليفة ألغيت بموجبه ضريبة الأرث (٩٣) .

والظاهر أن هذا الاجراء بقي ساري المفعول طيلة ما تبقى من عصر المقتدر بالله ، حيث رفعت تلك الضريبة الجائرة غير الشرعية ، ذلك ان الشريعة الاسلامية تنص على ان تقضي ديون المتوفي ، ثم تنفذ وصاياه ومن ثم تقسم تركته بين ورثته وان لم يكن له وارث ، ورثه بيت المال(٩٤).

٤ — ضياع وحدة الدولة :

لقد تميز عصر المقتدر بالله ، بأنه كان عصرا مضطربا ، صاخبا بالحركات الداخلية المعارضة ، فاشتدت النقمة على الحكام والأمراء حتى شملت الخليفة نفسه . ومن هنا نجد ان سوء الطالع قد خالف المقتدر بالله ، لأنه حكم في عصر سادته الفوضى ، وشعر الناس فيه بفساد الحكم وقتذاك . وكان لفشل الدولة في تحقيق العدل الاجتماعي ، واشاعة الامن وحصول الارتباك في مؤسسات الدولة الادارية ، ان نشطت الحركات المعادية التي كانت تغذيها العناصر المعارضة للخلافة العباسية .

وربما كان لتدخل الجيش في شؤون الدولة الادارية ، وصراعه مع العناصر المدنية ، من العوامل التي شغلت الخليفة وكبار موظفيه عن

---

(٩٣) انظر عريب ، الصلة ، ص ١١٦ — ١١٨ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١١٧ . (وان أخذ المحسن لبعض أموال أخي ابي صخرة ، ليس من قبيل تطبيق ضريبة الارث كما ذكر الدوري في كتابه تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٠٠ ، وانما عن طريق الاغتصاب والقوة) .

(٩٤) ابن سماتي ، قوانين الدواوين ، (القاهرة : ١٩٤٣) ص ٣١٩ .

مناهضة العناصر المعارضة ، والحركات الانفصالية ، مما أتاح الفرصة أمام هؤلاء لان ينشطوا ويعملوا لتحقيق مطاليبهم (٩٥).

وليس ثمة شك أن سوء الاحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في أرجاء الدولة العباسية (٩٦) ، قد ساعد كثيرا على نجاح الحركات المعارضة وانتشار دعواتها ، وتعاظم خطرها ، فلم تكن عناصر التشيع وحدها هي التي اعتمد عليها المعارضون، فقد استغل هؤلاء الاوضاع الاجتماعية السيئة في شتى أرجاء الدولة ، فعملوا على جذب الناس اليهم (٩٧) ، فأثاروا الفقراء على الاغنياء ، الامر الذي أدى الى حدوث اضطرابات في جميع أقاليم الدولة .

فالمجتمع الذي برز فيه التباين الاقتصادي ، والتمييز الطبقي ، زود المعارضين بأفكار وحجج قوية معادية للسلطة الحاكمة وقتذاك ، وتشكك في أحقيتها في الحكم ، وقدرتها على اصلاح الاوضاع المتردية (٩٨) .

(٩٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٢١٣. مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ص ١٠٤ — ١٠٥ . العيون م.ق ، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٩ — ب. (تحقيق ، نبيلة ، ص ٣٠٩) .

(٩٦) مسكويه ، م.ق ، جـ١، ص ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ص ١٦٥ — ١٦٦ .

(٩٧) العيون ، م.ق ، جـ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٢ — آ و ١٠٤ — آ — ب و ١٠٥ — آ — ب . (تحقيق ، نبيلة ، ص ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨) .

(٩٨) مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ٣٤ و ٦٩ و ٧١ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٨٤ و ٩١ و ١٠٥ و ١١٧ و ١٢١ . ابن الاثير ، الكامل، جـ٦، ص ١٤٠ و ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٧ و ١٧٨ .

ومما زاد في ضياع وحدة الدولة واقتطاع الاطراف ، هو ان الخليفة المقتدر بالله وزع بعض الامصار بين العمال والقواد ، على ان يدفعوا أرزارق الجيش من موارد خزينة الاقليم ، وليس من خزينة الدولة المركزية الفارغة (٩٩) ، والتي كانت تشكو الافلاس المزمن . وان هذا الاجراء بلا ريب ، أشعر حكام الاقاليم بضعف السلطة المركزية ، وعدم تمكنها من الهيمنة عليهم ، الامر الذي اطمعهم بالانفصال والتمادي في تصرفاتهم(١٠٠). وعدم دفع ما بذمتهم من الاموال ومبالغ الضمان .

وبما أن السلطة في العاصمة ، كانت غير قادرة في أغلب الأحيان ، على تأديبهم وارجاعهم الى طاعة الدولة بالقوة (١) ، فانها كانت مضطرة، أحيانا الى التراضي معهم والاستجابة لمطاليبهم (٢) . ومع ذلك فان الضامنين لم يدفعوا الا قليلا مما تعهدوا به . فاذا ما ألحت السلطة عليهم جنح البعض منهم الى اعلان العصيان وشق عصا الطاعة ، ومن ثم الانفصال والاستئثار بولاياتهم قاطعين كل صلة تربطهم بعاصمة الخلافة العباسية(٣).

ومن معايب عصر المقتدر بالله ، أن الخليفة نفسه كان في كثير من الاحيان ، لا يستطيع أن ينفذ ما يريده ، اذ لم تكن لديه الحرية الكافية

(٩٩) عريب ، الصلة ، ص ٥٦ . حتى ، م.ق ، جـ٢ ، ص ٤٠٦ .

(١٠٠) عريب ، الصلة ، ص ٤٢ . مسكويه ، م. ق ، جـ ١ ، ص ٤٥ — ٤٧ .

(١) مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٤٥ .

(٢) ن . م ، ص ١٥٨ و ١٦٢ — ١٦٣ .

(٣) ن . م ، ص ٣٧ و ٤٥ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص١٥٠.

لاختيار وزرائه (٤) ، كما انه لم يستطع ان يفي بوعوده لهم ، ففي سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م عزل حامد بن العباس من الوزارة ، وتقلدها ابن الفرات للمرة الثالثة ، وكان المقتدر بالله قد اشترط على وزيره الجديد ابن الفرات ألا ينكب حامدا ، وأن يناظره بحضرة القضاة والكتاب ، وقال المقتدر : « انه خدمني ولم يأخذ رزقا، وشرط عليّ الا اسلمه لمكروه »(٥) غير ان الخليفة لم يستطع ان يفي بوعوده لوزيره المخلوع ، ذلك أن حامد ابن العباس قد لاقى شتى أنواع العذاب والاهانة من منافسيه (٦) ، كانت خاتمتها ان فقد حياته (٧) .

وقد بدا الخليفة ضعيفا ابان عودة مؤنس من الموصل عام ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م وانساق وفق أهواء حاشيته الذين اخافهم رجوع أمير الجيش ، فأستطاعوا ان يغيروا رأي الخليفة ، واقنعوه بضرورة الخروج على رأس الجيش والحرس لملاقاة مؤنس ، وقد شهد هذا اللقاء نهاية حياة الخليفة

(٤) عريب ، الصلة ، ص ٣٧ و ٤٠ و ٧٣ و ١٢٠ . مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ٢٦ و ٥٧ و ٨٧ و ١٢١ و ١٢٧ و ١٤١–١٤٣ و١٤٩و ١٨٤ و ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٥) الهمداني ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٣٢ .

(٦) عريب ، الصلة ، ص ١١٢ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص١٠٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ٢٣ .

(٧) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٧٧ . مسكويه ، م .ق ، جـ ١ ، ص ١٠٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٧٣ . العيون،م.ق، جـ ٤ ، القسم ١ ، ورقة ١٠٨ – ب (تحقيق ، نبيلة ، ص‌ص ٣٠٦–٣٠٧). ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٦٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٤٧ .

المقتدر بالله (٨) .

وتميز هذا العصر بالأسراف والتبذير المفرطين من جانب الخليفة ، حيث بعثر الأموال الكثيرة ، ومن هنا أشار ابن دحية : « ان المقتدر بالله اجتبى من الأموال في أيام خلافته سبعمائة ألف ألف وخمسين دينار فأنفق ذلك كله (٩) » . وذكر مسكويه أن المقتدر كان قد « أتلف نيفاً وسبعين ألف ألف دينار سوى ما أنفقه في موضعه وأخرجه في وجوهه (١٠) » . وهذا يشير بطبيعة الحال الى أن الوضع المالي وصل الى أسوء حالات التردي ، على الرغم من المصادرات الكثيرة ، والضرائب المتنوعة التي لم تف بمتطلبات ومصروفات الدولة وقصر الخلافة ، الذي غدا مسرحاً لعبث الجواري والحريم (١١) ومرتعاً للمرتشين والمغامرين ، وأصحاب المطامح والمطامع (١٢) ، فلا غرابة أن نجد التدهور الاقتصادي ، والانحلال الخلقي والفساد الأداري والأجتماعي .

وفي وسط هذه الحياة المتداعية ، والتيارات المتصارعة ، يجلس الخليفة المقتدر بالله في قمة السلطة ، غير آبه بما يدور حوله ، مركزاً كل اهتمامه

(٨) عريب ، الصلة ، ص ١٧٩ . مسكويه ، م.ق ، جـ١ ، ص ٢٣٧ . ابن دحية ، النبراس ، ص ١١١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ٢٤١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص‌ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٩) النبراس ، ص ١١٢ .

(١٠) تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ . أنظر كذلك ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٢٢ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٦٩ .

(١١) ابن دحية ، النبراس ، ص ١٠٩ و ١١٢ .

(١٢) أنظر عريب ، الصلة ، ص ٤١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٩ .

باللعب واللهو والترف والمجون والاسراف والتبذير [١٣] • وفي قلب هذا الخضم المضطرب تعلو الأصوات المطالبة بالأصلاح السياسي والاقتصادي والأجتماعي ، في حين تندفع الفئة المسيطرة على الحكم في أختيار مالذ وطاب من أصناف الطعام [١٤] ، وتعاطي المسكرات سراً وعلناً ، ويروج سوق شعر الخمريات الذي طرقه بعض الشعراء آنذاك [١٥] ، ارضاء لبعض الوزراء والأمراء وحتى الخليفة نفسه ، اذ لم يعبأ هؤلاء كثيراً بأوامر الدين فتعاطوا الخمرة ، وجدوا في طلب المغنين وأرباب الموسيقى ، حيث كانت تعقد لمعاقرة الخمرة والغناء حلقات أنس صاخبة تسمى مجالس الشراب [١٦] •

---

(١٣) أنظر التنوخي ، نشوار ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ (دار الصياد) • ابن دحية ، النبراس ص ١١٢ • ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ •

(١٤) الصفدي ، الوافي ، جـ١٢ ، قسم ٢ ، ورقة ١٩١ — ب • الكبيسي ، شعر الفكاهة ، ص ٦٦ •

(١٥) أنظر المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٤ ، ص ٢١٣ • ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ص ١٣١ و ٢١٣ • ابن المعتز ، ديوان ، ص ٢٠٣—٢٥٤ • احمد كمال زكي ابن المعتز ، ص ٢٧ •

(١٦) عريب ، الصلة ، ص ٢٦ و ٧١ و ٧٢ • المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢١٣ و ٢١٨ — ٢٩١ • و ٢٢٣ — ٢٢٤ و ٢٢٧ و٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و أنظر كذلك ديوان ابن المعتز ، ص ٢٠٣ — ٢٥٤ • احمد كمال زكي ، ابن المعتز ، ص ٢٧ و ١٠٦ و ١٠٧ •

٥ — الاصلاحات العامة :

وثمة جوانب أخرى في عصر المقتدر بالله ، ذلك أن الحركة الفكرية نشطت في هذا العصر ، وازدادت نضجاً وعمقاً . حيث بقيت بغداد ملتقى العلماء والفقهاء والمفكرين ، فنشطت المدارس الفقهية والصوفية ، التي أعلنت مناهجها في المعرفة والسلوك . وعندما يشتد الصراع الفكري في البيئات العلمية والسياسية تنشأ عن ذلك مساجلات كلامية حادة بين المذاهب المتصارعة ، وحينئذ تزدهر الثقافة والمعرفة ، وهذا ما حدث فعلاً في هذا العصر ، حيث تعددت الاحزاب والفرق ، مقنعة وسافرة ، مؤمنة وملحدة ، ثائرة ومحافظة ، كانت في أغلبها معارضة للسلطة .

والظاهر أن الأدباء والمفكرين لم تشغلهم حزازات الفئات السياسية المتصارعة المدنية والعسكرية ، حيث أستمر المفكرون في انتاجهم ، على الرغم مما أصاب الدولة ، آنذاك من الفوضى والاضطراب ، وما تعرضت له من تمزيق الى ولايات وأمارات . ولعل إنصراف العلماء والادباء الى الدرس والاستقصاء كان متأتياً من تقدير رجال الدولة لهذا الجانب من الحياة . فالخليفة المقتدر بالله ، كان قد خصص مرتباً شهرياً ثابتاً لمحمد بن الحسن ابن دريد اللغوي الشاعر المشهور (١٧) . وفي سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م أمر

---

(١٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٩٧ . زيدان . م . ق ، جـ٢ ، ص ٢١٩ . بروكلمان ، الادب العربي ، جـ٢ ، ص ١٧٨ . أمين ، ظهر الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ .

المقتدر بالله بأعطاء ابي بكر محمد الصولي عشرة الآلف درهم [١٨] . جزاء نظمه قصيدة مدح بها بني العباس [١٩] . وأنفق الوزير ابن الفرات في سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م مائة ألف درهم على الشعراء وأصحاب الادب والفقهاء والصوفية [٢٠] .

وكان المقتدر بالله سمحاً جواداً ، أستهل عهده بأن ردّ رسوم دار الخلافة الى ما كانت عليه من التوسع في الطعام والشراب ، وأطلق بعض المسجونين [٢١] . وكان يصرف على الحرمين وفي الطريق المؤدى لهما : « ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألف دينار وأربعمائة وستة وعشرين دينار ونصف دينار [٢٢] » . وينفق على صيانة الثغور والدفاع عنها « أربعمائة الف دينار واحدا وتسعين الف دينار وأربعمائة وستة وخمسين دينار [٢٣] ».

وفي هذا العصر رفعت بعض الضرائب الجائرة التي شكى من ثقلها السكان ، كضريبة التكملة والمكوس [٢٤] ، وأصدر في سنة ٣١١ هـ/٩٢٣م

---

(١٨) عريب ، الصلة ، ص ٨٤ .

(١٩) ن . م ، ص ٨٠ — ٨٣ .

(٢٠) مسكويه ، م . ق ، جـ١ ، ص ١١٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٠ .

(٢١) عريب ، الصلة ، ص ٢٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٩ . ابن كثير البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ .

(٢٢) ابن دحية ، النبراس ، ص ١١٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ص ٦٩ — ٧٠ .

(٢٣) ابن دحية ، النبراس ، ص ١١٢ .

(٢٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٦٩ . مسكويه ، م . ق ، جـ ١ ، ص ٢٨ .

أمراً أبطل بموجبه ضريبة المواريث (٢٥) ، وكان المقتدر قد أوقف أموالاً جزيلة وضياعاً واسعة على الحرمين الشريفين (٢٦) . وفي سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م أمر المقتدر بالله ببناء (بيمارستان) وأجرى عليه النفقات من ماله الخاص (٢٧) . وقد حذى حذو الخليفة والدته السيدة ، اذ أقدمت هي الاخرى على بناء مستشفى (٢٨) ، وكذلك فعل الوزير ابن الفرات (٢٩) ، وكان علي بن عيسى قد سبقهم في هذا المجال (٣٠) . وكانت السلطةقد قدمت الخدمات الطبية للمسجونين وأرسلت الأطباء ، مزودين بالأدوية والأشربة ، إلى القرى في السواد لمعالجة المرضى هناك والحد من إنتشار الأوبئة والأمراض في تلك النواحي (٣٢) .

(٢٥) عريب ، الصلة ، ص ص ١١٧ — ١١٨ . الصابي الوزراء ، ص ٢٦٨ — ٢٧٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٢ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٨٢ .

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ و ١٢٣ .

(٢٧) ابن أبي اصيبعة ، م . ق ، جـ٢ ، ص ٢٠٤ . القفطي ، الحكماء ، ص ١٩٤ .

(٢٨) ابن ابي أصيبعة ، م . ق ، جـ٢ ، ص ٢٠٤ . القفطي ، الحكماء ، ص ١٩٥ .

ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٤٦ .

(٢٩) احمد بن عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص ١٨٤ .

(٣٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٢٨ . العيون ، م . ق ، ج ٤ ، القسم ١ ، ورقة ٨٢ ب . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٦ آ .

(٣١) ابن ابي أصيبعة ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٣٢) القفطي ، الحكماء ، ص ١٩٤ . متز ، م . ق ، جـ١ ، ص ٩٢.

خلاصة البحث

لقد تبين لنا من خلال هذا البحث أن عصر المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ — ٩٣٢ م) زخر بالاحداث الجسام ، ذلك ان طفلاً غراً لم يبلغ الحلم بعد تقلد الخلافة ، فاختلف في شرعية تولية هذا المنصب الرفيع ، الفقهاء والقضاة والوزراء وكتاب الدواوين ، لأسباب سياسية وشخصية ، لهذا تميز هذا العصر بالصراع المشبوب الأوار بين السلطة الشرعية ومعارضيها من الشيعة والقرامطة وغيرهما .

ومن جهة أخرى كانت حياة القصور الباذخة وما بها من أسراف وتبذير وترف ومؤامرات استهدفت جعل الخلافة العوبة في أيدي الجيش تارة ، أو في قبضة الوزراء تارة أخرى ، أو وفق اهواء الحريم وحاشية دار الخلافة تارة ثالثة ، الأمر الذي مزق وحدة الدولة ، وخلف أزمة مالية حادة مستعصية ظلت الدولة تئن من شدتها حتى نهاية هذا العصر .

وبرز لنا دور الحريم وعلى رأسهن السيدة والدة المقتدر بالله ، فلمسنا بوضوح تدخلهن في الأمور السياسية والمالية بل والقضائية كذلك ، وانعكاس ذلك على شؤون الدولة العامة ، وبخاصة عندما صار الخليفة يرجع الى أقوالهن وتحريضاتهن على الوزراء وقادة الجيش وكتاب الدواوين .

وتبين لنا ضعف مؤسسة الوزارة التي أصبحت عاجزة عن حماية نفسها من تجاوزات الجيش المتكررة ، وتطاولات الحاشية ، وتهكمات العامة أيضاً ، وصار سجن الوزراء وأهانتهم ومصادرتهم وقتلهم من الأمور المألوفة . كما وضحت أنانية الوزراء واشتغالهم بالمؤامرات وجمع الثروة بطرق غيرمشروعة .

وقد لعب الجيش دوراً كبيراً في توجيه سياسة الدولة ، فأستبد قادته بالسلطة مستهدفين تحقيق اطماعهم الخاصة ، فأثاروا الفتن والاضطرابات التي أدت الى تمزيق وحدة الدولة وتقويض أسسها • وفي خلال هذا العصر برزت شخصية مؤنس العسكرية التي طغى نفوذها وسيطرتها على نفوذ وسيطرة الخليفة والوزراء وعندئذ أصبح قائد الجيش هو سيد الموقف بدون منازع • وقد بذلت جهود كبيرة لأبعاد الجيش عن التدخل في المؤسسات المدنية ، لكن تلك المحاولات كانت تبوء بالفشل الذريع •

ومن الأمور المهمة التي تسترعي الانتباه ، ضعف السلطة امام معارضيها الذين كانوا يتحينون الفرص المناسبة للنيل من الدولة التي أصبحت عاجزة عن حماية نفسها من تجاوزات اولئك المعارضين الذين ازداد تأثيرهم بحيث أنهم أستطاعوا ان يقتحموا السجون ويخرجوا المعتقلين منها ، كما هاجموا دار الخلافة ودور الوزراء ، وباتت السلطة وكأنها غير قادرة على كبح جماح معارضيها •

وتبلورت في هذا العصر حركات ثورية عنيفة استهدفت الأطاحة بالخلافة العباسية ، وكان من تلك الحركات ما قام به القرامطة الذين سيطروا على منطقة البحرين وروعوا سكان السواد عدة مرات ، كما أنهم هددوا العاصمة بغداد نفسها • هذا بالأضافة الى حركات الشيعة المعارضة للعباسيين ، وأخيراً حركة الحسين بن منصور الحلاج الذي أثار صراعه مع السلطة جدلاً حاداً بين الباحثين •

ولمسنا الدور الكبير الذي لعبه الحمدانيون في الحوادث السياسية والأدارية والعسكرية التي حصلت في العصر الذي نحن بصدد البحث فيه • فقد أسهم الحسين بن حمدان في حركة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م التي حيكت

ضد الخليفة المقتدر بالله ، وأستهدفت الاطاحـة به وقتله ، لكن الاسرة الحمدانية سرعان ما تحولت من صفوف الحزب المعارض للخليفة المقتدر بالله، الى الولاء له . غير ان الخليفة لم يطمئن الى نوايا الحمدانيين ، حيث أوجس منهم خيفة ، فعمل على أبعادهم عن العاصمة . وكان المقتدر بالله قد آرتكب خطأ كبيراً بعمله هذا ، أذ انه لم يحاول أن يقيم توازناً بين فرق الجيش وقد حاول الحمدانيون مراراً أن يبرهنوا على حسن نيتهم واخلاصهم للدولة، متناسين ما أصاب بعض أفراد أسرتهم من القتل والتنكيل أملاً في التخلص من النفوذ التركي المتمثل بمؤنس المظفر وتحرير الخلافة من قبضتهم لتتبوأ قبيلة تغلب العربية مركز الصدارة في تصريف الأمور ، لكن محاولاتهم تلك كان نصيبها الاخفاق .

وثمة جوانب اصلاحية أنجزت أبان هذا العصر ، حيث انشئت المستشفيات وقدم العلاج للمسجونين وسكان السواد . وردت رسوم دار الخلافة الى ما كانت عليه من التوسع في الطعام ، واطلق بعض المسجونين ، وصرفت الاموال لأعمار الحرمين وتحصين الثغور ، كما رفعت بعض الضرائب الجائرة التي شكى من ثقلها السكان كضريبة المواريث والمكس والتكملة ، وكان الخليفة المقتدر بالله قد أوقف أموالاً جزيلة وضياعاً واسعة على الحرمين الشريفين مكة والمدينة .

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المخطوطات :

ابن حمدون ، محمد بن الحسن بن حمدون ، (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٦ م) .
١ ــ التذكرة الحمدونية ، جـ ١٢ ، نسخة مصورة في مكتبةالدراسات العليا ــ كلية الآداب . جامعة بغداد ــ برقم ١٢٨٢ .
الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
٢ ــ تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، مخطوطة مصورة عن نسخة مكتبة الاوقاف ومحفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، برقم ١٦٥٨ .
الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (٦٩٦ ــ ٧٦٤ هـ) .
٣ ــ الوافي بالوفيات ، ١٧ جزء ، مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد ، برقم ٩٢٠ .
الحموي ، أبو الفضائل محمد بن علي (ت ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م) .
٤ ــ التاريخ المنصوري ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، نسخة مصورة ، عنى بنشره ووضع فهارسه بطرس غرياز نيوبج أكاديمية العلوم للاتحاد السوفييتي ، معهد الدراسات الشرقية ، (موسكو : ١٩٦٠) .
السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني المروزي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .

٥ ـ الانساب ، نشره ماجليوث ، (لندن : ١٩٢٠) .
مؤلف مجهول .
٦ ـ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، جـ ٤ ، قسم ١ ، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ، جامعة بغداد ، برقم ١٥١٣ .

ثانياً ـ المصادر الأولية :

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم ، محمد بن عبدالكريم الجزري (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ) .
٧ ـ الكامل في التاريخ ، ٨ أجزاء ، ادارة الطباعة المنيرية ، (القاهرة: ١٣٥٣ هـ) .
ابن أبي أصيبعة ، الطبيب الفاضل موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم ابن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٢٩ م) .
٨ ـ عيون الانبار في طبقات الاطباء ، ٣ أجزاء ، اصدار دار الفكر ، مطبعة الاقبال ، (بيروت : ١٩٥٦) .
ابن بطريق ، البطريق أفيتشيوس الملي سعيد بن بطريق (٢٦٣ ـ ٣٢٨هـ) .
٩ ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جزءان ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت : ١٩٠٩) .
ابن تيمية ، ابو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم .
١٠ ـ جامع الرسائل ـ ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط ١ ، مطبعة المدني ، (القاهرة : ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩) .

ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي(٥٠٨ — ٥٩٧ هـ) •

١١ — تلبيس ابليس ، حققه وخرج احاديثه خير الـدين علي ، دار الوعي العربي (١٢٤٤ هـ / ١٩٢٣ م) •

١٢ — المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ١٠ أجزاء ، ط ١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، (حيدر آباد : ١٣٥٧ هـ) •

١٣ — أخبار الحمقى والمغفلين ، تحقيق علي الخاقاني ، ط ٢ ، مطبعة البصري ، (بغـداد : ١٣٨٦) •

١٤ — مناقب بغداد ، (منسوب لابن الجوزي) ، تحقيق محمـد بهجة الاثري ، مطبعة دار السلام ، (بغداد : ١٣٤٢ هـ)•

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي، (٣٨٤ — ٤٥٦هـ)•

١٥ — جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة دار المعارف بمصر ، (القاهرة : ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢م) •

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) •

١٦ — العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، أربع مجلدات، دار الكتاب اللبناني ، المطبعة الباسلية ، (بيروت : ١٩٥٧) •

١٧ — مقدمة العلامة ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد ، (مصر)•

ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر ، (٦٠٨ — ٦٨١ هـ) •

١٨ — وفيات الاعيان وانباء ابنـاء الزمان ، ستة أجزاء ، ط ١ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر مكتبة النهضـة

المصرية : مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م) .
ابن دحية ، مجد الدين عمر بن حسن بن علي المعروف بذي النسبين دحية والحسين ، (٥٤٤ — ٦٣٣ هـ) .
١٩ — النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس : تحقيق المحامي عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م) .
ابن الساعي : تاج الدين ابي طالب علي المعروف بابن الساعي الخازن البغدادي ، (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) .
٢٠ — اخبار الحلاج ، (او مناجيات الحلاج) ، اعتنى بنشره وتصحيحه ، ل ، ماسنيون ، وب . كراوسي ، مطبعة القلم ؛ (باريس : ١٩٣٦) .
٢١ — نساء الخلفاء ، (المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء) ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، الناشر مطبعة دار المعارف بمصر ، (القاهرة) .
ابن شاكر الكتبي ، محمد بن احمد ، (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) .
٢٢ — فوات الوفيات ، جزءان ، تحقيق محمد محي‌الدين عبد الحميد الناشر مكتبة النهضة المصرية : مطبعة السعادة ؛ (القاهرة : ١٩٥١) .
ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، (٦٦٠ — ٧٠٩ هـ) .
٢٣ — الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م) .
ابن عبد ربه : أحمد بن محمد ، (٢٤٦ — ٣٢٨ هـ) .
٢٤ — العقد الفريد ، ثمانية اجزاء : ط ٢ ، تحقيق محمد سعيد

العريان ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة : ١٣٧٢ هـ/١٩٥٣ م) .
ابن العبري ، غريغوريوس ابو الفرج بن هارون الملطي ، (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م) .
٢٥ — تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت: ١٩٥٨) .
ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي ، (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م) .
٢٦ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الناشر مكتبة القدسي ، (القاهرة : ١٣٣٥ هـ)
ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد (٦٤٢ — ٧٢٣ هـ) .
٢٧ — تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ، ج٤ ، قسم ١ — ٤ ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، الناشر وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المطبعة الهاشمية ، (دمشق : ١٩٦٢ — ١٩٦٧) .
ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي ، (٦١١—٦٩٧هـ) .
٢٨ — مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس حققه الدكتور مصطفى جواد ، الناشر وزارة الاعلام ، مطبعة الحكومة (بغداد : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠) .
ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر ، (٧٠٠ — ٧٧٤ هـ) .
٢٩ — البداية والنهاية في التاريخ ، ١٤ جزء ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٣٢) .
ابن المعتز ، عبد الله ، (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) .

٣٠ ــ ديوان ابن المعتز ، الناشر المكتبة العربية بدمشق ، (دمشق: ١٣٧١ هـ) •
ابن مماتي ، الاسعد ، (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) •
٣١ ــ كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، مطبعة مصر ، (القاهرة : ١٩٤٣) •
ابن النديم ، محمد بن اسحق ، (ت ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م) •
٣٢ ــ الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة) •
ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي (٦٣٠ ــ ٧١١ هـ) •
٣٣ ــ لسان العرب ، ١٥ جزء ، الناشر دار صادر وذار بيروت (بيروت : ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) • (وطبعة دار لسان العرب ٣ ، مجلدات ، بيروت ١٣٨٩ هـ) •
ابن الوردي ، زين الدين عمرو بن مظفر ، (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م)•
٣٤ ــ تاريخ ابن الوردي ، جزءان ، ط ٢ ، المطبعة الحيدرية ، (النجف : ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) •
ابن حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن علي بن العباس (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) •
٣٥ ــ الامتاع والمؤانسة ، جزءان ، ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م) •
ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي ، (٦٧٢ ــ ٧٣٢ هـ) •

٣٦ ـ المختصر في اخبار البشر ، ٦ اجزاء ، دار الكتاب اللبنـاني (بيروت : ١٣٤٨ هـ) .

ابو فراس ، الحارث بن سعيد بن حمدان (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م).

٣٧ ـ ديوان ابي فراس ، (شرح ابن خالويه الحسن بن محمد بن احمد ٣٠٠ ـ ٣٧٠ هـ) ، تحقيق سامي الدهان ، الناشر المعهد الفرنسي بدمشق للدراسـات العربية ، (دمشق : ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م) .

ابو المحاسن ، جمال الـدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، (٨١٣ ـ ٨٧٤ هـ) .

٣٨ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ٦ أجزاء ، مطابـع كوستا تسوماس وشركاه (القاهرة : ١٣٥١ هـ) .

الاربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتوت ، (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) .

٣٩ ـ خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، قام صاحب مكتبة المثنى بأعادة طبعه بالاوفست مستفيدا من الطبعة الاولى التي طبعت في (بيروت : ١٨٨٥) .

الازدي ، محمد بن احمد المطهر (القرن الرابع الهجري) .

٤٠ ـ حكاية ابي القاسم البغدادي ، مطبعة كرل ونتر (هيدلبرج : ١٩٠٢) (اعاد طبعه بالاوفست صاحب مكتبة المثنى ببغداد) .

الاسفرائيني ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م).

٤١ ـ التبصير بالـدين ، تحقيق محمد سـليم النعيمي الاعظمي ، مطبعة النهضة ، (تونس : ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) .

٤٢ ـ الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر

مكتبة محمد علي سبح واولاده ، مطبعة المدني ، (القاهرة) .
الاصطخري ، الشيخ ابي اسحق ابراهيم محمد الفارسي (ت ٣٤١هـ /٩٥٢ م) .
٤٣ ــ كتاب الأقاليم ، طبعة بالأوفسيت لمكتبة المثنى ببغداد .
الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبدالرحمن ابن مروان ، (٢٨٤ ــ ٣٥٦ هـ) .
٤٤ ــ كتاب الاغاني ، ٢١ جزء ، ط ١ ، المطبعة المصرية ، (القاهرة: ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م) .
٤٥ ــ مقاتل الطالبيين ، ط ٢ ، الناشر محمد كاظم محمد صـــادق الكتبي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية ، (النجف : ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .
الاصفهاني ، حمزة بن الحسين ، (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) .
٤٦ ــ تاريخ سني ملوك الارض والانبيـاء ، ط ٣ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت : ١٩٦١) .
الانباري ، ابو البركات كمـال الدين عبد الرحمن بن محمد (٥١٣ ــ ٥٧٧ هـ) .
٤٧ ــ نزهة الالباء في طبقات الادباء ، تحقيــق الدكتــور ابراهيم السامرائي ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٥٩) .
البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي ، (٣٦٢ ــ ٤٤٠ هـ) .
٤٨ ــ الجماهر في معرفة الجواهر ، ط ١ ، مطبعـــة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد : ١٣٥٥ هـ) .
التنوخي ، القاضي أبوعلي المحسن بن علي بن أبي الفهم (٣٢٧ــ٣٨٤هـ) .

٤٩ ـ جامع التواريخ (المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة)
ج ٨ ، مطبعة المفيد، (دمشق : ١٣٤٨ هـ/١٩٣٠ م) . (ومطابع
دار الصياد ، ، بيروت ١٩٧١) .
٥٠ ـ الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ط ١ ، دار الطباعة المحمدية ،
(القاهرة : ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) .
الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري(٣٥٠
ـ ٤٢٩ هـ) .
٥١ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد ابو الفضل
ابراهيم دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مطبعة المدني ، (القاهرة :
١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م) .
٥٢ ـ لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الانباري وحسن كامل الصيرفي
دار احياء الكتب العربية ، (مصر : ١٣٧٩ هـ) .
الحصري القيرواني ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي (ت ٤٥٣ هـ/١٠٦١م) .
٥٣ ـ ذيل زهر الآداب ، (أو جمع الجواهر في الملح والنوادر) ،
المطبعة الرحمانية ، (مصر : ١٣٥٣) .
الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي ، (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .
٥٤ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، ١٤ جزء ، الناشر دار الكتاب
العربي ، (بيروت : ١٩٣١ م) .
الخوارزمي ، أبو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف ، (٤٠٧هـ/١١٠٣م) .
٥٥ ـ مفاتيح العلوم ، عني بنشره ، ادارة الطباعة المنيرية ، مطبعة
الشرق ، (القاهرة : ١٣٤٢ هـ) .

الديار بكري ، العلامة الشيخ حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢ م) .

٥٦ ــ تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، جزءان ، المطبعةالوهبية (مصر : ١٢٨٣ هـ) .

الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .

٥٧ ــ دول الاسلام ، جزءان ، ط ٢ مطبعة جمعية دائرة المعــارف (حيدرآباد : ١٣٦٤ هـ) .

٥٨ ــ العبر في خبر من غبر ، ٤ اجزاء ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت : ١٩٦١) .

ذهبي ، محمد .

٥٩ ــ مشاهير النساء (بالتركية) ، مجلدان ، دار الطباعة العامرة : ١٢٩٤ هـ) .

الزركلي ، خير الدين .

٦٠ ــ الاعلام ، ٨ أجزاء ، ط ٢ ، مطبعة كوستا تسوماس ، (مصر: ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م) .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (٨٤٩ ــ ٩١١ هـ) .

٦١ ــ تاريخ الخلفاء ، ط ٢ ، مطبعة السعادة ، (مصر : ١٩٥٩) .

٦٢ ــ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، جزءان ، المطبعة الشرقية ، (القاهرة : ١٣٢٧ هـ) .

الصابي ، أبو أسحق ابراهيم بن هلال .

٦٣ ــ المختار من رسائل أبي اسحق ابراهيم بن زهروب الصابي ، ج ١ ، المطبعة العثمانية ، (لبنان : ١٨٩٨) .

الصابي ، أبو الحسن الهلال بن المحسن بن هلال بن ابراهيم بن زهروب الحراني (٣٥٩ ــ ٤٤٨ هـ) .

٦٤ ــ الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار احياء الكتب العربية (١٩٥٨) .

٦٥ ــ رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، (بغداد : ١٩٦٤) .

الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) .

٦٦ ــ أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ ــ ٣٣٣ هـ من كتاب الاوراق ، نشره ، ج هيورث . دن ، مطبعة الصاوي ، (القاهرة : ١٩٣٥) .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢ م) .

٦٧ ــ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق م . ج . ي . جيوجي ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٩٦٤) .

عريب ، بن سعيد القرطبي ، (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) .

٦٨ ــ صلة تاريخ الطبري ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٨٩٧) .

العصامي المكي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (١٠٤٩ هـ / ١٦٣٩م) .

٦٩ ــ سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، ج ٣ ، المطبعة السلفية .

العمري ، ياسين بن خير الدين (١١٥٧ ــ ١٢٣٢ هـ) .

٧٠ ــ مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ، تحقيق رجاء محمد

السامرائي ، الناشر وزارة الثقافة والارشاد ، مطبعة دار الجمهورية، (بغداد : ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦) .

الفيومي ، احمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م) .

٧١ ــ المصباح المنير ، جزءان ، ط ٢ ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة : ١٩٣٩) .

القرماني ، العلامة الفاضل أبو العباس احمد بن يوسف الدمشقي .

٧٢ ــ أخبار الدول وآثار الاول (الموجود بهامش الجزء الثاني من كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير) ، دار الطباعة ، (القاهرة : ١٢٩٠ هـ) .

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) .

٧٣ ــ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار الصياد ، (بيروت : ١٩٦٠) .

القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م).

٧٤ ــ تاريخ الحكماء (وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات والملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء) ، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر عن نسخة (ليبزج ١٣٢٠ هـ) .

القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي (٧٥٦ ــ ٨٢١ هـ) .

٧٥ ــ صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ جزء ، الناشر وزارة الثقافة والارشاد القومي ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، (القاهرة : ١٩٦٣) .

٧٦ ــ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٦٣) .

٧٧ ــ مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج

ج ١ ، مطبعة حكومة الكويت (الكويت : ١٩٦٤) .

قمي ، حسن بن محمد بن حسن (ت ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م) .

٧٨ — تاريخ قم ، (بالفارسية) ، مطبعة مجلس ، (طهران:١٣٥٣هـ) .

الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) .

٧٩ — كتاب الولاة وكتاب القضاة ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت: ١٩٠٨) .

الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) .

٨٠ — أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك ، تحقيق حسن الهادي حسين ، الناشر مكتبة الخانجي ، ط ١ ، مطبعة دار العصور للطبع والنشر ، (القاهرة : ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م) .

٨١ — الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، المطبعة المحمودية التجارية ، مصر .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) .

٨٢ — التنبيه والاشراف ، مكتبة خياط ، (بيروت : ١٩٦٥) .

٨٣ — مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، مطبعة دار الرجاء ، (مصر) .

مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ / ١٠٤٩ م) .

٨٤ — تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، جزءان ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، (القاهرة : ١٩١٤ — ١٩١٥) .

المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) .

٨٥ ــ احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٩٠٦) •

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (٧٦٦ ــ ٨٤٥ هـ) •

٨٦ ــ السلوك لمعرفة دول الملوك ، جزءان ، في ٦ أقسام ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، الناشر لجنة التاليف والترجمة والنشر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة : ١٩٣٤) •

٨٧ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (المسمى الخطط المقريزية) ، جزءان ، الناشر مكتبة المثنى ببغداد (عن ألطبعة القديمة لسنة ١٩١٠) •

٨٨ ــ النقود الاسلامية المسمى شذور العقود في ذي النقود ، تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم ، ط ٥ ، المطبعة الحيدرية ، (النجف: ١٩٦٧) •

النوبختي ، أبو محمد الحسن بن موسى (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) •

٨٩ ــ فرق الشيعة ، الناشر محمد كاظم الكتبي ، المطبعة الحيدرية ، (النجف : ١٩٥٩) •

الهمداني ، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) •

٩٠ ــ تكملة تاريخ الطبري ، جـ ١ ، ط ٢ ، تحقيق البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت : ١٩٦١) •

وكيع ، محمد بن خلف بن حيان •

٩١ ــ أخبار القضاة ، ٣ أجزاء ، ط ١ ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م) •

اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين اليمني المكي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) .

٩٢ — مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جزءان ، ط ١ ، مطبعة دار المعارف النظامية ، (حيدر آباد : ١٣٣٨ هـ) .

ياقوت ، شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) .

٩٣ — معجم الأدباء المعروف بأرشاد الأريب في معرفة الأديب،تحقيق د . س . مرجليوث ، ط ٢ ، مطبعة هندية بالموسكي ، (مصر : ١٩٢٣) .

٩٤ — معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، الناشر دار الصياد وبيروت للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م) .

ثالثاً — المراجع الحديثة :

الباشا ، حسن (الدكتور) .

٩٥ — الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جزءان ، الناشر دار النهضة العربية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة : ١٩٦٥ — ١٩٦٦) .

٩٦ — تاريخ الكوفة ، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم ، ط ٢ ، المطبعة الحيدرية ، (النجف : ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م) .

الجنابي ، خالد جاسم .

٩٧ — تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ٢١٨ — ٣٣٤ هـ ،

رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي ، غير مطبعة ،قدمت الى جامعة بغداد ، كانون الثاني ١٩٧١ ، موجودة في مكتبة الدراسات العليا ، تحت رقم ٣٧ .

الدوري ، عبد العزيز (الدكتور) .

٩٨ — تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٤٢) .

٩٩ — دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة ، السريان (بغداد : ١٩٤٥) .

١٠٠ — مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط ١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت : ١٩٦٩) .

١٠١ — النظم الاسلامية ، ج١ ، ط ١ ، مطبعة نجيب ، (بغداد : ١٩٥٠) .

الريس ، محمد ضياء الدين (الدكتور) .

١٠٢ — الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط ٣ ، الناشر دار المعارف ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٦٩) .

الزهيري ، محمود غناوي (الدكتور) .

١٠٣ — الادب في ظل بني بويه ، مطبعة الامانة ، (مصر : ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩) .

الزيات ، أحمد حسن وآخرون .

١٠٤ — المعجم الوسيط ، جزءان ، مطبعة مصر ، (القاهرة : ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠) .

السامر ، فيصل (الدكتور) .

١٠٥ – الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، ج١ ، مطبعة الايمان (بغداد : ١٩٧٠) .

١٠٦ – ثورة الزنج ، ط ٢ ، الناشر مكتبة المنار ببغداد وذار احياء التراث العربي بيروت ، (بيروت : ١٩٧١) .

السامرائي ، حسام قوام (الدكتور) .

١٠٧ – المؤسسات ادارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧ – ٣٣٤ هـ / ٨٦١ – ٩٤٥ م ، مكتبة دار الفتح ، (دمشق : ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م) .

السندوبي ، حسن .

١٠٨ – ادب الجاحظ ، ط ١ ، المطبعة الرحمانية ، (القاهرة: ١٣٥هـ ١٩٣١ م) .

الشهابي ، الامير حيدر أحمد .

١٠٩ – كتاب الغرر الحسان في تواريخ الزمان ، ٣ أجزاء ، مطبعة السلام ، (مصر) .

العزاوي ، عباس (المحامي) .

١١٠ – تاريخ الضرائب العراقية ، مطبعة شركة التجارة والطباعة ، (بغداد : ١٩٥٨) .

الفياض ، عبد الله (الدكتور) .

١١١ – تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة ، مطبعة اسعد (بغداد: ١٩٧٠) .

الكبيسي ، عناد اسماعيل (الدكتور) .

١١٢ – شعر الفكاهة في القرن الرابع الهجري ، رسالة ماجستير في

الآداب غير مطبوعة ، قدمت الى جامعة عين شمس ، (مصر : ١٩٦٧) •

أمين ، احمد •

١١٣ — ظهر الاسلام ، جزءان ، ط ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٦٢) •

المنجد ، صلاح (الدكتور) •

١١٤ — بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ، دار الحياة (بيروت: ١٩٥٧) •

النقشبندي ، ناصر السيد محمود •

١١٥ — الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، ج١ ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة الرابطة ، (بغداد : ١٩٥٣) •

اليوزبكي ، توفيق سلطان (الدكتور) •

١١٦ — الوزارة ، مطبعة الارشاد ، (بغداد : ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م)•

بدوي ، عبد الرحمن •

١١٧ — شخصيات قلقة في الاسلام ، ط ٢ ، الناشر دار النهضة العربية ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، (القاهرة : ١٩٦٤) •

بروكلمان ، كارل •

١١٨ — تاريخ الادب العربي ، ٣ أجزاء ، ط٢، الناشر دار المعارف بمصر ، (القاهرة : ١٩٦٨) •

١١٩ — تاريخ الشعوب الاسلامية ، ٥ أجزاء ، ط ٣ ، ترجمة نبيه ١٩٦١) •

ترتون ، آرثر ستانلي (الدكتور) •

١٢٠ ــ أهل الذمة في الاسلام ، ترجمة الدكتور حسن حبشي ، ط٢
الناشر دار المعارف ، مطبعة الشاعر ، (القاهرة : ١٩٦٧) .
ثامر ، عــارف .
١٢١ ــ القرامطة « اصــلهم ونشأتهم وتاريخهم وحروبهــم » ، دار
الكتاب العربي ، (بيروت) .
جرونيباوم ، جوستاف فون .
١٢٢ ــ حضارة الاسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق جــاويد ، دار
مصر للطباعة ، (القاهــرة : ١٩٥٦) .
جواد ، مصطفى (الدكتور) واحمد سوسة (الدكتور) .
١٢٣ ــ دليل خارطة بغداد المفصل ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي
مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد : ١٣٨٠ هـ / ١٩٥٨ م) .
جواد ، مصطفى (الدكتور) .
١٢٤ ــ سيدات البلاط ، مطبعة دار الكشاف ، (بيروت : ١٩٥٠) .
جويز ، بندلي .
١٢٥ ــ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، الناشر دار الزوائع
مطبعة الجهاد ، (بيروت) .
حتي ، فيليب (الدكتور) .
١٢٦ ــ تاريخ العرب (مطول) ، ٣ أجزاء ، ترجمة الدكتور ادور
جرجي والدكتور جبرائيل جبور ، ط ٢ ، دار الكشاف للنشــر
والطباعة والتوزيع مطبعــة دار الكشاف ، (بيروت : ١٣٧٢ هـ
١٩٥٣ م) .

حسن ، ابراهيم حسن (الدكتــور) .
١٢٧ ــ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٤ أجزاء ، ط ٥ ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٦٠) .
ديمومبين ، موريس جودفوا .
١٢٨ ــ النظم الاسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل السامر والدكتــور صالح الشماع ، مطبعة الزهراء ، (بغداد : ١٩٥٢) .
زامباور ، ادوار دفون .
١٢٩ ــ معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، جزءان ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن احمد محمود وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، (القاهرة : ١٩٥١) .
زكي ، احمد كمال الدين (الدكتور) .
١٣٠ ــ ابن المعتز العباسي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ، مطبعة الدار المصرية ، (القاهرة : ١٩٦٤) .
زيدان ، جرجي .
١٣١ ــ تاريخ التمدن الاسلامي ، ٤ أجزاء ، دار الهلال ، (مصر : ١٩١٠) .
سرور ، طه عبد الباقي .
١٣٢ ــ الحسين بن منصور الحلاج شهيد التصوف الاسلامي (٢٤٤ ــ ٣٠٩ هـ) ، ط ١ ، مطبعة مصر، القاهرة : ١٣٨٠هـ/١٩٦١م).
سرور ، محمد جمال الدين (الدكتور) .
١٣٣ ــ تاريخ الحضارة الاسلاميةفي الشرق ــ من عهد نفوذ الاتراك

الى منتصف القرن الخامس الهجري — ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، مطبعة دار الثقافة العزبية للطباعة ، (القاهـرة : ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م) .

سوسة ، احمد نسيم (الدكتور) .

١٣٤ — الدليل الجغرافي العراقي ، مطبعة التمدن ، (بغـداد : ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م) .

١٣٥ — فيضانات بغداد في التاريخ ، ٣ أقسام ، مطبعـة الاديب ، (بغداد : ١٩٦٥) .

شريف ، محمد بديع (الدكتور) .

١٣٦ — الصراع بين الموالي والعرب — وهو بحث في حركة الموالي ونتائجها في الخلافة ، الناشر دار الكتاب العربي بمصر ، (القاهرة: ١٩٥٤) .

شلبي ، أحمد (الدكتور) .

١٣٧ — التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ٥ أجزاء ، ط ٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٦٦) .

صفوت ، احمد زكي .

١٣٨ — جمهرة رسائل العرب — في عصور العزبية الزاهرة — ، ٤ أجزاء ، ط ١ ، شركة مكتبة ومطبـعة مصطفى البابي واولاده ، (القاهرة : ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م) .

عرنوس ، محمود بن محمد .

١٣٩ — تاريخ القضاء في الاسلام ، المطبعة المصرية الاهلية ،(القاهرة: ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م) .

علي ، سيد امير .

١٤٠ ـ مختصر تاريخ العرب ، جزءان ، ترجمة عفيف البعلبكي ، ط ١
مطبعة دار العلم للملايين ، (بيروت : ١٩٦١) .

عليان ، محمد عبد الفتاح .

١٤١ ـ قرامطة العراق في القرن الثالث والرابع الهجري ، المطبعة
الثقافية ، (القاهرة : ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) .

عيسى بك ، احمد (الدكتور) .

١٤٢ ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، المطبعة الهاشمية ، (دمشق
١٩٣٩) .

كحالة ، عمر رضا .

١٤٣ ـ اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، ٥ أجزاء ، ط ٢ ،
المطبعة الهاشمية ، (دمشق : ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) .

كرد علي ، محمد .

١٤٤ ـ الادارة الاسلامية في عز العرب ، مطبعة مصر ، (القاهرة :
١٩٣٤) .

١٤٥ ـ الاسلام والحضارة العربية ، جزءان ، ط ٢ ، مطبعة لجنة
التأليف والنشر ، (القاهرة : ١٩٥٩) .

لسترانج ، غي .

١٤٦ ـ بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس
ط ١ ، المطبعة العربية ، (بغداد : ١٩٣٦) .

١٤٧ ـ بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة كوركيس عواد ، وبشير

فرنسيس ، مطبعة الرابطة ، (بغداد : ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) .
متز ، آدم .
١٤٨ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، جزءان ، ط ٤ ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، الناشر دار الكتاب العربي ، (بيروت : ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .
نكلسن ، رينولد .
١٤٩ ـ تاريخ الادب العباسي ، ترجمة الدكتور ، صفاء خلوصي ، الناشر المكتبة الاهلية في بغداد ، مطبعة أسعد ، (بغداد : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م) .

رابعا ـ المجلات :

رحمة الله ، مليحة (الدكتورة) .
١٥٠ ـ « دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني » ، مجلة كلية الآداب ، العدد الرابع عشر ، المجلد الثاني مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٧٠ ـ ١٩٧١) .
زيات ، حبيب .
١٥١ ـ « معجم المراكب والسفن في الاسلام » مجلة المشرق ، الجزء ٣ ـ ٤ ، آب وكانون الاول ١٩٤٩ .
الديوهجي ، سعيد .
١٥٢ ـ « رسول ملك الروم الى الخليفة المقتدر بالله العباسي ،

مجلة العربي ، العدد ١٦٦ ، ايلول (الكويت : ١٩٧٢) •

العلوجي ، عبد الحميد •

١٥٣ — « كتاب الوزارات » ، مجلة المجمع العلمي ، مجلد ١٩ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد : ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠) •

شيمل ، انا ماري •

١٥٤ — « الحلاج شهيد العشق الالهي » ، مجلة فكر وفن ، العدد ١٣ ، سنة ١٩٦٩ •

خامسا : المراجع الأجنبية :

BOWEN -- HAROLD

١٥٥ —
THE LIFE AND TIMES OF , ALI IBN " IST "
THE GOOD VIZIER , (CAMRIDGE 1927) .
EL -- SAMARRAIE -- HUSAM QUAM .

١٥٦ —
AGRICULTURE IN IRAQ DURING THE 3RD . CENTURY ,
A . H . (LONDON : 1970) .

١٥٧ —
ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM , V . III , (LEIDEN 1936) .
MARGOLIOUTH , D . S

١٥٨ —
THE ECLIPSE OF THE ABBASID (ALIPHATF, KEMPHALL,
(LONDON 1921) .
SOUROEL , DOMINIQUE .

١٥٩ —
LE VZIRAT , ABBASDE ,
DE 749 A 936 " 132 A 324 DE L, HEGIRE " TOMEH ,
(DAMAS 1960) .

Summary of the Research

Through all this research , we come to know that Al -- Muqtadir Beallah's age was full with great event . Since an inexperienced boy had taken upon himself the management of the Caliphate the jurisprudents , the judges , the ministers and the Diwans writers contradicted in their points of view -- for political and personal reasons -- on the legality of his succession to this highly -- placed post . So , this age was distinguished with its conflicts between the legal authority and its opponents (the Shiites an Qarmttiaus).

There , appeared clearly that the life inside the palaces , the extravagance , the squandering and the plots which aimed to place the Caliph as a plaything under the authority of the army once , or under the ministers " authnrity in another or to satisfp the Harrim in a third time,created a financial crisis caused the troubles to the state until the end of this age .

The women's role -- with Al -- Muqtadir's mother at their head -- emerged . We clearly felt their influence in the political , financial and even the judical affairs's , and how this interference had been reflected nn the state public affairs ; especially when the Caliph depended on their incitements and speeches about the minis--

ters , the army leaders and the Diwans writers .

We notice , too , the weakness of the Ministry which became unable to protect itself against the frequent armp exceedings , the agression of the attendants and the sarcasm nf the public . The imprisonment , the contempt and the murder of ministers became a familiar thing . The selfishness tf ministers and their occupation in plottinf and collecting the wealth by illegal ways became elearer .

The army played a great part in directing the state policy . So , its leaders , who overruled over the authority , aimed to achieve private privilages : They stirred up The rints which led to rend the unity of the state and to break down its basis . The Military leader " Muanes " emerged during this age . He became mnre influencial than the Caliph himself or his ministers . So , the Commander of the army became the head : Manp great attempts were made to isolate the army frnm interferring in the civil affairs , but they failed .

What attracts attention was the weakness of the aufhorify infront of its opponents who waited their chance to attack the state which became unable to protect itself against those whose influence increased . Hhey were able to attack prisons and liberate the prisoners . They attacked the Calipha House and the ministers 'houses as well . The authority seemed as if it were unble to

control its opponents .

The violent revolutionary movements , which crystallized during this age , aimed to ruin the Abbasid Caliphate : The "Qarmattiais", who controlled Bahrain , frightened the Sawad people many times and threatened the Capital Baihdad , is one of them . Moreover , the " Shaia " movement opposed the Caliphate : Afterwards , we have Al -- Husain Ibn Mansur whose conflict with the state prov-- oked a sharp ariuement among the researchers .

We felt the important part played by the Hamdanyen in the political , administrative and military events that happened during this age : Husain Ibn Hamdon took part in the rebellion that took place in (296 -- 968 . A. C .) and which was plotted against Al -- Muqtadir and aimed to dethrone and kill him : The Hamdani familp left the opponent party and sided with the Caliph . The Caliph did not feel confident of their intentions and felt afraid of them : He decided to keep them away from the Caliphate : In doing so , the Caliph committed the dealy wrong becauses he did not balance among the armp troops : The Hamdanids tried frequently to prove their good intentions and loyality to the state : Forgetfing what happened to some members of their tribe , the Hamadanyen hoped to get rid of the turkish influence represented by " Muanis " and to liberate the Caliphate from their control ; besides , they wanted to render the " Tuglib " tribe the highest posts in managing

the affairs , but they did not succeed .

Some improvements were carried out during this age : Hospitals were erected , medical treatment for all , the Caliphate House of Revenues " Bayt al -- Mal " were rpent on providing food , some prisoners were set free and large amounts of money were spent to rebuild the " Horama'n " to fortify the havens . They worked for the remission of taxes , such as toll -- taxes and inheritance taxes : Al -- Muqtadir endowed a fund of money and wide sudurbs to Maca and Madinah .

محتويات الكتاب

المقدمة ونطاق البحث	٧ ـ ٢٢
الفصل الأول : الخليفة المقتدر بالله	٢٣ ـ ٧٦
١ ـ طفولته ونشأته الأولى	٢٥ ـ ٢٤
٢ ـ طريقة أختياره للخلافة	٢٤ ـ ٤١
٣ ـ مبايعة جعفر بالخلافة	٤١ ـ ٤٧
٤ ـ سيرة المقتدر بالله	٤٧ ـ ٦٧
أ ـ أسرافه وتبذيره	
ب ـ أصلاحاته	
جـ ـ عبثه ولهوه	
٥ ـ شخصية المقتدر بالله	٦٨ ـ ٧٦
الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في حكم المقتدر بالله	٧٧ ـ ١٤٨
١ ـ تدخل الحريم في سياسة الدولة :	٧٩ ـ ٩٨
أ ـ تأثير النساء على الخلفاء .	٧٩ ـ ٨٤
ب ـ القهرمانة فاطمة .	٨٤ ـ ٨٥
جـ ـ القهرمانة أم موسى .	٨٥ ـ ٩٠
د ـ القهرمانة ثمل .	٩٠ ـ ٩٤
هـ ـ القهرمانة زيدان .	٩٤ ـ ٩٨
٢ ـ السيدة أم المقتدر بالله :	٩٨ ـ ١٢٤
أ ـ اسمها وأصلها .	٩٨ ـ ١٠١

ب — أثرها في السياسة العامة . ١٠٢ — ١١٢
ج — تدخلها في القضاء . ١١٢ — ١١٣
د — أعمالها الخيرية . ١١٤ — ١٢٤
٣ — دور الخدم والحاشية في السياسة العامة : ١٢٤ — ١٤٨
أ — دور الحاشية في تثبيت المقتدر بالله . ١٢٤ — ١٢٧
ب — نصر الحاجب يشارك في توجيه سياسة الدولة . ١٢٧ — ١٤١
ج — دور الخدم في الصراع السياسي . ١٤١ — ١٤٨
الفصل الثالث : الوزارة في عهد المقتدر بالله . ١٤٩ — ٢٥٣
١ — الوزارة وأثرها في سياسة الدولة . ١٥٠ — ١٥٧
٢ — وزارة علي بن الفرات ٢٩٦ — ٢٩٩ هـ ١٥٧ — ١٦٣
٣ — وزارة الخاقاني وفساد النظام الاداري ٢٩٩ — ٣٠١ ١٦٣ — ١٦٩
٤ — علي بن عيسى الوزير المصلح ٣٠١ — ٣٠٤ هـ ١٦٩ — ١٨٥
٥ — وزارة ابن الفرات الثانية ٣٠٤ — ٣٠٦هـ ١٨٥ — ١٨٩
٦ — حامد بن العباس يتقلد الوزارة ٣٠٦ — ٣١١ هـ ١٩٠ — ١٩٩
٧ — وزارة ابن الفرات الثالثة ٣١١ — ٣١٢ هـ ١٩٩ — ٢٠٩
٨ — وزارة أبي القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني
٣١٢ — ٣١٣ هـ ٢٠٩ — ٢١٣
٩ — وزارة أبي العباس أحمد بن عبيدالله الخصيبي
٣١٣ — ٣١٤ هـ ٢١٣ — ٢٧٣
١٠ — عودة علي بن عيسى الى الوزارة ثانية ٣١٤ — ٣١٦ هـ
٢١٧ — ٢٢٢
١١ — وزارة أبي علي محمد بن مقلة ٣١٦ — ٣١٨ هـ

٢٢٢ — ٢٢٧
٢٣٨ — ٢٤٠
الفصل الرابع : الجيش وأثره في أحداث العصر ٢٥٥ — ٣٣٨
١ — بداية نفوذ الأتراك . ٢٥٧ — ٢٦٢
أ — الساجية .
ب — الغلمان الحجرية .
جـ — الرجالة المصافية .
د — الفرسان .
٢ — الفرق العسكرية . ٢٦٢ — ٣٠٨
٣ — تدخل الجيش في الأدارة . ٣٠٨ — ٣١٢
٤ — القائد مؤنس . ٣١٢ — ٣٣٨
الفصل الخامس : الأحوال الداخلية . ٣٣٩ — ٤٠٧
١ — حالة الأمن الداخلي . ٣٤١ — ٣٥٦
٢ — فتنة عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م . ٣٥٦ — ٣٦٨
٣ — أزمات الغلاء . ٣٦٨ — ٣٨٥
٤ — الخدمات العامة . ٣٨٥ — ٣٨٨
١٢ — وزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ٣١٨ — ٣١٩ هـ
١٣ — وزارة الحسين بن القاسم بن وهب ٣١٩ — ٣٢٠ هـ
٢٢٧ — ٢٣١
١٤ — وزارة الفضل بن جعفر بن الفرات ٣٢٠ هـ .
٢٣٢ — ٢٣٧
١٥ — مصادرة الوزراء . ٢٤١ — ٢٥٣

٥ ـ أحداث سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م . ٣٨٨ ـ ٤٠١
٦ ـ الأضطرابات خارج العاصمة . ٤٠١ ـ ٤٠٧
الفصل السادس : حركات المعارضة ٤٠٩ ـ ٥٣٨
١ ـ حركة الحسين بن منصور الحلاج ٤١٠ ـ ٤٤٠
أ ـ شخصية الحلاج وطبيعة دعوته .
ب ـ محاكمة الحلاج وخاتمته .
٢ ـ حركات الشيعة : ٤٤٠ ـ ٤٥٣
أ ـ حركة الاطروش الحسن بن علي العلوي .
ب ـ الحركات العلوية الأخرى .
٣ ـ حركة القرامطة : ٤٥٣ ـ ٤٩٩
أ ـ الدعوة القرمطية وخطرها .
ب ـ القرامطة يهددون بغداد .
جـ ـ موقف القرامطة من الحجاج .
٤ ـ الحمدانيون وخلافة المقتدر بالله : ٤٩٩٣ ـ ٥٣٨
أ ـ الحسين بن حمدان وتمرداته .
ب ـ أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان .
جـ ـ موقف الحمدانيين من الخليفة المقتدر ومؤنس .
تقويم العصر ٥٣٩ ـ ٥٧٣
١ ـ الصراع على السلطة بين المدنيين والعسكريين . ٥٤١ ـ ٥٤٥
٢ ـ قلق الوزارة وكثرة الوزراء . ٥٤٦ ـ ٥٥١
٣ ـ الرشوة والمصادرة وأستغلال النفوذ . ٥٥١ ـ ٥٦٥
٤ ـ ضياع وحدة الدولة . ٥٦٥ ـ ٥٧٠

٥ ـ الاصلاحات العامة . ٥٧١ — ٥٧٣

خلاصة البحث ٥٧٤ — ٥٧٦

مصادر ومراجع البحث ٥٧٧ — ٦٠١

محتويات الكتاب ٦٠٢ — ٦١٠

فهرست الاعلام ٦١١ — ٦٢٧

فهرست الأماكن والبلدان ٦٢٨ — ٦٣١

فهرست الاعلام

ابن الأثير ١٩ ، ٥٢ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩١، ٩٩ ، ١١١ ، ٤٥٦ ، ٥٠٦ .
ابن أبي اصيبعة ١١٥ .
ابن الأشناني ٩١ ، ٩٢ ، ١١٣ .
ابن الجصاص (الحسين ابن احمد)٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٣٠٥؛ ٣٦٥ ؛ ٣٨٢ .
ابن الجوزي ٢١ ، ٤٥ ، ١١٧ ، ٢٥٣ .
ابن حماد الموصلي ٢٠١ .
ابن الحواري (علي بن محمد) ١٣٢ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠١ .
ابن خلكان ٢١ ، ٢٤٢ .
ابن خلدون ٢٠ ، ٩٠ .
ابن دريد (محمد بن الحسن) ٥٩ ، ٢٢٩ ، ٥٧١ .
ابن شاكر الكتبي ٢١ .
ابن الطقطقي ٢٠ .
ابن عائشة ٦٥ .
ابن عمرويه (صاحب الشرطة) ٤٥ ، ٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ .
ابن الفرات (علي بن محمد) ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٨ ؛ ٤٩ ؛ ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٦ ؛ ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٨٢ ؛ ٨٥ ؛ ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ،
٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،
٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢ ، ٣٨٠ ،
٣٨٦ ، ٤٢١ ، ٤٥٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ،
٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٤٣ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ،
٥٥٣ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢ .

ابن كثير ٢٠ : ٢٨ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٨٣ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٢٣٧ .

ابن مخلد ١٦٢ .

ابن مقلة (ابو علي محمد) ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ،
١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٨٠ ، ٣٥٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٤٥٣ .

ابن النديم ٢١ .

ابن النقاط ٢١٤ .

ابو جعفر القمي ٢١٤ .

أبو حنيفة ٩٣ .

ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ٤٦٢ ، ٤٦٣ ،
٤٦٤ ، ٤٦٥ .

ابو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام القرمطي ١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ،
٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٤٩ ،

٤٤٧ ؛ ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٨٠ ، ٤٧٢ ،
٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ؛ ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،
٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ؛ ٤٩٥ ؛ ٤٩٦ ، ٤٩٨ .

أبو العباس (محمد بن المقتدر بالله) ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ؛
١٨٣ ؛ ٢٣٥ ، ٢٨١ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٤٢٥ .

أبو الفداء ٢٠ ، ١٢٠ .

ابو القاسم بن بسطام ١١٨ .

ابو الهيجاء (عبد الله بن حمدان) ١٧ ، ٧٠ ، ٩٨ ، ١٤٣ ، ٢٠٥ ، ١٨٢ ؛
٢٩٠ ؛ ٢٩٩ ؛ ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ،
٣٩٠ ؛ ٤٠٩ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ؛ ٥١١ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ،
٥١٩ ، ٥٢٠ ؛ ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ؛ ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ،
٥٢٩ ، ٥٣٠ ؛ ٥٣١ ؛ ٥٣٢ ؛ ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

ابراهيم بن بطحاء ١٤٣

ابراهيم بن حمدان ٥٠٨

ابراهيم بن رائق ٧٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٣١٢ .

ابراهيم بن عيسى ١٨٤ ، ٢٠١ .

احمد بن بدر ٢٠٦ ، ٤٨٤٣ .

احمد بن العباس ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

احمد بن العباس بن الحسن ٤٥ ، ١٠٢ .

احمد بن عبيد الله الخصيبي ١٠٨ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
٢١٤ ؛ ٢١٥ ؛ ٢٢٨ ، ٢٤٦٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٠٥ ، ٣٢١ ،
٣٦٨ ؛ ٥٦٠ .

احمد بن علي صعلوك ٢٧٥ ، ٢٨٠ .

احمد بن محمد بن رستم ٢٢٣ •
احمد بن محمد بن قرابة ٢٠١ •
احمد بن نصر الحاجب ١٤٤
احمد بن يحيى بن أبي البغل ٨٦ ،٨٧ ، ٨٨ •
آدم متز ٣٢ ، ٨٠ ، ١٠١ ، ١٢٥، ٣٧٣ ، ٤٤١ ، ٥٠٦ •
الأربلي (عبد الرحمن سنبط) ٤٣ •
اسحق بن اسماعيل النوبختي ١١١، ١١٢ •
اسد بن جهور ٣٣٢ •
الاصفهاني (أبو الفرج) ٦٦ •
الأصمعي (ابو العباس ثعلب) ١٢٩
ام موسى القهربانة ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩،
٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١٦٢ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٣٤٣ ، ٥٦١
الأمين (الخليفة) ١٥٨ •

ب

بابك الخرمي ٢٦٦
بارس (غلام اسماعيل السامانى) ٤٦
البريدي (ابو عبد الله) ٢٢٣ ، ٢٩١
بشرى (خادم مؤنس) ٢٣٥
بني بن نفيس ، ٨٤ ، ٣٣٤ ، ٣٩٨، ٤٦٧ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ،
البيروني ٩٨ •

ت

التنوخي ٢١ ، ١١٠ ، ١٩٠ ، ١٩٢،

ث

ثابت بن سنان ٢٢٥ ، ٤٢٥
ثمل (صاحب البحر) ٤٨٧
ثمل القهرماقة ٧٠ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ .

ج

جعفر بن الفرات ٢١٣ ،
جعفر بن ورقاء ٢٣٤
الجنيد ٤١٢

ح

حامد بن العباس ٨٨ ، ١٠٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٠ ، ٤١٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٥٤٦ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٨ .
الحسن بن القاسم الداعي العلوي ٤٤٣ ، ٤٤٥ .
الحسين بن اسماعيل المحاميلي ٩٦ .
الحسين بن احمد بن كردي المادرائي ١٤٠ ، ٥٥٣ .
الحسين بن حمدان ١٦ ، ١٧ ، ٧٠ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٤٠٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٨ ، ٥٧٥ .
الحسين بن عبد الله بن حمدان ٣٣٤ ، ٥٢٧ .
الحسين بن علي ١٤٦ .

الحسين بن علي العلوي الأطروش ١٥ ، ٤٠٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

الحسين بن القاسم ٧٤ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

الحلاج (الحسين بن منصور) ١٤ ، ١٦٦ ، ٢٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٥١٦ ، ٥٧٥ ،

خ

خطا أخو هند ٣٣٢

الخطيب البغدادي ٢١ ، ٦٣ ، ٧٦

الخيزران ٧٩ ؛

د

الدانيالي ٣٣٣ ،

دمنة (جارية المقتدر) ٢٣٣ ؛

ر

رائق الكبير ٢٨٧ ، ٣١٢ ؛ ٥١٢

الراضي بالله ١٨١

الرجالة المصافية ١٢ ، ١١٦ ، ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٨١ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٥٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٩٧ ، ٥٣٥ ،

الرشيد (الخليفة) ٢٥ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٨٠

رشيق الحرمي ٢٦٩

الروم ١٠ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ٢٠٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩ ؛

٢٣٩ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٧٥ ، ٤٠٠ ، ٤١١ ، .

ز

زيد بن صدام ٣٣٢

زيدان القهرمانة ٥٢ ، ٧٧ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٨٤ ، ١٩٩ ، ٢٧٢ ، ٥١٥

س

الساجية : ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٤٦٧ .

سبك الطولوني ٣٤٥

سعيد بن حمدان ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٥٤ ، ٤٧٥ ، ٥٢٥ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ،

سعيد بن يربوع ٣٩٧

سعيد بن يعقوب الدمشقي ١٧٥

السفاح (الخليفة) ٥٠

سليمان بن الحسن بن مخلد ١٣٩ ، ١٤٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٣٠٧ ، ٣٣١ .

سليمان بن وهب ١٥٥ ، ٣٦٠ ، ٥٠٤

سنان بن ثابت ١١٤ ، ١١٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

سوسن الحاجب ٤١٥ ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ٢٨٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ .

السيدة (شغب أم المقتدر) ١٠ ، ١٨ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ،

١٧٩ ؛ ١٨٢ ؛ ١٨٣ ؛ ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
٢٤٥ ؛ ٣٠٦ ؛ ٣٢١ ؛ ٣٢٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨٦ ، ٤٢٦ ، ٤٥٤ ، ٤٧٤ ، ٤٨٤ ،
٥٤٤ ، ٥٥٣ ، ٥٧٤ ٠

ش

الشافعي ٩٣
شفيع المقتدري (اللؤلؤي) ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ؛
٢٨٣ ؛ ٣٠٥ ؛ ٣٠٦ ٠
الشيعة ٧ ، ١٥ ، ١٩ ٠

ص

الصابي الهلال بن المحسن ٢٠ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ١٢٤ ، ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٨٧ ؛
٢٤٣ ؛ ٢٥٠ ؛ ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣٠٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ٠
صاعد بن مخلد ١٦٥ ،
صافي الحرمي ٣١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ١٢٥ ، ٣١٥ ؛
٥٦٣ ٠
الصولي أبو بكر محمد ٤٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٨ ؛
١٢٩ ؛ ١٦٠ ، ١٧٢ ، ٢٠٤ ، ٢٥٠ ، ٣٦٢ ؛ ٤٢٠ ، ٥٧٢ ٠

ط

الطبري (محمد بن جرير) ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ؛
٥٩ ؛ ٩٣ ؛ ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٦٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ ٠
طريف البكري ٣٣٤ ، ٤٨٧

ظ

ظلوم (جارية المقتدر) ٧٠ ، ٨٢ ، ٩٩

ع

العباس بن الحسن ٢٩ — ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ١٢٥ ، ١٥٤ ، ٢٤١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،

العباس بن المأمون ٢٥٨ ،

عبد الله بن ما شاء الله ٢٠١

عبد الله بن محمد بن الخاقاني ٨٦ ، ١٠٨ ، ١٣٠ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٨٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

عبد الله بن محمد الكلوذاني ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٠

عبد الله بن عيسى ١٨٤ ،

عبد الله بن المعتز ١٨ ، ٢١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٥٢ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٤٢١ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٦ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ .

عبد الواحد بن الفضل بن وارث ٣٠٥

عبد الواحد بن محمد بن الخاقاني ١٣٠ ، ١٦٥

عبد الواحد بن المقتدر ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٣٠١

عبد الوهاب بن الحسن ٢١٨

عريب بن سعيد القرطبي ١٨ ، ١٩ ، ١٠١ ، ١٢٧ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ٢٥٠ ، ٥٥٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤ ، ٤٢٥ ، ٥٠٦ ، ٥٢١ .

علي بن احمد الراسبي ٣٠٥ ، ٥٦٤

علي بن بويه ٣٨٨
علي بن العباس النوبختي ١٢٣ ،
علي بن عيسى بن داود بن الجراح ٣٤ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
٨٧ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ،
١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ،
١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ،
٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ،
٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٨٥ ، ٤٢٦ ،
٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٥١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ،
٤٨٦ ، ٥١١ ، ٥٤٣ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ .
علي بن يلبق ١٢٣ ، ٣٣٧ ، ٣٠٧ ، ٥٣٥ .
عيسى الطبيب البغدادي ٩٦

غ

غريب الخال ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ١٠١ ، ١١٦ ، ٣٣٠ ، ٣٨٣ .
الغلمان الحجرية ١٢ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٨٠ ،
١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٥٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٣١ ، ٣٩٧ .

ف

فاتك المعتضدي ٤٥ ، ٣٥٩
فاطمة القهرمانة ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٥

الفاطميون ٢٤٨ ، ٢٧٨ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٨٣ ، ٤٠١ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ،
٤٨١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥١١ ، ٥١٣ ،

الفرسان ١٢ ، ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٦٢ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ،
٢٢٩ ، ٢٥٥ ، ٢٨٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٧ ، ٣٩٤ ،

الفضل بن جعفر بن الفرات ٧٣ ، ١٤٩ ، ٢١٨ ، ٢٣٨ ،

الفضل بن يحيى بن فرحان ٢٨٣

فيصل السامر (الدكتور) ٥ ، ٢٢ ، ٤٥٧ ، ٥٠١ ،

ق

القاسم بن دينار ٢٢٣ ،

القاهر بالله (محمد بن المعتضد) ٤٥ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٤٣ ، ١٤٧ ، ٢٢٤ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ،
٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ،

قبيحة (زوجة الخليفة المتوكل) ٨٠ ،

القرامطة ٧ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٧١ ، ٧٥ ، ١٠٩ ، ١١٤ ،
١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ،
٢٣١ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٩ ،
٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٣٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٤٠٩ ،
٤٢٢ ، ٤٣٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ،
٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ،
٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ،
٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ،
٥٢٨ ،

ك

كنيز ٦٥

م

مالك ٩٢

المأمون (الخليفة) ٧٦ ، ٨٠ ، ٢٥٨ .

مؤنس الخادم (المظفر) ١٠٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٩ ، ٤٢٣ ، ٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٨ ، ٥٧٥ .

المتوكل على الله ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٣ ، ٨٠ ، ١٩٨ ، ٢٦٠ ، ٣١٣ .

المحسن بن علي بن الفرات ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٨٧ ،

٣٤٩ ، ٥٤٩ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٤ ٠
محمد بن احمد ٢١٨
محمد بن احمد الخصيبي ٢١٥
محمد بن اسحق بن المتوكل ٨٩ ، ١٠٧
محمد بن جني ٢١٨
محمد بن حسين بن احمد الماذرائي ٢١٨ ، ٢٥١
محمد بن خلف النيرماني ٧٥ ، ١٣٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ٠
محمد بن داود بن الجراح ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،
٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ٠
محمد بن رائق ٧٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣١٢ ٠
محمد بن سعيد الأزرق ٣٦٠
محمد بن عبد الحميد ١٠٣
محمد بن عبد الله بن أبي الشوارب ١١٢
محمد بن عبد الله بن يحيى الخاقاني ٨٧ ، ٩٧ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
٣٦٩ ، ٣٤٣ ٠
محمد عبدون ٣٤ ، ١٢٧ ، ١٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٩٧ ٠
محمد بن عيسى ٢١٨
محمد بن المعتمد ٣٧ ، ٤٦ ، ٤٧
محمد بن ياقوت ٧٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ،
٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ٠
محمد بن يوسف القاضي ٣٧ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ١٥١ ، ٣٩٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،

مرداويج ٢٣١

مسرور الخادم ١٤٨

المعتصم بالله ٢٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ .

المسعودي ١٩ ، ٢٦ ، ٤٣ ، ٩٢ ، ١٤٧ ، ١٥٠

مسكويه ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٥٣ ، ١٤٠ ، ١٦٤ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٥١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ، ٣٥٨ ، ٥٦٩ .

المطيع لله (الخليفة) ٤٩٤ .

المعتضد بالله ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٩ ، ٢٠٤ ، ٢٢١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ، ٣٤١ ، ٣٦٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ .

مفلح الاسود ٧٣ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٩٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٣٩٠ ، ٤٣٣ .

المقتدر بالله (جعفر) ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٣٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ؛ ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٢ ؛ ١٤٣ ؛ ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ؛ ١٤٩ ؛ ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ؛ ١٦٥ ؛ ١٦٨ ؛ ١٦٩ ، ١٧٢ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ؛ ١٨٠ ؛ ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ؛ ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
١٨٨ ؛ ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ؛ ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ؛ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ؛ ٢١٠ ،
٢١١ ؛ ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٣٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٣٢٧ ؛
٢٣٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ؛ ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ؛ ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٢٤٤ ؛ ٢٤٥ ؛ ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ؛ ٢٦٣ ؛ ٢٦٥ ؛
٢٦٨ ؛ ٢٦٩ ؛ ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ؛ ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
٢٨٦ ؛ ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ؛ ٢٩٤ ؛ ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ؛ ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٤ ؛
٣١٥ ؛ ٣١٦ ؛ ٣١٨ ؛ ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ؛
٣٢٨ ؛ ٣٢٩ ؛ ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ؛
٣٤٤ ؛ ٣٥٦ ، ٣٥٧ ؛ ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ؛
٣٦٨ ؛ ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ؛ ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ،
٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ؛ ٣٩٧ ، ٣٩٨ ؛ ٣٩٩ ؛ ٤٠٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ؛ ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٩ ؛
٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ؛ ٤٧٣ ؛ ٤٧٤ ، ٤٧٧ ؛ ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،
٤٨٨ ؛ ٤٩٦ ؛ ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ؛ ٥٠٤ ، ٥٠٦ ؛ ٥٠٧ ، ٥٠٨ ،
٥٠٩ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ؛ ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ،
٥٣١ ؛ ٥٣٣ ؛ ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ؛
٥٤٨ ؛ ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٦١ ؛ ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ؛

٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ؛ ٥٧٦ .
المكتفي بالله ١٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ؛ ٣٧ ، ٣٨ ؛ ٤٢ ، ٤٣ ؛ ٤٥ ؛ ٤٦ ؛ ٤٩ ؛ ٦٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ؛ ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ؛ ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢٤١ ؛ ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥١٧ .
المنصور (الخليفة) ٥٠
المهتدي (الخليفة) ٦٨

ن

نازوك ٧٠ ، ٧٢ ، ٢٠٩ ، ٢٦٤ ؛ ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ؛ ٣٢٨ ؛ ٣٢٩ ، ٣٥١ ؛ ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ؛ ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ؛ ٥٣٠ .
نجم الطولوني ٣٤٥
نزار بن محمد صاحب الشرطة ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
نصر الحاجب القشوري ٧١ ، ٧٧ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ؛ ١٣١ ؛ ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ ١٣٨ ؛ ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ؛ ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ؛ ٢١٢ ؛ ٢٢١ ؛ ٢٢٢ ، ٢٦٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٣٣٠ ، ٣٨٩ ، ٤٢٤ ؛ ٤٢٥ ؛ ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٧٧ ، ٥١٦ ، ٥٦٤ .
نصر بن حمدان ٥٢٥ .

هـ

الهادي (الخليفة) ٧٩ .
هارون بن عمران ١٨٦ ؛ ٢٥١ .
هارون بن غريب الخال ٧٢ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ؛ ٢١١ ؛ ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ؛ ٢٨٨ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٨٩ ،

٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٨١ ، ٥٣٠ .

هارون بن المعتضد ٤٥ .

هارون بن المقتدر بالله ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٨٣ .

و

الوليد بن احمد بن أخت الراسبي ١٩٢

ياقوت الحاجب ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨ ، ٣٥٤ ، ٣٩٠

يانس الموفقي ٣٠٦

يلبق (القائد) ١٤٨ ، ١٧٠ ، ٢٣٣ ، ٢٨١ ، ٣٠١ ، ٣٣٧ ، ٣٥٤ ، ٤٧٤ ،

يمن الحاجب ٨٢ ، ١٢٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ .

يوسف بن أبي الساج ٧٠ ، ١٠٩ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٤٤٥ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٥٢ ،

يوسف بن يعقوب القاضي ١٥٩

فهرست الاماكن

أ

أذربيجان ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٣١٠ ، ٣١٧ .
ارمينة ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣١٠ ، ٣١٧ .
اصفهان ٣٧٢ .
الأنبار ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٩٤ ، ٣٢٥ ، ٣٧٦ ، ٤٠٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ .
الأهواز ١٢٧ ، ٢٦٦ ، ٢٩٩ ، ٣٧٢ ، ٤١٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٤٨ ، ٤٦٩ ، ٤٨٦ .

ب

البصرة ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ٢٣٨ ، ٢٩١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤٤٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦ .
بغداد ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ،

٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣٦ ، ٥٤٣ ، ٥٤٦ ، ٥٧١ ، ٥٧٥ .

ت

تكريت ٥٨ ، ٣٧٧ ، ٥٠٨ ، ٥٢٧ ،

ج

جنديسابور ٢٦٦ ، ٣٠٥ ، ٣٨١ .

ح

الحربية ١٧٥ .

حلب ١٥ ، ١١٤ ، ٣٣٤ ، ٤٤٦ .

حلوان ١٦٧ ، ٢٣٤ ، ٣٥٠ ، ٣٩٦ ، ٤٦٩ ، ٥٣٢ .

د

دار محمد بن طاهر ١٠ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٢٥ ، ٣٦٣ ، ٣٩٩ ، ٥٣١ .

دجلة ٤٠ ، ١١٥ ، ١٦٦ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٨٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٤٠٢ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ .

دمشق ١٥ ، ٤٤٦ .

دير العاقول ٢٣٤ .

ر

الرصافة ١١٤ ، ١١٨ ، ٢٤٥ •
الرقة ٣٣ ، ٧٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ •
الري ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣١٧ ، ٣٨٧ •

س

سامراء ٣٩٦ •
سمساط ٢٢٠ ، ٣٢٣
السوس ٣٠٥
سوق يحى ١١٤ ، ١٥

ش

الشماسية ١٤٦ ، ٢٤٠ ، ٣٣٢ ، ٣٩٣ •

ط

طرسوس ٣١٥

ف

الفرات ٢١١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ •

ق

قصر ابن هبيرة ٣٥٤
قصر الحسني ٤١

ك

كسكر ٩٤
الكوفة ١٥ ، ١٠٧ ، ١٦٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٢٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٨ ، ٤٢٥ •

م

المحرم ١٢٦ ، ١٥٥ ، ٢٤١ ، ٣٦٤ ، ٥٠٤

المدائن ١٤٧ .

المدينة ١٢٢ ، ١٧٩ .

مصر ٥٢ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ٢٤٨ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٨٣ ، ٥١٣ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

مكة المكرمة ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٧٤ ، ٤١٩ ، ٤٣٠ ، ٤٤٧ ، ٤٨٤ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٢٥ .

الموصل ٧٢ ، ٧٤ ، ١٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٧٦ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٣٦ ٥٦١ ، ٥٦٨ ،

ن

نصيبين ٣٧٥ ، ٤٠٦

النهروان ١٣٠ ، ٣٠٠ ، ٥٣٥

هـ

همذان ٢٣١ ، ٣٩٦ ، ٤٦٩ ، ٥٣٢ .

هيت ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ .

و

واسط ١٠٥ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ١٠٦ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٤١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ، ٣٥٠ ، ٤١٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٦٩٤ ، ٤٧٣ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٥٣٥ ، ٥٦٤ .

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٩٥ لسنة ١٩٧٤

السعر دينار ونصف

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٤٩٥ لسنة ١٩٧٤